

أَجْوَدُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الْجُزُءُ السِّيَادِيُّ

تَابِعُ

آيَةُ اللَّهِ الْأَسْتَاذُ الشَّيْخُ هَادِي النَّجَفِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقریظ العلّامة المحقق الأديب الأستاذ
الحجّة السيد عبدالستار الحسني ذام طلّة

تاریخ نشر أجزء السادس من التفسیر الموسوم بـ «أجود البيان في
تفسیر القرآن» لسماعة الفقيه المحقق النحریر آية الله الأستاذ الشیخ الہادی
من آل أبي المجد النجفی ذام طلّة:

| | |
|---|---|
| مِنْ لُطْفِ رَبِّ الْعِبَادِ خَبِيرٍ | لِلْآيَةِ الْهَادِيِّ مَوَاهِبُ جَمَّةٍ |
| خَطَّتْ أَنَامِلُهُ مِنْ الْتَّحْرِيرِ | وَبَحْسِبِهِ أَنْ جَدَّ فِي تَنْوِيعِ مَا |
| شَيْنَتْ عَوَاقِبُ مَحْرِهِ بِقُصُورِ | مِنْ كُلِّ فَنٍّ خَاصَ جُنْتَهُ وَمَا |
| شَرِّ الْعُلُومِ بِهِمَةِ الْنَّحْرِيرِ | وَسَما بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مُذْ جَدَّ فِي |
| لَا، لَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهَا تَعْبِيرِيْ | وَلِذَاكَ فازَ بِنَيْلٍ كُلُّ مَزِيَّةٍ |
| مِنْ شَرْحِهِ لِكِتَابِ نُورِ الْنُّورِ | وَالْيَوْمَ أَكْحَفَنَا بِجُزْءِ سادِسٍ |

أَعْنِي كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَحَبَاهُ مِنْ آلَائِهِ فِي مَدِّهِ
وَكَفَاهُ (أَجْوَدُهُ) بِحُسْنِ (بَيَانِهِ)
وَبِعَدَ أَصْحَابِ الْكِسَا قَدْ تَمَّ فِي
ذِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ بِالْتَّيسِيرِ
مِنْ مَنِّهِ بِدَقَائِقِ الْمَأْثُورِ
وَنِظَامِهِ الْمُتَالِقِ الْمَسْطُورِ
تَارِيخِهِ: إِهْدَاءُ ذَا الْتَّفْسِيرِ
(٧٢١) (٧٠١) (١٢) (٥)

سَنَةُ ١٤٣٩ هـ

الأقل عبده السستار عفان عنونه الملك الغفار
النجف الأشرف - المدرسة المهدية العلمية الدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا سُجْنٌ لِّلَّهِ أَلَّا جَهَرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلَيْمًا﴾

«حكم تربوي لإصلاح النفوس، وتطهيرها من الضعائن والأحقاد، وقد حذرهم بِكَ بأنه يعلم كلّ ما في نفوسهم، ولا تخفي عليه خافية، فلا بدّ من إصلاحها بالعفو حتّى يشملهم عفوه ورحمته»^١.
﴿لَا﴾ نافية.

﴿سُجْنٌ﴾ فِعْلٌ مُضارعٌ.

﴿أَلَّا﴾ فاعله، «حبة الله تعالى هي رضاه وإنعامه بالثواب وتفضيله على عباده وعدم محبتّه هو سخطه وعقابه»^٢. والمراد بها هنا الكراهة التشريعية وهي الحرمة.
﴿الْجَهَرَ﴾ مفعول به، «مادة «جهر» تدلّ على الظهور والبروز»^٣ بوضوح، وقد

١. مواهب الرحمن ٩٧/١٠.

٢. مواهب الرحمن ٩٨/١٠.

٣. راجع «مقاييس اللغة» للعلامة اللغوي الشهير أبي علي الفارسي المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون المصري (ت ١٩٨٨ م).

وردت هذه المادة في القرآن الكريم في ما يقرب من ستة عشر موضعًا، استعملت جميعها في هذا العالم وليس لها حظ في الآخرة، ومتعلقها إما حاسة البصر، كما في قوله تعالى حاكياً عن اليهود لموسى عليه السلام: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا»^١، وقوله تعالى حاكياً عن أهل الكتاب: «فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا»^٢.

أو حاسة السمع كما في قوله تعالى: «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ»^٣، وقوله تعالى: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا»^٤.

ولعل أشدّها ما ورد في قصة نوح عليه السلام؛ قال تعالى حاكياً عنه: «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَمُ بِهِمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا»^٥.

ويستفاد منه أن الإعلان خلاف الإسرار، فيكون الإجهار خلاف الإخفاف، وقد يستعمل خلاف الإسرار أيضاً، ومنه الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافِ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»، وهم الّذين أظهروا المعاصي وكشفوا ما ستر الله عليهم منها»^٦.

«بِالسُّوءِ» جار و مجرور متعلق بـ «الْجَهَرِ». و «السُّوءِ»: «هُوَ كُلُّ مَا يَغْمُدُ الْإِنْسَانُ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَا أَمِ الْآخِرَةِ، نَفْسِيَا كَانَ أَوْ بَدْنِيَا، خَارِجِيَا كَانَ مِثْلُ فُوتِ مَالٍ، أَوْ شَائِيَا كَفَوَاتِ جَاهٍ أَوْ فَقْدِ حَيَّمٍ»^٧.

«مِنَ الْقَوْلِ» جار و مجرور متعلق بحال محذوف من «السُّوءِ»، و «السُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ»: «كُلُّ كَلَامٍ يَسْوَى مِنْ قِيلٍ فِيهِ كَالْدُعَاءِ عَلَيْهِ، وَشَتْمَهُ بِهَا فِيهِ مِنَ الْمُسَاوِيِّ».

١. سورة البقرة /٢٥٥.

٢. سورة النساء /٤ /١٥٣؛ قال الأَخْفَشُ الْأَصْغَرُ: أَيْ عَيْاناً، يُكْشَفُ مَا بَيْتَنَا وَبَيْنَهُ.

٣. سورة الرعد /١٣ /١٠.

٤. سورة الإسراء /١٧ /١١٠.

٥. سورة نوح /٧١ /٩ و ٨.

٦. مواهب الرحمن /١٠ /٩٨.

٧. مواهب الرحمن، ١٠ /٩٩.

والعيوب وبما ليس فيه، فكل ذلك لا يحب الله الجهر به وإظهاره، ومن المعلوم أنه تعالى منزه من الحب والبغض على حد ما يوجد فينا عشر الإنسان وما يجانسنا من الحيوان، إلا أنه لما كان الأمر والنهي عندنا بحسب الطبع صادرين عن حبٍ وبغضٍ كني بما عن الإرادة والكراء وعن الأمر والنهي^١.

وبعبارة أخرى: «السوء من القول» (كل مايسوء المقول فيه فيشمل السب والقذف، ثم عمّم «السوء» أو حكمه حتى يشمل الغمز واللّمز والاتهام بالسيء من الصفات والأعمال، والبهتان، وإلصاق العيوب، وكل ما ليس في الطرف الآخر، والدّعاء عليه ونحو ذلك مما يسيئه، وهو مختلف باختلاف الأعصار والأمسكار والأقوام، فرب سيء في عصر ومصر أو عند قوم لا يكون كذلك عند غيرهم. ولعل التعبير وعدم ذكر الخصوصية في المقام، ليشمل الجميع وكل ما ينطبق عليه السوء من القول عرفاً، والتقييد بالقول من باب الغالب^٢).

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿من﴾ اسم موصول في محل نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن «من ظلم» لا بأس بأن يجهر «بالسوء من القول» فيمن ظلمه من حيث «ظلم» (وهذه هي القرينة على أنه إنما يجوز له الجهر بالسوء من القول بين فيه ما ظلمه، ويظهر مساوئه التي فيه ما ظلمه به، وأما التعدي إلى غيره مما ليس فيه، أو ما لا يرتبط بظلمه فلا دليل على جواز الجهر به من الآية)^٣.

﴿ظلم﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر. ومعنى الظلم معروف. ويكون «الجهر بالسوء من مصاديق الظلم» وهو مبغوض بالفطرة، وإرشاد إلى أن

١. الميزان / ٥ / ١٢٣.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٩٩.

٣. الميزان / ٥ / ١٢٣.

المظلوم إِنَّمَا يجوز له الانتصار مَنْ ظلمه فی الجهة التي ظلم بها، ولا يجوز التعذّي
عنها»^١.

والآية الشرفية تدلّ على الجواز الشرعي للإضرابات «ومظاهرات ضد حكام
الجور، بل قد تجب إذا انحصر الطريق في رفع الظلم بها، على شريطة أن لا تؤدي إلى
الشغب والإضرار بالغير، لأنَّ الله سبحانه لا يطاع من حيث يُعصى، فالإسلام يرعى
للإنسان قداسته وكرامته، حتّى يعتدي على كرامة غيره، وعندما ترتفع عنه وعن
كرامته الصيانة والحسانة، ويحل هتكه واذلاله.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الظلم لا يختص بحكام الجور وأعوانهم، فأيّ إنسان
اعتدى على غيره بفعل أو قول، أو منعه حقّه، أو مطلعه به فهو ظالم، قال
رسول الله ﷺ : «لِيٌ الواحد ظلم». وفي حديث آخر: «الواحد يحل عرضه». وروى أهل البيت عن
جدهم ؓ : «من عامل الناس، فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم
يخلفهم - فهو من كملت مروءته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته». حتّى الكاذب
والمخلف بوعده لا حرمة له... وهكذا يحفظ الإسلام حقوق الفرد ما دام قائماً بحقوق
الإنسانية التي تمثل فيه وفي غيره، ومتى هانت عليه كان أهلاً للاحتقار والهوان»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية، والجملة بعدها تأكيد للحكم السابق.

﴿كَانَ﴾ فعلٌ ماضٍ ناقصٌ. ﴿الله﴾ اسمه.

﴿سَيِّعًا عَلِيمًا﴾ خبراً (كان). (سَيِّعًا) لأقوالكم (علِيمًا) بالظلم والمظلوم.

١. مواهب الرحمن / ١٠٠.

٢. الـيـ مصدرـ منـ الفـعلـ: لـويـ يـلـويـ، لـيـاـ وـمـثـلـهـ فـيـ التـصـرـيفـ: كـويـ، يـكـويـ، كـيـاـ، وـمـنـهـ قـوـلـ العـرـبـ فـيـ
أـمـتـاهـمـ: آـخـرـ الدـوـاءـ الـكـيـ. لـكـنـ المـتـأـخـرـيـنـ عـدـلـوـاـ عـنـ جـدـدـ السـبـيلـ إـذـ قـالـوـاـ: لـويـ يـلـويـ، لـويـاـ، وـكـويـ،
يـكـويـ، كـويـاـ، وـفـيهـ مـاـ فـيـهـ كـمـاـ لـاـ يـخـفـىـ عـلـىـ الـفـاطـنـ النـبـيـ.

٣. التفسير الكافش / ٤٧٨.

الروايات

قال القمي في ذيل الآية: أي لا يجب أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويفعل، إلا من ظلم، فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم.

وفي حديث آخر في تفسير هذا، قال: إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والشقاء والعمل الصالح، فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك.^١

عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿لَا تُحِبُّ اللَّهَ الْجَهَرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾.

قال: من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم، فهو من ظلم، فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه.^٢

وأبو الحارود، عنه عليه السلام، قال: الجهر بالسوء من القول أن يذكر الرجل بما فيه.^٣

عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: هو الضيف يتزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته، جاز أن يقول ذلك فيه.^٤

عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ فانتصر من ظلمه فإن ذلك قد أذن له فيه.^٥

﴿إِنْ تُبَدِّلُوا حَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوفًا قَدِيرًا﴾

خطاب عام لجميع المكلفين وتوجيهه تربوي وترغيب إلى إظهار الخير شكرًا لنعمة أنعمها منعم على الإنسان وإلى العفو عن السوء والظلم.

١. تفسير القمي / ١ ٢٣٠.
٢. تفسير العياشي / ١ ٤٥٣، ح ٢٩٩.
٣. تفسير العياشي / ١ ٤٥٤، ح ٣٠٠.
٤. التبيان / ٣ ٣٧١؛ مجمع البيان / ٣ ١٣١.
٥. التبيان / ٣ ٣٧١؛ مجمع البيان / ٣ ١٣١.

﴿إن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُبَدِّلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. الإبداء: الإظهار ﴿إن تُبَدِّلُوا﴾: إن ظهروا.

﴿حَيْرًا﴾ مفعول به، عام يشمل الفعل والقول. ﴿أو﴾ عاطفة.

﴿تُخْفُوهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعل ومفعول به معطوفة على ﴿تُبَدِّلُوا﴾. الإخفاء: ضد الإظهار وتركه. «إخفاء الخير من صرفه إخفاء فعل المعروف ليكون أبعد من الرياء وأقرب إلى الخلوص»^١.

﴿أو﴾ عاطفة.

﴿تَعْفُوا﴾ معطوفة على ﴿تُبَدِّلُوا﴾. العفو: الستر وعدم العقاب على الذنب.

﴿عَنْ سُوءِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿تَعْفُوا﴾ وتنكير ﴿سُوءِ﴾ يدل على التبعيض. «والعفو عن السوء هو الستر عليه قوله لأن لا يذكر ظالمه بظلمه، ولا يذهب بها وجهه عند الناس، ولا يجهل له ذلك»^٢.

نعم، «يمحسن العفو عن المسيء، ولكن حين يكون العفو عنه خيراً له، ولا ضرر فيه على المجتمع، أما إذا كان وسيلة إلى تشجيع المسيء على الإساءة وإلى انتشار الفساد فإن العقاب هو المتعين، وإلا اختل النظام، وساد الأشرار، واستحالت الحياة»^٣.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط وما بعدها جواب عن العفو فقط.

﴿إِن﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿أَللّهُ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص. مِنْ الأزل إلى الأبد.

﴿عَفُوا قَدِيرًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. من صيغ المبالغة، والجملة ﴿كَانَ عَفُوا قَدِيرًا﴾ في

١. الميزان / ٥ / ١٢٤.

٢. الميزان / ٥ / ١٢٤.

٣. التفسير الكافش / ٢ / ٤٧٨.

محل رفع خبر «إن» .

والجواب «سبب أقيم مقام المسبب والتقدير: إن تعفوا عن سوء فقد اتصفتم بصفة من صفات الله الكمالية - وهو العفو على قدرة - فإن الله ذو عفو على قدرته»^٢ .

رواية

روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله عفو يحب العفو.^٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَضٍ وَنَكُفُرُ بِعَضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥]

الآية الشريفة مع عشر بعدها تتحدث عن اليهود وتذكر عقائدهم الباطلة وأفاعليهم المجرمة ومظالمهم الكثيرة في الأنبياء وأديانهم الحقة . والمذكور في هذه الآية منها: التفرقة بين الإيمان بالله ورسله وعدتها الكفر المحسن .

«إن» من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

«الذين» اسم موصول، اسم «إن» .

«يكفرون» فعل مضارع وفاعله، أي يجحدون، وهم على طوائف: أ: الذين يكفرون بالله ورسله أجمعين كالمشركين وعبدة الأصنام . ب: الذين يدعون أنهم يؤمنون بالله فقط ويكفرون برسل الله أجمعين بداعي

١. وفي هذا المعنى يقول بعضهم: مكارم الأخلاق في ثلاثة منحصرة لـ الكلام والسخا والعفو عند المقدرة .

٢. الميزان / ٥ . ١٢٤ .

٣. التبيان / ٣ . ٣٧٣ .

إنكار الوحي الإلهي وأن العقل الإنساني يكفي هداية البشر كالبراهمة.
ج: الذين يؤمّنون بالله وببعض رسله وينكرون نبوة بعض آخر من أنبياء الله
كأهل الكتاب حيث يكفرون برسالة عيسى عليه السلام أو برسالة محمد عليه السلام .
والمذكور في الآية الشريفة القسم الأخير وعلى أي حال الآية الشريفة تسوّي
بين الكفر بالله وبرسله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿يَكُفُّرُونَ﴾ .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿وَرُسُلِهِ﴾ معطوف ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة تفسيرية. ﴿يُرِيدُونَ﴾ معطوفة على ﴿يَكُفُّرُونَ﴾ .
﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُفَرِّقُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَن يُفَرِّقُوا﴾ بتأويل مصدر في محل
نصب مفعول به.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿يُفَرِّقُوا﴾ . ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رُسُلِهِ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾ ومضاف إليه.
﴿وَ﴾ عاطفة تفسيرية.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله معطوف على ﴿يُرِيدُونَ﴾ .

﴿نُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب مفعول به مقول القول.

﴿بِعَضٍ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿نُؤْمِنُ﴾ . من الأنبياء الله تعالى.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿نَكَفُّرُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِعَضٍ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿نَكَفُّرُ﴾ ، من الأنبياء الله سلام الله عليهم
أجمعين.

﴿وَ﴾ عاطفة تفسيرية. ﴿يُرِيدُونَ﴾ معطوفة على ﴿يُرِيدُونَ﴾ السابقة.

﴿أَن يَتَخَذُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مصدرية ناصبة وفاعله. بتأويل

مصدر مفعول به.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿يَتَخِذُوا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، في محل جرّ مضاد إليه.

﴿سَيِّلًا﴾ مفعول به، «أي سبيلاً متوسطاً بين الإيمان بالله ورسله جميعاً والكفر بالله ورسله جميعاً، وهو الإيمان بعض والكفر بعض، ولا سبيل إلى الله إلا الإيمان به وبرسله جميعاً فإنّ الرسول بما أنه رسول ليس له من نفسه شيء ولا له من الأمر شيء فالإيمان به إيمان بالله والكفر به كفر بالله محضاً»^١.

 ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَدَابًا مُهِينًا﴾

«بيان لحقيقة مذهبهم وواقع حالمهم وتأكيد يزيل كلّ وهم وشك في إيمانهم، فاولئك المفتركون هم كافرون حقاً لا مرية فيه وإن لم يشعروا به، فلم ينفعهم إيمانهم بالله وببعض الرسل إذا كفروا»^٢.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿هُمُ﴾ خبر. ﴿الْكَفِرُونَ﴾ عماد.

﴿حَقًا﴾ مفعول مطلق - مصدر - منصوب بفعل محدوف: يحقّ أو حقّ حقاً.

ويمكن أن يكون صفة مصدر محدوف أو نائباً عنه بتقدير: «هُمُ» الذين كفروا كفراً حقاً.

والجملة الإسمية «أُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا» خبر «إنَّ» في مستهل الآية السابقة. تأكيد للحكم بكفرهم «باجملة المعرفة بين الجزئين وبضمير الفعل (عماد) وبال مصدر المؤكّد، قطعُ لكلّ إرادة باطلة وتقول فاسد، فإنَّه لا حقّ أثبت وأصحّ مما يحكيه الله تعالى

١. الميزان / ٥ / ١٢٦.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ١١٨.

حقاً، والسر في ذلك واضح؛ لأنّ ما يتولّون به في إثبات التفرقة باطل، وأنّ لازم إيمانهم كذلك الرد على الله تعالى، لأنّ الأنبياء وحدة متكاملة، يبشر السبق باللاحق ويدعوه إليه، كما ينوه اللاحق بالسابق و يجعل الإيمان به من أجزاء الإيمان بدينه، فإذا أنكر واحد منهم، فقد أنكر الجميع، وهو الكفر بالله العظيم، ولشناعة الفعل كان الجزاء عظيماً^١.

﴿وَ حَالِيَةٌ، وَمَا بَعْدُهَا وَعِيدٌ لَهُمْ﴾.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعلُهُ في محل نصب حال، أي أعددنا أو هيئاناً من العتاد وهو العدة. التفات من الغيبة إلى التكلّم مع الغير لأنّ استناد الجزاء إلى المتكلّم أقرب إلى الواقع من إسناده إلى الغائب.^٢

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول به، في الآخرة.

﴿مُهَيَّئًا﴾ نعت، يهيئهم وينظم مخلدون في ذلك.

رواية أو دراية

قال القمي: هم الّذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا أمير المؤمنين عليه السلام
﴿وُبُرِيدُونَ أَنْ يَتَحِدُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [أي ينالوا خيراً]. **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا﴾.**

١. مواهب الرحمن ١٠/١١٨.

٢. كما في الميزان ٥/١٢٧.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتَيْهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ١٥٣

«بيان للصنف المقابل لأولئك المفرقين بين الله ورسله، وفيه تعظيم لمقامهم وتشريف لهم ببيان عظيم أجراهم، ومنه تظهر حقيقة الإيمان المطلوب، وهي الإيمان بالله وعدم التفرقة بين أحد من رسالته العظام صلى الله عليهم أجمعين»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. **﴿الَّذِينَ﴾** اسم موصول، مبتدأ.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. **﴿بِاللَّهِ﴾** جار ومحرر متلق بـ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. **﴿رُسُلِهِ﴾** معطوف على **﴿اللَّهِ﴾** مضاد إليه. أي جميعهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. **﴿لَمْ﴾** حرفاً نفي وجزم وقلب.

﴿يُفَرِّقُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿يُفَرِّقُوا﴾. **﴿أَحَدٍ﴾** مضاد إليه.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومحرر متعلق بصفة مخدوفة من **﴿أَحَدٍ﴾** «من» بيانيٌ. والضمير يرجع إلى أنبياء الله سلام الله عليهم أجمعين.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. **﴿سَوْفَ﴾** حرفاً استقبالاً.^٢

﴿يُؤْتَيْهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» و «هم» مفعول به أول أي عطيتهم.

﴿أَجُورَهُمْ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. أي «ثوابهم الذي استحقوا على إيمانهم

١. مواهب الرحمن / ١١٩.

٢. سُوفَ حَرْفٌ استقبالٌ لا يَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْفَعْلِ الْمُثْبَتِ، فَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ حَرْفٌ نَفِي قَبْلَ مَدْخُولِهِ. وَلِذَلِكَ لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنْ لَمْ تَدْرُسْ فَسُوفَ كُنْ تَنْجَحَ: وَالصَّوَابُ فِيهِ: إِنْ لَمْ تَدْرُسْ فَلَنْ تَنْجَحَ.

باليه ورسله، والاقرار بهم، وإنه يعطيهم جزاء هم على ذلك^١.
 والجملة الفعلية «سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ» خبر «أُوتِلَكَ» الثاني، والجملة الإسمية «أُوتِلَكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ» خبر «الَّذِينَ» في مستهل الآية الشريفة.
 «وَ» استئنافية. «كَانَ» فعل ماضٌ ناقص. «الله» اسمه.
 «غَفُورًا رَّحِيمًا» خبراً «كَانَ» من صيغ المبالغة، أي «يغفر لمن هذه صفتة ما سلف له من المعاصي والآثام، ويسترها عليهم، ويترك العقوبة عليها، فإنه لم يزل كان غفوراً رحيمًا أي متفضل عليهم بالهدایة إلى سبيل الحق موفقاً لهم لما فيه خلاص رقابهم من عقاب النار»^٢.

تنبيه

«كُلُّ الْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تَكْفُرُ بِعَضٍ، وَلَكِنْ بَعْضِ الظَّوَافِفِ أَوِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَكْفُرُ وَتُكْفِرُ بَعْضَ الظَّوَافِفِ أَوِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَهَلْ هَذَا الْكُفُرُ وَالْتَّكْفِيرُ، أَيْضًاً كُفُرٌ بِاللهِ تَعَالَى كَالْكُفُرُ بِعَضِ الْأَنْبِيَاءِ؟ الْجَوابُ: كُلُّنَا يَحْفَظُ هَذَا الْحَدِيثَ: مِنْ كُفُرٍ مُسْلِمٍ فَهُوَ كُفُرٌ»^٣.

﴿يَسْأَلُكُ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخْنَدُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبِيَنَاتُ فَعَفَوْنًا عَنْ ذَلِكَ وَإِتَيْنَا مُوسَى سُلْطَنًا مُبِينًا﴾

بيان لظلم أهل الكتاب وجرائمهم وتعدّ عليهم أفعالهم الشنيعة وعنادهم

١. التبیان / ٣٧٥.

٢. التبیان / ٣٧٥.

٣. التفسیر المبین / ١٠٣ للشيخ محمد جواد مغنية.

للحق وجحودهم له وتنحص بالذكر اليهود الذين يعandون الحق ويؤدون أهله
ويكونون في أشد اللجاج معهم.

﴿يَسْأَلُكُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به أول مقدم. والخطاب للرسول
العظيم ﷺ.

﴿أَهْلُ الْكِتَبِ﴾ فاعل و مضاف إليه. و ﴿أَهْلُ الْكِتَبِ﴾ في عرف القرآن هم
اليهود والنصارى «ولا ينافي كون المظالم والجرائم المعدودة في ضمن الآيات مختصة
باليهود كسؤال الرؤية، واتخاذ العجل، ونقض الميثاق عند رفع الطور والأمر بالسجدة
والنهي عن العدو في السبت وغير ذلك».

فإن الطائفتين ترجعان إلى أصل واحد وهو شعب إسرائيل بعث إليهم موسى
وعيسى عليهما السلام ... وما قوم عيسى بأقل ظلماً لعيسى من اليهود لموسى عليهما السلام ١.
﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تُنزِل﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿أَن تُنزِل﴾ في محل
نصب مفعول به ثان لـ ﴿يَسْأَلُكُمْ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تُنزِل﴾، والضمير يرجع إلى أهل الكتاب
ولكنُ الذين سألوه هم يهود المدينة ٢.
﴿كِتَبًا﴾ مفعول به.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة مخدوفة من ﴿كِتَبًا﴾. «واختلفوا في
الكتاب الذي سأله اليهود محمد ﷺ أن ينزل عليهم من السماء:
فقال قوم: سأله ان ينزل كتابا من السماء مكتوبا، كما جاء موسى بنى إسرائيل
بالتوراة مكتوبة من عند الله في الألواح. ذهب إليه السدي و محمد بن كعب القرطي،

١. الميزان / ٥ / ١٢٩.

٢. وَهُمْ مِنْ جُمَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ مَرِيمَهُتَنَّا عَظِيمًا﴾^١.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ سَأَلَوهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا خَاصًا لَهُمْ ذَهْبٌ إِلَيْهِ قَنَادَةٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَسْأَلُونَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى رِجَالٍ مِنْهُمْ كِتَابًا بِالْأَمْرِ بِتَصْدِيقِهِ، وَاتِّبَاعِهِ ذَكْرُ ذَلِكَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَاخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ.

وَقَالَ الزَّجَاجُ: ذَلِكَ حِينَ سَأَلُوا فُقَاهَمْ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّىٰ تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقَرُوهُ﴾^٢.

وَقَالَ الْجُبَيْلِيُّ: كَانَ سُؤَالُهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّعْنُتِ وَإِلَّا فَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ دَلَالَةً وَاضْحَىَ عَلَى نُوبَتِهِ^٣.

وَبِالْجَمْلَةِ: «سُؤَالُهُمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ السَّمَاءِ بَعْدَ مَا كَانُوا يَشَاهِدُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْقُرْآنِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سُؤَالًا جَزَافِيًّا لَا يَصْدِرُ إِلَّا مَنْ يَخْضُعُ لِلْحَقِّ وَلَا يَنْقَادُ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا يَلْغُو وَيَهْذِي بِمَا قَدَّمْتُهُ لَهُ أَيْدِيَ الْأَهْوَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَقيَّدَ بِقَيْدٍ أَوْ يَثْبِتَ عَلَى أَسَاسٍ، نَظِيرٍ مَا كَانَتْ تَتَحَكَّمُ بِهِ قَرِيشٌ مَعَ نَزْولِ الْقُرْآنِ، وَظَهُورُ دُعُوتِهِ فَتَقُولُ عَلَى مَا حَكَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^٤، ﴿أَوْ تَرَقَّ في السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّىٰ تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقَرُوهُ﴾^٥.

وَهُذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مَسَأْلَهِمْ (أَوْلَأَ) بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ مُتَمَادُونَ فِي الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ لَا يَأْبُونَ عَنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَإِنْ عَظَمْتُمْ، وَالْكُفْرِ وَالْجُحْودِ وَإِنْ جَاءَتِ الْبَيِّنَاتُ، وَعَنْ نَفْضِ الْمَوَاثِيقِ وَإِنْ غَلَظْتُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكَذْبِ وَالْبَهَتَانِ وَأَيِّ ظُلْمٍ، وَمِنْ هَذَا شَأنَهُ لَا يَصْلَحُ لِإِجَابَةِ مَا سَأَلَهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى مَا اقْتَرَحَهُ.

١. سورة النساء / ١٥٦.

٢. سورة الإسراء / ٩٣.

٣. التبيان / ٣٧٦.

٤. سورة يومنس / ٢٠.

٥. سورة الإسراء / ٩٣.

و(ثانياً) أن الكتاب الذي أنزله الله وهو القرآن مقارن لشهادة الله سبحانه وملائكته وهو الذي يفصح عن التحدي بعد التحدي بآياته الكريمة^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المقدّر أي: إن رفضت ما سأله منك «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ».

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، وابعده «توبیخ من الله تعالى، سئل انزال الكتاب عليهم، وتفریغ منه هم بقوله لنبيه ﷺ : يا محمد لا يعظمن عليك مسألتهم، إياك ذلك فإنهم من جهلهم بالله ﷺ وجرأتهم عليه، واغترارهم يحلمه، لو أنزلت عليهم الكتاب الذي سأله خالفووا أمر الله»^٢.

﴿سَأَلُوا﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جزم لأنّه جواب الشرط المقدّر. والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به.

﴿أَكْبَر﴾ صفة لمفعول مطلق مذوف أو نائب عنه تقدیره: سؤالاً (أَكْبَر) وأعظم.

﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ جار ومحوره محلاً متعلق بـ (أَكْبَر). «سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ»

«أي مَا سألك من تنزيل كتاب من السماء إليهم»^٣.

﴿فَ﴾ عاطفة. «قَالُوا» معطوف على «سَأَلُوا».

﴿أَرِنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى موسى عليه السلام وضمير

متصل «نا» مفعول به أول. إرادة عيان، ونحن الإمامية تبعاً للعترة الطاهرة نقول بامتناع؛

١. الميزان / ٥ / ١٣٠ .

٢. التبيان / ٣ / ٣٧٦ .

٣. الميزان / ٥ / ١٣٠ .

٤. وقد صنف علماء الطائفة في الرد على القائلين بجواز الرؤية في الآخرة مؤلفات ورسائل مُحكمة ومن آخر من كتب فيها من أكابر مجتهدين: الإمام السيد عبد الحسين آل شرف الدين الموسوي في كتابه الموسوم بـ «كلمة في الرؤية».

الرؤية في الدنيا والآخرة مطلقاً.

﴿الله﴾ مفعول به ثان.

﴿جَهَرَ﴾ حال. أي واضحاً، أو صفة لمفعول مطلق مذوف أي روية ﴿جَهَرَ﴾ حتى نعاينه بأبصارنا. «وَهَذِهِ غَايَةُ مَا يَبْلُغُهُ الْبَشَرُ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالْهُذْرِ وَالْطُّغْيَانِ»^١.

وهذه المقالة مذكورة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ حَتَّىٰ نَرَىٰ إِلَهَ جَهَرَ فَأَخَذْتُكُمُ الصَّعِيقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^٢.

﴿فَ﴾ عاطفة تسبيبية. ﴿أَحَدَتْهُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم.

﴿الصَّعِيقَةُ﴾ فاعل. وهي معروفة.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ جار ومحروم ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَحَدَتْهُمُ﴾.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب.

﴿أَخْنَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله معطوف على ﴿سَأَلُوا﴾، أي ﴿أَخْنَدُوا﴾ للعبادة.

﴿أَعِجلَ﴾ مفعول به، وهو الذي صنعه السامري وأظلمهم به. وهذه عبادة

الصنم وهي من أبغض الجهالات البشرية كما في الميزان.^٣

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿أَخْنَدُوا﴾. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿جَاءَتْهُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. ﴿مَا﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالإضافة.

﴿أَلَيْبَيَتُ﴾ فاعله، والمراد بها: الدلالات الواضحات والمعاجز الكثيرة والقصة مروية في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقُولُمِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاَخْتَادِكُمْ أَعِجلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ

١. الميزان / ٥ / ١٣٠.

٢. سورة البقرة / ٥٥.

٣. الميزان / ٥ / ١٣٠.

الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ»^١.

«ومعلوم ان الذين سألا الرؤية جهرة، واتخذوا العجل إلهاً هم اليهود الأولون، لا يهود المدينة... ولكن هؤلاء راضون ومؤمنون بكل ما فعل الآباء والأجداد، ومن هنا صحت النسبة إليهم»^٢.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿عَفَوْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَنْ ذَلِكَ﴾ جار ومحرر متعلق بـ﴿عَفَوْنَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِاتَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿عَفَوْنَا﴾.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول.

﴿سُلْطَنَنَا﴾ مفعول به ثان. أي حجة و «هي الآيات التي آتاه الله إياها»^٣.

﴿مُبِينًا﴾ نعت. أي ظاهرة.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ أَطْوَرَ بِمِيشَقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

تَعْدُوا فِي السَّبَّتِ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِيشَقًا غَلِيلًا﴾

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَفَعْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظرف مكان و مضاف إليه.

﴿أَطْوَر﴾ مفعول به، اسم الجبل الذي كلام الله عليه موسى.

﴿بِمِيشَقِهِمْ﴾ جار ومحرر و مضاف إليه. يتعلقالان بـ﴿رَفَعْنَا﴾ و ﴿بِمِيشَقِهِمْ﴾

بخذف مضاف أي: بنقض ميثاقهم أو بأخذ ميثاقهم لأنّ «الله تعالى رفع الطور عليهم

١. سورة البقرة / ٥٤.

٢. التفسير الكاشف / ٤٨١.

٣. التبيان / ٣٧٨.

حتى أخذ الميثاق منهم تحت الصخرة، وإنما فعل ذلك تشديداً لأمر الميثاق وتوكيدها عليه ولیأخذوا ما أنزل إليهم بقوة ويعلموا مخلصين^١.

والقصة مروية في سورة البقرة مرتين: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الْطُورَ خُدُوا مَا أَتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَنَفُونَ»^٢.

و «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيشَقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الْطُورَ خُدُوا مَا أَتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ يُكَفِّرُهُمْ قُلْ يَسْمَأْ يَأْمُرُكُمْ بِهَـ إِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^٣، ولكن أخذ ميثاقهم مذكور في القرآن مكرراً.

قال الشيخ معنيه: «إذن، فلا عجب إذا تمردت إسرائيل على الأنظمة الدولية ورفضت قرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ونقضت جميع العهود والمواثيق مرات وكرات، ولو لا الخوف لم تقف عند حد... لا عجب ولا غرابة، إنها تنسجم بذلك مع تاريخ أسلافها الذين رفع الله فوق رؤوسهم الطور كي يفوا بالعهد والميثاق»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿رَفَعْنَا﴾.

﴿هُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿قُلْنَا﴾.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل امر وفاعله، في محل نصب مقول القول.

﴿آلَبَابَ﴾ مفعول به، «يعني باب حطة حين أمرهم الله أن يدخلوا فيه سجوداً،

فدخلوا على استاههم يزحفون»^٥.

١. مواهب الرحمن ١٠/١٢٦.

٢. سورة البقرة ٦٣.

٣. سورة البقرة ٩٣.

٤. نحو آياتي ٨٣ و ٨٤ من سورة البقرة.

٥. التفسير الكافش ٢/٤٨٢.

٦. التبيان ٣/٣٧٩.

﴿سُجَّدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَدْخُلُوا﴾. أي ساجدين. وقصة باب حطة مروية في سورة البقرة: «وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلُّوا حَطَّةً نَفْرَ لِكُمْ حَطَّيْكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. «قُلْنَا لَهُمْ» معطوف على مثله وتعرّب أعرابه.

﴿لَا تَعْدُوا﴾ فعل نهي وفاعله. أي: لا تتجاوزوا حدود الله.

﴿فِي السَّبَّتِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿لَا تَعْدُوا﴾، ولا تحلّوا ما حرم الله ﴿فِي﴾ يوم ﴿السَّبَّتِ﴾ والقصة مروية في سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبَّتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوا قِرَدَةً حَسِيعِينَ﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. «أَخْدَنَا مِنْهُمْ» معطوف على «قُلْنَا لَهُمْ».
 ﴿مَيْشَقًا﴾ مفعول به، أي عهداً.

﴿غَلِيلًا﴾ نعت، أي وثيقاً. لأنّهم تعهدوا «بالعمل بالتكاليف الإلهية وحفظ التوراة ومراعاة عهودها والتزامهم إذ أعرضوا، فالله تعالى يعذّبهم بأنواع العذاب، أو لأجل عظمة الميثاق الذي اخذ منهم، وهو التصديق بنبوة عيسى عليه السلام ونبوة خاتم الأنبياء ﷺ، التي بشّر بها في جميع الكتب السماوية»^٣.

﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيَثَاقُهُمْ وَكُفَّرُهُمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَاتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفَّرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

تفريغ على ما سبق من أخذ الميثاق وبيان لما خالفوا فيه من العهود والمواثيق ولما

١. سورة البقرة / ٥٨.

٢. سورة البقرة / ٦٥.

٣. مواهب الرحمن / ١٠ / ١٢٧.

نالوا من الجزاء والعقاب في الدنيا والعقبى.

﴿فَ﴾ عاطفة تفريعية على ﴿بِمِيشَقِهِمْ﴾.

﴿بِ﴾ حرف جرّ، ويمكن تعلق ﴿بِ﴾ بفعل محذوف تقديره: فبسبب ﴿نَقْضِهِمْ مَيْشَقَهُمْ﴾ فعلنا بهم ما فعلنا من أنواع العقاب.

﴿مَا﴾ زائدة، جاءت للتأكيد، أو بمعنى شيء وتقديره بشيء ونقضهم بدل منه ومحروم به.

﴿نَقْضِهِمْ﴾ مجرور حرف جر و مضارف إليه. متعلق بمحذوف أي لعنهم، أو بما مرّ في الآية السابقة ﴿رَفَعْنَا﴾، أو بما يأتي ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ١.

﴿مَيْشَقَهُمْ﴾ مفعول به لمصدر ﴿نَقْضِهِمْ﴾ و مضارف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كُفُّرِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿نَقْضِهِمْ﴾.

﴿بِغَایَتِ اللَّهِ﴾ جار و مجرور و مضارف إليه، متعلق بـ ﴿كُفُّرِهِمْ﴾، نحو السؤال عن رُؤْيَاةِ الله و عبادةِ الماضينَ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَاتَلُهُمْ﴾ معطوفة على ﴿نَقْضِهِمْ﴾.

﴿الْأَنْبِيَاء﴾ مفعول به، والمراد بهم زكرياً و يحيى وغيرهما من قتلهم.

﴿بِغَيْرِ حَقِّ﴾ جار و مجرور و مضارف إليه، متعلق بحال من الضمير في ﴿قَاتَلُهُمْ﴾ أي غير محقّين.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿قَاتَلُهُمْ﴾.

﴿قُلُوبُنَا﴾ مبتدأ و مضارف إليه.

﴿غُلْفٌ﴾ خبر، ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في حل نصب مقول القول. ﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف وهو الذي عليه الغلاف ليمنع نفوذ الشيء إليه، كغلاف السيف، وقد ورد في وصف نبينا الأعظم ﷺ: «يفتح قلوبًا غلفاً»، أي مغشاة مغطاة، يقال: قلب أغلف، أي

عليه غشاء يمنع عن قبول الحقّ ونفوذه فيه»^١. «وهذه الكلمة ذكروها يريدون بها ردّ الدعوة، وإسناد عدم إجابتهم للدعوة إلى الله سبحانه كأئمّهم كانوا يدعّون أنّهم خلقوا خلف القلوب، أو أنّهم جعلوا بالنسبة إلى دعوة غير موسى كذلك من غير استناد ذلك إلى اختيارهم وصنعهم»^٢.

﴿بَلْ﴾ إضراب وردّ وانكار لما قيله.

﴿طَبَعَ﴾ فعل ماض، أي ختم كما في الرواية.^٣ ﴿الله﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿طَبَعَ﴾.

﴿بِكُفُرِهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿طَبَعَ﴾ ومضاف إليه. أي ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم وجحودهم للحقّ، فطبعه عليها جزائيٌّ في مقابل أعمالهم وأقوالهم.

﴿فَ﴾ تفريعية، وما بعدها أثر ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء وحصر.

﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى، قال في الميزان: «إنّ هذه النّقمة الإلهية إنما نزلت بهم بقويمتهم ومجتمعهم، فالمجموع من حيث المجموع مكتوب عليهم النّقمة، ومطبوع على قلوبهم محال لهم أن يؤمنوا بأجمعهم، ولا ينافي ذلك إيهان البعض القليل منهم»^٤.

رواية

قال أبو جعفر الثاني محمد بن علي الجواد عليه السلام: من شهدَ أمراً فكِّرَهُ كان كَمَنْ غاب عنه ومنْ غاب عن أمِّ فَرَضَيْهُ كان كَمَنْ شَهَدَهُ.

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ١٢٨.

٢. الميزان / ٥ / ١٣١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٢٣، ح ٦ خبر إبراهيم بن أبي المحمود.

٤. الميزان / ٥ / ١٣٢.

٥. تحف العقول / ٤٥٦.

﴿وَرِكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيمَ هَتَنَا عَظِيماً﴾

بيان نوع آخر من كفرهم الذي ارتكبوه وهو الكفر بعيسى عليه السلام وقدف أمه العذراء.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ معطوف على ﴿فِيمَا نَقْضَيْم﴾ في الآية السابقة والمراد كفرهم بالنبي عيسى بن مریم عليهما السلام كما مرّ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوف كسابقه.

﴿عَلَى مَرِيمَ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿قَوْلِهِمْ﴾. و ﴿مَرِيمَ﴾ من نوع من الصرف للعلمية والمعرفة، وهي التي يذكر الله في شأنها ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَاكِ وَطَهَرَكِ وَأَصْطَفَنَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَمْرِيمُ أَقْتَى لِرَبِّكِ وَأَسْجُدُ دِي وَأَرْكَعُ مَعَ الْرَّاكِعِينَ﴾^١.

﴿هَتَنَا﴾ مفعول به مصدر ﴿قَوْلِهِمْ﴾. البهتان: التّهّمّة^٢ التي تبهت من يقال فيه وتدھشه وتحيّره وهي من أقبح الكذب وهو قدفها.

﴿عَظِيماً﴾ نعم، وهذا البهتان العظيم «كفر وبهتان معاً وقد كلّمهم عيسى في أول ولادته وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَنِّي أَكْتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^٣.

١. سورة آل عمران / ٤٢ و ٤٣.

٢. التّهّمّة بضم التاء وفتح الماء والميم جميعاً وآخرها الماء. هذا هو المنصوص عليه في معجمات اللغة لكن المتأخرين يلفظونها بسكون التاء وهو خطأ شائن.

٣. سورة مریم / ٣٠.

٤. الميزان / ٥ ١٣٢.

تنبیہ

«كرر سبحانه نسبه الكفر إلى اليهود ثلاث مرات [في الآيتين]: الأولى بمناسبة ذكره لجحودهم ﴿أَيَّتِ اللَّهُ وَقْتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاء﴾ . الثانية بمناسبة وقوفهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْف﴾ . الثالثة عند ذكره لقوفهم على مريم المنكر الذي لا يقوله إلا اليهود الذين تناصرهم أمريكا «المسيحية» وتزودهم بالسلاح ليعتدوا على القدس، ويتهكموا الشعائر الدينية التي يقدسها المسيحيون والمسلمون، وخاصة الكنائس ومقابر المسيحيين»^١.

﴿وَقَوْلَهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا مُسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلُفُوا فِيهِ لِفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتِبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِيْنًا﴾ ١٥٧

«هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مُّشَقَّهُمْ وَكُفَّرُهُمْ بِئَائِتَ اللَّهِ وَقَاتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍ﴾ وقوفهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْف﴾ وقوفهم: ﴿إِنَّا قَاتَلْنَا مُسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أزلنا من العذاب، وأوجبنا لهم من العقاب، لأن إخبارهم أنهم قتلوا المسيح يقيناً، وما قتلواه، كفر من حيث هو جرأة على الله في قتل أنبيائه، ومن دلت العبرات على صدقه، ثم كذبهم الله في قوفهم: ﴿إِنَّا قَاتَلْنَا﴾ ه فقال: ﴿وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾^٢.

يدرك الله تعالى «جريمة أخرى من جرائمهم الدالة على كمال جرأتهم على الله

١. تفسير الكاشف / ٤٨٤ / ٢.

٢. التبيان / ٣ / ٣٨٢.

تعالى، والاستهزاء بآياته ورسله، وتماديهم في الكذب والطغيان^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿قَوْلِهِمْ﴾ في الآية السابقة. «إِنَّمَا عَبَرَّ بَعْدَهُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ عَلَى

سَيْلِ التَّبَجُّحِ، وَلِبِيَانِ أَنَّهُ مُجَرَّدُ قَوْلٍ يُحَكِّي عَنْهُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْوَاقِعِ»^٢.

﴿إِنَّا﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمها.

﴿قَتَلَنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل نصب خبر ﴿إِنَّا﴾. والجملة ﴿إِنَّا قَاتَلَنَا﴾ في محل نصب مقول القول.

﴿الْمَسِيحَ﴾ مفعول به. ﴿عِيسَى﴾ بدل من ﴿الْمَسِيحَ﴾ أو عطف بيان منه.

﴿أَبْنَ﴾ نعت لـ ﴿عِيسَى﴾ أو بدل منه.

﴿مَرِيمَ﴾ مضارف إليه، ومن نوع من الصرف كما مررت و ﴿عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ﴾ بمنزلة الكلمة الواحدة.

﴿رَسُولَ﴾ نعت أو بدل من ﴿عِيسَى﴾ أو من ﴿الْمَسِيحَ﴾.

﴿الَّهُ﴾ مضارف إليه. ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ «إِمَّا وصف لعيسى بن مريم، فيكون من جملة أقوالهم المحكية عن الرسالة تهكمًا واستهزاءً بدعوه.

أو على سبيل المدح والاختصاص للإشارة إلى رفعة شأنه وعظم منزلته، ولبيان فطاعة عملهم وكمال جرأتهم على الله تعالى ونفي الألوهية المزعومة فيه.

أو أنَّ الله تعالى وضع الذكر الحسن مقام ذكرهم القبيح له، فإنهم قد وصفوا بأفجع الصفات»^٣.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها رد على مقالة اليهود في قتل المسيح عليه السلام.

١. مواهب الرحمن ١٠/١٣٢.

٢. مواهب الرحمن ١٠/١٣٣.

٣. مواهب الرحمن ١٠/١٣٣.

﴿مَا﴾ نافية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا صَلَبُوهُ﴾ معطوفة على ﴿مَا قَتَلُوهُ﴾. تصريح بعدم صلبه. و«العل حكايته تعالى عنهم دعوى قتله أولاً ثم ذكر القتل والصلب معاً في مقام الرد والنفي لبيان النفي التام بحيث لا يشوبه ريب فإنّ الصلب لكونه نوعاً خاصاً من تعذيب المجرمين لا يلازم القتل دائمًا، ولا يتadar إلى الذهن عند إطلاق القتل، وقد اختلف في كيفية قتله فمجرد نفي القتل ربماً أمكن أن يتأنّل فيه بأنّهم ما قتلوا قتلاً عادياً، ولا ينافي ذلك أن يكونوا قتلوا صلباً فلذلك ذكر تعالى بعد قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ قوله ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ليؤدي الكلام حقّه من الصراحة، وينص على أنه عليه لم يتوف بأيديهم لا صلباً ولا غير صلوب»^١.

﴿وَ﴾ زائدة. ﴿لِكِنْ﴾ حرف عطف للاستدراك.

﴿شُبِّهَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول.

﴿هُمْ﴾ جار ومحور في محل رفع نائب فاعل والضمير يرجع إلى أهل الكتاب عامة. معنى التشبيه: «شُبِّهَ هُمْ أمره فأخذوا غير المسيح عليه مكان المسيح فقتلوا أو صلبوه، وليس من بعيد عادة، فإن القتل في أمثال تلك الاجتماعات الهمجية والهمجية والغوغاء ربماً أخطأ المجرم الحقيقي إلى غيره وقد قتله الجنديون من الروميين، وليس لهم معرفة بحاله على نحو الكمال فمن الممكن أن يأخذوا مكانه غيره، ومع ذلك فقد وردت روایات أن الله تعالى ألقى شبهه على غيره فأخذ وقتل مكانه»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾.

١. الميزان / ٥ / ١٣٢.

٢. الميزان / ٥ / ١٣٢.

﴿آخْتَلُفُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿فِيهِ﴾ جارٌ مجرورٌ متعلقٌ بـ﴿آخْتَلُفُوا﴾، والضمير يرجع في عيسى أو قتله.
﴿أَنَّ﴾ المزحلقة، تأكيد.

﴿فِي شَائِ﴾ جارٌ مجرورٌ متعلقٌ بخبرٍ (إنَّ) المخذول. إِي (لَفِي) ريبٍ وترددٍ
وظنٍ وتخمينٍ وجهلٍ.

﴿مِنْهُ﴾ جارٌ مجرورٌ متعلقٌ بصفةٍ مخذولةٍ لـ﴿شَائِ﴾ أَي: (لَفِي شَائِ) حادث
﴿مِنْهُ﴾ «ولا يجوز أن يتصل بشكٍ، لأنَّه لا يقال: شكتُ منه، وإنما يقال: شكتُ
فيه»^١.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿هُم﴾ جارٌ مجرورٌ متعلقٌ بمحذوفٍ خبرٍ مقدمةً.

﴿بِهِ﴾ جارٌ مجرورٌ متعلقٌ بـ﴿عِلْمٍ﴾. ﴿مِنْ﴾ زائدٌ وتأكيدٌ.

﴿عِلْمٍ﴾ مجرورٌ حرفاً جر (منْ) وفي محل رفعٍ مبتدأً مؤخرٌ. والجملة (مَا هُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ) في محل نصبٍ حالٍ من الضمير الفاعلي في (آخْتَلُفُوا).

﴿إِلَّا﴾ أدلة استثناء. ﴿أَيْتَابَعَ﴾ مستثنٍ منقطعٍ.

﴿الْأَظْنَ﴾ مضارفٌ إليه، و﴿الْأَظْنَ﴾ في مصطلح القرآن هو كُلُّ ما خالٍ الواقع.
﴿وَ﴾ عاطفةٌ.

﴿مَا قَتَلُوهُ﴾ معطوفٌ على (ما قَتَلُوهُ) في السابق، والضمير يرجع إلى
عيسى عليه السلام.

﴿يَقِينًا﴾ منصوبٌ على المصدريَّة أي تيقنوا (يَقِينًا)، ويجوز أن يكون صفةٌ نائبةٌ
عن المصدر - المفعول المطلق - المخذول وتقديره: قتلاً (يَقِينًا). نفيٌ صريحٌ وأكيدٌ
لقصة قتل النبي عيسى عليه السلام.

تنبیهُ

«ربما ذكر بعض محققى التاريخ أنَّ القصص التاريخية المضبوطة فيه ﷺ والحوادث المربوطة بدعوته وقصص معاصريه من الحكّام والدعاة تتطبق على رجلين اثنين مسميين بال المسيح - وبينهما ما يزيد على خمسةٍ ستة سنة - : المتقدم منهما حق غير مقتول، والمتأخر منها مبطل مصلوب، وعلى هذا فما يذكره القرآن من التشبيه هو تشبيه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله بال المسيح المصلوب. والله أعلم»^١.

وبعبارة أخرى: «بعض المحققين يرى أنَّ المسمى بال المسيح اثنان، وأنَّ المتقدم الحق غير مقتول، والمتأخر المبطل هو المصلوب، والتاريخ المعروف باليهودي لم يعرف أنه ضبط من ميلاد الثاني أو من ميلاد الأول، وبينهما ما يزيد على خمسةٍ ستة سنة. وكيف كان، فقد نقل في الأنجليل المعتمدة عند النصارى أنَّ المسيح ﷺ قال للامذته: «كلّكم تشكّون في في هذه الليلة»^٢ مع تصريحه ﷺ للامذته بأنه لا خبر صادق في أمره في ذلك الوقت، فحينئذ لا يبقى شك في صحة ما قاله القرآن الكريم في حقه»^٣.

رواية

في خبر علّقمة عن الصادق ﷺ: ... ألم يُنسِّبوا مريم بنت عمران ﷺ إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف؟! الحديث.^٤

١. الميزان / ٥ / ١٣٣.

٢. متى / (٢٦-٣١) ومرقس / (٢٧-٤١).

٣. مواهب الرحمن / ١٠ / ١٣٤.

٤. أمال الصدوق، المجلس الثاني والعشرون ح / ٣، ١٦٤، رقم ١٦٣.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٥٨

﴿بَل﴾ اضراية.

﴿رَفَعَهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به، والسياق يدلّ على بقرينة ﴿بَل﴾ اضراية «أنّ رفعه عليه إلى السماء كان بروحه وجسده مع كونه حيًّا، فتكون الآية الشريفة دالةً على رد اليهود من ادعائهم صلبهم وقتلهم عيسى عليه^١ كما مرّ في ذيل قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى إِنِّي مُتَوَقِّيَكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا»^٢.
 ﴿الله﴾ فاعله. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿رَفَعَهُ﴾. ﴿وَ﴾ استئنافية.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقصٌ. ﴿الله﴾ اسمه. ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾.

رواية

صحيفة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه قال: لما قبض أمير المؤمنين عليه قام الحسن ابن علي عليه في مسجد الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلوات الله عليه ثم قال: أئها الناس إنّه قد قبض في هذه الليلة رجلٌ ما سبقه الأئلُون ولا يدركه الآخرون، إنْ كان لصاحب رأيه رسول الله صلوات الله عليه عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، لا ينشي حتى يفتح الله له والله ماترك بيضاء ولا حراء إلا سبعمائة درهم فضلٍ عن عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله. والله لقد قُبض في الليلة التي فيها قُبض وصيٌّ موسى يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها عيسى ابن مريم، والليلة التي نزل فيها القرآن.^٤

١. أجواد البيان في تفسير القرآن / ٣ / ٣٣٥.

٢. سورة آل عمران / ٥٥.

٣. لا ينشي: لا ينعتض ولا ينصرف ولا يرجع، من الثنائي وهو العطف والصرف. راجع: لسان العرب ١١٥ / ١٤.

٤. الكافي / ٢، ٤٨٦، ح ٤٥٧ / ١.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا﴾
١٥١

يظهر من الآية الشريفة بالتأمل فيها: أن النبي عيسى عليه السلام لم يتوف بقتل أو صلب ولا بالموت حتف الأنف بل فيها دلالة على حياته وعدم موته.
﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿إِن﴾ بمعنى «ما» نافية، والمبتدأ مذوف تقديره ﴿وَإِن﴾ أحد.

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه. متعلق بخبر.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿رَ﴾ رابطة لجواب القسم المقدر المذوف.

﴿يُؤْمِنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى كلّ واحد ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾، المراد بالإيمان هو الإيمان الاضطراري الذي لا ينفع كمن آمن عند موته.

﴿بِهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنَّ﴾، والضمير يرجع إلى عيسى النبي عليه السلام.

وقد ورد في بعض الروايات رجوعه إلى الرسول الأعظم محمد ﷺ.

﴿قَبْلَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿يُؤْمِنَّ﴾. أي قبل.

﴿مَوْتِهِ﴾ مضاف إليه و مضاف إليه. والضمير يرجع إلى كُلّ واحد ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾. المراد: الكتابي سواء كان يهودياً أو نصراانياً يؤمن بعيسى عليه السلام قبل وفاته بأنه عبد الله ورسوله، أو بمحمد ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرف زمان و مضاف إليه.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص و اسمه ضمير مستتر «هو» يرجع إلى عيسى عليه السلام.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بخبر ﴿يَكُونُ﴾.

﴿شَهِيدًا﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾. أي شاهداً و مقتلاً بأنه عبد الله و رسوله.

وبالجملة يستفاد من الآية الشريفة أنَّ جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى يؤمِّنون بعيسى عليه السلام قبل موته وأنَّ عيسى عليه السلام يكون شهيداً على جميعهم يوم القيمة بأنَّه ليس ابن الله ولا ابن الزانية بل عبدالله ورسوله فقط وكانت والدته طاهرة مطهرة. أو أنَّهم يؤمِّنون بمحمد عليه السلام على أنه خاتم النبيين عليه السلام.

«وتسأَلُوا: وَآيَةً جَدُوا مِنَ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ الْحَقَّ يُنَكِّشَفُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ عِنْدَ سَكْرَةِ الْمَوْتِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَعْجِزُونَ عَنِ إِدْرَاكِ مَا فَاتَ؟

الجواب: الغرض من ذلك هو الحث على المبادرة إلى تصحيح إيمانهم قبل أن تجتمع عليهم حسرة الفوت وسكرة الموت، تماماً كالغرض من الإخبار عن الجنة والنار»^١.

الروايات

في خبر شهر بن حوشب^٢، قال: قال لي الحاج:
يا شهر! آية في كتاب الله قد أعينتني! فقلت: أيها الأمير آية آية هي؟ فقال: قوله:
﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إِنِّي لَأَمْرَ بِالْيَهُودِيِّ وَالنَّصَارَى
فيضرب عنقه، ثمْ أَرْمَقَهُ^٣ بعيوني فما أراه يحرّك شفتيه حتَّى يخمد.
فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت. قال: كيف هو؟ قلت:
إنَّ عيسى ينزل قبل يوم القيمة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره
إِلَّا آمن به قبل موته، ويصلِّي خلف المهدى عليه السلام.
قال: ويحيك! آنِي لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت:
حدَّثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام والتخيّة

١. التفسير الكافش ٤٨٦/٢.

٢. من رجال العامة ومشاهير الرواية عندهم لكنه روى عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

٣. الرمق: بقية الحياة. القاموس المحيط ٣/٣٣٧.

والإكرام، فقال: جئت بها - والله - من عين صافية.^١

ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ «إذا رجع آمن به الناس كلهم».^٢

عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليهما السلام، في قول الله تعالى: «وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» قال: هو رسول الله ﷺ.^٣

عن المفضل بن محمد، قال: سأله أبو عبد الله عليهما السلام عن قول الله: «وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ».

فقال: هذه نزلت فينا خاصة، إنَّه ليس رجلٌ من ولد فاطمة عليها السلام يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يُقرَّ للإمام بamacته، كما أقرَّ ولد يعقوب ليوسف عليهما السلام حين قالوا: «تَالَّهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا».^٤

عن ابن سنان، عن أبي عبدالله عليهما السلام، في قول الله في عيسى عليهما السلام: «وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»، فقال: إيمان أهل الكتاب، إنَّما هو بمحمد ﷺ.^٦

عن المشرقي، عن غير واحد، في قوله «وَإِنْ مَنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» يعني بذلك محمداً ﷺ، إنَّه لا يموت يهوديٌّ ولا نصراوٍ أبداً حتى يعرف أنه رسول الله ﷺ، وأنَّه قد كان به كافراً.^٧

١. تفسير القمي / ١، ٢٢٢، ح ٣١.

٢. تفسير القمي / ١، ٢٣٢، ح ٣٠.

٣. تفسير العياشي / ١، ٤٥٤، ح ٣٠٢.

٤. سورة يوسف / ٩١.

٥. تفسير العياشي / ١، ٤٥٤، ح ٣٠٣.

٦. تفسير العياشي / ١، ٤٥٤، ح ٣٠٤.

٧. تفسير العياشي / ١، ٤٥٥، ح ٣٠٥.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله ﴿وَإِنْ مَنْ أَهْلَ الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ فَبَلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

قال: ليس من أحدٍ من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام حقاً من الأولين والآخرين.^١

هذه الروايات الأخيرة هي من باب تعين المصدق والجرى والتطبيق لا بيان المراد من الآية الشريفة كما هو الواضح.

قال الشيخ: «ومعنى الآية الإخبار منه تعالى بأنه إلا ليعمل من به يعني بعيسى قبل موته واختلفوا في الماء إلى من ترجع فقال قوم: هي كناية عن عيسى، كانه قال: لا يبقى أحد من اليهود إلا يؤمن بعيسى قبل موته بأن ينزله الله إلى الأرض إذا أخرج المهدى عليه السلام وأنزله الله لقتل الدجال، فتصير الملائكة ملة واحدة هي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. ذهب إليه ابن عباس وأبو مالك والحسن وقتادة، وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الإيمان. واختاره الطبراني. قال: والآية خاصة لمن يكون في ذلك الزمان وهو الذي ذكره علي بن إبراهيم في تفسير أصحابنا.

وروى شهر بن حوشب عن محمد بن علي بن الحنيفة أن الحاج سأله عن هذه الآية وقال: نرى اليهود تضرب رقبته، فلا يتكلّم بشيء فقال: حدثني محمد بن علي أن الله يبعث إليه ملكاً ينفعه ويضرب رأسه ودبره، ويقول له: كذبت عيسى، فيؤمن حينئذ ويقول: كذبت عيسى ويعرف به. فقال الحاج: عمن؟ فقال: عن محمد بن علي فقال له، جئت بها من عين صافية.

فقيل لشهر: ما أردت بذلك؟ قال: أردت أن أغطيه وذكره البلخي مثل ذلك»^٢.

١. تفسير العياشي ٤٥٥ / ١، ح ٣٠٦.

٢. التبيان ٣ / ٣٨٦.

ومثلها في مجمع البيان^١ إلا أنه روى الرواية عن الإمام الباقي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رض.

﴿فِيظَلْمٌ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَحِلَّتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ٢٥

إخبارٌ عن بعضٍ من جزاء أعمالهم في الدنيا وهو تحريم الطيبات كانت قبل أعمالهم حلال لهم فهذا جزاء دنيويٌّ عامٌ.

﴿فَ﴾ تفريع على أعمالهم الفاسدة ومقالاتهم الكاسدة ونقض مواثيقهم **﴿وَكُفْرُهُمْ بِإِيمَنِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ﴾** ^٢.

﴿بِ﴾ حرفاً جرًّا للسببية.

﴿ظُلْمٌ﴾ مجروره، جار و مجرور متعلق بـ **﴿حَرَمَنَا﴾** المؤخر. والتنوين للتفسير والتھويل أو للإبهام حتى يشمل جميع مظلومهم. **﴿فِيظَلْمٌ﴾** بدل من قوله تعالى: **﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مَيْشَقَهُمْ﴾**. «فالمراد بالظلم بعض ما ذكر من مظلومهم الفجيعة فهو السبب لتحريم ما حرم عليهم من الطيبات بعد إحلالها» ^٣.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ **﴿ظُلْمٌ﴾** أو بصفة مذوقة منه.

﴿هَادُوا﴾ فعل ماض وفاعله. وهم اليهود.

﴿حَرَمَنَا﴾ فعل ماض وفاعله. يعني سبب تحريم الطيبات عليهم لا يكون إلا مظلومهم على نحو الحصر، والتحريم واقع في شريعة موسى المنزلة في التوراة، كما يدلّ

١. مجمع البيان / ٣ / ١٣٧.

٢. سورة النساء / ٥ / ١٥٥.

٣. الميزان / ٥ / ١٣٧.

عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلًّا ذِي ظُفْرٍ﴾^١. وقال السبزواري رحمه الله: «[في] الآية الشريفة تدل على أن كل معصية وظلم يصدر من الإنسان له أثر خاص به، سواء كان دنيوياً أم آخر دنيوياً أم يكون كلاهما معاً، ومن تلك الآثار أنه يوقع صاحبه في شدة من التكليف، فإذا كان الظلم نوعياً صادراً من الأمة، فإنه يجب رفع التوسيعة عليهم، ففي الحديث: «لا تكونوا كبني إسرائيل، شدُّوا فشدَّ الله عليهم»^٢. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿حَرَمَنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾.

﴿طَيِّبَتِ﴾ مفعول به. من الأكل والشرب وغيرهما.
 ﴿أَحِلَّتِ﴾ فعل ماضٍ لِلْمَجْهُولِ ونائب فاعله ضمير مستتر، في محل نصب صفة لـ ﴿طَيِّبَتِ﴾.
 ﴿لَهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَحِلَّتِ﴾. فالله تعالى بسبب أعمالهم القبائح وأقوالهم الفاسدة حرم عليهم في الدنيا بعض الطيبات التي كانت حلالاً لهم ولغيرهم.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِصَدَّهُمْ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه، معطوف على ﴿فَبِظُلْمٍ﴾.
 والصد: هو مظلومهم وعصيائهم وإعراضهم وتکذيبهم الله تعالى وأحكامه وأنبيائه، وبالجملة: الصد: «هو إعراضهم المتكرر ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾»^٣.
 ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿بِصَدَّهُمْ﴾. و ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو الإيمان بر رسالة الرسول صلوات الله عليه وسلم الأعظم.

﴿كَثِيرًا﴾ صفة نائبة عن المصدر - المفعول المطلق - المحذوف. التقدير: صدأ

١. سورة الأنعام / ١٤٦.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ١٤٥.

٣. الميزان / ٥ / ١٣٧.

كثيراً أو تكون صفة نائية عن مفعول به مخدوف بتقدير: صدّهم ناساً كثيراً أو تكون مفعولاً به بال مصدر «صدّهم» على تأويل فعله: أي بسبب صدّهم بمعنى: منعهم كثيراً من الناس»^١.

رواية

صحيحه عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض، فلم يُزَكِّ^٢ في أرضه وزرعه، وخرج زرعه كثير الشعير بظلم عمله في ملك رقبة الأرض، أو بظلم [ل] مزارعه^٣ وأكرته^٤، لأن الله يقول: «فَيُظْلَمُ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ وَبَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا» [يعني لحوم الإبل والبقر والغنم] هكذا أنزلهاه الله، فاقرأوها هكذا، وما كان الله ليحل شيئاً في كتابه ثم يحرّمه بعد ما أحلّه، ولا أن يحرّم شيئاً ثم يحلّه من بعد ما حرّمه.

قلت: وكذلك أيضاً قوله: «وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا»^٥؟^٦

قال: نعم.

قلت: فقوله: «إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ»^٧? قال: إن إسرائيل كان إذا

١. اعراب القرآن الكريم / ٢٥٢٠.

٢. «فلم تُرْكُ» البرهان. زكا الزرع: نما وزاد.

٣. «المزارعية» خ.

٤. جمع أكّار، وهو الفلاح. لسان العرب / ٤/٢٦.

٥. قال العلامة المجلسي عليه السلام: لعله عليه السلام قرأ «حرمنا» بالتحقيق، أي جعلناهم محروميين، وتعديته بعلى لتضمين معنى السخط أو نحوه واستدلّ عليه على ذلك بأنّ ظلم اليهود كان بعد موسى عليه السلام ولم تنسخ شريعته إلا بشرعية عيسى، واليهود لم يؤمّنوا به: فلا بدّ من أن يكون «حرمنا» بالتحقيق أي سلبنا عنهم التوفيق حتى ابتدعوا في دين الله، وحرّموا على أنفسهم الطيبات التي كانت حلالاً عليهم افتراء على الله، ولم أمر تلك القراءة في الشواد أيضاً. بحار الأنوار ٩/١٩٦ و ١٣/٣٣٦.

٦. سورة الأنعام / ١٤٦.

٧. سورة آل عمران / ٩٣.

أكل من لحم الإبل يهيج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل! وذلك من قبل أن تنزل التوراة، فلما [أ] نزلت التوراة لم يحرّمها ولم يأكله.^١ ونحوها مروية في الكافي^٢ وتفسير العياشي^٣ عن ابن أبي عفوف.

والظاهر أنَّ الإمام عليه السلام فسر الآية الشريفة مضافاً إلى التحرير التشريعي بالنسبة إلى بني إسرائيل إلى التحرير التكوي니 والوضعي بالنسبة إلى الأمة المحمدية لأنَّ التحرير التشريعي لا يتناسب معهم، فحملها الإمام عليه السلام على الحرمة الوضعية التكوينية حتى يمكن تطبيقها عليهم، لا انحصار الآية بها، والله العالم.

﴿وَأَخْذِهِمُ الْرَّبَوْا وَقَدْ هُنُوا عَنْهُ وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ ﴾
للُّكَفَّارِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

بيانٌ جزاءٌ خاصٌ للُّكَفَّارِينَ مِنْهُمْ ويكون عذابًا أليماً.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَخْذِهِمُ﴾ معطوف على **(فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيَثَاقُهُمْ)**^٤، أو على **(فِيُظْلَمُ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا)**^٥ والثاني أظهر.

﴿الْرَّبَوْا﴾ مفعول به. واليهود هم الذين سنوا الriba وشرّعوا تحليله وقد عرّفوا به في طوال التاريخ البشري حتّى اليوم.

﴿وَ﴾ حالية أو اعتراضية. **(قَدْ)** حرف تحقيق.

١. تفسير القمي / ١، ٢٣٢، ح ٣٢.

٢. الكافي / ١٠، ٥١٦، ح ١٠ (٥١٦/٥).

٣. تفسير العياشي / ١، ٤٥٥، ح ٣٠٧.

٤. سورة النساء / ١٥٥.

٥. سورة النساء / ١٦٠.

﴿بُهْوَا﴾ فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول ونائبٍ فاعله.

﴿عَنْهُ﴾ جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ بـ ﴿بُهْوَا﴾ . والضمير يرجع إلى ﴿الْبَيْوَا﴾ . والربا لا يكون حلالاً في شريعتهم ولكنّهم اشتهروا بأخذته.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَكَلُّهُمْ﴾ معطوفٌ على ﴿أَحَدِهِمْ﴾ .

﴿أَمْوَالَ﴾ مفعولٌ به. ﴿النَّاسُ﴾ مضافٌ إليه.

﴿بِالْبَطِيلِ﴾ جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ بصفةٍ لمصدرٍ - مفعولٌ مطلقٌ - مذوقٌ أي: أكلاً متلبساً ﴿بِالْبَطِيلِ﴾ وهو بالوجه المحرّم نحو الرشا والخيانة والسرقة والقمار والفحشا والمنكر و... .

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة تعطف ما بعدها على ﴿حَرَمَنَا﴾ .

﴿أَعْتَدْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. الاعتداد: التهيؤ والتمهيد.

﴿لِلْكَفَرِينَ﴾ جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾ . وهذا العذاب الآخروي يختص بالكافرين من اليهود.

﴿مِنْهُمْ﴾ جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ بحالٍ مذوقة ﴿لِلْكَفَرِينَ﴾ . أي: حالٍ كونهم منهم. و﴿من﴾ بياضٌ.

﴿عَذَابًا﴾ مفعولٌ به. ﴿أَلِيمًا﴾ نعت.

تنبيهٌ

﴿إِذَا قَارَنَا بَيْنَ سِيرَةِ الْيَهُودِ مِنْذِ الْقَدِيمِ، بِخَاصَّةٍ فِي عَهْدِ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدَ، وَبَيْنَ وَسَائِلِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ الْيَوْمَ لَمْ نَجِدْ أَيِّ فَرْقَ بَيْنَ يَهُودِ الْأَمْسِ وَيَهُودِ الْيَوْمِ، مِنْ حِيثِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، وَالْعَدَاءِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَقِيمَاهُ، وَعَدَمِ الْخُضُوعِ إِلَّا (للطُّورِ) يُرْفَعُ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ... وَإِنْ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدَلِّلُ عَلَى أَنَّ الشَّرَّ طَبْعٌ أَصِيلٌ فِي الْيَهُودِ، وَجِبَلَةٌ لَا تَنْفَكُ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْفَكُونَ عَنْهَا، مِهْمَا تَغَيَّرَتِ الْأَزْمَانُ، وَتَطَوَّرَتِ الْأَحْوَالُ، تَمَامًا كَمَا لَا يَنْفَكُ اللَّدُغُ عَنْ طَبْعِ الْعَقَارِبِ، وَنَفَثَ السَّمُومَ عَنْ حِبَلَةِ الْأَفَاعِيِّ، وَإِذَا

وَجَدَ فِي كُلِّ انسان استعداد للخير والشر فإن طبيعة اليهود متمحضة للشر وحده. وإذا وجد منهم بين الحين والحين من يعرف الحق، ويعمل به فإنه قليل نادر، والنادر لا ينقض القاعدة، بل يكرسها، وقد استثنى سبحانه هذه القلة بقوله^١ في الآية الآتية.

﴿لَكِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُوتَ الرَّكْوَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخْرَى أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٣٣

استثناء من أهل الكتاب عامة واستدراك من اليهود خاصة وهم «الأخيار» الذين آمنوا إيماناً صادقاً، وهم الراسخون في العلم، المؤمنون بالله العظيم حق الإيمان، فلا يشملهم ما شمل اليهود من الخسران وسوء العاقبة، فإن هؤلاء المؤمنين أجراً عظيماً لا يدركه أحد^٢.

﴿لَكِنِ﴾ حرف مسببه بالفعل للاستدراك وكسر آخره لالتقاء الساكنين.

﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ. وهو الذي رسم في علمه وثبت عليه واستقام به. وهذا وصفهم الأول.

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ بتأويل فعله.

﴿مِنْ﴾ تبعيضية.

﴿هُمْ﴾ مجرور. والجار ومحروم متعلق بمحذوف حال من الضمير في ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ وتقديره: حال كونهم ﴿مِنْهُمْ﴾. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب واليهود

١. التفسير الكاشف / ٤٨٨ / ٢.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ١٨٢ .

خاصة. ويدلّ على أئمّهم كلهُم كانوا يعلمون الحقّ ويعرفون الرسول الأعظم محمد ﷺ كما يعرفون أبناءهم وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ وَكَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على ﴿الَّرَّاسِخُونَ﴾. وهذا وصفهم الثاني.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿الَّرَّاسِخُونَ﴾. ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، مجرورة حلاً، الجار وال مجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض مجہول ونائب فاعله ضمير مستتر.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول الأعظم محمد ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ معطوفة على ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُقِيمِينَ﴾ معطوف على ﴿الَّرَّاسِخُونَ﴾ ومنصوب على المدح أي أعني أو مدح ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ تعظيماً للصلوة وإعلاناً لأهميتها.

قال الرازي: «روي عن عثمان وعائشة أئمّها قالا: إنّ في المصحف لحننا وستقيمه العرب بأستها.

واعلم أن هذا بعيد؛ لأنّ هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن

رسول الله ﷺ فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه^٢».^٣

وقال الطبرسي: «اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون إلى أنه نصب على المدح على تقدير أعني المقيمين الصلاة قالوا إذا قلت مررت بزيد الكريم

١. سورتا البقرة / ١٤٦؛ والأనعام / ٢٠.

٢. راجع توجيهه هذه القراءة في «الكساف» للزمخشري.

٣. التفسير الكبير / ١١ / ١٠٦.

وأنت تريد أن تعرف زيداً الكريماً من زيد غير الكريم فالوجه الجر وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وقلت مرت بزيد الكريماً كأنك قلت أذكر الكريماً وإن شئت رفعت فقلت الكريماً على تقديره هو الكريماً.

وقال الكسائي: موضع المقيمين جر وهو معطوف على **«مَا»** من قوله **«بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ»** أي وبالقيميين الصلاة.

وقال قوم: إنّه معطوف على الهماء والميم من قوله **«مِنْهُمْ»** على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة.

وقال آخرون: إنّه معطوف على الكاف **«مِنْ قَبْلِكَ»** أي بـ **«مَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ»** ومن قبل **«الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»**.

وقيل: إنّه معطوف على الكاف في **«إِلَيْكَ»** أو الكاف في **«قَبْلِكَ»** وهذه الأقوال الأخيره لا تجوز عند البصريين لأنّه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة.... .

واما ما روی عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله **«وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»** وعن قوله **«وَالصَّابِرِينَ»**^١ وعن قوله **«إِنَّ هَذَانِ»**^٢ فقالت يا ابن اختي هذا عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب وما روی عن بعضهم أنّ في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بأسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة، فمما لا يلتفت إليه لأنّه لو كان كذلك لم يكن لتعلم الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين أخذوه عن النبي ﷺ^٣.

«الصَّلَاةَ» مفعول به باسم الفاعل العامل **«الْمُقِيمِينَ»**.

١. سورة البقرة / ٦٢؛ وسورة الحج / ١٧.

٢. سورة طه / ٦٣.

٣. مجمع البيان ١٣٩ / ٣.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية.

﴿الْمُؤْتُونَ﴾ «خبر لمبدأ مذوق أي: وهم ﴿الْمُؤْتُونَ﴾ والمعنى: إنّ المصلين الذين يستحقون المدح هم الذين يقرنون إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة»^١.

أو مبداً خبره ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

أو معطوف على ﴿الرَّسُخُونَ﴾ على أن يكون وصفهم الثالث.

﴿الرَّكْوَة﴾ مفعول به باسم الفاعل العامل ﴿الْمُؤْتُونَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على ﴿الْمُؤْتُونَ الرَّكْوَة﴾، أو مبداً خبره ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. أو معطوف على ﴿الرَّسُخُونَ﴾ على أن يكون وصفهم الرابع. أو معطوف على ﴿الْأُؤْمِنُونَ﴾ السابق ويكون تأكيداً أو تفسيراً وتوضيحاً له.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿الْأُؤْمِنُونَ﴾. يعني: يؤمنون بالبداء الأعلى.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْيَوْمِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾.

﴿الآخِرِ﴾ نعت لـ ﴿الْيَوْمِ﴾. يعني: ويؤمنون بالمعاد والحياة الأخرى.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة خبر ﴿الْمُؤْتُونَ﴾ و ﴿الْأُؤْمِنُونَ﴾ الماضيان. أو مبداً.

﴿سَ﴾ حرف استقبال للقرب.

﴿نُؤْتِيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به أول.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان. لا يوصف كنهه إلّا الله تعالى لتناسب العطاء مع

المعطي.

﴿عَظِيمًا﴾ نعت، والجملة الفعلية ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ خبر.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا دَاؤِرَدَ زَبُورًا﴾ ١٢٣

هذه الآية الشريفة تعليل لما ورد في الآية السابقة ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، ورد على ما زعمه أهل الكتاب من الفرق بين أفراد الموحى إليهم واحتجاج على المترحين أن ينزل إليهم كتاباً لأن شأنه في الوحي كسائر الأنبياء.
 ﴿إِنَّ﴾ الحرف المشبه بالفعل مع الضمير اسمه.

﴿أَوْحَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. والوحي النازل من الله تعالى على أنبيائه واحد وإن كانت مراتبهم مختلفة.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ والضمير الخطاب توجّه للرسول الأعظم خاتم النبيين محمد ﷺ.

كان القرآن الكريم يرى الملزمة بين الإيمان بالأنباء جميعاً من دون فرق بينهم، فمن آمن بموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام لابد له أن يؤمن بمحمد ﷺ حتى صح وتم إيمانه.

﴿كَ﴾ حرف جر للتشبيه بمعنى مثل. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿أَوْحَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، بتأويل مصدر، في محل جر بـ ﴿كَ﴾، والجار والمجرور متعلق بمفعول مطلق - مصدر - مذوف تقديره: أو حينا احياء كاحيائنا، أو ﴿أَوْحَيْنَا﴾ وحيأ مثل الذي ﴿أَوْحَيْنَا﴾.

﴿إِلَى نُوحٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ الأخير. ذكر الله تعالى شأنه نوحأً

١. أو غيره كما ورد في سورة للإسراء / ٩٣-٩٠.

في أول سلسلة الأنبياء لأنّه أَوْلَ نبِيٌّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَكَانَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ وَكَانَ شِيخُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبَا الْبَشَرِ الثَّانِيِّ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْبَيْتَنَ﴾ معطوف على ﴿نُوحٍ﴾.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه. ﴿مِنْ﴾ بياني، يتعلّق الأوّلان بحال مخدوفة من ﴿الْبَيْتَنَ﴾ تقديره: حال كونهم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها تفصيل بعد إجمال وخصّوا بالذكر تعظيماً لهم. ﴿أَوْحَيْنَا﴾ معطوف على ﴿أَوْحَيْنَا﴾ الأولى.

﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ جار و مجروره متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾. ثُمّ ذكر إبراهيم عليه السلام لأنّه أيضاً كان صاحب كتاب وشريعة، كتابه سمي بالصحف وشريعته سميت بالحنفية البيضاء وكان الأنبياء من نسله على شريعته.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَبُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الأسماء معطوفة بواوات العطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ و مجرور بحرف جر ﴿إِلَى﴾ والأسماء كلها غير منصرفين إلا ﴿الْأَسْبَاطِ﴾. «وقدّم عيسى عليه السلام على أنبياء كانوا قبله لشدّة العناية بأمره ولغلو اليهود في الطعن فيه»^١.

و ﴿الْأَسْبَاطِ﴾ جمع سبط وهو ولد الولد وهم الأنبياء من اثنى عشر ابناً ليعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. ولذا أطلق عليهم أسباط بني إسرائيل وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام. و ﴿الْأَسْبَاطِ﴾ يأتي بمعنى الفريق من اليهود، يقال للعرب قبائل ولليهود: أسباط.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَانِيَنَ﴾ معطوف على ﴿أَوْحَيْنَا﴾.

﴿ذَارُدَ﴾ مفعول به أَوْلَ لـ ﴿ءَانِيَنَ﴾.

﴿رَبُورَا﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿ءَانِيَنَ﴾. وقرأ حمزة وخلف «رُبُورَا» بضم الزاء.

قال الوزير المغربي^١: «زبور جمعه زبور ومثله تُحُوم وتحُوم وعدُوب وعدُوب، ولا يجمع فَعول - بفتح الفاء - على فُعول - بضم الفاء - إلّا هذه الثلاثة في ما عرفنا»^٢.

وقيل: الزبور بمعنى المكتوب من قوله: زيره أي كتبه فالزبور بمعنى المزبور^٣.

فالزبور: الكتاب على وزن فَعول بمعنى مفعول أي مكتوب.^٤

قال السبزواري رحمه الله: «إِنَّمَا خَصَ زَبُورَ دَاؤِدَ الْمُطَهَّرَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ لَهُ شَأْنًا خَاصًّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا فَلَا يَخْرُجُ عَنْ سَائِرِ أَفْرَادِ الْوَحْيِ»^٥.

أقول: زبور داود موجود في الكتاب المقدس بعنوان المزامير كما إنَّ بعض كتب الأنبياء السابقين أيضاً موجودة فيه ولكنها محرفة والله العالم.

رواية

وفي الخبر الطويل عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا كان يوم القيمة أعطى الله عليه من القوة مثل قوة جبرئيل ومن النور مثل نور آدم ومن الجمال مثل جمال يوسف ومن الصوت ما يدارني صوت داود ولو لا أنَّ داود خطيب أهل الجنة لاعطاه مثل صوته.^٦

١. الوزير المغربي هو الحسين بن علي العالم الأديب المصنف وهو سبط الشیخ النعmani صاحب كتاب «الغيبة» - ابن بيته - .

٢. نقل عنه الشيخ في التبيان ٣٩٢/٣ .

٣. كما في الميزان ١٤١/٥ .

٤. كما في التفسير الكافش ٤٩٠/٢ .

٥. مواهب الرحمن ١٩١/١٠ .

٦. روض الجنان ٦/١٩٥ .

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ

الله موسى تكليما ﴿١١﴾

إعلان من الله تعالى بأنّ عدد أنبياء الله ورُسُلِه لا يختص بالذكورين هنا أو غيرها من الآيات الشريفة بل هناك عدّة من الأنبياء الكثيرين لم يذكرهم في القرآن الكريم كما صرّح الله تعالى به أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^١.
 (و) عاطفة.

﴿رُسُلًا﴾ مفعول لفعل مذوق تقديره: قصصنا ﴿رُسُلًا﴾ أو أرسلنا ﴿رُسُلًا﴾ أو نبأنا ﴿رُسُلًا﴾، أو يكون مفعولاً به على المدح بفعل مذوق تقديره: أعني. ويمكن أن يكون حالاً بنفس الأفعال الماضية.
 (قد) حرف تجريد.

﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب صفة للموصوف ﴿رُسُلًا﴾. القصة مشتقة من قصّ أثره إذا اتبَعَهُ ومنه قوله تعالى:
 ﴿وَقَالَتْ لِأَخِيهِ قُصِّيَهُ﴾^٢ أي اتبَعَهُ أثره.
 ﴿عَلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾.

﴿مِنْ قَبْلٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾، و ﴿قَبْلٍ﴾ ظرف أو اسم مبني على الضم.

وقد جاء ذِكرُ أنبياء الله تعالى في سُورٍ هود والشعراء والأنبياء وغيرها من القرآن الكريم كما ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَعَقْوَبَ كُلًا هَدَيْنَا

١. سورة غافر / ٧٨.

٢. سورة القصص / ١١.

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرَيْتِهِ دَاؤَدْ وَسُلَيْمَنَ وَأَبْيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ^١
وَكَذَلِكَ نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ * وَزَكِيرِيَا وَسَعْيَيْنَ وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الْصَّالِحِينَ *
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَلَمِينَ^٢.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رُسُلًا﴾ معطوف على ﴿رُسُلًا﴾ الأول.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿نَقْصُصُهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به.

﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿نَقْصُصُهُمْ﴾.

والجملة الفعلية ﴿لَمْ نَقْصُصُهُمْ عَلَيْكَ﴾ في محل نصب صفة للموصوف
﴿رُسُلًا﴾.

لم يذكر الله عدداً غير المذكورين في كلامه ولكن ورد بعض الأعداد في بعض
الروايات كما سيأتي.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَلَمَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿الله﴾ فاعله. ﴿مُوسَى﴾ مفعول به.

﴿تَكَلِّمًا﴾ مفعول مطلق جاء به لرفع كلّ تأويل ومجاز في المقام وأنه كان بلا
واسطة. وتكلّمه مع النبي موسى عليه السلام قسم من الوحي المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ
مَنْ كَلَمَ اللَّهُ﴾^٢.

الروايات

في صحيحه أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: ... وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء
مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعمل من الأنبياء
صلوات الله عليهم أجمعين وهو قول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

١. سورة الأنعام / (٨٤-٨٦).

٢. سورة البقرة / ٢٥٣.

نَقْصُصُهُمْ عَلَيْكَ يعني لم أسم المستخفين كما سميّت المستعلّنين من الأنبياء بِلِّهٰ لِلّٰهِ.^١ رواها العياشي في تفسيره^٢ والمراد بالمستخفين هم الذين دعوتهم على السر والخلفاء، وبالمستعلّنين هم الذين دعواهم على العلانية والإظهار والله العالم.

وفي خبر أبي ذر عن رسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ: ... قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفنبيّ، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثة وثلاثة عشر جمّاء غفرياء قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلًا، قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه.

ثم قال صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ: يا أباذر أربعة من الأنبياء سريانيون: آدم وشيث وأختونخ، وهو إدريس بْنُ إِدْرِيسَ - وهو أول من خط بالقلم - ونوح بْنُ نُوحَ. وأربعة من الأنبياء من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك محمد. وأول نبي منبني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستمائةنبيّ، قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفه، وعلى إدريس ثلاثين صحيفه، وعلى إبراهيم عشرين صحيفه، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، الحديث.^٣

خبر دارم بن قبيصة عن علي بن موسى عَلٰيْهِ الْكَفٰلَةُ عن آبائه بْنِ إِدْرِيسَ عن النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ قال: خلق الله بِكَلَّ مائة ألفنبيّ وأربعة وعشرين ألفنبيّ أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله بِكَلَّ مائة ألفوصيّ وأربعة وعشرين ألفوصيّ، فعليّ أكرمهم على الله وأفضلهم.^٤

خبر زيد بن علي عن آبائه بْنِ إِدْرِيسَ عن النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ قال: خلق الله بِكَلَّ مائة ألفنبيّ وأربعة وعشرين ألفنبيّ وأنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله بِكَلَّ مائة ألف

١. الكافي ١٥ / ٢٨١، ح ٩٢ (٨/١١٥).

٢. تفسير العياشي ١ / ٤٥٦، ح ٣٠٩.

٣. الخصال ٢ / ٥٢٤.

٤. الخصال ٢ / ٦٤١، ح ١٨.

وصيٌّ وأربعة وعشرين ألف وصيٌّ، فعلىٌ أكثرهم على الله وأفضلهم.^١
مرسلة الطبرسي عن أمير المؤمنين علي عليهما السلام أنه قال: بعث الله نبياً أسود لم يقص
 علينا قصته.^٢

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ أَرْرُسْلٍ وَكَانَ

الله عزيرًا حكيمًا ﴿١٦﴾

يبين الله تعالى أن الرسل لهم أحوال وآوصاف ثلاثة: «[١: فقد أرسل تبارك وتعالى] رسلاً أرسلهم الله تعالى هداية البشر، وإخراجهم من الصلاة والعمى إلى النور، وأوحى إليهم ما يوجب كلامهم، لعدم كفاية داعي الفطرة والعقل في المداية، وعدم اغناهما عن بعث الرسل. [٢:] مبشرين لمن آمن وأطاع وعمل صالحًا بالثواب الجزييل والأجر العظيم. [٣:] منذرين لمن تولى وكفر وعصى بالوعيد والعقاب الأليم»^٣.
﴿رُسُلًا﴾ تعرب اعراب ﴿رُسُلًا﴾ الأولى في الآية السابقة. والأظهر أنه حال بما مر ساقًا.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ حال أو وصف. وكان الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بثواب الله لمن آمن بالله وأطاعه وصدق رسالته واتبعه.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُنذِرِينَ﴾ معطوف على ﴿مُبَشِّرِينَ﴾. وكانوا ﴿مُنذِرِينَ﴾ يعني مخوّفين من عقاب الله لمن عصاه وخالف أوامرها وكذب رسالته.

١. الخصال ٢/٦٤١، ح ١٩.

٢. مجمع البيان ٨/٥٣٣.

٣. مواهب الرحمن ١٠/١٩٢.

﴿ل﴾ حرف جر، للتعليل، وما بعدها غاية مهمّة من غایات بعث الرسل.
 ﴿كَلَّا﴾ = ﴿أَلَا﴾ مركب من «أن» حرف مصدرى ناصب و «لا» نافية. «أن» المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بـ«ل» التعليل، والجار والمجرور متعلق بفعل مقدر «ارسلنا» أو نحوه.

﴿يَكُون﴾ فعل مضارع ناقص.

﴿لِلنَّاس﴾ جار و مجرور متعلق بخبر مقدم ﴿يَكُون﴾.
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق باسم ﴿يَكُون﴾ أو بحال منه لأنّه متعلق بصفة قدّمت عليه.

﴿حُجَّة﴾ اسم ﴿يَكُون﴾. ﴿لِنَلَّا يَكُون لِلنَّاس﴾ اعتذار من قولهم على ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبَعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَخَنْزِرِي﴾^١.
 ﴿بَعْد﴾ ظرف متعلق بصفة مذوقة من ﴿حُجَّة﴾.

﴿أَلْرُسْلِ﴾ مضارف إليه. ﴿و﴾ استئنافية.

﴿كَان﴾ فعل ماض ناقص. ﴿الله﴾ اسمه.

﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ خبراً ﴿كَان﴾. فـ«إذا كانت له العزة المطلقة والحكمة المطلقة استحال أن يغلبه أحد بحجّة بل له الحجة البالغة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلَهُ الْحُجَّةُ الْبِلْغَةُ﴾^٢.

١. سورة طه / ١٣٤.

٢. سورة الأنعام / ١٤٩.

٣. الميزان / ٥.

﴿لَكِنَّ اللَّهُ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ

بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

الآية الشريفة «استدرك آخر في معنى الاستثناء المنقطع من الرد المتعلق بسؤالهم النبي ﷺ تنزيل كتاب إليهم من السماء، فإنّ الذي ذكر الله تعالى في رد سؤالهم بقوله «فقد سأّلوا موسى أكّر من ذَلِك»^١ إلى آخر الآيات، لازم معناه أن سؤالهم مردود إليهم، لأنّ ما جاء به النبي ﷺ بوحي من ربه لا يغایر نوعاً ما جاء به سائر النبيين من الوحي، فمن ادعى آنّه مؤمن بما جاؤا به فعليه أن يؤمّن بما جاء به من غير فرق.

ثم استدرك عنه بأنّ الله مع ذلك يشهد بها أنزل على نبيه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^٢.

﴿لَكِنَّ﴾ حرف عطف يفيد الاستدراك. **(آن الله)** مبتدأ.

﴿يَشْهُدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر والجملة الفعلية خبر، شهادة الله على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء مختصة به ﷺ ومزية خاصة له ﷺ «فإِنَّهُ يَشْهُدُ بِحَقِيقَةِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَكْفِي فِي الشَّهَادَةِ عَلَى نَبُوَّتِهِ وَصَدْقَتِهِ لِإِعْجَازِهِ، فَلَا يَخْتَاجُ إِلَى إِنْزَالِ كِتَابٍ أَخْرَى».^٣

عبارة أخرى: شهادة الله هذه هي من الشهادة بالأفعال «حيث **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**» بالدلائل والمعجزات على صدقه ومنها: القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه بعلمه **إِلَيْكَ**.

١. سورة النساء / ١٥٣ .

٢. الميزان / ٥ / ١٤١ .

٣. موهاب الرحمن / ١٠ / ١٩٤ .

٤. التفسير الكافش / ٢ / ٤٩٦ .

بالجملة: فشهادة الله تكون بإعجاز القرآن ولذا قال الله تعالى:

﴿بِمَا﴾ جار و ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر، يتعلّقان بـ ﴿يَشْهُدُ﴾ والباء للسببية، يعني يشهد الله بسبب ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن العظيم.

﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ في كتابه القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْفُرْقَاءِ إِنْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^١. وقال ﷺ: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٢.

﴿أَنْزَلَهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. مجرد الإنزال لا يكفي في الشهادة المدعاة فلذا قيده بقوله ﷺ:

﴿بِعِلْمِهِ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه، والأوّلان يتعلّقان بحال من الضمير الفاعلي في ﴿أَنْزَلَهُ﴾ وتقديره: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كُلُّ بليغٍ^٣، أو يمكن أن يكون متعلق بحال من الضمير المفعولي في ﴿أَنْزَلَهُ﴾ وتقديره: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ مقروراً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم.

ومع تقييد الإنزال بعلم الله تعالى تمت الشهادة لأنّه تعالى ﴿أَنْزَلَهُ﴾ على رسوله ﷺ وهو يعلم ماذا ينزل ينزله على سبيل الإعجاز ويحيط به ويحفظه من كيد الشياطين. وبالجملة: «بيان إلى أنّ ما أُنْزَلَ إِلَيْهِ إِنَّمَا كَانَ عَنْ عِلْمٍ بِجَمِيعِ خَصْوَصِيَّاتِ الْمُنْزَلِ، وَإِحاطَتْهُ بِإِحاطَةٍ تَامَّةٍ يَسْلُمُ عَنْ كُلِّ باطِلٍ وَزَيْغٍ، وَتَضَمَّنَ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ».

١. سورة الإسراء / ٨٨.

٢. سورة يونس / ٣٨.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ١٤٠ من طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٣٣ق.

أُمُورًاً كثيرةً.

منها: أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ﷺ هو من علمه الأَتَمِ، فَيَحْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الْحَقَائِقِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَالْتَّوْجِيهَاتِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَالشَّرِيفَاتِ الْرِّبَابِيَّةِ، فَنَكُونُ هَذِهِ مَرْيَةً فَائِقةً عَلَى جَمِيعِ الْكِتَابِ الإِلَهِيَّةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِ الْخَاصِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، فَيَكُونُ مَعْجِزَةً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ، يَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ بَلِيجٍ وَصَاحِبِ بَيَانٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ لَئِلَّا يَفْسُدُهُ الشَّيْطَانُ، فَيَضُعُ البَاطِلَ مَكَانَ الْحَقِّ أَوْ يَخْلُطُهُ، فَيُدْخِلُ شَيْئًا مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْوَحْيِ الإِلَهِيِّ الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: «عَنِّلَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِنَا فَلَيَنْهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَنَا رَبِّهِمْ وَأَحَاطُوا بِمَا لَدَهُمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»^١.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ فَقَطُّ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ غَيْرُهُ أَبَدًا، لَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ وَلَا غَيْرُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: «تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعِنْقَيَةَ لِلْمُتَّقِينَ»^٢، وَقَالَ تَعَالَى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوْحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا أَلِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا»^٣.

وَمِنْهَا: إِنَّمَا أَنْزَلَهُ بِعِلْمٍ تَامٍ، بِأَنَّكَ أَهْلُ لِإِنْزَالِهِ عَلَيْكَ، وَعَلِمَهُ بِأَنَّكَ تَقْوِيمُ بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ خَيْرٌ قِيَامٌ. وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ الْمَبَارَكَةُ تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْمَعْنَى الدَّقِيقَةَ وَغَيْرَهَا [مِمَّا لَمْ تَحْمُمْ أَفْهَامُنَا حَوْلَ حِمَاهُ، وَلَمْ تُحْكِمْ بِكَمَالٍ فَحْوَاهُ]. وَهِيَ تَكْفِي فِي الدِّلَالَةِ عَلَى إِعْجَازِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ وَصَدَقَ الْمُنْزَلَ عَلَيْهِ، وَحَقِيقَةُ مَا جَاءَ ﷺ بِهِ، فَسَبَّحَانَ مَنْ يَعْلَمُ

١. سورة الجن / ٢٨-٢٦.

٢. سورة هود / ٤٩.

٣. سورة الشورى / ٥٢.

دقائق الأمور وخفياتها، كما فيه التكثيت العظيم لجهلهم وعنادهم^١.

﴿وَهُنَّ حَالِيَةٌ، وَالجَمْلَةُ إِسْمِيَّةٌ بَعْدَهَا فِي مُحَلٍّ نَصْبٌ حَالٌ﴾.

﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مبتدأ. وهم وسائل في الإنزال ويكونون سفراً فيعرفون ويشهدون بالإعجاز.

﴿يَشَهِّدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. فهم ﴿يَشَهِّدُونَ﴾ بنبوته ﴿بِاللَّهِ شَهِيدٌ﴾.

﴿وَهُنَّ اسْتَئْنَافِيَّةٌ﴾. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض، أي: حسبك بالله شاهداً على صدقك.

﴿بِاللَّهِ﴾ فاعله في محل رفع، والباء حرفاً جر زائد جاء للتأكيد.

﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال.

شهادة الملائكة تبع وفرع لشهادة الله التي تغنى عن كُلّ شهادة ولذا قال تعالى:

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

شأن نزولها

«قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في جماعة من اليهود كان النبي ﷺ دعاهم إلى اتباعه، وأخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوته فجحدوا نبوته، وأنكروا معرفته، فأنزل الله فيهم هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية له عن تكذيب من كذبه»^٢.

رواية

صحيفة أبي بصير عن أبي عبد الله ع قال: إنّا أُنزَلت: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنَّزَلَ إِلَيْكُ﴾ في عليٍّ ﴿أَنَّهُ بِعِلْمٍ وَالْمَلَائِكَةُ يَشَهِّدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^٣.
الصحيفة تأویلٌ وتطبیقٌ وجرسٌ، ورواه الكليني^٤ بسند صحيح والعياشي^٥ كما أذكرها لك

١. مواهب الرحمن ١٠/١٩٤ و ١٩٥.

٢. التبيان ٣/٣٩٦.

٣. تفسير القمي ١/٤٥٦، ح ٣١٠.

٤. الكافي ١/٣٩٢، ح ٥٩ (٤٢٤/١).

٥. تفسير العياشي ١/٢٣٣، ح ٣٣.

فِي مَا بَعْدِ فَانتَظِرُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

بعد أن بين الله تعالى «الحجـة البالـغـة» في رسـالـة نـبـيـه وـنـزـولـ كـتـابـه من عـنـدـ اللهـ، وـأـنـهـ من سـنـخـ الـوـحـيـ الـذـيـ أـوـحـىـ إـلـىـ النـبـيـنـ مـنـ قـبـلـهـ وـأـنـهـ مـقـرـونـ بـشـهـادـتـهـ وـشـهـادـةـ مـلـائـكـتـهـ وـكـفـىـ بـهـ شـهـيـدـاـ حـقـقـ ضـلـالـ مـنـ كـفـرـ بـهـ وـأـعـرـضـ عـنـهـ كـائـنـاـ مـنـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ»^١. فلا وجـهـ لـاـخـتـصـاصـ الـآـيـةـ بـالـيـهـودـ^٢ ولو كانت الصـفـاتـ تـنـطبقـ عـلـيـهـمـ بـلـ تـشـمـلـ جـمـيعـ أـهـلـ الـكـتـابـ.

﴿إِنَّ﴾ حـرـفـ مـُـثـبـبـ بـالـفـعـلـ، تـأـكـيدـ.

﴿الَّذِينَ﴾ اـسـمـ موـصـولـ، فـيـ مـحـلـ نـصـبـ اـسـمـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿كـفـرـوـا﴾ فـعـلـ مـاضـ وـفـاعـلـهـ. أيـ ﴿الَّذِينَ﴾ جـحـدواـ نـبـوـةـ خـاتـمـ الـأـنـبـيـاءـ مـحـمـدـ بـعـدـ عـلـمـهـمـ بـهـاـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ المـذـكـورـينـ فـيـ الـآـيـاتـ السـابـقـةـ.

﴿وَ﴾ عـاطـفـةـ. ﴿صـدـوـا﴾ مـعـطـوفـةـ عـلـيـ ﴿كـفـرـوـا﴾.

﴿عـنـ سـبـيلـ اللـهـ﴾ جـارـ وـمـجـرـورـ وـمـضـافـ إـلـيـهـ. مـتـعـلـقـانـ بـ ﴿صـدـوـا﴾ وـالـمـرـادـ بـ ﴿سـبـيلـ اللـهـ﴾ دـيـنـ اللـهـ وـهـوـ إـسـلـامـ «وـفـيـ الـآـيـةـ تـبـدـيـلـ الـكـتـابـ الـذـيـ كـانـ الـكـلامـ فـيـ نـزـولـهـ مـنـ عـنـ اللـهـ بـسـبـيلـ اللـهـ حـيـثـ قـالـ: ﴿وـصـدـوـا عـنـ سـبـيلـ اللـهـ﴾ وـفـيـ إـيـجازـ لـطـيفـ كـائـنـ قـيـلـ: إـنـ الـذـينـ كـفـرـوـا وـصـدـوـا عـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـالـوـحـيـ الـذـيـ يـتـضـمـنـهـ فـقـدـ كـفـرـوـا وـصـدـوـا عـنـ سـبـيلـ اللـهـ، وـ ﴿الَّذِينَ كـفـرـوـا وـصـدـوـا عـنـ سـبـيلـ اللـهـ قـدـ ضـلـلـوا ضـلـالـاـ بـعـيـدـاـ﴾

١. الميزان / ٥ / ١٤٢.

٢. كما يظهر من الفخر الرازي في تفسيره ١١٢ / ١١٢ والشيخ مغنيه في الكاشف ٤٩٧ / ٢.

٣. الميزان / ٥ / ١٤٢.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقير. ﴿ضَلُّوا﴾ فعل ماض وفاعله، في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿ضَلَالًا﴾ مفعول مطلق.

﴿بَعِيدًا﴾ نعت، لأنّهم جعوا بين الضلال والإضلal كما قاله البيضاوي^١، أو «لأنّ أشد الناس ضلالاً من كان ضالاً» ويعتقد في نفسه أنه حقّ، ثم إنّه يتوصل بذلك الضلال إلى اكتساب المال والجاه، ثم إنّه يبذل كنه جهده في إلقاء غيره في مثل ذلك الضلال، فهذا الإنسان لا شكّ أنه قد بلغ في الضلال إلى أقصى الغايات وأعظم النهايات، فلهذا قال تعالى في حقهم ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كما قاله الفخر الرازي^٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيُهُمْ طَرِيقًا﴾ ٣٨

تحقيق وتشييت جاء تأكيداً للآية السابقة وإخبار «من الله تعالى بان الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ كفروا بالله، وجحدوه بجحودهم رسالة نبيه وظلموا نبيه بتكذيبهم إياه، ومُقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد الله، وحسداً للعرب، وبغياناً على رسوله ﷺ».^٣

وقد يقال: بأن الآية السابقة مختصة باليهود وهذه للمشركين، وقد مرّ نقله.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصل، اسم ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. بمحمد ﷺ ونبيه وخاتميته للأنبياء من أهل الكتاب وغيرهم.

١. تفسير البيضاوي ١/١٤٠ .

٢. التفسير الكبير ١١/١١٣ .

٣. التبيان ٣/٣٩٧ .

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ظَلَمُوا﴾ معطوفة على ﴿كَفَرُوا﴾. والمراد بالظلم هنا الصدّ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والكفر بنبوة نبيّنا محمد ﷺ وإضلال الغير عن الوصول إلى الحقّ بكتابه وتحريفه وترويه، وكما يشمل إطلاقه الذين ﴿ظَلَمُوا﴾ محمد وآل محمد ﷺ حقوقهم ومواريثهم كما في الرواية الآتية. وتعليق لما ورد في الآية السابقة من ضلالهم بعيد.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَكُنْ﴾ فِعْلٌ مُضارعٌ ناقصٌ مجزومٌ بـ ﴿لَمْ﴾. ﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿لَمْ يَكُنْ﴾.

﴿لِ﴾ لام الجحود والنفي وحرف جر.

﴿يَغْفِر﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿إِنَّ﴾ مقدرة بعد اللام وفاعله ضمير مستتر. أي: «﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ﴾ ليغفو عن ذنبهم بترك عقابهم عليها لكنه تعالى يفضحهم بها بعقوبته إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ»^١.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿يَغْفِر﴾، لأنّ الظلم بعد وضوح الحجة وإقامتها غير مغفور.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿لِهِدِيَّهُمْ﴾ معطوف على ﴿لَيَغْفِر﴾ ومفعول به أول.

﴿طَرِيقًا﴾ مفعول به ثان. أي إلى طريق الجنة.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ حَلَّدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ٢٦٦

استثناء منقطع يدلّ على أنّهم لا يمشون إلا إلى طريق جهنم ولا يذهبون إلا إليها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء في محل نصب صفة للموصوف «طريقًا». أو تكون بمعنى «غير».

﴿طريق﴾ مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾. أي مسار.

﴿جَهَنَّم﴾ مضاد إليه ومنع من الصرف للمعرفة والتأنيث. وهم اختاروا «طريق جهنّم» بجحدهم الحق وسوء أفعالهم وفساد عقيدتهم «لأنهم في الدنيا سلكوا طريق الصلاة، وانحرفو عن طريق الهداية رغم الإنذار والإخطار».^٢

﴿خَلِيلِينَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿كَفُرُوا﴾ في الآية السابقة. أي ماكثين في ﴿جَهَنَّم﴾.

﴿فِيهَا﴾ جار ومحورو متعلق بـ ﴿خَلِيلِينَ﴾.

﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان يفيد الاستمرار. أو يكون نائباً أو صفة لمصدر محذوف تقديره: خلوداً ﴿أَبَدًا﴾. ويدلّ على خلودهم في النار، وعدم انقطاع العذاب عنهم، ولو لا لفظ التأييد لكن لفظ الخلود محتملاً للدوار والاستمرار، ولطول أمد المكث في جهنّم».^٣. ولبيان عدم شمول المغفرة والشفاعة لهم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٌ ناقص.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. أي الخلود الأبدي.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومحورو متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿يَسِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي: هيئنا سهلاً «لأنه اذا اراد الخلود بهم في النار يقدر عليه ولم يمتنع ذلك عليه تعالى فكان عليه ﴿يَسِيرًا﴾.

١. والوجه أن يقال: بالرغم من الإنذار والإخطار.

٢. التفسير الكافش ٤٩٧ / ٢.

٣. التفسير الكافش ٤٩٧ / ٢.

رواية

عن أبي حمزة الشمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لَكِنَّ اللَّهُ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» في عليٍّ (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا). قال: وسمعته يقول: نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية هكذا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا) آل محمد حَقُّهُمْ (لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِهَدِيهِمْ طَرِيقًا) إلى قوله: (يُسِيرًا)، الحديث.^١

رواهما القمي والكليني بإسناد صحيح في تفسيره^٢ والكافي^٣.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِمْنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكُونُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ ١٧.

استنتاج رئيسٌ من الآيات السابقة وهو دعوة الناس جميعاً إلى نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ والوعد بالإجابة والوعيد بالرد.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب عام لجميع الناس من أهل الكتاب وغيرهم، ومتفréع على الآيات السابقات بعد ظهور الحجة والبرهان وشهادة الله بنبوة نبينا ﷺ بما مرّ فآن وقت دعوة كافة الناس إلى رسالته ﷺ وإنّها عمّم الخطاب لصلاحية المدعو إليه وهو الإيمان بالرسول أو لعموم الرسالة.

(قد) حرف تحقيق.

(جاءكم) فعل ماض ومفعول به، والضمير يرجع إلى كافة الناس.

١. تفسير العياشي ١/٤٥٦، ح ٣١٠.

٢. تفسير القمي ١/٢٣٤، ذيل ح ٣٣.

٣. الكافي ٢/٣٩٢، ح ٤٢٤/١.

﴿الرَّسُولُ﴾ فاعلٌ. وهو نبِيٌّ مُحَمَّدٌ ﷺ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ.

بِالْحَقِّ جار و مجرور متلقي بحال محدوفة من **«الرَّسُولُ»** تقديره: **«مُحَكّماً»** أو بمعنى «معه الحق». المراد بالحق هنا الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً. وعن أبي جعفر عليه السلام: بولاية منْ أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بولايته. ١

﴿ حرف جر بیانی ﴾

﴿رَيْتُمْ﴾ مجروره ومضاف إليه. والجار والمجرور متعلق بحال مذوقة من ﴿الحق﴾.

﴿فَتَفْرِيْعٌ عَلَى مَجْمِيْعِ النَّاسِ أَنَّهُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾.

﴿أَمْنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. بِمُحَمَّدٍ ﷺ وكتابه ودينه وشريعته، وبكلمة واحدة ﴿أَمْنُوا﴾ بالإسلام.

﴿حَيْرًا﴾ مفعول به منصوب بفعل مذوف نحو: أئتوا، أو صفة لمفعول مطلق مذوف تقديره: ﴿فَعَامِنُوا﴾ إيماناً ﴿حَيْرًا لَّكُم﴾. أو خبراً لفعل ناقص مذوف تقديره: ﴿فَعَامِنُوا﴾ يكن الإيمان ﴿حَيْرًا لَّكُم﴾.

وعلى أي حال: ترغيب وتحبيب لها وعد ودعوة إلى الإيمان لأن الإنسان بفطرته يميل إلى الخير ويطلبه. وتنكير الخير يدل على الاطلاق فيشمل جميع خير الدنيا والآخرة. فالخير كلّ الخير يوجد تحت الإيمان ومن الصفات الالازمة للإيمان هو الخير.

«لَكُمْ» جار و مجرور متعلق بصفة محدوفة من «خَيْرًا».

﴿وَأَسْتَنْفِي وَبَعْدَهَا وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لِمَنْ رَدَ الدُّعَوةُ إِلَى الْإِيمَانِ وَكُفْرِهِ﴾

﴿إن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَكُفِّرُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. «أي أن تجحدوا نبوته

وتکذبوا رسالته ﷺ وما جاء به عند الله فإنّ ضرر ذلك يعود عليكم دون الله^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومحروم متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ المقدم وتقديمه يفيد الحصر.

﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخر.

﴿فِي الْسَّمَوَاتِ﴾ جار ومحروم متعلق بفعل مذدوج تقديره: استقر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿الْسَّمَوَاتِ﴾.

قال صاحب الميزان رحمه الله: «﴿إِنْ تَكُفُّرُوا﴾ لم يزد كفركم عليكم شيئاً، ولا ينقص من الله سبحانه شيئاً، فإن كل شيء مما في السماوات والأرض لله فمن المحال أن يسلب منه تعالى شيء من ملكه فإن في طباع كل شيء، مما في السماوات والأرض أنه لا شريك له فكونه موجوداً وكونه مملوكاً شيء واحد بعينه، فكيف يمكن أن ينزع من ملكه تعالى شيء وهو شيء؟»

والآية من الكلمات الجامعة التي كلّما أمعنت في تدبرها أفادت زيادة لطف في معناها، وسعة عجيبة في تبيانها، بإحاطة ملكيه تعالى على الأشياء وآثارها تعطي في الكفر والإيمان والطاعة والمعصية معاني لطيفة، فعليك بزيادة التدبر فيها»^٢.

وبالجملة: «تدل الآية الكريمة على أن الكافر مُكابر لفطرته وعقله، فإنّه كيف يتأتى منه الكفر مع علمه بأنّ له تعالى ما في السماوات والأرض»^٣.

﴿وَكَانَ﴾ استثنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقصٌ. ﴿لِلَّهِ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾.

﴿عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾ بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو

١. التبيان / ٣٩٨.

٢. الميزان / ٥١٤٩ و ١٤٨.

٣. مواهب الرحمن / ١٠٢١١.

معصيته. «حَكِيمًا» في أمره إياكم ونبيه عما نهاكم عنه^١.
وبعبارة أخرى: «إنه تعالى عالى عالى بجميع الأمور ومحيط بمخلوقاته إحاطة علمية لا يخفى عليه إيمان أحد ولا كفر آخر، حكيم في أفعاله، فلم يخلق عباده عبثاً، فإذا أمر الإنسان بالإيمان، فلعلمه بأنه خير له، وإنه يعذّب الكافر لأنّه استكبر ولم يؤمن»^٢.

رواية

صحيفة أبي حمزة عن أبي جعفر عليهما السلام قال: نزل جبرئيل عليهما السلام بهذه الآية هكذا:
 «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا» (آل محمد حقهم) «لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهِمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ حَلَّدِينَ فِيهَا أَبْدًا * وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ» (في ولادة علي) «فَإِنَّمَا خَيَّرَ لَكُمْ وَإِنْ تَكُفُرُوا» (بولادة علي) «فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^٣.
 تحمل على تعين المصادر والتطبيق والتأويل لا على التعریف كما هو الواضح.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَنِيَّةُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَثَةٌ أَنْتُمْ أَنْتُمُ الْمُسَيَّبُونَ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

خطاب لأهل الكتاب عامة وللنصارى خاصة لأن اليهود كانوا يغلون في تحرير

١. التبيان / ٣٩٨.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢١١.

٣. الكافي / ٢، ٣٩٢ ح (٤٢٤ / ١).

النبي عيسى عليه السلام وإهانته ورموه بها يمس كرامته والنصارى كانوا ولا يزالون يُغلون في تعظيمه وتقديسه وجعلوه رباً وآله وإنما له سبحانه وتعالى عما يقول المشركون.
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أداء نداء. **﴿أَهْلَ﴾** منادي منصوب.

﴿الْكِتَبِ﴾ مضاد إليه. وقد مر شمول **﴿أَهْلَ الْكِتَبِ﴾** هنا للفريقين اليهود والنصارى ولا وجه لتخصيصه بالنصارى.

﴿لَا تَغْلُوا﴾ فعل نهي مجزوم وفاعله. الغلو: هو تجاوز الحق والإفراط في الشيء وأصله كل شيء تجاوز حدّه يقال: غلافان في الشيء يغلو غلواً وغلا بالجارية عظمها ولحمها: أي إذا اسرعت الشباب وتجاوزت لذاتها.^١

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ جار و مجرور ومضاد إليه. ويتعلق الأوّلان بـ **﴿لَا تَغْلُوا﴾**. والغلو في الدين لا يختص بأهل الكتاب بل يمكن دخول أهل كل دين فيه حتى المسلمين شيعة وسنة، ولذا لا بد الاحتراز من هذه المفسدة العظيمة، وإن كانت الآية الشريفة تختص بأهل الكتاب ولكن البلية عامّة.

﴿وَ﴾ عاطفة. **﴿لَا تَقُولُوا﴾** معطوف على **﴿لَا تَغْلُوا﴾**.
﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ **﴿لَا تَقُولُوا﴾**. خاصة وبالنسبة إلى دينكم عامة.

﴿إِلَّا﴾ أداء حصر. **﴿الْحَقُّ﴾** مفعول به.
﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. مركبة من «إن» المشبهة بالفعل و «ما» الزائدة الكافية التي أبطلت عمل «إن». وحرف حصر يأتي مخصوصها متأخراً دائماً.
«تخصيص بعد تعميم الخطاب لأهل الكتاب، تطبيقاً لما بيّنه ذلك من نفي الغلو وعدم نسبة شيء الله جل شأنه إلا الحق، والخطاب موجّه للنصارى التي غلت في

ال المسيح ﷺ واعتقدت فيه الأباطيل»^١.

﴿الْمَسِيحُ﴾ مبتدأ. و معناه: المبارك وأصله «الممسوح نقل من مفعول إلى فعال. سماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب.

وقيل مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه. وهو قول مجاهد.

وقال أبو عبيدة: هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحاً، فعربت فقيل المسيح، كما عرب سائر أسماء الأنبياء في القرآن، نحو إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى.

وقال قوم ليس هذا مثل ذلك، لأن إسماعيل وإسحاق وما اشبههما أسماء، لا صفات. والمسيح صفة ولا يجوز أن يخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بما يفهم، فعلم بذلك أنها كلمة عربية.

وقال إبراهيم: المسيح الصديق وأما المسيح الدجال فإنه أيضاً بمعنى الممسوح العين صرف من مفعول إلى فعال فمعنى المسيح في عيسى ﷺ الممسوح البدن من الأدنس والآثام. ومعنى المسيح في الدجال الممسوح العين اليمنى أو اليسرى كما يروي عن النبي ﷺ في ذلك»^٢.

﴿عِيسَى﴾ بدل من ﴿الْمَسِيحُ﴾ وتصريح باسمه لإبطال مادة الخلاف.

﴿أَبْنُ﴾ بدل ثان لـ ﴿الْمَسِيحُ﴾ أو صفة له.

﴿مَرْيَم﴾ مضاد إليه و من نوع من الصرف للعلمية والتأنيث. تصريح باسم الأم «ليكون أبعد من التفسير والتأنيل بأيّ معنى مغایر، ولن يكون دليلاً على كونه إنساناً مخلوقاً كأيّ إنسان ذي أم»^٣. وهي تدلّ على بطلان ما زعموه فيه من البنوة له جل

١. مواهب الرحمن ١٠/٢١٣.

٢. التبيان ٣/٤٠٠.

٣. الميزان ٥/١٤٩.

شأنه»^١.

﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه والمحصور. يعني لا يكون شأنه إلا أنه ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ وبيان لنفي البنية والاتحاد والحلول، والرسول يمكن أن يكون إنساناً عادياً كسائر رسل الله.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَلِمَتُهُ﴾ معطوفة على ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ ومضاف إليه. جميع المخلوقات كلمات الله في عالم التكوين ولكن ﴿الْمَسِيحُ﴾ يختص بفقدان بعض الأسباب العادية في تكوئنه ولادته. المراد بالكلمة قوله تعالى: «إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^٢.

﴿أَلْقَنَهَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. والإلقاء: هو الطرح والإصال، وكان بواسطة الملك على نحو البشارة كما قال الله: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْزِيزُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»^٣.

﴿إِلَيْ مَرِيمَ﴾ جار و مجروره يتعلق بـ ﴿أَلْقَنَهَا﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رُوحٌ﴾ معطوف على ﴿كَلِمَتُهُ﴾. والروح لها معان متعددة^٤ ولكن المراد منه هنا أنه من الأمر كما قال تعالى: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»^٥. وحيث كان المسيح داخل في الكلمة «كن» التكوينية فهي أمرٌ وما كان أمراً فهو روح. وبالجملة: الآية تدل على أنّ المسيح «روحٌ مخلوقة لله تعالى بسبب الكلمة «كن»

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢١٣.

٢. سورة آل عمران / ٤٧.

٣. سورة آل عمران / ٤٥.

٤. أنهاها الشيخ إلى الستة في تبيانه / ٣ / ٤٠١ فراجعه.

٥. سورة الإسراء / ٨٥.

التكوينية التي أودعت في مريم الطاهرة، لا بواسطة نطفة وتوالد.
والآيات المباركة جمِيعاً تدلّ على أنَّ خلق عيسى عليه السلام كان معجزة، وقد تحقّق
بكلمة «كن» التكوينية، من غير دخُل للأسباب العاديَّة التي يجب أن تتحقّق في خلق
سائر أفراد البشر من الأب والنَّكاح وغيرها، قال تعالى: «إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ». ^١

﴿فَتَفَرِّعَ لِمَا بَعْدِهِ عَلَى قَوْلِهِ: إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَقْدَنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

﴿أَمْنُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَمْنُوا﴾ . أي ﴿أَمْنُوا بِاللَّهِ﴾ بالألوهية والربوبية
وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رُسُلِهِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾ من النبي عيسى والأنبياء قبله وبعده عليهما السلام.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَقُولُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَغْلُوا﴾ .

﴿ثَلَاثَةُ﴾ خبر مبتدأ مخدوف تقديره: الآلة ^٢، والجملة في محل نصب
مفوعل به - مقول القول - . والمراد بـ ^٣ الآلة ^٤ الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين حيث
يعتقدونهنَّ الآلة وهم الأب والإبن وروح القدس.

مع أئمَّهم يدعون أنفسهم من المُوَحَّدين ويقولون بالثلثيل ويررون ويؤمنون بالله
الواحد ويقولون بالأقانيم الثلاثة، وأئمَّهم يروون التوحيد عين التثليل والتثليل عين
التوحيد لأنَّهم يذهبون إلى الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة، ولا يررون
التناقض العقلي بين الواحد والثلاث، ثمَّ بعد الاعتراف بالمعارضة بين التوحيد
والثلثيل يقولون: أنَّ التثليل نص إيماني لابدَّ من الإقرار به ولو لم ولن نفهموا معناه،

لأنه وارد في الأنجليل والكتب المقدسة فلا بد من الإيمان به.

بالتالله ترون الفرق بين الدينين، الدين الإسلامي يذهب إلى التوحيد الخالص
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^١ والدين الصراني المحرف يذهب في ابتدائه إلى
التناقض العقلي الواضح ويريد أن يجمع بين الواحد والثلاثة وبعد عدم توفيقه بين
الجمع يقول إنه من الأسرار فلا بد من الإيمان به ولو لم نفهمه.

وتالله ترون الفرق بين الدين الإسلامي الذي لا يوجد خلاف عقلي في نصوصه
المقدسة وعلى فرض - وفرض المحال غير محال - لو وجد يبادر علماء المسلمين إلى
تأويل النص بما لا يتعارض مع قواعد التأويل المقبولة حتى لا يعارض العقل القطعي
الْبَيِّنُ الْمُسَلَّمُ. وبين الدين النصرانية حيث في أول تعاليهم يقولون بالتناقض ومع
ظهور هذا التناقض يصرؤون على أنه نص ديني فلا بد من قبوله وأنه سر من أسرار
النصرانية فلا بد من التسليم له.

فأنتم تحكمون فأي الدينين أحق بالمتابعة والخضوع له ما جعل العقل أساسه أو
ما خالف العقل من أساسه وابتدائه ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^٢.

﴿أَنْتُمْ تُهُوَّا﴾ فعل أمر وفاعله. نهاهم الله تعالى عن مقالتهم الشركية وادعائهم
التشليل.

﴿خَيْرًا﴾ مفعول به.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾. أي إن تنتهو عن القول بالتشليل
لكان ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة تفيد الحصر. وما بعدها تبين للإيمان الصحيح. وهو
القول بالتوحيد الصريح الخالص.

١. سورة آل عمران / ١٨.

٢. سورة يونس / ٣٥.

﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿إله﴾ خبره. ﴿وحيد﴾ تأكيد.

﴿سبحانه﴾ مفعول مطلق منصوب بفعل محذف نحو: أسبح أي أنزهه.
ومضاف إليه.

﴿أن﴾ مصدرية ناصبة. ﴿يكون﴾ فعل مضارع ناقص منصوب.

﴿له﴾ جار و مجرور خبر مقدم ﴿يكون﴾ ﴿ولد﴾ اسم ﴿يكون﴾.

رد آخر على النصارى^١ لأنهم يزعمون أن عيسى ابن الله للإعجاز المعلوم في
ولادته ﴿سبحانه وَتَعَلَّمَ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيرًا﴾^٢ و ﴿مَا أَخْنَدَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^٣ و ﴿لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ﴾^٤.

وينقض عليهم بولادة أبي البشر آدم عليهما السلام كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ حَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٥.

وتنخل مقاليتهم باستحالة الاستيلاد من الواجب تعالى عقلاً كما قرر في محله
علم الكلام وكما بحثنا عنه في أبحاثنا الكلامية. والجملة الآتية حال أو استيناف وعلى
أي الحالين تعليل لنفي الولد عنه سبحانه «فإِنَّ الْوَلَدَ كِيفَمَا فَرَضَ هُوَ الَّذِي يَعْثَلُ الْمَوْلَدَ
فِي سُنْخِ ذَاتِهِ مَتَكُونًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَلُوكًا فِي أَصْلِ ذَاتِهِ
وَآثَارِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْقَيُّومُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَحْدَهُ فَلَا يَأْتِلُهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَلَا وَلَدَ
لَهُ»^٦.

١. لم يذكروا في القرآن الكريم إلا باسم (النصارى) وأماماً تسميهم به (المسيحيين) فهي متأخرة لا أصل لها في المؤثر من الكتاب والسنة.

٢. سورة الإسراء / ٤٣.

٣. سورة الجن / ٣.

٤. سورة الإخلاص / ٣.

٥. سورة آل عمران / ٥٩.

٦. الميزان / ٥١٥٠.

﴿لَهُ﴾ جار و مجرور، خبر مقدم، واللام للملکية الحقيقة.

﴿مَا﴾ اسم موصول، مبتدأ مؤخر، وما بعده كناية ماسوى الله.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار و مجرور متعلق بفعل مذوف: استقر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض. ﴿بِ﴾ حرف جرّ زائد.

﴿أَلَّهُ﴾ مجرور بحرف جرّ ولكنه مرفوع محلاً لأنّه فاعل.

﴿وَكِيلًا﴾ تمييز أو حال. أي ولّيًّا لشئونكم ومدبراً لأموركم.

روايات

معتبرة هُمّران قال: سألت أبا جعفر ع عن قول الله ع: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: هي روح الله مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسيٍ^١.

خبر أبي جعفر الأصم قال: سألت أبا جعفر ع عن الروح التي في آدم ع
والتي في عيسى ع ما هما؟ قال: روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهم، روح آدم ع
وروح عيسى ع^٢.
رجاً السَّنَدِ كُلُّهُمْ يَقُولُ إِلَّا أبا جعفر الأصم لأنه مهمٌّ.

﴿لَنْ يَسْتَنِكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ

يَسْتَنِكْفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ حَمِيعًا﴾

احتياج آخر على نفي الوهية المسيح ع مطلقاً سواء فرض كونه ولداً أو أنه

١. الكافي ١/٣٢٧، ح ١٣٣/١.

٢. التوحيد ٤/١٧١، ح ٤.

ثالث ثلاثة، فإنَّ المسيح عبد الله لن يستنكف أبداً عن عبادته، وهذا مما لا ينكره النصارى، والأناجيل الدائرة عندهم صريحة في أنه كان يعبد الله تعالى، ولا معنى لعبادة الولد الذي هو سخن إله ولا لعبادة الشيء لنفسه ولا لعبادة أحد الثلاثة لثالثها الذي ينطبق وجوده على كل منها»^١.

﴿لَن﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿يَسْتَكْفِفُ﴾ فعل مضارع منصوب. أي لم يأنف ولن يستكبر ولن ينقض ولن يمتنع. «وأصله في اللغة من نكفت الدمع: إذا نحيته باصبعك من خدك»^٢.

﴿الْمَسِيحُ﴾ فاعله، وهو عيسى بن مريم كما صرَّح به في الآية السابقة.
﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدرى.

﴿يَكُونَ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمها ضمير مستتر.
﴿عَبْدًا﴾ خبر ﴿يَكُونَ﴾. والعبودية لا تجتمع مع الألوهية لأنَّهما نقيضان.
﴿إِلَهًا﴾ جار ومحروم متعلق بصفة مخدوفة من ﴿عَبْدًا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، والجملة بعدها استطرادية لأنَّ جماعة من المشركين يقولون أنَّ الملائكة بنات الله فتنغيها الآية الشريفة بهذه الجملة الاستطرادية.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿الْمَلَئِكَةُ﴾ معطوف على ﴿الْمَسِيحُ﴾. ﴿الْمَقْرَبُونَ﴾ صفة.

ثمَّ التعبير «عن عيسى عليه بال المسيح، وكذا توصيف الملائكة بالمقررين مشعر بالعلية لما فيهما من معنى الوصف، أي إنَّ عيسى لن يستنكف عن عبادته وكيف يستنكف وهو مسيح مبارك؟ ولا الملائكة وهم مقربون؟ ولو رجى فيهم أن يستنكفوا لم يبارك الله في هذا ولا قرب هؤلاء، وقد وصف الله المسيح أيضاً بأنه مقرب في قوله:

١. الميزان ٥/١٥٠ و ١٥١.

٢. التبيان ٣/٤٠٤.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾^١ ٢».

﴿وَ﴾ استئنافية أو حالية، والجملة ما بعدها في موضع التعليل لما قبلها. «أي وكيف يستنكف المسيح والملائكة المقربون عن عبادته والحال أن الذين يستنكفون عن عبادته ويستكبرون من عباده من الإنس والجن والملائكة يحشرون إليه جمِيعاً، فيجزون حسب أعمالهم، والمسيح والملائكة يعلمون ذلك ويؤمنون به ويتقونه»^٣.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَسْتَكْفِفُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط. مرّ معناه.

﴿عَنْ عَبَادَتِهِ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَسْتَكْفِفُ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَكْبِرُ﴾ معطوفة على ﴿يَسْتَكْفِفُ﴾. «الاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق بمعنى أن يجعل نفسه كبيرة فوق ما هي عليه غروراً وإعجاباً لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد حصوله»^٤.

ثم أضاف إلى الاستنكاف الاستكبار «لأنّ مجرد الاستنكاف لا يوجب السخط الإلهي إذا لم يكن عن استكبار كما في الجهلاء المستضعفين، وأما المسيح والملائكة فإنّ استنكافهم لا يكون إلا عن استكبار لكونهم عالمين بمقام ربهم، ولذلك اكتفى بذكر الاستنكاف فحسب فيهم، فيكون معنى تعليل هذا بقوله: ﴿وَمَن يَسْتَكْفِفُ عَنْ عَبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ﴾، أنهم عالمون بأنّ من يستنكف عن عبادته (الخ)»^٥.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها في محل جزم لأنّها جواب الشرط.

١. سورة آل عمران / ٤٥.

٢. الميزان / ٥١.

٣. الميزان / ٥١.

٤. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٢.

٥. الميزان / ٥١.

﴿سَهْ﴾ حرف استقبال للتسويف القريب.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي فسيبعثهم يوم القيمة.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿سَيَحْشُرُهُمْ﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من المحشورين. أي المستنكفين المستكبارين كانوا أئم العابدين الله تعالى شأنه.

شأنه نزوها

«روي أنّ وفد نجران قالوا لنبينا: يا محمد لم تعيّب صاحبنا! قال: ومن أصحابكم؟ قالوا: عيسى عليه السلام. قال: وأيّ شيء أقول: فيه؟ قالوا: تقول آنّه عبد الله رسوله، فنزلت الآية»^١.

تنبيهُ لهم

قال الشيخ مغنيه: «وأغرب ما قرأت قول بعض المبشرين والمستشارين: إنّ محمداً أخذ تعاليمه من الإنجيل والأحبار، وسأل هؤلاء: هل أخذ محمد هاتين الآيتين، وما إليهما من الآيات والأحاديث التي كفرت النصارى، ونعت عليهم ما اعتقدوا وما حرفوا من دين السيد المسيح عليه السلام، هل أخذ محمد هذه التعاليم من الإنجيل ورجالات الكنيسة في عصره؟ ... إذن، يكون هذا إعترافاً منهم بالكفر على أنفسهم...»^٢.

١. مجمع البيان / ٣ / ١٤٦.

٢. التفسير الكاشف / ٢ / ٥٠٢.

﴿فَإِمَّا الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّى هُمْ أُجُورَهُمْ وَنَزِدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَإِمَّا الَّذِينَ آسَتَنَكُفُوا وَأَسْتَكَبُرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَتَحْدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٧٣

«تفصيل» بعد إجمال لبيان الجزاء المترتب على كل واحد من الفريقيين المستنكفين المستكبرين عن عبادته، وغيرهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يستنكفوا عن عبادة الله تعالى، وإنما قدّمهم تعظيمًا لجزائهم وتنويعها بشرفهم^١. ويمكن أن تعد الآية الشريفة ردًا ثالثًا على آباء الكنيسة وهي رد النظرية الفداء - أي فداء المسيح لأجل كفاره ذنوب جنس آدم أو آدم عليهما فقط حيث أنهم يسرّون ذنب آدم عليهما إلى أبنائه وذراته وأجل تلك يسمون المسيح الفادي - لأن الله تعالى في هذه الآية الشريفة عذرًا ببني آدم على القسمين بالنسبة إلى الإيمان والعمل الصالح فلكلّ منها جزاء عمله من الثواب والعقاب وأنهم لا يأخذون بذنب غيرهم بلا فرق بين آدم عليهما أو غيره فتأمل في ما ذكرناه بدقة.

(ف) تفريعية. (أمًا) حرف شرط وتفصيل وتأكيد.

(الَّذِينَ) اسم موصول، مبتدأ. (إِمَّا مُؤْمِنُوا) فعل ماض وفاعله.

(وَ) عاطفة. (عَمِلُوا) معطوف على (إِمَّا مُؤْمِنُوا). (الصَّالِحَاتِ) مفعول به.

(ف) واقعة في جواب الشرط، والجملة الفعلية بعدها خبر مبتدأ (الَّذِينَ).

(يُوَفَّى هُمْ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أول. أي يؤتى لهم وافيًا تماماً لأن «الوفية هي الاستيفاء تماماً من غير نقص». أي يعطى لهم أجورهم من غير

أن ينقص منها شيئاً أصلاً، جزاء لإنهم وأعماهم الصالحة»^١.

﴿أَجُورَهُم﴾ مفعول به ثانٍ ومضارف إليه. أي: جزاء أعماهم الصالحة. « وإنما عَرَبَ بِكَثَرَةِ عَنِ الْجَزَاءِ بِالْأَجْرِ، لِبَيَانِ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ مَحْفُوظَةَ لِدِيهِ جَلَّ عَظَمَتْهُ، وَقَدْ اسْتَوْفَاهَا مِنْهُمْ تَامًا، فَسِيجُدُونَ عَوْضَهَا عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَذَلِكُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَطْفِهِ وَرَعْيَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَزِيدُهُم﴾ معطوف على ﴿يُوفِيهِم﴾.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ جار ومحروم ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَزِيدُهُم﴾.

«يعني ﴿يَزِيدُهُم﴾ ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب عليها من الفضل، والزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لأنّه وعد على الحسنة عشر أمثلها من الثواب، والزيادة على ذلك تفضل من الله عليهم، وإن كان كل ذلك من فضله إلى عباده. وقد روي أنّ الزيادة إلى سبعين ضعفاً وإلى سبعمائة وإلى ألفين وكل ذلك جائز على ما يختاره الله ويفعله»^٣.

وبعبارة أخرى: «فيزيد المؤمنين العاملين في أجورهم بتضييفها أضعافاً مضاعفة؛ لأنّه الجود الكريم ذو المتعظيم، وإطلاق الزيادة يشمل جميع أنحائه كماً وكيفاً ومدة، وفي جميع العوالم، فلا يعلم مقدارها ولاكتنها أحد إلا الله تعالى»^٤.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَمَّا﴾ الحرف وما بعدها معطوف على ﴿أَمَّا﴾ في صدر الآية.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿أَسْتَكْفُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي امتنعوا وأنفوا.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٤.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٤.

٣. التبيان / ٣ / ٤٠٥.

٤. مواهب الرحمن / ٣ / ٢٢٤.

﴿أَسْتَكْبِرُوا﴾ معطوف على ﴿أَسْتَكْفُوا﴾ «معناه أَنَّ الَّذِينَ يَأْنِفُونَ عَنِ الْاَقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى الاعْتَرَافِ بِعِبُودِيَّتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ التَّذَلُّلِ لَهُ، وَتَسْلِيمِ رَبِّيَّتِهِ﴾.^١

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الفعلية بعدها خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾ صفة. أي مؤلماً موجعاً.

﴿وَ﴾ حالية، وما بعدها حال لـ ﴿الَّذِينَ أَسْتَكْفُوا وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة ربهم وذهبوا إلى ألوهية المسيح والملائكة أو غيرهما.

﴿لَا يَحْدُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿لَا يَحْدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومحور مضارف إليه متعلق بـ ﴿لَا يَحْدُونَ﴾. أي ﴿مِنْ﴾ غير ﴿اللَّهِ﴾.

﴿وَلِيًّا﴾ مفعول به، لـ ﴿أَنَّهُمْ بِمُقَاتَلَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ﴾ - ألوهية المسيح - خرجوا من ولایة الله تعالى شأنه. فلا يجدون لأنفسهم ﴿وَلِيًّا﴾ يلي أمرهم ويدبرها وينجيهما من عقابه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿نَصِيرًا﴾ معطوف على ﴿وَلِيًّا﴾. أي ناصراً ينقذهم من عذابه.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرُّهُنٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾

«خطاب من الله (تعالى) لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر أصناف

الملل الذين قصّرَ قصصهم في هذه السورة من اليهود والنصارى والمرشِكين»^١. و «نداء ربوي إلى الناس كافة، يحبّب إليهم الإيمان بعد الجولة الطويلة مع الزائغين والكافرين، إنه نداء يرشدهم إلى الكمال المنشود الذي أعدّه الله تعالى لهم، إنه نداء توجيه وتربيّة، تعدّ الأمة إعداداً كاملاً لتحمل الأمانة الكبرى، وتحتل الصدارة بين الأمم، إنه نداء للتحبّب وليس للإنذار والتخييف، فقد تضمّن هذا الخطاب العطف والرحمة من ربّ رؤوف رحيم، يعلم جميع مصالح عباده، ويدعوهم فيه إلى ما يسعدهم في الدُّنيا والآخرة، ولأجل ذلك كان هذا الخطاب وحدهم، دون أن يذكر في مقابلها جزاء الكافرين والمعاندين.

والآية المباركة تدلّ على أنّ الحجّة قد تمتّ على الناس ولزمتهم، فلم يبق بعد ذلك عذر لمتعرّر، ولا علة لمتعلّل، وقال تعالى: ﴿فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَيِّنُ﴾^٢ وقدّم قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِغَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ أَرْرُسْلٍ﴾^٣.
 ﴿يَا﴾ أداة نداء. ﴿أَى﴾ منادي، مبنيٌ على الضم في محل نصب.
 ﴿هَا﴾ زائدة للتنبيه. ﴿النَّاسُ﴾ بدل من ﴿أَى﴾ أو عطف بيان منها.

﴿قَدْ﴾ حرّف تحقيق. ﴿جَاءَكُم﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. أي أتاكم.
 ﴿بُرْهَنٌ﴾ مصدرٌ وفاعل. أي بيان للحجّة ويأتي بمعنى الفاعل في ما إذا أطلق على نفس الدليل والحجّة ومنه إطلاقه على الرسول الخاتم ﷺ. والظاهر أنّ المراد به محمد ﷺ بقرينة وقوع الآية في ذيل الآيات المبينة لصدق النبي في رسالته ولأنّه «برهان عظيم، ومظهر الحقّ، ومصداق العدل والقسط بين حقيقة الشريعة وواقعها

١. التبيان / ٣ / ٤٠٦.

٢. سورة الأنعام / ١٤٩.

٣. سورة النساء / ١٦٥.

٤. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٥.

٥. كما ورد في الرواية الآتية.

بسيرته العملية، فهو معلم البشرية حقائق العلوم الإلهية، والتوجيهات الربوبية، ومظهر [أسماء]^١ الخالق العظيم، ومعجزة الدهر، فهو خير برهان وأتم دليل، قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»^٢.

و «يعني أتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما أمركم به، وهو محمد ﷺ جعله الله حجة عليكم، وقطع به عذركم»^٤.

«مِنْ رَبِّكُمْ» جار و مجرور و مضارف إليه متعلق بـ «جَاءَكُمْ» أو بصفة مخدوفة من «بُرَاهِنْ» أي «مِنْ» الله «رَبِّكُمْ».

«وَ» استئنافية. «أَنْزَلْنَا» فعل ماض وفاعله.

«إِلَيْكُمْ» جار و مجرور متعلق بـ «أَنْزَلْنَا».

«نُورًا» مفعول به. الظاهر أنّ المراد به القرآن الكريم بقرينة «أَنْزَلْنَا». «وَإِنَّمَا سَاهَ نُورًا لِمَا فِي الدِّلَالَةِ عَلَى مَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ وَنَهَا عَنْهُ وَالاَهْتِدَاءُ بِهِ تَشْبِهُ بِالنُّورِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ»^٥.

قال علي بن إبراهيم القمي: النور إمامه على أمير المؤمنين.^٦
بمعنى أنّ إمامته عليه السلام أحد مصاديق ما أنزل في القرآن الكريم بإطلاقه عليها كإطلاق الكل على الجزء.

«مُبَيِّنًا» نعت. يعني بين لكم المحجة الواضحة والسبيل الهدية. قال الشيخ:

١. في المصدر «صفات».

٢. سورة الأحزاب / ٢١.

٣. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٦.

٤. التبيان / ٣ / ٤٠٦.

٥. التبيان / ٣ / ٤٠٦.

٦. تفسير القمي / ١ / ٢٣٤.

«وفي الآية دلالة على أن كلام الله محدث^١، لانه وصفه بالإنزال فلو كان قد يأذن لما جاز ذلك عليه»^٢.

روایاتان

عن عبدالله بن سليمان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾؟ قال: البرهان محمد عليه وآله السلام، والنور عليه عليه السلام^٣.
قال الطبرسي: قيل: النور: ولایة علي عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام^٤.
قد مرّ معنى الروایتين آنفاً.

﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ ءامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيِّدُ الْخُلُّمُ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَهَدَىٰهُمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ ١٧٥

«هذا إخبار من الله ووعد منه لمن صدق الله وأقر بوحدانيته، واعترف بما بعث به نبيه محمدًا عليه السلام من أهل الملل، واعتصم به وتمسك بالنور الذي أنزله إلى نبيه»^٥.
و «بيان لثواب من اتبع برهان ربّه والنور النازل من عنده».

والآية كأنها منتزة من الآية السابقة المبينة لثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أعني قوله ﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّىٰهُمْ أُجُورُهُمْ وَيَرِيدُهُمْ مَنْ فَضَلَّهُ﴾، ولعله لذلك لم يذكر ه هنا جزاء المخالف من تبعية البرهان

١. يفتح الدليل المهمة.

٢. التبيان ٣/٤٠٦.

٣. تفسير العياشي ١/٤٥٧، ح ٣١١.

٤. مجمع البيان ٣/١٤٧.

٥. التبيان ٣/٤٠٧.

والنور، لأنّه بعينه ما ذكر في الآية السابقة، فلا حاجة إلى تكراره ثانيةً بعد الإشعار بأنّ جزاء المتبين ه هنا جزاء المتبين هنالك، وليس هنالك إلا فريقان: المتبون والمتخلفون».^١

وبعبارة أخرى: «بيان لثواب من اتبع برهان ربّه، وآمن بالنور الذي أنزله على الرسول ﷺ، وذكرنا أنّ هذه الآية الشريفة من المواقع المعدودة في القرآن الكريم التي يذكر فيها جزاء المؤمنين الصادقين وإيمانهم، ولم يذكر فيها جزاء الكافرين والمعاندين؛ لأنَّ أسلوب الخطابُ أسلوب التَّحْبُب والرأفة، لأنَّه ~~يَكْتُب~~ ذكر جزاءهم في الآيات السابقة، وقد كان معهم جولة طويلة في هذه السورة، ولا أنه جلّ شأنه أراد أن يكون خاتماً لهذا السورة - باستثناء آية الكلالة - بالذكر الجميل والثواب الجزييل والعطف والرحمة، دون الخوف والخيبة.

والآية الشريفة تبيّن حقيقة الإيمان المطلوب من الناس، وهي الإيمان بالله العظيم وحده لا شريك له، حسبما أوجبه البرهان الذي جاءهم دون ما يقترحه أهل الزيف والضلال».^٢

﴿فَ﴾ عاطفة تفريعية. ﴿أَمَّا﴾ حرف شرط وتفصيل وتأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿إِمْنَوْا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿إِمْنَوْا﴾. وكفروا بالمقالات الفاسدة الشركية بالنسبة إلى المسيح عليه السلام والملائكة وغيرهما وقالوا بالتوحيد الخاص القراء. وهذه القسمة من الآية الشريفة تبيّن الجانب العقائدي وهو الإيمان بالله وحده.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَعْتَصَمُوا﴾ معطوف على ﴿إِمْنَوْا﴾. والاعتصام هو التمسك بما يعصى

١. الميزان / ٥١٥.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٧.

ويحفظ.

﴿بِهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَعْتَصُمُوا﴾ والضمير يرجع إلى ﴿نُورًا﴾ في الآية السابقة، وقد مرّ في قوله تعالى: «وَمَن يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»^١ أَن المراد بالاعتصام الأخذ بكتاب الله والاتباع لرسوله ﷺ.^٢

وهذه القسمة من الآية تبيّن الجانب العملي وهو الاعتصام لأنّه «لا يتحقّق إلّا بالعمل بكتاب الله واتباع رسوله العظيم ﷺ وإطاعتها حقّ الطاعة».^٣

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَ﴾ حرف استقبال للتسويف القريب.

﴿يُدْخِلُهُم﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿فِي رَحْمَةٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿سَيِّدِ خَلْقِهِم﴾.

﴿مِنْهُ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة مخدوفة من ﴿رَحْمَة﴾. ورحمته تعالى هي جنته.

وحاصله: «ستنالهم رحمته التي تنجيهم من عقابه، وتوجب لهم ثوابه، وجنته، ويالحقهم ما لحق أهل الإيمان به، والتصديق لرسله».^٤

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿وَفَضْلٍ﴾ معطوف على ﴿رَحْمَة﴾. ومعناه مرادف لما مرّ من قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٥ وهو الإحسان الزائد على الجزاء وهو لا يقدر بقدر.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها من آثار الاعتصام بالله كما مرّ آنفاً.

﴿يَهِيدِيهِم﴾ معطوف على ﴿سَيِّدِ خَلْقِهِم﴾ تعرّب إعرابها.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَهِيدِيهِم﴾ والضمير يرجع إلى ﴿الله﴾ تعالى.

١. سورة آل عمران / ١٠١.

٢. الميزان / ٥ / ١٥٢.

٣. مawahib الرحمن / ١٠ / ٢٢٧.

٤. التبيان / ٣ / ٤٠٧.

٥. سورة النساء / ١٧٣.

﴿صِرَاطًا﴾ مفعول به.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نعت. والمراد به «هو الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده»^١ و«الهدى إلى صراط المستقيم من أعظم عنایات الله تعالى على من يشاء من خلقه، وقد خصّ بها الأنبياء العظام عليهم السلام والأولياء الكرام وبعض الخالص من عباده»^٢.

قال علي بن إبراهيم القمي: وهم الذين تمسّكوا بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.^٣

رواية

وفي ذيل خبر عبد الله بن سليمان الماضي، قال: قلت له: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ قال: الصراط المستقيم على عليه السلام.^٤

قد وردت ثلاثون رواية على أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الصراط المستقيم.^٥

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ رَأْحَتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَيْنِ فَلَهُمَا أَلْثَلَانِ إِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ بَيْنِ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

بَيَّنَتِ الآية فرائض الكلاله وهم هنا إخوة الميت وأخواته لأبيه وأمه أو لأبيه

١. التبيان / ٣ / ٤٠٧.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٢٨.

٣. تفسير القمي / ١ / ٢٣٤.

٤. تفسير العياشي / ١ / ٤٥٧، ح ٣١١.

٥. راجع عوالم العلوم، القسم الثاني من المجلد ١٥ / ١٥ (٣٠-١٩).

فقط، وقد مر في الآية الثانية عشرة من هذه السورة سهام كلالة الميت لأمه فلا يعيدها فقد استعملت «الكلالة» في القرآن الكريم مرتين فقط.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. أي يسألونك يا محمد ﷺ أن تفتيهم في الكلالة كما يدل عليه الجواب.

وطلب الفتوى من علامات الإيمان والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ وأوصيائه عليهما السلام.

﴿قُل﴾ فعل امر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا رسول الله محمد ﷺ .

﴿الله﴾ مبتدأ. فالمفتى هو ﴿الله﴾ لأنّه هو الشارع في الشريعة الإسلامية المقدّسة.

﴿يُفْتِيْكُم﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

﴿في الكلالة﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يُفْتِيْكُم﴾ . الكلالة في اللغة الإحاطة ويراد بها قرابة الإنسان ماعدا العمودين ويطلق على الميت المورث والحي الوارث وقد مر إن المراد بها هنا إخوة الميت وأخواته لأبيه وأمه أو لأبيه فقط.

﴿إن﴾ حرف شرط جازم. ﴿أمرؤا﴾ فاعل لفعل مذوف يفسره الفعل الآتي.

﴿هَلَكَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر في محل جزم لأنّه فعل الشرط. أي مات، إشارة إلى أنّ من لا ولد له هالك.

﴿ليـس﴾ فعل ماضٍ ناقصٌ.

﴿لـدُ﴾ جار و مجرور في محل نصب لأنّه خبر ﴿ليـس﴾ مقدّماً.

﴿ولـد﴾ اسم ﴿ليـس﴾ . والجملة ﴿ليـس لـه، ولـد﴾ في محل رفع صفة لـ ﴿أمرؤا﴾ أو حال من ضمير ﴿هـلـكـ﴾ فتكون تفسيراً لـ ﴿الـكـلـالـة﴾ اطلاق الولد يشمل الذكر والأنثى كما يشمل الأحفاد والأسباط.

﴿وـ﴾ حالية والجملة بعدها حال من ضمير ﴿هـلـكـ﴾ أو من ﴿أمرؤا﴾ .

﴿لـهـ﴾ جار و مجرور، خبر مقدم.

﴿أخت﴾ مبتدأ مؤخر، الأخت الشقيقة وهي الأخت من الأب والأم ومع عدمها تقوم مقامها الأخت من الأب فقط - لا من الأم فقط لأن سهتمها مرّ في الآية ١١ من السورة وإذا لم يكن مع الأخت الشقيقة أو من الأب أحد من الورثة تأخذ النصف بالفرض والنصف الباقى بالرد و «تنفرد وحدها بجميع التركة عند الشيعة سواء أكان للميت عصبة أو لم يكن، أما السنة فيعطون النصف الباقى للعصبة إن كان، وإنما أخذت الأخت جميع التركة، فالخلاف بينهم وبين الشيعة في حال وجود العصبة فقط»^١.

﴿ذ﴾ واقعة في جواب الشرط والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط.

﴿لها﴾ جار و مجرور، خبر مقدم. ﴿نصف﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿ما﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة. أو مصدرية.

﴿ترك﴾ فعل ماض و فاعله. أي نصف ما تركه الميت من الميراث إذا كانت ﴿ما﴾ موصولة، وإذا كانت ﴿ما﴾ مصدرية تقديره: نصف التركة.
و منه يظهر سهم الأخت من أختها أيضاً نصف ماترك لأن لو كانت لها فريضة أخرى لذكرت.

﴿و﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿هو﴾ مبتدأ.

﴿يرثها﴾ فعل مضارع و فاعله ومفعول به، والجملة خبر.

﴿إن﴾ شرطية. ﴿لم﴾ حرف نفي و جزم و قلب.

﴿يُكُن﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لـ ﴿هَا﴾.

﴿هَا﴾ جار و مجرور خبر ﴿يُكُن﴾.

﴿ولد﴾ اسم ﴿يُكُن﴾. والجملة ﴿لم يُكُن هَا ولد﴾ في محل جزم لأنها فعل الشرط وجوابه مذوق لتقديره: سهم الأخ من أخته المتوفاة جميع ماترك لأن لم

يقيد الميراث وكذلك سهم الأخ من أخيه المتوفى جميع الميراث على جميع المذاهب الإسلامية.

(فَ) استئنافية. (إن) حرف شرط جازم.

﴿كَاتَأَ﴾ فعل ماض ناقص والضمير «ا» اسم «كان». والفعل في محل جزم لأنّه فعل الشرط.

﴿أَتَنْتَنِ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي ﴿كَاتَأَ﴾ أختين بدلاً من أخت واحدة.

(فَ) واقعة في جواب الشرط والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط.

﴿لَهُمَا﴾ جار و مجرور خبر مقدم. ﴿الثَّلَاثَانِ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مِمَّا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿الثَّلَاثَانِ﴾.

﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض وفاعله، وحكم الأخوات أيضاً حكم الاختين.

وإذا كانا أخوين اثنين فلهمَا جميع ما ترک كمَا للاخ الواحد الجميع. وهذا الفرض غير مذكور في الآية الشريفة ولكن يعلم ذلك من ذهاب الأخ الواحد بالجميع وكذلك حكم الأخوة حكم الأخ الواحد.

(وَ) استئنافية. (إن) شرطية.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقصٍ وضمير «واو» اسمه، فعل الشرط.

﴿إِخْوَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿رِجَالًا﴾ تميز أو بدل مفصل من محمل.

(وَ) عاطفة. ﴿نِسَاءً﴾ معطوف على ﴿رِجَالًا﴾.

(فَ) واقعة في جواب الشرط. ﴿لِلذَّكَرِ﴾ جار و مجرور خبر مقدم.

﴿مِثْلُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿حَطِّ﴾ مضاف إليه.

﴿الْأَنْتَشِينِ﴾ مضاف إليه ثان. ﴿يُبَيِّنُ﴾ فعل مضارع.

﴿الَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾.

﴿أَنَّ﴾ مصدرية وما بعدها في محل نصب مفعول لأجله أو نائب عنه.

﴿تَضْلُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي حذر وكراهة ومخافة ﴿أَن تَضْلِلُوا﴾ أو لئلا ﴿تَضْلِلُوا﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿بِكُلِّ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿عَلِيم﴾. ﴿شَيْء﴾ مضaf إلية.

﴿عَلِيم﴾ خبر. أي عالم ﴿بِكُلِّ شَيْء﴾ من مصالح عباده في قسمة مواريثهم. وتفصيل فروع الإرث يطلب من كتاب الفرائض في الفقه.

شأن نزولها

«روى البراء بن عازب [الأنصاري الصحابي المعروف] قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة. وأخر آية نزلت خاصة سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلَّ اللَّهُ يُفْتَيْكُمْ﴾ في آنكللة» وقال جابر بن عبد الله: نزلت في المدينة وقال ابن سيرين: نزلت في مسيرة كان فيه رسول الله ﷺ وأصحابه. واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال سعيد بن المسيب: سأله عمر النبي ﷺ عن الكلالة، فقال: أليس قد ين الله ذلك؟ قال: فنزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلَّ اللَّهُ يُفْتَيْكُمْ﴾ في آنكللة»، وقال جابر بن عبد الله: اشتكتي وعندني تسع أخوات لي أو سبع، فدخل علي النبي ﷺ فنفح في وجهي، فافقت. فقلت: يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: أحسن، ثم خرج وتركني، ورجع إلي فقال: يا جابر إنني لا أراك ميتاً من وجعلك هذا، وأن الله ﷺ قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين. قال: وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيّ. وقال قتادة: إن أصحاب رسول الله ﷺ همّهم شأن الكلالة، فأنزل الله ﷺ فيها هذه الآية»^١.

الروايات

معتبرة بكير عن أبي جعفر عليهما السلام قال: إذا مات الرجل وله أخت، تأخذ نصف ما ترك من الميراث بالأية، كما تأخذ البنت لو كانت، والنصف الباقي يرد عليها بالرحم، إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها.

فإن كان موضع الأخت آخر أخذ الميراث كله بالأية لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ﴾.

فإن كانتا اختين أخذتا الثلثين بالأية، والثلث الباقي بالرحم، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ وذلك كله إذا لم يكن للميت ولد، أو أبوان أو زوجة.^١

صححه زراره قال: إذا ترك الرجل أمّه أو أباه أو ابنه أو ابنته فإذا ترك واحداً من الأربعة فليس بالذى عني الله تعالى في كتابه ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتَيِكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾ ولا يرث مع الأم ولا مع الأب ولا مع الابن ولا مع الابنة أحد خلقه الله تعالى غير زوج أو زوجة.^٢

الرواية مقطوعة لم تنقل من الموصوم شيئاً وروى نحوها العياشى في تفسيره^٣ ولكن رواها الكشى^٤ في رجاله بسنده الصحيح عن زارة عن أبي جعفر عليهما السلام من قوله: «لا يرث مع الأم» إلى آخرها.

صححة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليهما السلام قال: إذا ترك الرجل أباه أو أمّه أو ابنه أو ابنته إذا ترك واحداً من هؤلاء الأربعة فليس هم الذين عني الله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ

١. تفسير القمي ١/٢٣٥، ح ٣٤.

٢. الكافي ١٣/٥٣٤، ح ٢ (٨٣/٧).

٣. تفسير العياشى ١/٤٥٩، ح ٣١٦.

٤. رجال الكشى ١٣٣، ح ٢١١.

يُفْتَيِكُمْ فِي الْكَلَلَةِ) ١.

رواه العياشي في تفسيره مع زيادة: «ليس يرث مع الأم ولا مع الأب ولا مع البنّ إلّا زوج أو زوجة، فان الزوج لا ينقص من النصف شيئاً، إذا لم يكن معه ولد، ولا تنقص الزوجة من الربع شيئاً إذا لم يكن معها ولد»^٢.

معبرة أخرى لـ**بْنِ أَعْيَنَ** قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ الْمَسْكُنُ: امرأة تركت زوجها وإخواتها لأمّها وإخواتها لأبيها فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم وللإخوة من الأمّ الثلث الذكر والأُنثى فيه سواء وبقي سهم فهو للإخوة والأخوات من الأب للذكر مثل حظّ الأُثنين لأنّ السهام لا تعول ولا ينقص الزوج من النصف ولا الإخوة من الأمّ من ثلثهم لأنّ الله عَزَّ ذِلْكَ يقول: «فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْتِلْكَ» وإن كانت واحدة فلها السادس والذى عنى الله تبارك وتعالى في قوله: «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ اُمْرَأً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الْسُّدُسُ» فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْتِلْكَ»^٣ إنما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأمّ خاصة، وقال في آخر سورة النساء: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيَكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ آتَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ» (يعني أختاً لأمّ وأب أو أختاً لأب) فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَيْنِ فَلَهُمَا الْثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ وإن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِئُونُ حَظُّ الْأُثْنَيْنِ» فهم الذين يزادون وينقصون وكذلك أولادهم الذين يزادون وينقصون ولو أنّ امرأة تركت زوجها وإخواتها لأمّها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم وللإخوة من الأمّ سهمان وبقي سهم فهو للأختين للأب وإن كانت واحدة فهو لها لأنّ الأختين لأب لو كانتا أخوين لأب لم يزدا على ما بقي ولو كانت واحدة أو كان مكان الواحدة آخر لم يزد على ما بقي ولا

١. الكافي / ١٣، ٥٧٤، ح ١ (٩٩/٧).

٢. تفسير العياشي / ١، ٤٥٨، ح ٣١٤.

٣. سورة النساء / ١٢.

يزاد أنسى من الأخوات ولا من الولد على ما لو كان ذكرًا لم يزد عليه.^١

معتبرة ثلاثة لبكي قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فسألته عن امرأة تركت زوجها وإخواتها لأمّها وأختها، لأبيها فقال: للزوج النصف ثلاثة أسمهم وللإخوة من الأُمّ الثالث سهمان وللأخت من الأب السادس سهم، فقال له الرجل: فإن فرائض زيد وفرائض العامة والقضاة على غير ذلك يا أبي جعفر يقولون للأخت من الأب ثلاثة أسمهم تصير من ستة تعود إلى ثمانية، فقال أبو جعفر عليه السلام: ولم قالوا ذلك؟ قال: لأن الله تعالى يقول: «وَلَهُ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ» فقال أبو جعفر عليه السلام: فإن كانت الأخت أخاً؟ قال: فليس له إلا السادس، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فما لكم نقسم الأخ إن كتم تحتجون للأخت النصف بأن الله سمي لها النصف فإن الله قد سمي للأخ الكل والكل أكثر من النصف لأنّه قال تعالى: «فَلَهَا نِصْفُهُ» وقال للأخ وهو يرثها يعني جميع مالها إن لم يكن لها ولد فلا تعطون الذي جعل الله له الجميع في بعض فرائضكم شيئاً وتعطون الذي جعل الله له النصف تماماً، فقال له الرجل: أصلحك الله فكيف نعطي الأخ النصف ولا نعطي الذكر لو كانت هي ذكراً شيئاً قال: تقولون في أم زوج وإخوة لأم وأخت لأب يعطون الزوج النصف والأُم السادس والإخوة من الأُم الثالث والأخت من الأب النصف ثلاثة فيجعلونها من تسعه وهي من ستة فترتفع إلى تسعه قال: وكذلك تقولون قال: فإن كانت الأخت ذكراً أخاً لأب قال: ليس له شيء فقال الرجل لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك فما تقول أنت؟ فقال: ليس للإخوة من الأب والأُم ولا الإخوة من الأُم ولا الإخوة من الأب مع الأُم شيء، قال عمر بن أذينة: وسمعته من محمد بن مسلم يرويه مثل ما ذكر بكي المعنى سواء ولست أحفظه بحرفه وتفصيله إلا معناه، قال: فذكرت ذلك لزرارة فقال: صدقًا هو والله الحق.^٢

١. الكافي / ١٣، ح ٤ (١٠١/٧)، ٥٧٩.

٢. الكافي / ١٣، ح ٥ (١٠٢/٧)، ٥٨١.

رواها العياشي مختصرًا في تفسيره.^١

صحيحه أخرى ل محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما تقول في امرأة ماتت وتركت زوجها وإخواتها لأمها وإخوة وأخوات لأبيها؟ فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم والإخوات لأمها الثالث سهمان الذكر والأنثى فيه سواء، وبقي سهم فهو للإخوة والأخوات من الأب للذكر مثل حظ الآتنيين لأن السهام لا تتعول وإن الزوج لا ينقص من النصف ولا الإخوة من الأم من ثلثهم لأن الله يقول: «فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءٌ فِي الْثُلُثِ» وإن كان واحدا فله السادس إنما عنى الله في قوله تعالى: «وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ» إنما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأم خاصة، وقال: في آخر سورة النساء: «يَسْتَفْشُونَكَ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُفْتِي كُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أَخٌ» (يعني بذلك أختاً لأب وأم أو أختاً لأب) فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد «فَإِن كَانَتَا آتَيْتَنِي فَأَهْمَمَا الْثُلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ» وهم الذين يزدادون وينقصون قال: ولو أن امرأة تركت زوجها وأختيها لأمها وأختيها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم ولاختييها لأمها الثالث سهمان ولاختييها لأبيها السادس سهم وإن كانت واحدة فهو لها لأن الآتنيين من الأب لا يزدادون على ما بقي ولو كان أخ لأب لم يزيد على ما بقي.^٢

رواها العياشي^٣ مختصرًا.

معتبة رابعة لبكي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله رجل عن أختين وزوج فقال: النصف والنصف فقال الرجل: أصلحك الله قد سمي الله لها أكثر من هذا لها الثالثان فقال: ما تقول في أخ وزوج؟ فقال: النصف والنصف، فقال: أليس قد سمي الله المال

١. تفسير العياشي ١/٤٥٩، ح ٣١٧.

٢. الكافي ١٣/٥٨٤، ح ٦ (١٠٣/٧).

٣. تفسير العياشي ١/٤٥٨، ح ٣١٥.

فقال: «وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ» .١

حسنة موسى بن بکير قال: قلت لزرارة: إن بکيراً حدثني عن أبي جعفر ع: أن الإخوة للأب والأخوات للأب والأم يزادون وينقصون لأنهن لا يکن أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأم لو كانوا مكانهن لأن الله ع يقول: «إِنْ أَمْرُؤاً هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ» يقول: يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد فأعطوا من سمي الله له النصف كملأً وعمدوا فأعطوا الذي سمى الله له المال كلّه أقل من النصف والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من رجل لو كان مكانها، قال: فقال زرار: وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه .٢

عن بکير بن أعين قال: كنت عند أبي جعفر ع، فدخل عليه رجل، فقال: ما تقول في أختين وزوج؟ قال: فقال أبو جعفر ع: للزوج النصف، وللأختين ما بقي. قال: فقال الرجل: ليس هكذا يقول الناس. قال: فما يقولون؟ قال: يقولون: للأختين الثلثان، وللزوج النصف، ويقسمون على سبعة.

قال: فقال أبو جعفر ع: ولم قالوا ذلك؟ قال: لأن الله سمى للأختين الثلثين، وللزوج النصف.

قال: فما يقولون لو كان مكان الأختين آخر؟ قال: يقولون للزوج النصف، وما بقي فلآخر. فقال له: فيعطون من أمر الله له بالكل النصف، ومن أمر الله بالثلثين أربعة من سبعة.

قال: وأين سمى الله له ذلك؟ قال: فقال أبو جعفر ع: اقرأ الآية التي في آخر السورة «يَسْتَغْفِرُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتَيِكُمْ فِي الْكَلَّاَةِ إِنْ أَمْرُؤاً هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ» .

١. الكافي / ١٣، ٥٨٥، ح ٧٧ (١٠٣/٧).

٢. الكافي / ١٣، ٥٨٧، ح ٩٩ (١٠٤/٧).

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: فإنما كان ينبغي لهم أن يجعلوا لهذا المال للزوج النصف، ثم يقسموا على تسعه.

قال: فقال: الرجل: هكذا يقولون. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: فهكذا يقولون. ثم أقبل على فقال: يا بُكير، نظرت في الفرائض؟ قال: قلتُ وما أصنع بشيء هو عندي باطل؟ قال: انظر فيها، فإنه إذا جاءت تلك كان أقوى لك عليها.^١
وعن حمزة بن حمران قال: سأله أبو عبد الله عليه السلام عن الكلالة، قال: ما لم يكن له والد ولا ولد.^٢

قال الشعبي: اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة وقال أبو بكر: هو ما عدا الولد، وقال عمر: هو ما عدا الوالد.

ثم قال عمر: إني لأستحي من الله أن أخالف أبي بكر.
وقال عمر رضي الله عنهما: لأن يكون النبي صلوات الله عليه وسلم بينهنَّ لكان أحبَّ إلينا من الدنيا وما فيها، الكلالة والخلافة وأبواب الربا.^٣

وهذا القول لا يصحُّ أبداً؛ لأنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم بينَ الثَّلَاثَةَ آتَمَ تَسْبِينَ؛ لأنَّ ذلك من مفاصِدِ ما نَكَفَتِ به الآيةُ الشريفَةُ مِنْ إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِثْمَامِ النُّعْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيمِ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُحَاجِدِينَ.
وقال محمد بن سيرين: نزلت هذه الآية والنبي صلوات الله عليه وسلم في مسيره إلى حجة الوداع، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان [وإلى جنبه عمر] فبلغها النبي صلوات الله عليه وسلم إلى حذيفة وبلغها حذيفة إلى عمر وهو يسير خلف حذيفة، فلما استخلف عمر سأله حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها، فقال له حذيفة: والله إنك لأحق أن ظنت أن إمارتك تحملني أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ لما لقانيها رسول الله صلوات الله عليه وسلم [والله، لا أزيدك عليها شيئاً أبداً] فقال عمر: لم أرد هذا رحمك الله، ثم قال عمر: من كنت بيتهما

١. تفسير العياشي ١/٤٥٧، ح ٣١٢.

٢. تفسير العياشي ١/٤٥٨، ح ٣١٣.

٣. تفسير الكشف والبيان ٣/٤٢١.

لَهُ فِإِنَّهَا لَمْ تَبِينْ لِي وَمَا شَهَدْتُ أَفْهَمْتَهَا لَهُ فِإِنَّ لَمْ أَفْهَمْهَا.^١

وَقَالَ طَارِقُ بْنُ شَهَابٍ: أَخْذَ عُمَرَ كَتْفَانًا وَجَمِيعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:

لِأَقْضِيَنِّ فِي الْكَلَالَةِ قَضَاءً تَحْدَثُ بِهِ النِّسَاءُ فِي خَدْوَرَهَا فَخَرَجَتْ حَيَّةً مِنَ الْبَيْتِ فَتَفَرَّقُوا، فَقَالُوا: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَمَّ هَذَا الْأَمْرُ لِأَتْتَهُ.^٢

وَخَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَدْعُ بَعْدِي شَيْئًا هُوَ أَهْمَمُ مِنَ الْكَلَالَةِ، قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَمَا أَغْلَظَ لِي فِيهَا حَتَّىٰ طَعَنَ النَّاسَ فِي وَقَالَ: تَكْفِيكَ الْآيَةُ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ.^٣

وَالرِّوَايَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْأُخْرَيَةُ كُلُّهَا عَامِيَّاتٌ تَدَلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْخَلِيفَاتَ لَمْ يَفْهَمُوهَا مِنْ الْكَلَالَةِ لَا سِيَّما

الثَّانِي مِنْهُمَا حَتَّىٰ آخِرِ حَيَاتِهِ.

وَهُلُّ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مِنْ الْكَلَالَةِ يَصْلُحُ أَنْ يَجْلِسَ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! «عَمَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».^٤

١. المصنف لعبدالرزاق /١٠ /٤٠٤، ح ١٩١٩٣ باختصار.

٢. تفسير الكشف والبيان /٣ /٤٢٢.

٣. تفسير الطبراني /٦ /٥٨؛ تفسير الكشف والبيان /٣ /٤٢٢؛ وتفسير ابن كثير /١ /٥٩٤.

٤. سورة يونس /٣٥.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

سورة المائدة مدحّيَةٌ كُلّها إِلَّا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^١ فِإِنَّهَا نزلت في حجة الوداع وغدير خم.
بل قيل: آخر سورة نزلت المائدة وهي مائة وعشرون آية.

فضلها

عن زُرارةَ بْنِ أَعْيَنَ عن أبي جعفر ع ، قال: قال عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه: نزلت المائدة قبل أن يُقبض النبي ﷺ بشهرين أو ثلاثة.^٢
عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن عليٍّ ع ، قال: كان القرآن يُنسخ بعضاً، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ باخره، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة، فنسخت ما قبلها، ولم ينسخها شيء، فلقد نزلت عليه وهو على بغلته الشَّهباء، وثقل عليها الوحي حتى وقفت وتدلّ بطنها^٣، حتى رأيت سُرّتها تكاد تمَّ الأرض، وأغمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على ذُوابة^٤ شيبة بن وهب الجُمحي، ثم رُفع ذلك عن رسول الله ﷺ، فقرأ علينا سورة المائدة، فعمل

-
١. سورة المائدة / ٣ .
 ٢. تفسير العياشي ٢ / ٣ ، ح .
 ٣. أي استرسل إلى أسفل .
 ٤. الذِّوابة، الناصية وهي شعر مقدم الرأس .

رسول الله ﷺ وَعَمِلَنَا.^١

فِي خَبْرِ أَبِي الْجَارِودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَفَافُ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَائِدَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ
خَمِيسٌ لَمْ يَلِسْ إِيمَانُهُ بَظْلَمٌ وَلَمْ يُشْرِكْ [بِهِ] أَبْدًا.^٢

رَوَى مَثْلُهَا فِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ.^٣

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْثَّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ يَقُولُ نُزِّلَتِ الْمَائِدَةُ
كَمْلًا وَنُزِّلَتْ مَعَهَا سِبْعَوْنَ أَلْفَ مَلْكًا.^٤

صَحِيحَةُ زَرَارةِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَفَافُ قَالَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ: جَمِيعُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ
أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الْكَفَافُ وَفِيهِمْ عَلَيْهِ الْكَفَافُ وَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَينِ؟ فَقَامَ الْمُغَиْرَةُ
بْنُ شَعْبَةَ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسِحُ عَلَى الْخَفَينِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: قَبْلُ
الْمَائِدَةِ أَوْ بَعْدُهَا؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: سَبْقُ الْكِتَابِ الْخَفَينِ إِنَّمَا أُنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ
قَبْلَ أَنْ يَقْبَضَ بِشْهَرِيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ.^٥

عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَائِدَةَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ
بَعْدَ كُلِّ يَهُودِيٍّ وَنَصَارَىٰ يَتَنَفَّسُ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَشَرَ حَسَنَاتٍ وَمَا عَنْهُ عَشَرَ سَيِّئَاتٍ
وَرُفِعَ لَهُ عَشَرَ درَجَاتٍ.^٦

وَرَوَى الْكَفْعَمِيُّ مَثْلُهَا فِي الْمَصَبَاحِ.^٧

وَحِيثُ أَنَّهَا آخِرُ مَا نُزِّلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَهَا أَهْمَىَّ خَاصَّة.

١. تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ ٢/٣، ح.

٢. ثَوَابُ الْأَعْمَالِ ١/١٣١.

٣. تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ ٢/٤، ح.

٤. مُجْمَعُ الْبَيَانِ ٣/١٥٠.

٥. التَّهْذِيبُ ١/٣٦١، ح.

٦. مُجْمَعُ الْبَيَانِ ٣/١٥٠؛ وَرَوْضَ الْجَنَانَ ٦/٢١٤.

٧. الْمَصَبَاحُ ٤٣٩/.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مر تفسيرها في أول الحمد.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ إِحْلَاتٍ لَكُمْ بِهِمَةٌ أَلَّا نَعْمَمُ إِلَّا مَا يُتَّلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلٍّ الصَّيْدٍ وَإِنْتُمْ حُرُومٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

«خطاب من الله (تعالى) للمؤمنين المترفين بوحدياته تعالى المقربين له بالعبودية المصدقين لرسوله ﷺ في نبوته، وبهذا جاء به من عند الله من شريعة الإسلام، أمرهم الله بإيفاء العقود وهي العهود التي عاهدوها مع الله وأوجبوا على أنفسهم حقوقاً، وألزموا أنفسهم بها فروضاً أمرهم الله تعالى بالإتمام بالوفاء والكمال لما لزمهم».^١

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تفتح السورة بهذا الخطاب العام للمؤمنين الذين يؤمنون بالله وبرسوله ﷺ .

﴿أَوْفُوا﴾ فعل امر وفاعله. مادة وفني «تدل على أحد الشيء وافيًا والبيان به تماماً لا نقض فيه»^٢. والوفاء: القيام بمقتضى الشيء تماماً وتماماً.

﴿بِالْعُقُودِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَوْفُوا﴾. «العقد: العهد الموثق، وأصل العقد: الجمع بين الشيئين بحيث يسر الانفصال بينهما. المراد بالعقود: كل ما عقد

١. التبيان / ٤١٤ .

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٨١ .

الله تعالى على عباده وأزمهم إيه من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وأوصيائه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإتيان بفرائضه ورعاية حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، وكل ما يعده المؤمنون على أنفسهم الله وفيها بينهم من عقود الأمانات والمعاملات وغيرها.

والآية الشريفة تدل على وجوب الوفاء بجميع العقود، ومنها: البيوع والتجارات والمعاملات^١... «والآية الشريفة بإطلاقها تدل على وجوب الوفاء بالعقود والعقود الإجتماعية والاقتصادية. ومنها: المعاملات والبيوع والتجارات. وتدل على صحة العقود والعقود والمعاملات بل تدل على وجوب الوفاء بها.

وبالجملة: مضافاً إلى استفادة صحة العقود والعقود من الآية الشريفة، يستفاد منها وجوب الوفاء بها، يعني الالتزام واللزموم والوفاء والإيفاء بالعقود والعقود. وهذا الأمر - المستفاد من هذه الآية - لا يستفاد من الآيتين المذكورتين سابقاً^٢، وهذا أمر مهم. أي أن الوفاء بالعقود والعقود لازم لا يجوز تركه إلا بالدليل. يعني الآية تدل على لزوم البيع والمعاملات^٣.

﴿أَحِلَّتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، الإحلال: الإباحة.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿أَحِلَّتْ﴾ والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿بَهِيمَةُ﴾ نائب فاعل. وهي في اللغة: الحيوان الذي لا نطق له لما في صوته من الإبهام ولا يستعمل في الطير.^٤ «البهيمة»: اسم جنسٍ لكل ذات الأربع من دواب البرّ

١. الآراء الفقهية ١/١٤ للمؤلف.

٢. هما سورة البقرة / ٢٧٥ ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْع﴾ وسورة النساء / ٢٩ ﴿تَجَرَّدَ عَنْ تَرَاضٍ﴾. اللتان مرّ توضيحيهما في كتاب الآراء الفقهية ١/١١ و ١٣.

٣. الآراء الفقهية ١/١٥.

٤. التفسير الكافش ٦/٣

والبحر، سميت بها لعدم تمييزها وإبهام الأمر عليها، والجمع بهائم وهم^١.
﴿الأنعام﴾ مضاف إليه. واضافتها بيانية. والأنعام: جمع نعم وهي الدواب
المعروفة.

والأنعام: هي الأبل والبقر والغنم والمعز الأهلية والوحشية والظباء والحمير
والخيول.

﴿إلا﴾ أداة استثناء. ﴿ما﴾ موصولة في محل نصب مستثنى.

﴿يُتَّلِّ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿عليكم﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿يُتَّلِّ﴾. أي إلا ما حرمه الله تعالى في كتابه كما
في هذه الآية والآية الثالثة من هذه السورة وما ورد في السنة الشريفة.

﴿غير﴾ حال من الضمير ﴿لكم﴾.

﴿مُحِلٍ﴾ مضاف إليه. أي ﴿غير﴾ معتبريه حلالاً.

﴿الصَّيْد﴾ مضارف إليه ثان. مصدر بمعنى المفعول. أي يحرم عليكم هذا الذي
حلال صيده إذا كنتم في حال الإحرام.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنْتُم﴾ مبتدأ.

﴿حُرُم﴾ خبر، جمع حرام بمعنى المحرّم اسم فاعل.

﴿إِنَّ﴾ الحرف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿الله﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة الفعلية إلى آخر الآية خبر ﴿إِنَّ﴾.
﴿ما﴾ موصوله، مفعول به.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي «إن الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما
يريد تحليله، وتحريم ما يريد تحريمه، وأيجاب ما يريد إيجابه. وغير ذلك من أحکامه

وقضاياها، فافعلوا ما أمركم به، واتهوا عنّا نهائكم عنه»^١.

الروايات

صحيحية عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» قال: أي بالعقود^٢. ونحوها في تفسير العياشي.^٣

خبر ابن أبي عمير عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في قوله: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» قال: إنّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عقد عليهم لعلي عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن، ثم أنزل الله: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام.^٤ صحيحية محمد بن مسلم قال: سألت أحد هم عليه السلام عن قول الله تعالى: «أَحِلَّ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَمِ». فقال: الجنين في بطنه أمه إذا أشعّر وأوبر فذاته ذكاة أمه فذلك الذي يعني الله تعالى.^٥

رواه العياشي^٦ والصدوق^٧ والشیخ^٨.

عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام ، عن علي عليه السلام ، قال: ليس في القرآن «يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا» إلا وهي في التوراة، يا أباها

١. البيان /٣، ٤١٧.

٢. تفسير القمي /١، ٢٣٦، ح.

٣. تفسير العياشي /٢، ٤، ح.

٤. تفسير القمي /١، ٢٣٦، ح.

٥. الكافي /١٢، ١٨٢، ح ١ (٢٣٤/٦).

٦. تفسير العياشي /٢، ٥، ح.

٧. الفقيه /٣، ٣٢٨، ح ٤١٧٥؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام /٢، ١٢٤، ح ١.

٨. التهذيب /٩، ٥٨، ح ٢٤٤.

المساكين.^١

روى نحوها في عيون أخبار الرضا ^{عليه السلام} وصحيفة الرضا ^{عليه السلام}.^٢

عن جعفر بن أحمد، عن العمراني بن علي، عن علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى ^{عليه السلام}، عن علي بن الحسين ^{عليه السلام}، قال: ليس في القرآن **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** إلّا وهي في التوراة: يا أيّها المساكين.^٣

عن عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرَهُ **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** إلّا ورَأَسُهَا عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^{عليه السلام}.^٤

عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس، قال: مَا نَزَّلَتْ **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** إلّا وعَلَيْهِ شَرِيفُهَا وَأَمْرِهَا؛ وَلَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامِ فِي غَيْرِ مَكَانٍ، وَمَا ذَكَرَ عَلَيْهَا ^{عليه السلام} إلّا بَخِيرٌ.^٥

عن زرارة، عن أبي جعفر ^{عليه السلام}، في قوله تعالى **﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾** قال: هي الأجنّة التي في بُطُون الأنعام، وقد كان أمير المؤمنين ^{عليه السلام} يأمر ببيع الأجنّة.^٦

عن وَهْبٍ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ^{عليه السلام}: أَنَّ عَلَيْهِ سُئِلَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْفِيلِ وَالْدُّبِّ وَالْقِرْدِ، فَقَالَ: لِيَسْ هَذَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الَّتِي تُؤْكَلُ؟^٧

عن المُفْضِلِ، قال: سَأَلْتُ الصَّادِقَ ^{عليه السلام} عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ**

١. تفسير العياشي / ٢، ٤، ح.

٢. عيون أخبار الرضا ^{عليه السلام} / ٢، ٣٩، ح ١١٩.

٣. صحيفة الرضا ^{عليه السلام} / ٢٣٥، ح ١٣٦.

٤. تفسير العياشي / ٢، ٥، ح.

٥. تفسير العياشي / ٢، ٤، ح.

٦. تفسير العياشي / ٢، ٤، ح.

٧. تفسير العياشي / ٢، ٥، ح.

٨. تفسير العياشي / ٢، ٥، ح.

﴿الْأَنْعَمُ﴾، قال: البهيمة ها هنا الولي، والأنعام: المؤمنون.^١

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلِو شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الْشَّهْرُ الْحَرَامُ وَلَا أَهْدَى وَلَا الْقَلْتَبِ
وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَّتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا تَجْرِي مِنْكُمْ شَيْئًا قَوْمٌ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْقَوْمِ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾

جدد الله خطاب المؤمنين بما ينهاهم أن يحلوا «شعير الله» وحرمات الله وأن لا يضيعوا فرائضه وعليهم أن يراقبوا حدود الله من حرماته وواجباته.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تجديد خطاب للمؤمنين.

﴿لَا تُحْلِو﴾ فعل نهي وفاعله. «الإحلال هو الإباحة الملزمة لعدم المبالغة بالحرمة والنزلة، ويتعين معناه بحسب ما أضيف إليه: فإن إحلال شعائر الله عدم احترامها وتركها، وإحلال الشهر الحرام عدم حفظ حرمتها والقتال فيه، هكذا»^٢.

﴿شعير﴾ مفعول به «جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة، واستيقافها من قوله: شعر فلان بهذا الأمر: إذا علم به، فالشعار المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. والإضافة تشريفية. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد. ﴿الشَّهْرُ﴾ معطوف على ﴿شعير﴾.

١. تفسير العياشي ٢/٥، ح ١٣.

٢. الميزان ٥/١٦٢.

٣. التبيان ٣/٤١٩.

﴿الْحَرَام﴾ نعت. أي «لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾^١. «وَالْأَشْهُرُ الْحُرُمُ» في الإسلام أربعة، واحد فرد وهو شهر رجب، وثلاثة سردي وهي ذو القعده، وذوالحجّة، والمحرم^٣ الحرام. وإفراده في المقام لإرادة الجنس»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد.

﴿الْهَدَى﴾ معطوف على ﴿شَعِير﴾. «الهدي جمع واحد هدية وأصله هدية وهو ما هداه الإنسان من بغير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت الله تقرباً به إلى الله تعالى) وطلباً لثوابه يقول الله: لا تستحلوا ذلك فتغصبوه أهله عليه، ولا تحولوا بينهم وبين ما اهدوا من ذلك إلى بيت الله أن يلغوه محله من الحرم، ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله له. وهو كعبته»^٥.

﴿وَلَا الْقَاتِد﴾ حرف عطف وحرف زائد ومعطوف على ﴿شَعِير﴾.

﴿الْقَاتِد﴾ «جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي في عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدي للحج فلا يتعرض له»^٦.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو «واو» حالية.

﴿لَا﴾ ناهية، حذف معumoها اختصاراً: أي من قوم.

﴿ءَآمِين﴾ معطوف على شعائر أو حال. «﴿ءَآمِين﴾ جمع آم اسم فاعل من أم إذا

١. سورة البقرة / ٢١٧.

٢. التبيان / ٣ / ٤١٩.

٣. هذا هو الصواب المنصوص عليه في معجمات اللغة، بإضافة الألف واللام. أمّا ما شاع من تجزيده من هذين الحرفين بصورة (محرم) فهو خطأ شائن.

٤. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٩١.

٥. التبيان / ٣ / ٤١٩.

٦. الميزان / ٥ / ١٦٢.

قصد والمراد به القاصدون لزيارة»^١.

﴿الْبَيْتُ﴾ مفعول به اسم فاعل «اءِ آمِينَ». ﴿الْحَرَامَ﴾ نعت.

﴿يَتَغَوَّنَ﴾ فعل مضارع وفاعله، الجملة الفعلية حال من قوم «اءِ آمِينَ» أو صفة لـ «اءِ آمِينَ». يبتغون أي يطلبون.

﴿فَضْلًا﴾ مفعول به. والفضل أعم من الأجر الأخروي والربح المالي.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومحرر ومضاف إليه. متعلق بصفة مذكورة من «فضلاً».

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رِضْوَانًا﴾ معطوف على «فضلاً». أي يطلبون رضا ربّ.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان مستقبل يتضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿حَلَّمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي «إذا» خرجتم من الإحرام.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَصْطَادُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والأمر عقیب الحظر لا يدلّ على أزيد من الإباحة - كما هو مقرر في موضعه - وَ حَظْرُهُ ورد في الآية السابقة ﴿غَيْرَ مُحْلَّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾ فعل ثنيٍ و «نون» التأكيد الثقيلة ومفعول به. ﴿لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنكم، جرمته: حمله، «الجريمة للمعصية محمولة من حيث وبها وللعقوبة المالية وغيرها لأنّها محمولة على المجرم»^٢. وأصله: القطع.

﴿شَنَآنُ﴾ فاعل، ﴿شَنَآنُ﴾: العداوة والبغض.

﴿قَوْمٌ﴾ مضاد إلىه.

﴿أَنَ﴾ مصدرية ناصبة.

١. الميزان / ٥ . ١٦٢ .

٢. الميزان / ٥ . ١٦٢ .

﴿صَدُوكُم﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعولُ به. (أن) مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع بدل من ﴿شَنَان﴾ أو عطف بيان له تقديره: صدّهم إياكم. ويمكن أن يكون في محل نصب مفعولاً له.

﴿صَدُوكُم﴾: معنوكم.

﴿عَنِ الْمَسِيدِ الْحَرَامِ﴾ جار ومحرور ونعت، متعلق بـ ﴿صَدُوكُم﴾.

(أن) مصدرية ناصبة.

﴿تَعَتَّدُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. (أن) مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر مفعول به ثان ﴿لَا يَجِدُونَكُم﴾.

معناه: «لا يحملنكم عدواة قوم وهو أن معنوكم ﴿عَنِ الْمَسِيدِ الْحَرَامِ﴾ أن تعَتَّدو﴾ عليهم بعد ما أظهركم الله عليهم»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿تَعَاوَنُوا﴾ فِعْلٌ أَمْرٍ وفاعله، «التعاون [كما تَدْلُّ عَلَيْهِ صِيغَةُ (تَفَاعَلَ)] غير الإعانة، التعاون عبارة عن اجتماع أشخاص لإيجاد أمر من المعصية أو الطاعة كعدم مسجد أو بنائه، ولذا ينسب الفعل إلى الجميع لا إلى الشخص الواحد، بخلاف الإعانة التي هي عبارة عن تهيئة مقدمات فعل الغير مع استقلاله في فعله، كإعطاء الخشب لمن أراد أن يصنع آلة له أو قمار. وبين الإعانة والتعاون بون بعيد، والأية الشريفة تدلّ على حرمة التعاون على الإثم والعدوان، ولكن الإعانة غير التعاون فلا تدلّ على حرمة الإعانة»^٢.

﴿عَلَى الِّبِرِ﴾ جار ومحرور متلّق بـ ﴿تَعَاوَنُوا﴾، ومعنى ﴿الِّبِرِ﴾ معلوم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. الميزان / ٥ / ١٦٣.

٢. الآراء الفقهية / ١ / ٢٠٠ للمؤلف.

﴿الْتَّقْوَى﴾ معطوف على ﴿الْبَرِ﴾. و ﴿الْتَّقْوَى﴾ هي مراقبة الله في أوامره ونواهيه، وهذه الجملة أثبتت سنة إسلامية مهمة جدًا وهي سنة التعاون ﴿عَلَى الْبَرِ وَالْتَّقْوَى﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَعَاوَنُوا﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿تَعَاوَنُوا﴾ الإثم: الذنب والمعصية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْعُدُوَّنِ﴾ معطوف على ﴿الْإِثْمِ﴾. ﴿الْعُدُوَّنِ﴾: «التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمان من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم»^۱.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَتَقُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿الله﴾ مفعول به.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿الله﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿شَدِيدُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿الْعِقَابِ﴾ مضاف إليه. تعليل لما سبق من الأمر بالتقوى ومراعاة أحكام الله وحدوده. أو تأكيد بعد تأكيد.

شأن نزولها

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي مانصه بالفارسية: «آیت در حطم آمد و این لقب مردی است نام او شریع بن ضبیعه بن هند بن شرحبیل. و قصه او آن بود که او به مدینه آمد و جماعتی که با او بودند ایشان را بیرون مدینه رها کرد و او تنها در مدینه رفت و به نزدیک رسول شد و گفت: إلى ما تدعوا؟ تو مردمان را با چه دعوت می‌کنی؟ رسول ﷺ گفت: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصّلوة وایتاء الزّكوة» با آن که گواهی دهنده که خدای یکی است و نماز کنند و زکات مال بدهند. او گفت:

این نیکوست که تو گفتی جز که مرا امیرانی هستند که من بی استطاع رأی ایشان کاری نکنم به ایشان مشورت کنم و باز آیم. و همانا باشد که ایشان را با خود بیارم و رسول ﷺ پیش از آن که او درآمد، اصحابان را گفته بود: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ رَبِيعَةَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ». مردی از ربیعه درآید و به زبان شیطان سخن گوید. چون برون رفت رسول ﷺ [گفت] «دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ وَخَرَجَ بِعَقِبَيْ غَادِرٍ وَما الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ»، گفت: این مرد به روی کافری درآمد و به عقب و عاقبت غادری می‌رود؛ این مرد مسلمان نیست. چون بیرون رفت به گله مدینه بگذشت. گله براند و این بیت‌ها رجز می‌گفت:

| | |
|--|---|
| بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالْزَمَ | بَا تُوا نِياماً وَابْنٌ هِنْدٌ لَمْ يَنَمْ |
| قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٍ | خَدَاجُ السَّاقِينَ خَفَّاقُ الْقَدَمِ |
| وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمِّنَ | لَيْسَ بِرَاعِي إِبْلٍ وَلَا غَنَمْ |
| هذا أَوَانُ الشَّدَّ فَأَشْتَدَّ زِيَمْ | |

چون سال دیگر بود به حج آمد با حاجیان بکر بن وایل از یمامه و تجاری بسیار و مالی عظیم با او بود. مسلمانان گفتند: حطم اینک! ومال بسیار با خود دارد رها کن ما را تا او را بکشیم و مال او به عوض چهارپای خود برداریم. رسول ﷺ [گفت]: روا نباشد که او در حرم است و ماه حرام است و او هدی آورده است و تقلید کرده روا نباشد. گفتند: ای رسول الله! ما در جاھلیت چنین بسیار کرده‌ایم. خدای تعالی این آیت فرستاد: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءاْمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَرَبَرَ اللَّهِ﴾؛ ای آنان که ایمان آورده‌اید حلال مدارید شعایر خدای^۱.

۱. هذه الأبيات لشاعر عري قديم وقد تمثل بها الحجاج بن يوسف التتفيفي لعنة الله عند صعوده المنبر في العراق وقتل من كان من المسلمين في المسجد الأعظم والحكاية مشهورة في كتب التاريخ.
۲. روض الجنان / ٦ ٢٢٣ و ٢٢٤.

روايات

خبر موسى بن بكر بن دايب عمن حدثه عن أبي جعفر عليه السلام أن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام دخل على أبي جعفر محمد بن علي ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم وينبئونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه الكتب ابتداء منهم، أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقربتنا من رسول الله عليه السلام وما يجدون في كتاب الله عز وجل من وجوب موذتنا وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء، فقال له أبو جعفر عليه السلام، إن الطاعة مفروضة من الله عز وجل وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منا والموذدة للجميع، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول، وقضاء مفصول، وحتم م قضي وقدر مقدور، وأجل مسمى لوقت معلوم، فلا يستخفنك الذين لا يؤمنون، إنهم لن يغنو عنك من الله شيئاً، فلا نعجل، فإن الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقن الله فتعجزك البالية فتصرعك، قال: فغضب زيد عند ذلك، ثم قال: ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخي سترة وثبط عن الجهاد ولكن الإمام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حرمه، قال أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتها إليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله أو حجة من رسول الله عليه السلام أو تضرب به مثلاً، فإن الله عز وجل حلالاً وحراماً وفرض فرائض وضرب أمثالاً وسن سنناً ولم يجعل الإمام القائم بأمره شبهة فيما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله، أو ي jihad في قبيل حلوله، وقد قال الله عز وجل في الصيد: ﴿لَا تَقْتُلُوا الْأَصَيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾^١ أقتل الصيد أعظم أم قتل النفس التي حرم الله. وجعل لكل شيء حلالاً وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَّتْ

فَاصْطَادُوا^١ وَقَالَ رَبُّكُمْ: «لَا تُحْلِو شَعْبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ»^٢ فَجَعَلَ الشَّهُورَ عَدَّةً مَعْلُومَةً فَجَعَلَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ حِرْمَانًا وَقَالَ: «فَسِيَحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ»^٣، ثُمَّ قَالَ تَبَارِكَ وَتَعَالَى: «فَإِذَا أَشْلَخْتُمُ الْحَرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^٤ فَجَعَلَ لِذَلِكَ مَحْلًا وَقَالَ: «وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»^٥ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مَحْلًا وَلِكُلِّ أَجْلٍ كِتَابًا. فَإِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رِبِّكَ وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِكَ وَتَبِيَانٍ مِنْ شَأْنِكَ، فَشَأْنَكَ وَإِلَّا فَلَا تَرُوْمَنَ^٦ أَمْرًا أَنْتَ مِنْهُ فِي شَكٍّ وَشَبَهَةٍ، وَلَا تَعْطِاطُ زَوَالَ مَلْكٍ لَمْ يَنْقُضْ أَكْلَهُ، وَلَمْ يَنْقُطِعْ مَدَاهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَلَوْ قَدْ بَلَغَ مَدَاهُ وَانْقَطَعَ أَكْلَهُ وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، لَأَنْقَطَعَ الْفَصْلُ وَتَتَابَعُ النَّظَامُ وَلَا يَعْتَبِرُ اللَّهُ فِي التَّابَعِ وَالْمَتَبَعِ الدُّلُّ وَالصَّغَارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ إِمَامٍ ضَلَّ عَنْ وَقْتِهِ، فَكَانَ التَّابَعُ فِيهِ أَعْلَمُ مِنَ الْمَتَبَعِ، أَتَرِيدُ يَا أَخِي أَنْ تُحْبِي مَلَةً قَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَصَمُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ وَادَّعُوا الْخَلَافَةَ بِلَا بَرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ وَلَا عَهْدٍ مِنْ رَسُولِهِ؟! أَعِذْكَ بِاللَّهِ يَا أَخِي أَنْ تَكُونَ غَدًا مَصْلُوبًا الْكَنَاسَةَ.

ثُمَّ أَرْفَضَتْ عَيْنَاهُ وَسَأَلَتْ دَمْوعَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ هَنْكَ سَتَرَنَا وَجَحَدَنَا حَقًّنَا وَأَفْشَى سَرَّنَا وَنَسَبَنَا إِلَى غَيْرِ جَدَنَا وَقَالَ فِينَا مَا لَمْ نَقْلِهِ فِي أَنْفُسِنَا^٧.

وَرَوَا مُخْتَصِرَهَا فِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ.^٨

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ عَلِيِّهِ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَنْسَخْ مِنْهَا (أَيْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ) شَيْءٌ، لَأَنَّهُ لَا يَحْجُزُ

-
- ١. سورة المائدة / ٢.
 - ٢. سورة المائدة / ٢.
 - ٣. سورة التوبة / ٢.
 - ٤. سورة التوبة / ٥.
 - ٥. سورة البقرة / ٢٣٦.
 - ٦. فَلَا تَرُوْمَنَ: أَيْ لَا تَطْلَبُنَ.
 - ٧. الكافي ٢/٢٠٦، ح ١٦ (٣٥٦/١).
 - ٨. تفسير العياشي ٢/٦، ح ١٤.

أن يبدأ المشركون في أشهر الحرم بالقتال إلّا إذا قاتلوا.^١

«حُرِّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُرْتَدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقِسُوا بِالْأَرْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيَوْمِ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» ﴿٢﴾

«بعد ما أحلّ سبحانه وتعالى بهيمة الأنعام وأسس قواعد النظام العام، وأمر بالتعاون لحفظ الاجتماع من الضياع وتحقيق السعادة، ذكر تعالى في هذه الآية الشريفة الأمور التي استثنها آنفًا من الحكم العام مما وعد بتلاوتها في القرآن الكريم، وهي عشرة أشياء، وأحلّها في حال الاضطرار والمحمصة.

ثم بيّن يَعْلَمُ أنّ هذا الدين قد كمل بتشريع أحکامه وتأسيس دعائمه وأركانه، فأخبر سبحانه وتعالى بأنّه قد أتمّ نعمته على المؤمنين أن نصب عليهم من يحفظ لهم دينهم ويقيم شعائره وأحكامه، فرضي لهم الإسلام دينًا ومنهجًا قوياً ليس له بديل، بل لا يسعهم غيره؛ لأنّه لم ينقصه شيء فليطمئن المؤمنون بأنّه لا يصيب هذا الدين أذى من أعدائه - الذين ما برحوا في تقويض أركانه وهدم كيانه - فلا تخشوهم، بل لابدّ أن تكون الخشية من الله العزيز المتعال باتّباع تعاليمه وطاعة من نصبه يَعْلَمُ هادياً لهم يهدّيهم بأمره جل شأنه، فإنّ الله غفور رحيم، يغفر لهم ذنوبهم ويرحّمهم برحمته،

فيفدفع عنهم كيد الأعداء وصوارف الزمان، ودواهي الأشرار والفحّار»^١.
«حُرِّمت» فِعْلٌ ماضٍ مبنيٌ للمجهول. بيان لقوله تعالى «إِلَّا مَا يُتَنَزَّلُ عَلَيْكُمْ»^٢.
«عَلَيْكُمْ» جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ بـ «حُرِّمت».
«الْمَيْتَةُ» نائٌ فاعلاً. «وَ» عاطفة.

(أَلَّمْ وَلَحِمَ الْخَنِزِيرَ) معطوفان بواوي العطف على «الميّة» مضاف إليه.

(وَ) عاطفة. (مَا) موصولة في محل رفع معطوفة على «الميّة».

(أَهِلَّ) فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر. الأهلال: رفع الصوت والمراد به ذكر ما يذبح له للإصنام بل ما سوى الله تعالى.

(لِغَيْرِ) جار و مجرور متعلق بـ (أَهِلَّ). (اللَّهُ) مضاف إليه.

(بِهِ) جار و مجرور متعلق بـ (أَهِلَّ).

«هذه الأربعية مذكورة فيها نزل من القرآن قبل هذه السورة ك سورتي الأنعام والنحل وهم ما مكّيتان، وسورة البقرة وهي أول سورة مفصلة نازلة بالمدينة قال تعالى: ﴿فُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ حُرْمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمِنْ أَضْطَرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^٣ وقال تعالى: «إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمِنْ أَضْطَرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^٤.

والآيات جميعاً - كما ترى - تحرّم هذه الأربع المذكورة في صدر هذه الآية وتماثل الآية أيضاً في الاستثناء الواقع في ذيلها بقوله: «فَمَنْ أَصْطَرَ فِي مُحَنَّصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٣٣٠

٢. سورة المائدة / ١

١٤٥ / سورة الأنعام .

٤. سورة البقرة / ١٧٣

الإِثْمُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فـآلـيـةـ المـائـدـةـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـعـانـيـ المشـتـرـكـةـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ تـلـكـ مـؤـكـدـةـ لـتـلـكـ الـآـيـاتـ.

بل النهي عنها وخاصة عن الثلاثة الأول أعني الميّة والدم ولحm الخنزير أسبق تشريعاً من نزول سورتي الأنعام والنحل المكثتين، فإن آية الأنعام تعلل تحريم الثلاثة أو خصوص لحم الخنزير بأنه رجس، فتدل على تحريم أكل الرجز، وقد قال تعالى في سورة المدثر وهي من السور النازلة في أول البعثة : «وَأَلْرُجَزَ فَاهْجُرْ»^١.

وكذلك ما عده تعالى بقوله ﴿وَالْمُنْحَقَّةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ الْأَسْعَعُ﴾ جميماً من مصاديق الميتة بدليل قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ﴾ فإنها ذكرت في الآية لنوع عنایة بتوضیح أفراد الميتة ومزيد بيان للمحرمات من الأطعمة من غير أن تتضمن الآية فيها على تشريع حديث.

وكذلك ما عده الله تعالى بقوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقِسُمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ فإنّها وإن كانا أول ما ذكر في هذه السورة لكنه تعالى علل تحريمها أو تحريم الثاني منها - على احتمال ضعيف - بالفسق، وقد حرم الفسق في آية الأنعام، وكذا قوله ﴿غَيْرُ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ يدل على تحريم ما ذكر في الآية لكونه إثماً، وقد دلت آية البقرة على تحريم الإثم، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَذَرُوهُ ظَهِيرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَبْطَئُ وَالْأَثْمُ﴾.

فقد اتضح وبان أن الآية لا تشتمل فيها عدته من المحرمات على أمر جديد غير مسبوق بالتحريم فيها تقدم عليها من الآيات الملكية أو المدينة المتضمنة تعداد محرمات الأطعمة من اللحوم ونحوها»^٤.

١. سورة المدثر / ٥

١٢٠ . سورة الأنعام / ٢

٣٣. سورة الأعراف /

٤. الميزان / ١٦٣ و ١٦٤

﴿وَعَاطِفَةٌ وَمَا بَعْدُهَا بِيَانٌ لِمَصَادِيقِ الْمِيتَةِ الَّتِي حَرَّمْتِ فِي الشَّرِعِ وَهِيَ خَمْسَةٌ﴾
﴿الْمُنْتَخِبَةُ﴾ معطوفة على ﴿الْمَيْتَةُ﴾، والمراد بها: «ما مات خنقاً، والختنق حبس
النفس بأي سبب كان اختياراً من الفعل للإنسان أو غير اختياري، كما إذ وقعت في
الماء أو أدخلت رأسها بين خشبتين ونحو ذلك مما يوجب زهوق الروح.

والتأنيث هنا وفي الميّة لأنّها وصف لبهيمة الأنعام^١.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ معطوفة. وهي التي تضرّب بعضاً أو نحوها حتّى تموت.
﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ معطوفة. وهي التي ترددت أي سقطت من مكان عالٍ كشاهد
جبل أو بئر ونحوهما.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ معطوفة، فعلى معنى مفعول. وهي التي تموت عن نطح حيوان
آخر أي تنطحها أخرى.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي ما تبقى من فريسة الحيوان المفترس. والسّبع: اسم جنس
يشمل كلّ وحشٍ ضارٍ يَعْدُو^٢ على الإنسان وغيره أو يفترسها كالأسد والنمر والذئب
ونحوها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، والاستثناء يرجع إلى جميع الخمسة الماضية من مصاديق الميّة
قبل زهاق روحهنّ بل يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره إلّا ما لا يقبل الذكرة من الخنزير
والدم كما ذهب إليه أمير المؤمنين على عَلَيْهِ السَّلَامُ^٣.

﴿مَا﴾ موصولة في محل نصب مستثنى.

﴿ذَكَيْمٌ﴾ فِعْلٌ ماضٌ وفاعله. التذكية: هي فري الأوداج الأربع على الحيوان
الحي ولو كانت حياته غير مستقرة وتعرف حياته بحركة ذنب أو أثر تنفس أو حركة

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٣٣٤.

٢. مِنْ الْعَدُوِّ وَهُوَ مُجَاوِزُ الْحَدِّ فِي الظُّلْمِ وَالْأَعْتِدَاءِ.

٣. كما ورد في التبيان / ٣ / ٤٣١.

عِينٌ أَوْ نَحْوُهَا.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿ذِيَّح﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر.

﴿عَلَى النُّصُب﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿ذِيَّح﴾. ﴿النُّصُب﴾ جمع نصب وهي حجارة نصبٌ وَعِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَذْبَحُونَ لَهَا وَعَلَيْهَا، وَأَهْلُ الْجَاهْلِيَّةِ يَعْظِمُونَهَا وَيَقْدِسُونَهَا وَلَيْسَ بِالْأَصْنَامِ لَأَنَّ الْأَصْنَامَ مَصْوَرَةٌ وَالنَّصْبُ غَيْرَ مَصْوَرَةٌ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَن﴾ مصدرية.

﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. الاستقسام هو طلب القسمة، والقسمة: افراز النصيب. فالمراد بها هنا: قسمة اللحم بما يأني.

﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾. ﴿الْأَزْلَمِ﴾ جمع زلام وهي القداح التي لا ريش لها.

«والاستقسام بالأزلام في المقام هو طلب النصيب من الجزور بضرب القداح، وذلك أئمّهم كانوا يعمدون على الجزور فيجزئونه عشرة أجزاء ثم يجمعون عليه **فَيُخْرِجُونَ السَّهَامَ** فيدفعونها إلى رجل.

والسهام: عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أغفال لا انصباء لها (حال من الكتابة)، وكانوا يضربون بها مقامرة، ولذا جعل ذلك القسمة بها ميسراً، وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَرَبِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^١ بعض الكلام^٢. ويأتي تفصيله في صحيحه أبيان بن تغلب الآتية.

﴿ذَلِكُمْ﴾ مبتدأ، «يتحتمل الاشارة إلى جميع المذكرات، والاشاره إلى الآخرين

١. سورة البقرة/٢١٩.

٢. مواهب الرحمن/٢٣٨/١٠.

المذكورين بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ﴾ لحيلولة الاستثناء، والإشارة إلى الآخر^١، والأول خير الثلاثة عندي.
﴿فِسْقٌ﴾ خبر.

﴿آتَيْوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿يَبْسَ﴾ ما بعده ولليوم اطلاقات مختلفة والمراد به هنا اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٠ هـ يوم العيد الغدير وهو يوم إعلان نصب أمير المؤمنين علي عليهما السلام بالخلافة والإمامية والوصاية بعد رسول الله عليهما السلام وبيعة الناس بأمر من رسول الله عليهما السلام معه عليهما السلام كما ورد «عن أبي جعفر عليهما السلام وأبي عبدالله عليهما السلام أن الآية نزلت بعد أن نصب النبي عليهما السلام علياً علمًا للأمة يوم غدير خم [بعد] منصرفه عن حجة الوداع»^٢.

من هنا إلى ﴿الْإِسْلَمَ﴾ كلام معترض وضع في وسط هذه الآية الشريفة وهذا اسلوباً خاصاً بالقرآن الكريم أنه إذا أراد بيان أمور مهمة أدرجها في ضمن غيرها نحو آية التطهير الواردة في ضمن الآيات النازلة في شأن نساء النبي عليهما السلام حالكونها لا تتعلق بهن أبداً كما هو المعلوم.

والشاهد على ذلك الروايات الواردة في سبب نزولها تختص بهذا الكلام من دون التعرض إلى صدر الآية وذيلها.

﴿يَبْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.
﴿كَفَرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿مِنْ دِينِكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿يَبْسَ﴾.
﴿فَ﴾ تفريغية.

﴿لَا تَخَشَّوْهُمْ﴾ فعل نهي وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين والمفعولي يرجع إلى الكافرين . «بمعنى ارتفاع الموجب عن الخشية [منهم] بعد

١. الميزان / ٥ / ١٦٧.

٢. التبيان / ٣ / ٤٣٥.

يأس الذين كفروا من التعرض لدينكم^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَخْشَوْنِ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية والضمير المفعولي «ي» محذوف
وجعل بدلـه الكسرة تحت «ن».

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿أَكْمَلْتُ﴾ مابعده. «ال» للعهد الذهني إشارة إلى
ما وقعت في يوم العيد الغدير.

﴿أَكْمَلْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿أَكْمَلْتُ﴾.

﴿دِينَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، الإكمال يكون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَتَمْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿أَتَمْتُ﴾.

﴿نَعَمْتِ﴾ مفعول به ومضاف إليه والإتمام يكون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَضِيتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿لَكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿رَضِيتُ﴾.

﴿الْإِسْلَمَ﴾ مفعول به، و﴿الْإِسْلَمَ﴾ هو مجموع ما نُزل من عند الله لعباده.

﴿دِينَا﴾ تمييز. ورضاعة الرب بدين الإسلام تكون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

كما ورد في صحيحـة محمدـ بن مسلمـ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: آخر فريضة أنزلـها
اللهـ الولايةـ، ثمـ لمـ ينزلـ بعدهـا فريـضةـ، ثمـ [أـ] نـزلـ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بـكراعـ
الـغمـيمـ.^٢.

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٣٥٢

٢. موضع بناحـية الحجازـ بين مـكةـ والمـدينةـ، وهو وـادـ أمـامـ عـسفـانـ بشـاهـيةـ أمـيـالـ. معـجمـ الـبلـدانـ . ٤٤٣ / ٤

فأقامها رسول الله ﷺ بالجحفة^١، فلم ينزل بعدها فريضة.

الاحتياط المذكورة في تفاسير العامة في سبب إكمال الدين خمسة كلها مردودة: «الأول: أن يكون المراد به إكمال أمر الحج بحضور النبي ﷺ بنفسه الشريفة وتعليمه الناس تعليماً قولياً وعملياً في آن واحد.

وفيه: أن حضوره ﷺ في الحج وإكماله بتشريع الأحكام، فيه كمال للحج فقط لا للدين كله وإنعام للنعم، فإن كل حكم إلهي بحد نفسه كمال ونعمه عظيمة، كما ورد في قوله تعالى عند تشريع الوضوء والتيمم: «وَلِيُتَمِّمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ»^٢، إلا أن ظاهر الآية المباركة في المقام أن ما شرّعه ﷺ من الحكم في هذا اليوم يكون موجباً لكمال الدين كله وسبباً لانقطاع رجاء الكفار، مضافاً إلى ذلك أن تشريع الحج لم يكن موجباً لا يئاس الكفار وانقطاع الرجاء عن هذا الدين كما هو معلوم، فتنقطع الرابطة بين الجملتين، وهو خلاف ظاهر الآية الشريفة.

الثاني: أن يكون المراد به إكمال الدين بنزول بقایا الحلال والحرام في هذا اليوم فلا حلال بعده ولا حرام، وبه استولى اليأس على الكفار وانقطع رجاؤهم عن هذا الدين.

وفيه: مضافاً إلى ما أورد على سابقه، أن الأحكام لم تكمل يوم عرفة، فقد نزلت بعده عدّة أحكام كآية الصيف وأيات الربا، كما دلت عليه جملة من الأخبار.

مع أن الكفار الذين انقطع رجاؤهم واستولى اليأس على نفوسهم، هل هم مُشِرِّكُونَ قُرْيَشٌ؟ فقد كانوا كذلك قبل نزول هذه الآية المباركة، أم مشركون العرب؟ فقد خابوا عند نزول سورة براءة، أم الكفار مطلقاً من غيرهم؟ وقد عرفت أنهم لم يكونوا

١. قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة، بينها وبين غدير خم ميلان. معجم البلدان ٢/ ١١١.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٣٩، ح ٣.

٣. سورة المائدة ٦/ ٣.

آیین یومئذ من الظهور من المسلمين.

الثالث: أن يكون المراد به إكمال الدين بخلص بيت الله الحرام من رجس الورثية، وبراثن الشرك، وإجلاء المشركين عنه وخلوصة لعبادة الله الواحد الأحد.
وفيه: أنّ الأمر كان كذلك بعد فتح مكة قبل هذا اليوم بستين، يضاف إلى ذلك أنّ تسمية مثل ذلك كما لا للدين وإن كان فيه إتمام للنعممة مشكل، فإنّ الدين مجموعة من الاعتقادات والتوجيهات والإرشادات القيمة التي توجه الإنسان إلى الصراط المستقيم، وتعده إعداداً علمياً وعملياً وعقائدياً لنيل الكمالات الواقعية، وليس في فتح مكة من الأهمية العظمى التي يكون بها إكمالاً للدين كله، وإن كان له أهمية من النواحي الأخرى التي لا يستهان بها كما هو معلوم.

على أنّ إشكال يأس الكفار يأتي في هذا الاحتمال أيضاً، كما هو واضح.

الرابع: أن يكون المراد به إكمال الدين ببيان المحرمات بياناً تفصيليّاً، بعد أن ذكرت على سبيل الإجمال في بعض السور المكية، لثلا ينفر العرب من هذا الدين، ويمنعوا عن قبوله، ولن يكون المسلمون على بصيرة منها فيجبنوا عنها من علم ومعرفة واطمئنان من دون خشية من الكفار، فإنهم ينسوا من هذا الدين بعد إعزاره وظهور الدين كله، فالمراد من اليوم هو يوم عرفة التي نزلت فيه هذه الآية الشريفة التي بينت هذه الأحكام، وأبطلت بها سنن الجahiliyyah، وهدم صرح الشرك بالبشرارة بغلبة المسلمين، وظهورهم على المشركين ظهوراً تاماً، وعدم الخشية منهم، فإنهم ينسوا من إزالة هذا الدين، فأبدل الله تعالى خوف المؤمنين أمناً وضعفهم قوةً وفقرهم غنى، فالأجر بال المسلمين أن يتوجّهوا إلى العمل بالأحكام في أمن وأمان، فلا يبالوا بالكافر ولا إلى قوّتهم، ولا يخافوهم على دينهم ولا على أنفسهم.

ويرد عليه: ما أورد على سوابقه، مضافاً إلى أن التدرج في المقام ليس كالتدريج في آيات الخمر، فإنّ هذه الآية المباركة لم تأت بحکم جديد، إضافة إلى ما ورد من

التحريم في سورة البقرة والأنعام والنحل، إلا أنّ في المقام شرحاً للميّة بياناً لآفرادها، فإن أُريد من التدريج خوفاً من امتناع الناس عن قبول هذا المعنى، فهو غير وجيه، إذ أنّ هذه المحرمات ذكرت في غير موضع واحد.

على أنّ تشرع حكم واحد مثل هذا الذي ورد في الآية الكريمة، وإن كان كما لا في حدّ نفسه و تماماً للنعمـة، لكنه لم يكن كما كله - كما عرفـت - كما هو شأن بقية الأحكـام الإلهـية التي شـرـعت في أوقـات متـعدـدة، فـلـم يـرـدـ فيها مـثـلـ ما وـرـدـ في ما شـرـعـه الله تعالى في هذا اليوم بأنـه كـمـالـ للـدـينـ وإـقـامـ لـلنـعـمـةـ العـظـيمـةـ، وـأـنـه سـبـبـ لـإـيـاسـ الـكـفـارـ منـ هـذـاـ الدـيـنـ، وـأـنـ بـهـ رـضـاـ اللهـ تـعـالـىـ أـنـ يـكـوـنـ إـلـاسـلـامـ دـيـنـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقيـامـةـ.

الخامس: أن يكون المراد بإكمال الدين هو سدّ باب التشريع، فـلـم يـنـزـلـ حـكـمـاـ آخرـ بـعـدـ نـزـولـ هـذـهـ الآـيـةـ فيـ يـوـمـ عـرـفـةـ.

وفيـهـ: أـنـهـ لـمـ يـنـسـدـ بـابـ التـشـرـيعـ عـنـ نـزـولـ هـذـهـ الآـيـةـ الشـرـيفـةـ فيـ هـذـاـ يـوـمـ كـمـاـ عـرـفـتـ مـكـرـراـ، فـقـدـ شـرـعـتـ أـحـكـامـ كـثـيرـةـ بـعـدـهاـ أـيـضاـ» .

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿مَنِ﴾ اسم شـرـطـ جـازـمـ، مـبـتـداـ وـجـمـلـتـاـ فـعـلـ الشـرـطـ وـجـوابـهـ خـبـرـهـ.

﴿أَضـطـرـ﴾ فـعـلـ مـاضـ مـبـنيـ لـلـمـجـهـولـ فـيـ مـحـلـ جـزـمـ لـأـنـهـ فـعـلـ الشـرـطـ وـنـائـبـ فـاعـلـهـ ضـمـيرـ مـسـتـرـ. وـالـاضـطـرـارـ: الـوـقـوعـ فـيـ الـضـرـورـةـ.

بيان لـلـحـكـمـ الثـانـيـ الـاضـطـرـاريـ وـهـوـ إـبـاحـةـ ما وـرـدـ فـيـ الصـدرـ مـنـ الـمـحـرـمـاتـ فـيـ حـالـ الـاضـطـرـارـ.

﴿فـيـ حـمـصـةـ﴾ جـارـ وـجـرـورـ مـتـعلـقـ بـ﴿أَضـطـرـ﴾. المـخـصـصـةـ: الـمـجـاـعـةـ الـتـيـ تـورـثـ خـصـ الـبـطـنـ وـضـمـورـهـ بـحـيـثـ يـخـافـ مـعـهـ الـموـتـ.

﴿غـيـرـ﴾ حـالـ.

﴿مُتَجَانِفٍ﴾ مضاد إليه. التجانف: التهاب والجفف: الميل والانحراف.
 ﴿لِإِثْمٍ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿مُتَجَانِفٍ﴾. أي: عدم تجاوز الحدّ عما يوجب رفع الضرورة لأنّ التجاوز عنه يكون اثماً لتقدّر الضرورات بقدرها.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط والجملة الآتية جواب الشرط في محل جزم.
 ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿الله﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.
 ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراً ﴿إِنَّ﴾. أي: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لجعل حكم إباحة الاضطرار والحكم ناش عن رحمته، فالمغفرة تتعلقان بالحكم الذي يستتبع مخالفته عنوان المعصية التي تستتبع العقاب.

الروايات

أذكر روایات صدر الآیة أولاً ثم روایات إیئاس الكفار وإکمال الدين وإنعام النعمة وإرضاء الرب الإسلام دیناً من طريق العامة فقط تتمیاً للاستدلال خلافة أمیر المؤمنین علی علیہ السلام بعد رسول الله ﷺ من دون واسطة.
 خبر الوشاء أو حسنته قال: سمعت أبا الحسن علیہ السلام يقول: النطیحة والمردیة وما أكل السبع إذا أدركت ذکاته فکل.^١

خبر أبي بصیر عن أبي عبدالله علیہ السلام قال: لا تأكل من فريسة السبع ولا الموقوذة ولا المردیة إلا أن تدركها حیة فتذکر.^٢

خبر مفضل بن عمر وغيره، قال: قلت لأبي عبدالله علیہ السلام: أخبرني جعلت فداك لم حرم الله تبارك وتعالى الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ فقال: إن الله سبحانه وتعالى لم يحرّم ذلك على عباده وأحل لهم سواه رغبة منه فيما حرم عليهم ولا زهداً فيما

١. الكافي ١٢/١٨٤، ح ١ (٢٣٥/٦).

٢. الكافي ١٢/١٨٥، ح ٢ (٢٣٥/٦).

أَحَلَّ لَهُمْ وَلِكُنَّهُ خَلْقُ الْخَلْقِ وَعْلَمَ بِكُلِّ مَا تَقْوَمُ بِهِ أَبْدَانَهُمْ وَمَا يَصْلَحُهُمْ فَأَحَلَّهُمْ وَأَبَاحَهُ تَفْضِيلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَصْلِحَتَهُمْ وَعْلَمَ مَا يَضُرُّ [هُمْ] فَنَهَا هُمْ عَنْهُ وَحْرَمَهُمْ عَلَيْهِمْ ثُمَّ أَبَاحَهُ لِلْمُضْطَرِّ وَأَحَلَّهُ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بِدُنْهِ إِلَّا بِهِ فَأَمْرَهُ أَنْ يَنْالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبَلْغَةِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْمَيْتَةُ فَإِنَّهُ لَا يَدْمِنُهَا أَحَدٌ إِلَّا ضَعْفَ بَدْنِهِ وَنَحْلُ جَسْمِهِ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ وَلَا يَمُوتُ أَكْلُ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجَأَهُ.

وَأَمَّا الدَّمُ فَإِنَّهُ يُورَثُ أَكْلَهُ الْمَاءَ الْأَصْفَرَ وَيَبْخُرُ الْفَمَ، وَيَتَنَزَّلُ الرِّيحُ، وَيَسِيءُ الْخَلْقُ، وَيُورَثُ الْكَلْبَ وَالْقَسْوَةَ فِي الْقَلْبِ، وَقَلْلَةُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ حَتَّى لَا يَؤْمِنَ أَنْ يَقْتَلَ وَلَدُهُ وَوَالِدِيهِ وَلَا يَؤْمِنَ عَلَى حَمِيمِهِ وَلَا يَؤْمِنَ عَلَى مَنْ يَصْبِحُهُ.

وَأَمَّا لَحْمُ الْخَنْزِيرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَسْخُ قَوْمًا فِي صُورٍ شَتَّى شَبِهُ الْخَنْزِيرَ وَالْقَرْدَ وَالْدُّبُّ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسُوخِ ثُمَّ نَهَى عَنْ أَكْلِهِ لِلْمُمْلَةِ لِكِيلًا يَنْتَفِعُ [النَّاسُ] بِهَا وَلَا يَسْتَخِفُّ بِعَقُوبَتِهَا.

وَأَمَّا الْخَمْرُ فَإِنَّهُ حَرَّمَهَا لِفَعْلَهَا وَلِفَسَادِهَا وَقَالَ: مَدْمُنُ الْخَمْرِ كَعَابِدٌ وَثَنٌ، تُورَثُ الْأَرْتَاعَشَ، وَتَذَهَّبُ بِنُورِهِ، وَتَهْدَمُ مَرْوِعَتُهِ وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْسِرَ عَلَى الْمَحَارِمِ مِنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ وَرَكْوَبِ الزَّنَاعِ فَلَا يَؤْمِنُ إِذَا سَكَرَ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى حِرْمَهُ وَهُوَ لَا يَعْقُلُ ذَلِكَ، وَالْخَمْرُ لَا يَزِدُّ دَشَارَهَا إِلَّا كَلَّ سَوْءَهُ.^١

^٢ رواها العياشي في تفسيره.

عَنْ عِيُوقَ بْنِ قُرْطَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: «الْمُنْتَخِقَةُ».

قَالَ: الَّتِي تَخْتَنِقُ فِي رِبَاطِهَا، «وَالْمَوْقُوذَةُ» الْمَرِيضَةُ الَّتِي لَا تَجِدُ أَلْمَ الذَّبْحِ، وَلَا تَضْطَرِبُ، وَلَا يَخْرُجُ لَهَا دَمٌ، «وَالْمُتَرَدِّيَةُ» الَّتِي تَرَدِّي مِنْ فَوْقِ بَيْتِ أَوْ نَحْوِهِ

١. الكافي / ١٢، ح ١، ٢٤٢ / ٦ (٢٤٢).

٢. تفسير العياشي ٢ / ٦، ح ١٥.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التِّي تَنْطَهَا صَاحِبَتِهَا^١.

خبر عبدالعظيم بن عبد الله الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام أنه قال: «سألته عما أهل غير الله به، فقال: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرام الله ذلك كما حرام الميتة والدم ولحم الخنزير فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد فالإثم عليه أن يأكل الميتة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله متى تحلُّ للمضرر الميتة، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهما السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له: يا رسول الله إننا نكون بأرض فتصيبنا المخصصة فمتى تحلُّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطربوا أو تغتبوا أو تحتفظوا بقالاً فشأنكم بها.

قال عبدالعظيم: فقلت له: يا ابن رسول الله ما معنى قوله ﴿فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [فَلَا إِنْمَاءَ عَلَيْهِ]^٢ قال: العادي السارق، والباغي الذي يبغى الصيد بطرأ أو لهوا لا ليعود به على عياله، ليس لهم أن يأكلوا الميتة إذا اضطربَ، هي حرام عليهم في حال الاضطرار كما هي حرام عليهم في حال الاختيار، وليس لهم أن يقتروا في صوم ولا صلاة في سفر.

قال: فقلت: قوله ﴿فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: المخنقة التي انحنت بأخناقها حتى تموت، والموقدة التي تردد من مكان مرتفع إلى أسفل أو تردد من جبل أو في بئر فتموت، والنطحة التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت وما أكل السبع منه فمات، وما ذبح على النصب على حجر أو صنم إلا ما أدرك ذكاته فيذكى.

قلت: ﴿وَأَنْ تَسْتَقِسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾؟ قال: كانوا في الجاهلية يشترون بغيراً فيها بين

١. تفسير العياشي ٢/٨، ح ١٨.

٢. سورة البقرة / ١٧٣.

عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقراح، وكانت عشرة: سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، أما التي لها أنصباء فالفذ والتؤام والنافس والحلس والمُسْبِل والمُعَلّى والرَّقِيب، وأما التي لها أنصباء لها فالفسيح والمنيحة والوَعْد فكانوا يجيئون السهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير فلا يزالون بذلك حتى تقع السهام الثلاثة التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة منهم فيلزموهم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة الذين نقدوا ثمنه شيئاً، فلما جاء الإسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيها حرام فقال ﷺ: «وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ دَلِكُمْ فِسْقٌ - يعني حراماً».

وهذا الخبر في روايات أبي الحسين الأستاذ رحمه الله عن سهل بن زياد عن

عبدالعظيم بن عبد الله [الحسني] عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام ١.

صحيحية أبان بن تغلب عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام آنه قال: في قوله عليه السلام: «حُرِّمَ عَلَيْكُم الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ» الآية قال: الميته والدم ولحم الخنزير معروف «وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» يعني ما ذبح للأصنام، وأما المنخقة فإن الم Gorsus كانوا لا يأكلون الذبائح ويأكلون الميته وكانوا يختنقون البقر والغنم فإذا اختنقت وماتت أكلوها، «وَالْمُرْدَدِيَّةُ» كانوا يشدون أعينها ويلقونها من السطح فإذا ماتت أكلوها، «وَالنَّطِيْحَةُ» كانوا يأكلون ما يقتله الذئب والأسد، فحرم الله ذلك «وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ» كانوا يذبحون بيوت النيران، وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخر فيذبحون لها «وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ دَلِكُمْ فِسْقٌ» قال كانوا يعمدون إلى الجذور فيجزرونها عشرة أجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل، والسهام عشرة سبعة لها أنصباء والرَّقِيب، والمُعَلّى. والفذ له سهم، والتؤام له سهمان، والمُسْبِل له ثلاثة أسمهم، والنافس له أربعة أسمهم، والحلس له

خَمْسَةُ أَسْهَمِهِ، وَالرَّقِيبُ لَهُ سَتَّةُ أَسْهَمِهِ، وَالْمُعْلَى لَهُ سَبْعَةُ أَسْهَمِهِ. وَالَّتِي لَا أَنْصِبَاءَ لَهَا: السَّفِيجُ، وَالْمَنِيحُ، وَالوَغْدُ. وَثُمَّ الْجَزُورُ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ لَهُ مِنَ الْأَنْصِبَاءِ شَيْءٌ وَهُوَ الْقِيَارُ فَحَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّلَكَ.^١

صَحِيحَةُ زَرَارةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُلُّ كُلٍّ شَيْءٌ مِنَ الْحَيْوَانِ غَيْرِ الْخَنْزِيرِ وَالظَّيْحَةِ وَالْمَرْدِيَّةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ» فَإِنْ ادْرَكْتَ شَيْئًا مِنْهَا وَعِنْ تَطْرُفِ أَوْ قَائِمَةِ تَرْكِضَ أَوْ ذَنْبٍ يَمْصُعُ فَقَدْ ادْرَكْتَ ذَكَاتَهُ فَكُلْهُ، قَالَ: وَإِنْ ذَبَحْتَ ذَبِيحةً فَاجْدَتِ الذَّبْحَ فَوَقَعْتَ فِي النَّارِ أَوْ فِي الْمَاءِ أَوْ مِنْ فَوْقِ بَيْتِكَ أَوْ جَبَلٍ إِذَا كُنْتَ قَدْ أَجْدَتِ الذَّبْحَ فَكُلْهُ.^٢

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : «إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ»: أَنْ تَدْرِكَهُ تَتَحرَّكُ أُذُنَّهُ أَوْ ذَنْبَهُ أَوْ تَطْرُفَ عَيْهِ.^٣

* * *

قَالَ الطَّبَرِيُّ: حَدَّثَنِي المَشْتَى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ، قَالَ: نَزَّلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسِيرِ فِي حَجَةِ الْوَدَاعِ، وَهُوَ رَاكِبٌ رَاحِلَتَهُ، فَبَرَكَتْهُ رَاحِلَتُهُ مِنْ ثَلْقِهِ.^٤

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ مَرْدُوِيَّهِ الْإِصْفَهَانِيُّ الْمُتَوْفِيُّ سَنَةُ ٤٠٤ هـ: «مِنْ طَرِيقِ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَتَاهَا نَزْلَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعُلِّيٌّ مَوْلَاهُ».^٥

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ

١. الخصال، ٤٥١/٢، ح ٥٧.

٢. التهذيب، ٩/٥٨، ح ٢٤١.

٣. التبيان، ٣/٤٣١.

٤. تفسير الطبرى، ٦/١٠٢.

٥. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٣٢٩ ونقل عنه تفسير ابن كثير ٢/١٤.

فناذِ لِهِ بِالْوَلَايَةِ، هَبَطَ جَرَيْلُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .
 وعن أبي هريرة، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَدِيرِ خَمٍ - وَهُوَ يَوْمُ ثَانِي عَشْرِ مِنْ ذِي
 الْحِجَّةِ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَّى مَوْلَاهٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .
 وعن مجاهد، قال: نزلت هذه الآية بِغَدِيرِ خَمٍ، فقال رسول الله ﷺ : «اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَإِتَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ».

١. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٣٣٠ ونقل عنه الدر المتصور / ٢، ٢٥٩ ، قال فيه: أخرج ابن مردوخ وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري.

٢. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٢٣١ ونقل عنه الدر المتصور / ٢، ٢٥٩ ، قال فيه: أخرج ابن مردوخ والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة.

ورواه مفصلاً ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٣٥٠)، قال: قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: حدثنا عبد الله بن علي بن محمد بن بشران، أخبرنا علي بن عمر الحافظ الدارقطني، أخبرنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، حدثنا علي بن سعيد الرملي، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لَمَّا أَخْذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيدِ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «أَلَسْتُ وَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ؟» قَالُوا: بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَّى مَوْلَاهٍ». فَقَالَ عَمْرَ بْنُ الخطاب: «بِخِيَّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷺ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .

مثل هذا رواه الحكم الحسکاني في شواهد التنزيل / ١٥٨ ، ح ٢١٣ .

٣. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٢٢، ح ٣٣٢ ونقل عنه توضيح الدلائل / ١٥٥ .

ورواه الحكم الحسکاني في شواهد التنزيل (١١/ ١٥٧ ، ح ٢١١)، قال: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، أخبرنا أبو أحمد البصري، عن أحمد بن عمّار بن خالد، عن يحيى بن عبد الحميد الحنفي، عن قيس بن الريبع، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ نزلت عليه هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قال: «الله أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَإِتَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ» . ثُمَّ قال: «مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَّى مَوْلَاهٍ، اللَّهُمَّ وَالِّي مِنْ وَالَّاهِ، وَعَادِي مِنْ عَادَهِ، وَانْصَرْ مِنْ نَصْرَهِ، وَاخْذُلْ مِنْ خَذْلَهِ» .

وعن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله ﷺ دعا الناس في غدير خم، وأمر بها تحت الشجرة من شوك فقم، كان ذلك يوم الخميس، فدعا علياً فأخذ بضبعيه، فرفعها حتى نظر الناس لبياض إبطي رسول الله ﷺ، فقال: «من كنت مولاه فعل مولاه»، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا رب بر سالي، وبالولاية لعلي بن أبي طالب».١

وحدثني جدي، حدثني عبدالله بن إسحاق البغوي، حدثني الحسن بن علييل العنزي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الدراع، حدثنا قيس بن حفص، حدثني علي بن الحسن أبوالحسن العبدى، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ دعا الناس في غدير خم، أمر بما كان تحت الشجرة من شوك فقم، وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه، ثم لم يفترقا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا رب بر سالي، وبالولاية لعلي، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاده، وانصر من نصره واحذل من خذله». فقال حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً. قال: «قل ببركة الله تعالى»، فقال حسان بن ثابت: يا معاشر مشيخة قريش،

اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ ، ثم قال:

| | |
|---|--|
| يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدَيرِ نَبِيُّهُمْ فَقَالُوا وَلَمْ يُؤْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا | بِخُمٍ وَأَسْمِعْ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا بِأَنَّى مَوْلَاكُمْ نَعْمَ وَنَبِيُّكُمْ |
|---|--|

١. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣٢، ح ٣٣٣ ونقل عنه مفتاح النجا / ٤١ . ورواه ابن مردويه كما في أرجح المطالب / ٦٧ .

إِهْكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّا
وَلَا تَجِدُنَّ فِي الْخُلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ، فَإِنَّنِي
رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهادِيًا^١
نقل الحافظ أبو نعيم الإصفهاني في كتابه الموسوم بـ «نزل القرآن في
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام» يرفعه إلى عليّ بن عابس، عن أبي الجحاف، عن
الأعمش، عن عطية، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله عليهما السلام في علي بن
أبي طالب عليهما السلام (يَأَيُّهَا أَرْرَسُولُ بَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) ^٢ وقد قال الله تعالى: (الَّيْوَمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ) ^٣.

ويرفعه إلى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدلي، عن أبي سعيد الخدري ^{رض}:
أنّ رسول الله عليهما السلام دعا الناس إلى علي عليهما السلام في غدير خم، وأمر بما تحت الشجرة من
شوكر فقام، وذلك في يوم الخميس، فدعاه عليهما السلام فأخذ بضياعه فرفعها حتى نظر
الناس [إلى] بياض إيطي رسول الله عليهما السلام، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: (الَّيْوَمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ) فقال
رسول الله عليهما السلام: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا رب رسالتي،
وبالولاية لعلي من بعدي. ثم قال: من كنت مولاه فعليه مولا، اللهم والهم والمن والاه،
وعادي من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله.

١. ما نزل من القرآن في علي عليهما السلام / ٢٣٢ ونقل عنه المناقب، الخوارزمي، / ١٣٥، ح ١٥٢؛ مقتل
الحسين (٤٧/١)، قال: أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهيردار بن شيريويه بن شهردار الديلمي،
أخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمданى - كتابة، أخبرنا الشريف أبو طالب المفضل
الجعفري بأصبهان، أخبرني أبو بكر بن مردوه ورواه ابن مردوه كما في الطرائف (٤٦/٢٢١)، ح ١٤٦،
وفيه: ثم قال: «اللهم من كنت مولاه فعليه مولا، اللهم والهم والمن والاه...». وفي آخر الحديث: قال:
فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنئ لك يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسكت مولاي ومولي كل
مؤمن ومؤمنة.

٢. سورة المائدة / ٦٧.

٣. خصائص الوحي المبين / ٥٣، ح ٢١.

قال حسّان بن ثابت: أئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهنّ فقال:
قل على بركة الله. فقام حسّان، فقال: يا معاشر مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من
رسول الله ﷺ في الولاية ماضية، ثم قال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدَيرِ نَبِيُّهُمْ

وذكر الأبيات السابقة، وقال في آخر الأبيات:

فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا عَلِيُّ إِنَّنِي رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارٌ صِدْقٌ مَوَالِيَا

وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلَيْهِ مُعَادِيَا هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالِّيَّهُ

نقل أبو المؤيد موفق بن أحمد [الخوارزمي الحنفي]، في كتاب «فضائل

أمير المؤمنين عليه السلام» عن أبي سعيد الخدري: أنّ النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خمّ؛

أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقام، وذلك يوم الخميس، يوم دعا الناس إلى عليٍّ،

وأخذ بضبعه، ثم رفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ﷺ، ثم مل يفترقا حتى

نزلت هذه الآية «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِيْنَنَا» فقال رسول الله ﷺ: الله أكتر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضاء ربّ

برسالي، والولاية لعليٍّ. ثم قال: اللهم والي من والاه، وعادٍ من عاداه، وأنصر من

نصره، وأخذل من خذله.

وقال حسّان بن ثابت: أتأذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل بركة الله

تعالى. فقال حسّان بن ثابت:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدَيرِ نَبِيُّهُمْ بِخُمْ وَأَسْمَعْ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا

بَأَنِي مَوْلَاكُمْ، نَعْمَ وَلِيُّكُمْ فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا

إِلَهُكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّنَا وَلَا تَجِدُنَّ فِي الْحَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا

فقال له قُمْ يا عليٌ فإنني
رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا
[فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهُدَاهُ وَلَيْهُ
فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارٌ صِدْقٌ مَوْالِيَا
وَكُنْ لِلنَّذِي عَادِي عَلَيْهِ مُعَادِيَا]^١

بإسناده عن أبي سعيد الخدري [قال]: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ يوم دُعَا النَّاسَ إلى [عليَّ في] غدير خُمٍّ، أمر بها كَانَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ مِنَ الشَّوَّكِ فَقَمَّ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ دُعَا النَّاسَ إلى عَلَيِّ عَلَيْهِ الْمَغْرِبَةُ، فَأَخْذَ بِضَبْعِهِ فَرَفَعَهَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهَا يَاضِيَّاً. ثُمَّ لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ 《الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ يَعْمَلَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ》 فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَإِتَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضاِ الرَّبِّ بِرِسَالَتِي، وَالْوَلَايَةِ لِعَلَيِّ عَلَيْهِ الْمَغْرِبَةُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ وَالِّيْ مَنْ وَالِّهِ، وَعَادِ مَنْ عَادَهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَأَخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

[فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله، أتأذن لي أن أقول أبياناً؟ قل ببركة الله].

فقال حسان بن ثابت: يا مَشِيقَةَ فُرِيشَ، اسْمَاعُوا شَهَادَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُول... ثُمَّ أَشَدَّ الْأَبْيَاتِ الْمُتَقدِّمَةِ.^٢

نقل الخطيب البغدادي عن أبي هريرة: من صام ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لما أخذ النبي ﷺ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: ألسْتَ وَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاها فعليٌّ مولاها. فقال عمر بن الخطاب: بَخْ بَخْ لَكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ مَوْلَى يَوْمَ كُلِّ مُسْلِمٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ 《الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ》.^٣

نقل الحموي بإسناده عن الأنصاري بإسناده عن أبي سعيد الخدري: أنَّ

١. مناقب الخوارزمي / ٨٠.

٢. فرائد السبطين / ١، ٧٢، ح ٣٩.

٣. تاريخ دمشق / ٤٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤؛ مناقب المغازلي / ١٩، ح ٢٤؛ شواهد التنزيل / ١، ٢٠٣، ح ٢١٣.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلَيْهِ الْمَطَابِلِ فِي غَدِيرِ خُمٍّ، وَأَمَرَ بِهَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ مِنْ الشَّوْكِ فَقُمَّ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ، فَدَعَا ﷺ عَلَيْهِ الْمَطَابِلَ فَأَخَذَ بِضَبْعِيهِ، فَرَفَعَهُمَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بَيْاضِ إِبْطَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ لَمْ يَنْفَرِّقُوا حَتَّى نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
 »الَّيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ يَعْمَلَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا« فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتَامِ النِّعْمَةِ وَرِضاِ الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلَايَةِ لِعَلَيِّ مِنْ بَعْدِي. ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِّيْ مَنْ وَالِّيْ، وَعَادِيْ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرِيْ مَنْ نَصَرَهُ، وَأَخْذُلِيْ مَنْ خَذَلَهُ.

فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابَتَ: إِذْنُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقُولُ فِي عَلَيِّ أَبِيَاتًا تَسْمَعُهَا! فَقَالَ:

قُلْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

فَقَامَ حَسَّانُ بْنُ ثَابَتَ، فَقَالَ: يَا مَشِيقَةَ مَعْشَرِ قُرَيْشٍ، أَسْمَعُوكَ قَوْلِي شَهَادَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْوَلَايَةِ الثَّابِتَةِ. فَقَالَ:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ تِبْيَهُمْ
 بُخْمٌ وَأَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيَاً
 الْأَبِيَاتُ الْمُتَقْدِمَةُ.

وَهَذِهِ الْأَبِيَاتُ وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ فِي كُتُبِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ.

وَقَالَ الْحَمَوِيُّ الْشَّافِعِيُّ عَقِيبَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْأَبِيَاتِ: هَذَا حَدِيثُ لِهِ طُرُقٌ كثِيرَةٌ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ بْنِ مَالِكٍ الْخُدْرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ.^١

قَالَ السِّيوْطِيُّ: وَأَخْرَجَ ابْنَ مَرْدُوْيَهُ وَابْنَ عَسَاكِرَ بِسَنْدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ الْمَطَابِلَ عَلَيْهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ هَبْطَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ
 »الَّيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ«.^٢

وَأَخْرَجَ ابْنَ مَرْدُوْيَهُ وَالْخَطَّيْبَ وَابْنَ عَسَاكِرَ بِسَنْدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ قَالَ لَمَا

١. فَرَائِدُ السَّمَطِينِ ١/٧٤، ح٤٠.

٢. الدَّرُ المُشَوَّرُ ٢/٢٥٩.

كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ١.

وما ذكرنا يظهر بطلان مقالة الفخر الرازي حيث يقول: «قال أصحابنا: هذه الآية دالة على بطلان قول الرافضة، وذلك لأنّه تعالى بين أنّ الذين كفروا يئسوا من تبديل الدين، وأكّد ذلك بقوله ﴿فَلَا تَخْشُوهُمْ وَأَحَشُّونَ﴾ فلو كانت إماماً على بن أبي طالب ﷺ منصوصاً عليها من قبل الله تعالى وقبل رسوله ﷺ نصاً واجب الطاعة لكان من أراد إخفاءه وتغييره آيساً من ذلك بمقتضى هذه الآية، فكان يلزم أن لا يقدر أحد من الصحابة على انكار ذلك النص وعلى تغييره وإخفائه، ولما لم يكن الأمر كذلك، بل لم يجر لهذا النص ذكر، ولا ظهر منه خبر ولا أثر، علمنا أنّ ادعاه هذا النص كذب، وأنّ علي بن أبي طالب ﷺ ما كان منصوصاً عليه بالإمامية» ٢.

وجه الظهور: النصوص على خلافة أمير المؤمنين عٰلياً كثيرة ولكن سيرة القوم من أول اليوم على الإنكار وايئاس الكافرين لا يدلّ على عدم إخفاء النصوص وإنكارها بواسطة الذين يدعون أممهم خلفاء رسول الله ومقالة الفخر لم تكن إلا مغالطة واضحة.

واما سيرتهم على الإنكار فيظهر ذلك حين جاؤوا بأمير المؤمنين عٰلياً يُقاد للبيعة كالجمل المخشوش. قال: فإن لم أُبَايِعْ فَمَه؟
فتيل له: إِذْنُ تُقْتَلُ وَالله.

فقال: إِذْنُ تَقْتَلُونَ عَبْدَ اللهِ وَأَخَا رَسُولِهِ!

فتيل له: أَمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا.

وهكذا استمرّت الحال معه حتّى تناسوا فضله كله، وتسرب الريب أو الجهل

١. الدر المثور ٢٥٩/٢

٢. التفسير الكبير ١٣٩/١١

إِلَى أَظْهَرِ فَضْلِيَّةِ لِهِ عَلَيْهِ الْمَهْمَلَةُ !

حَتَّى سَأَلَ رَجُلُ الْبَرَاءِ^١ بْنَ عَازِبَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عِمَّارَ! أَشَهِدَ عَلَيْ بِدْرًا؟! قَالَ:
حَقًّا.^٢

وَبَلَغَ الْحَالُ إِلَى أَنْ نَرَى الصَّحَابَةَ يَسْأَلُونَ عَنْ عَلَيْ هَلْ شَهَدُوا لَهُ مِنْقَبَةً؟!
فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ^٣ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكَ، قَالَ: أَتَيْتُ مَكَّةَ، فَلَقِيتُ سَعَدَ
ابْنَ أَبِي وَقَاصَ، فَقَلَّتْ: هَلْ سَمِعْتَ لِعَلَيْ مِنْقَبَةً؟!
قَالَ: شَهَدْتُ لَهُ أَرْبَعًا، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدِّنِيَا أَعْمَرُ فِيهَا
مِثْلَ عُمُرِ نُوحٍ عَلَيْهِ الْمَهْمَلَةُ !
فَذَكَرَ تَبْلِيعَ بِرَاءَةَ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ، وَالرَّاِيَةَ يَوْمَ خَيْرِ الْعَامِ، وَحَدِيثَ «مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلَيَّ مَوْلَاهُ» بِغَدِيرِ خُمُّ، وَذَكَرَ الْخَامِسَةَ مِنْ مَنَاقِبِهِ حَدِيثَ «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ
موْسَى»^٤.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ أَيْضًا^٥ عَنْ سَهْمَ بْنِ حُصَيْنِ الْأَسْدِيِّ، قَالَ:
«قَدِيمْتُ إِلَى مَكَّةَ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَبَهَا أَبُوسَعِيدِ الْخُدْرِيُّ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَلْقَمَةَ سَيَّابَةً لِعَلَيْ دَهْرًا! - قَالَ: فَقَلَّتْ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي هَذَا - يَعْنِي أَبُوسَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -

١. بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ.

٢. تَرْجِمَةُ الْإِمَامِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْمَهْمَلَةُ مِنْ تَارِيخِ دَمْشِقَ، رَقْمٌ ١٩١.

٣. تَرْجِمَةُ الْإِمَامِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْمَهْمَلَةُ مِنْ تَارِيخِ دَمْشِقَ، رَقْمٌ ٢٧٨.

٤. وَالْخَامِسَةَ مِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَرَا عَلَى نَاقَتِهِ الْحَمْرَاءِ وَخَلَفَ عَلَيْهِ، فَنَفَسَتْ ذَلِكُ عَلَيْهِ
قَرِيشُ، وَقَالُوا: إِنَّهُ إِنَّمَا خَلَفَهُ أَنَّهُ اسْتَقْلَهُ وَكَرِهَ صَحْبَتَهُ! فَبَلَغَ ذَلِكُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى أَخْذَ بِغَرْزِ
النَّاقَةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ: زَعَمْتَ قَرِيشُ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي أَنَّكَ تَسْتَقْلُنِي وَكَرِهَتْ صَحْبَتِي! قَالَ: بَكَيَ عَلَيْهِ.
قَالَ: فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! مَا مَنَّكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ حَامَةٌ، أَمَا
تَرْضَى يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ تَكُونَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مَوْسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟ فَقَالَ عَلَيْهِ:
رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

٥. تَارِيخُ ابْنِ عَسَاكِرٍ، رَقْمٌ ٥٦٥.

نُحِدِّثُ بِهِ عَهْدًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ سَوَعْتَ لِعَلِيٍّ مِنْقَبَةً؟! قَالَ: نَعَمْ! فَإِذَا أَنَا حَدَّثْتُكَ فَسَلَّ عَنْهَا الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَرِيشًا؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ يَوْمَ غَدِيرَ خُمٌّ فَأَبْلَغَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَوَلَسْتُ أَوَّلَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «أَدْنُ يَا عَلِيٌّ!» فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدِيهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى بِياضِ آبَاطِهِ، قَالَ: «مَنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ: «أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟!» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «نَعَمْ» وَأَشَارَ إِلَى أَذْنِيهِ وَصِدْرِهِ، وَقَالَ: «سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي»^١.

فَتَرَاهُمْ يَتَعَجَّبُونَ إِذَا سَمِعُوا لِهِ بِمِنْقَبَةِ، وَلَا يَكَادُونَ يَصِدِّقُونَ الصَّحَابَيَّ حَتَّى يَحْلِفَ لَهُمْ أَوْ يَؤْكِدُ لَهُمْ بِأَنَّهُ سَمِعَهُ بِأَذْنِيهِ وَوَعَاهُ قَلْبُهُ وَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَرِيشًا!

فَمُثَلُّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ يَسْمَعُ حَدِيثَ الْمَنْزَلَةِ مِنْ عَامِرَ بْنِ سَعْدَ بْنِ أَبِي وَقَاصِ، فَلَا يَؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَرَاجِعَ سَعْدًا نَفْسَهُ! فَيَهَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ، عَنْ عَامِرَ بْنِ سَعِدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزَلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيًّا». قَالَ سَعِيدٌ: «فَأَحَبَّتُ أَنْ أُشَافِهَ بِذَلِكَ سَعْدًا، فَلَقِيَتُهُ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا ذَكَرْتُ لِعَامِرٍ»، قَالَ فَوْضَعَ إِصْبَعَهُ فِي أَذْنِيَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَكَتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ أَسْمَعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ»^٢.

وَفِي لَفْظِ أَحَدٍ فِي الْمُسْنَدِ عَنْ قَتَادَةِ وَعَلِيٍّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُسِيبِ، حَدَّثَنِي ابْنُ لَسْعَدِ بْنِ مَالِكٍ حَدِيثًا عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

فَدَخَلْتُ عَلَى سَعْدٍ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنَا حَدَّثَنِي عَنِّي حِينَ اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ عَلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ فَغَضِبَ فَقَالَ: «مَنْ حَدَّثَكَ بِهِ؟» فَكَرِهَتْ أَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَهُ

١. أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجِمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَارِيخِ دَمْشِقَ بِطَرِيقَيْنِ.

٢. فَضَائِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَحْدَادِ بْنِ حَنْبَلٍ / ١٥٦، ٢٤٣ و ٧٩، رقم ٢٠١.

حدّثنيه فيغضب عليه!

ثم قال: «إنّ رسول الله ﷺ حين خرج في غزوة تبوك استخلف علياً على المدينة، فقال عليٌّ: يا رسول الله ما كنت أحب وجهاً إلّا وأنا معك، فقال: أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لانبيّ بعدي»^١.

وفي لفظ ابن عساكر: فأحببته أن أشافه بذلك سعداً، فلقيته فسألته عما ذكر لي، فقال: «نعم، سمعته»، قال فقلت: «أنت سمعته؟!» فأدخل إصبعيه في أذنيه، فقال: «نعم وإلّا فاستكتا!»

وفي لفظ آخر: قال سعيد: فلمْ أرَضَ بقول إبراهيم حتّى لقيت سعداً، فقلت: «أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟» فقال: «نعم، وإلّا فاصططتا».

وفي حديث الزُّهري عن عامر بن سعيد قال: إني لمع أبي إذ تبعنا رجلاً في نفسه على علي بعض الشيء، فقال: «يا أبي إسحاق! حديث يذكر الناس عن علي»، قال: «وما هو؟» قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، قال: «نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي... ما يُنكر أن يقول لعلي هذا وأفضل من هذا!»

آخرجه ابن عساكر، رقم ٣٧٤.

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن يزيد الجعفري عن عبدالله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علي بن أبي طالب على المنبر يقول: «صلّيت مع رسول الله ﷺ سنين صلاة قبل أن يُصلّي معه أحد»، فقلت لعبدالله بن يحيى: «وإلّا فصَمَتْ أذناك» ثلثاً، قال: «وإلّا فصَمَتْ أذناي!»^٢.

وممّا ذكرنا ظهر عدم تمامية مقالة الألوسي المتعصب حيث يقول: «وأخرج

١. المستند / ٣، رقم ١٥٣٢.

٢. مقدمة العلامة السيد عبدالعزيز الطباطبائي عليه السلام على كتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام لأحمد بن حنبل / ٤٤-٤١).

الشيعة عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت بعد أن قال النبي ﷺ لعلي كرم الله تعالى وجهه في غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فلما نزلت قال عليه الصلاة والسلام: الله أكتر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء رب رسالتى وولاية على كرم الله تعالى وجهه بعدي، ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم، وركاكة الخبر شاهدة على ذلك في مبتدأ الأمر، نعم ثبت عندنا أنه ﷺ قال في حق الأمير كرم الله تعالى وجهه هناك: من كنت مولاه فعلي مولاه» وزاد على ذلك - كما في بعض الروايات - لكن لا دلالة في الجميع على ما يدعونه من الإمامة الكبرى والزعامة العظمى^١. لما مرّ من العامة ورود هذا الخبر من طرقهم ودلالته واضحة. في هذا المجال راجع كتاب موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة.^٢

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلِمْتُمْ مِنْ أَجْوَارِ حِلْكِلِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ إِنَّمَا عَلِمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَآذُكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

«بعد أن ذكر سبحانه وتعالى بعض المحرّمات من الطعام، واستثنى منها ما كان محلّلاً على الإجمال، يذكر ﷺ في هذه [الآية] الشريفة بعض ما يحلّ أكله، وهي الطيبات بأجمعها، سواء أكانت من اللّحوم أم غيرها، وخصّ بالذكر منها ما اصطاده الإنسان بواسطه الكلب المعلم الذي تعلم على الصيد»^٣.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به أول، والجملة الإسمية بعده

١. روح المعاني ٦/٣٢٠ (٦١).

٢. موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١/١٧٨.

٣. مواهب الرحمن ١٠/٣٩٦ مع الأصحاب.

مفعول به ثان. ومعنى السؤال واضح والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين والمفعولي
يرجع إلى رسول الله ﷺ .
﴿مَا﴾ مبتدأ.

﴿ذَآ﴾ خبره، أو ﴿مَادَآ﴾ كلمة واحدة اسم استفهام مبتدأ وجملة ﴿أَحِلَّ هُمْ﴾
خبره.

﴿أَحِلَّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
﴿هُمْ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿أَحِلَّ﴾ . والسؤال بقرينة الجواب أعم من
المطاعم والمناكح، والثاني يأتي في الآية الآتية.
سؤال عام يقتضي أن يأتي بجواب عام فلذا أجاب الله تعالى:
﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا رسول الله ﷺ والجملة
الفعالية بعده مفعول به - مقول القول - .

﴿أَحِلَّ﴾ مرّ. ﴿كُمْ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿أَحِلَّ﴾ .
﴿الظَّيَّبُتُ﴾ نائب فاعل جمع الطيب ضد الخبيث قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي
الخَبِيثُ وَالظَّيِّبُ﴾ ١.

«وقيل: معنى الطيبات ما يستلزم ويستطاب. وظاهر الآية على هذا يقتضي تحليل
كل مستطاب إلّا ما قام دليل على تحريمها»^٢.
و ﴿الظَّيَّبُتُ﴾ جمع محلّي بـ «ال» يفيد العموم ولم يقيدها بشيء يفيد «أن يكون
المعتبر في تشخيص طيبة استطابة الأفهام المتعارفة ذلك فما يستطاب عند الأفهام
العادية فهو طيب، وجميع ما هو طيب حلال»^٣.

١. سورة المائدة / ١٠٠ .

٢. التبيان / ٣ / ٤٤٤ .

٣. الميزان / ٥ / ٢٠١ .

وإِنَّمَا نَزَّلْنَا الطِّيبَ عَلَى الْمُتَعَرِّفِ الْمُهَوَّدِ لِإِقْتِضَاءِ الْعُمُومِ الَّذِي يَشْمَلُ جَمِيعَ
مَصَادِيقِ الطِّيبِ. لَا أَنَّ الْإِطْلَاقَ تَنْزَلُ عَلَى الْمُتَعَرِّفِ الْمُهَوَّدِ.^١
وَالْجَوَابُ الْعَامُ هُوَ هَذَا: كُلُّ مَا كَانَ طَيِّبًا فَهُوَ حَلَالٌ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُقَدَّسَةِ، فَتَكُونُ
حِلْيَةُ الطَّيَّبَاتِ شَرِيعَةً لَا عُقْلَيَّةً.^٢
وَالْخَبِيَّثَاتُ: هِيَ مَا نَصَّ عَلَى تَحْرِيمِهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ
الْتَّحْرِيمِيَّةِ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ موَصُولَةٌ، مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿الْطَّيَّبَتُ﴾ فَتَكُونُ فِي مَحْلٍ رَفِعٍ، أَوْ فِي مَحْلٍ جَرٌّ
بِحَذْفِ مَضَافِهِ وَتَقْدِيرِهِ: «وَصَيْدُ الَّذِي».

﴿عَلَمْتُمُ﴾ فَعْلُ ماضٍ وَفَاعِلُهُ.

﴿مَنْ أَجْوَارِحُ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مَتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحْذُوفَةٍ مِنْ ﴿مَا﴾ وَتَقْدِيرُهُ: «حَالٌ
كَوْنَهُ» ﴿مَنْ أَجْوَارِحُ﴾. وَ ﴿أَجْوَارِحُ﴾ هِيَ الْكَوَاسِبُ مِنْ سَبَاعِ الطِّيرِ وَالْبَهَائِمِ مِنَ الْصَّقْرِ
وَالْبَازِيِّ وَالْكَلَابِ وَالْفَهْوَدِ. سُمِّيَتِ الْكَوَاسِبُ لِأَنَّ أَرْبَابَهَا يَكْسِبُونَ بِصَيْدِهَا أَوْ لِأَنَّهَا
تَجْرُحُ صَيْدَهُنَّ غَالِبًاً.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنَ التَّكْلِيفِ وَهُوَ تَعْلِيمُ الْكَلَابِ وَتَأْدِيهَا لِلصَّيْدِ. حَالٌ
مِنَ الضَّمِيرِ الْفَاعِلِيِّ فِي ﴿عَلَمْتُمُ﴾ أَيْ مَعْلِمَيِّ الْكَلَابِ لِلصَّيْدِ. تَقْيِيدٌ لِلْحَلْيَةِ بِالْكَلَابِ
الْمَعْلَمَةِ، لَا غَيْرُهَا مِنَ الْكَلَابِ وَالْجَوَارِحِ، كَمَا رَوَاهُ أَصْحَابُنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ لِيَقِيلُ.^٣

﴿تُعَامِلُوهُنَّ﴾ فَعْلُ مَضَارِعٍ وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُهُ بِهِ. وَالْجَمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ فِي مَحْلٍ نَصْبٍ
حَالٌ مِنْ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾.

١. كَمَا عَلَيْهِ الْعَالَمَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ بِهِ صَاحِبُ الْمِيزَانِ ٥/٢٠٢.

٢. خَلَافَ الْفَقِيهِ السِّبْزِوَارِيُّ بِهِ فِي مَوَاهِبِ الرَّحْمَنِ ١٠/٣٩٨.

٣. التَّبَيَّانُ ٣/٤٤٠.

﴿مَنَّ﴾ مكونة من «من» و «ما»، جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَعْلَمُهُنَّ﴾ .
 ﴿عَلِمْكُمُ﴾ فعل ماض و مفعول به مقدم. ﴿الله﴾ فاعله. ﴿فَ﴾ تفريغية.
 ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر و فاعله. والأمر في مقام الحظر يفيد الإباحة كما يبين في علم الأصول وبيان لشرط شرط حالية أكل صيد الكلاب المعلمة.
 ﴿مَنَّ﴾ مر، متعلق بـ ﴿كُلُوا﴾ و «من» هنا تبعيضية.
 ﴿أَمْسَكْنَ﴾ فعل ماض و فاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى الكلاب المعلمة. أي تصيدين.
 ﴿عَلَيْكُمُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَمْسَكْنَ﴾ . أي لكم لا لنفسها.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر و فاعله معطوف على ﴿كُلُوا﴾ . بيان لشرط آخر من الخلية وهو ذكر اسم الله تعالى حين ارسال الكلب المعلم.
 ﴿أَسْمَمُ﴾ مفعول به. ﴿الله﴾ مضاف إليه.
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَذْكُرُوا﴾ . والضمير يرجع إلى ﴿مَا عَلَمْتُمُ﴾ .
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَتَقُوا﴾ فعل أمر و فاعله معطوف على ﴿أَذْكُرُوا﴾ .
 ﴿الله﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ حرفاً مشبه بالفعل، تأكيد.
 ﴿الله﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ . ﴿سَرِيعُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ . ﴿الْحِسَابُ﴾ مضاف إليه.
 والجملة الأخيرة أشعار «بلزوم اتقاء الله فيه حتى لا يكون الاصطياد إسرافاً في القتل، ولا عن تله وتجبر كما في صيد اللهو ونحوه فإن الله سريع الحساب يجازي سيئة الظلم والعدوان في الدنيا قبل الآخرة، ولا يسلك أمثال هذه المظالم والعدوانات بالاغتيال والفك بالحيوان العجم إلا إلى عاقبةٍ سوءٍ على ما شاهدنا كثيراً»^١.

تنبیهُ

«اتفقت كلمة المذاهب على أنَّ صيد الكلب يحلُّ أكله بالشروط الآتية، وانختلفت في صيد غيره كالفهد والصقر وما أشبه معلمًا يفقه ما يفقهه الكلب، قال الشيعة: لا يحل. وقال غيرهم: يحل. واستدل الشيعة بأن لفظ مكلبين خاص بصيد الكلب المعلم، ومهما يكن، فلا يحل صيد الجوارح إلَّا مع توافر الشروط التالية:

- ١- أن يكون الجارح معلمًا إذا أمره صاحبه يأمر، وإذا زجره ينجزر. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَمْكُمُ اللَّهُ﴾.

- ٢- أن يرسله صاحبه بقصد الصيد، فلو انطلق من تلقائه، وأتى بالصيد مقتولاً فلا يحل.

- ٣- أن يكون الصائد مسلِّماً عند الشيعة.

- ٤- أن يسمى الصائد عند ارسال الجارح، فيقول: اذهب على اسم الله، وما أشبه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

- ٥- أن يدرك الجارح الصيد حيًّا، وأن يسند الموت إلى جرحه، فلو أدركه ميتاً لم يحل، وكذا إذا أدركه حيًّا، ولكن مات بسبب آخر غير الجارح^١.

الروايات

صححَة أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَاف قال: سأله عن صيد ال梓اة والصقور والفهود والكلاب، قال: لا تأكلوا إلَّا ما ذكَرْتُم إلَّا الكلاب. قلت: فإن قتله؟ قال: كُلْ، فإنَّ الله يقول: ﴿وَمَا عَلَمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَمْكُمُ اللَّهُ فَكُلُّوْمِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُم﴾. ثم قال عَلَيْهِ الْكَفَاف: كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها، إلَّا الكلاب المعلَّمة، فإنَّها تمسك على صاحبها.

١. تفسير الكاشف ٣/١٦.

[و] قال: إذا أرسلت الكلب المعلم، فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته.
صحيح البخاري قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي يُلْمِّدُ يفتني وكان يُتَقَّيَ ونحن
نخاف في صيد البيزة والصقرور وأمّا الآن فإننا لا تخاف ولا نحل صيدها إلّا أن تدرك
ذكاته فإنه في كتاب علي عليه السلام أن الله تعالى يقول: «وَمَا عَلِمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ» في
الكلاب.^٢

صَحِيقَةُ أَخْرَى الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا عَلِمْتُ مِنْ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ» قَالَ: هُوَ الْكَلَابُ. ٣

صحيحه جمیل بن دراج قال: سأله أبا عبد الله عائلاً عن الرجل يرسل الكلب على الصيد فيأخذه ولا يكون معه سكين يذكيه بها أيدعه حتى يقتله ويأكل منه؟ قال: لا بأس، قال الله تعالى: «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» ولا ينبغي أن يؤكل مما قتل الفهد.^٤

صَحِيقَةُ أَخْرِيٍّ لِأَبِي بَكْرِ الْخَضْرَمِيِّ قَالَ: سَأَلَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُسْكَنُ عَنْ صِيدِ الْبَزَّةِ
وَالصُّقُورِ وَالْكَلْبِ وَالْفَهْدِ، فَقَالَ: لَا تَأْكُلْ صَيْدَ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ إِلَّا
الْكَلْبُ الْمَكْلُوبُ، قَلْتَ: فَإِنْ قُتِلَهُ؟ قَالَ: كُلْ لَأْنَ اللَّهَ يَعْلَمُ يَقُولُ: ﴿وَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِ
مُكْلَلِينَ تَعَمَّوْنَ إِنَّمَا عَلِمْتُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ٥

موثقة سماعة بن مهران قال: سأله عما أمسك عليه الكلب المعلم للصيد وهو قول الله تعالى: «وَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْحَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُوهُنَّ مِمَّا عَلَمْتُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتُ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» قال: لا بأس أن تأكلوا مما أمسك الكلب مما لم يأكل الكلب منه فإذا أكل الكلب منه قبل أن تدركه فلا تأكل منه، قال: وسائله عن

١. تفسير القمي ١/٢٣٩، ح٥.

.٢. الكافي / ١٢ / ٦، ح ٩٨، (٢٠٧).

^٣. الكافي ١٢ / ٦، ح ٨٣، ٢٠٢ .

٤. الكافي، ١٢ / ٦٨، ح ٨٩، ٢٠٤).

٥. الكافي، ١٢ / ٦٩٠، ح ٩٤ (٢٠٤).

صيد الفهد وهو معلم للصيد فقال: إن أدركته حيًّا فذكُّه وکُلُّه، وإن قتله فلا تأكل منه.^١

عن حَرِيز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سُئل عن كُلُّ الْمَجُوس يُكَلُّهُ المسلم، ويُسمَّى وَيُرِسلُه. قال: نعم، إِنَّه مُكَلَّب، إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَلَا بَأْسَ.^٢
عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن الرجل سرّح الكلب المعلم ويسمى إذا سرّحه، قال: يأكُل ممَّا أمسك عليه، وإن أدركه وقتله، وإن وُجد معه كلبٌ غير معلم فلا يأكُل منه.

قلت: فالصَّقْرُ والْعَقَابُ والبازِي؟ قال: إن أدركت ذَكَاتَه فَكُلْ مِنْهُ، وإن لم تُدْرِك ذَكَاتَه فَلَا تأكُلْ مِنْهُ.

قلت: فالفَهْدُ لَيْسَ بِمُنْزَلَةِ الْكَلْبِ؟ قال: فَقَالَ: لَا، لَيْسَ شَيْءٍ مُكَلَّبٌ إِلَّا الكلب.^٣

عن زُرَارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما خلا الكلاب ممَّا يصيد الفهد والصُّقُورُ وأشباه ذلك، فلا تأكُلُّنَّ من صيده إِلَّا ما أدركت ذَكَاتَه، لأنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿مُكَلَّبِينَ﴾ فما خلا الكلاب فليس صيده بالذِّي يُؤْكَلُ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ ذَكَاتَه.^٤
عن أبي جميلة، عن ابن حُنْظَةَ، عنْهُ عليه السلام، في الصيد يأخذ الكلب فيُدْرِكَه الرجل فيأخذُه، ثُمَّ يموت في يده، يأكُلُّ؟ قال: نعم، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿كُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتُ عَلَيْكُمْ﴾.^٥

١. التهذيب ٩/٢٧، ح ١١٠.

٢. تفسير العياشي ٢/١٠، ح ٢٤.

٣. تفسير العياشي ٢/١٠، ح ٢٦.

٤. تفسير العياشي ٢/١١، ح ٢٩.

٥. تفسير العياشي ٢/١٢، ح ٣٢.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الظَّبَابُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْخَصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْسِنِينَ عَيْرَ مُسَدِّفِينَ وَلَا مُتَخَذِّلَى أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكُفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٥﴾

بعد أن نهي الله سبحانه عن ولية أهل الكتاب ومعاشرتهم ومخالطتهم قد يتوجه حرمة طعامهم ونسائهم فين حليتها للمؤمنين ويلمح بأن دين الإسلام دين التألف والرحمة لا النفرة والخشونة.

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف زمان مقدم متعلق بـ ﴿أُحِلَّ﴾، تصدير الجملة الفعلية بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ يدل على امتنان الله تعالى على المؤمنين بإحلال طعام أهل الكتاب ونسائهم. ﴿أُحِلَّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أُحِلَّ﴾. ﴿الظَّبَابُ﴾ نائب فاعل. تأكيد لما مر في الآية السابقة من القاعدة العامة في الحال والذكير بأئتها امتنانية. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿طَعَامُ﴾ مبتدأ، وهذا من مصاديق القاعدة العامة وفرد من أفراد المشكوكه فصرح بحلية.

«والطعام هو المأكول وكان بعض أهل اللغة يقول: الطعام هو البر خاصة»^١ كما قاله ابن فارس.

وهذه الخلية لا تشمل ذبائحهم لأنهم لم يذكرواها تذكية إسلامية مع شرائطها ومنها عندنا كون الذابح مسلماً فلا يجوز أكل ذبائحهم ولو ذكرها تذكية إسلامية. كما

١. معجم مقاييس اللغة / ٣ / ٤١٠.

روي تحريرم ذبائح نصارى تغلب عن علي عليه السلام .
نعم، يحلّ أسماكهم لأنّ تذكية السمك خروجه حيًّا من الماء لا فرق بين
خارجه، ويحلّ بُرَّهم وسائر حبوبهم وكذا فواكههم وثمارهم .
وعلى القول بظهورتهم يجوز الأكل من طعام طبخوها إذا اجتنبوا من شرب
الخمر وأكل لحم الخنزير ولم يكن على ظاهرهم النجاسة .
فالحللية لا تحمل على ذبائحهم مطلقاً وأطعمةهم المطبوخة إذا لم يحترزوا عن
النجاسات .

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضارف إليه .
﴿أُوتُوا﴾ فعل ماضٍ مبنيٍ للمجهول ونائبٍ فاعله . ﴿الْكِتَبَ﴾ مفعولٌ به .
﴿حِلٌ﴾ خبرٌ وقد مر معناه . ﴿لَكُم﴾ جارٌ ومحرومٌ متعلقٌ بـ ﴿حِلٌ﴾ .
وقال الخليل بن أحمد: «الطعام اسْمُ جامِعٌ لِكُلِّ مَا يُؤْكَلُ... والعلَى في كلام
العرب: أنَّ الطَّعَامُ هُوَ الْبُرُّ خاصَّةً وَيَقَالُ: اسْمُ لَهُ وَلِلخَبَزِ الْمَخْبُوزِ ثُمَّ يُسَمَّى بِالْطَّعَامِ مَا
قَرُبَ مِنْهُ وَصَارَ فِي حَدَّهُ وَكُلَّ مَا يَسْدُدُ جَوْعًا فَهُوَ طَعَامٌ»^٢ .
وقال ابن الأثير: «في حديث أبي سعيد «كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام
أو صاعاً من شعير» قيل أراد به البر وقيل التمر وهو أشبه لأنَّ البر كان عندهم قليلاً
لا يتسع لإخراج زكاة الفطر . وقال الخليل: إنَّ العالِي...»^٣ .
وقال الزمخشري: «وفلان يحتكر في الطعام أي في البر . وعن الخليل: أنَّ العالِي
في كلام العرب وهذا من الغلبة كالمال في الإبل»^٤ .

١. التبيان / ٣٤٤ .

٢. ترتيب كتاب العين / ٥٦٩ .

٣. النهاية / ٣١٢٦ و ١٢٧ .

٤. أساس البلاغة / ٢٨٠ .

وقال ابن منظور: «وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البرّ خاصة»^١ ثم ذكر كلام ابن الأثير والخليل الماضين.

(وَ) عاطفة.

﴿طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ معطوفة على ﴿طَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ والجملتين كلام واحد وحكم واحد وهو ثبوت الخلية وارتفاع الحرمة عن الطعام فلا مانع أن يذكر طرف الحكم كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ شَحِلُونَ هُنَّ﴾^٢.

فلا يكون في مقام تشريع حكم الخلية لأهل الكتاب لأنهم لا يؤمنون برسول الله ﷺ وقرآنـه وأحكامـه فحينئذ يصير هذا التشريع لغواً ولم يصدر اللغو عن الحكيم على الاطلاق.

(وَ) عاطفة.

﴿الْحَصَنَتُ﴾ نائب فاعل لفعل مخدوف يفسره قبله تقديره: أحل لكم تزويج ﴿الْحَصَنَتُ﴾. أو أنها معطوفة على ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ والثاني أظهر. الاحسان لها معان٤ أربعة: الاسلام والتزوج والحرية والعرفة وهذا الأخير هي المقصودة هنا.^٣ فيصير معنى ﴿الْحَصَنَتُ﴾: العفيفات.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ جار و مجرور متعلق حال مخدوفة من ﴿الْحَصَنَتُ﴾. و ﴿مِنَ﴾ بيانـة. أي حال كونهنـ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

(وَ) عاطفة.

﴿الْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ معطوفة على ﴿الْحَصَنَتُ مِنَ

١. لسان العرب / ١٢ / ٣٦٤.

٢. سورة المتحنة / ١٠.

٣. كما في التفسير الكاشف ٣ / ١٧.

الْمُؤْمِنَتْ». تحليل لتزويع نساء أهل الكتاب وهن اليهودية والنصرانية والمجوسية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بـ ﴿أَحِلَّ﴾.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فعل ماض وفاعله ومحفول به أولاً، فعل الشرط وجوابه به مخدوف وهي الخلية على نحو النكاح وإعطاء.

﴿أُجُورُهُنَّ﴾ محفول به ثان ومضاف إليه. أي مهورهن ولعل التعبير بالأجر تلميح إلى جواز الاستمتاع بهن كما ورد في قوله تعالى: «فَمَا أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاقْتُوْهُنَّ أُجُورُهُنَّ فِرِيشَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَصِّدُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيشَةِ»^١.

﴿مُحَصِّبِينَ﴾ حال من فاعل ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. أي حال كونهم يفعلون على طريق النكاح والتزويع، لا على نحو الزنا والسفاح.

﴿غَيْر﴾ بدل ﴿مُحَصِّبِينَ﴾ أو حال ثان من فاعل ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. أو صفة لـ ﴿مُحَصِّبِينَ﴾.

﴿مُسَفِّحِينَ﴾ مضاد إليه. السفاح: الزنا. ولكن هنا ارتكابه جهراً بقرينة ما بعده.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿مُتَخَذِّلَى﴾ معطوفة على ﴿مُسَفِّحِينَ﴾.

﴿أَخْدَانِ﴾ مضاد إليه. الخدن: الصديق، يطلق على الذكر والأنثى. المراد به الزنا سراً، على طريق الصداقة ولعل من دون أجرة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملنا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر، المراد بالكفر هنا ترك العمل بالإحكام الشرعية أي: الكفر العملي وهو العصيان والإثم

والتجاوز عن الحدود الشرعية.

﴿بِالْإِيمَنِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَكُفُرُ﴾ . فالمراد بالإيمان هنا نفس الأحكام الشرعية وكفرها ترك العمل بها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿حَيْطَ﴾ فعل ماض جواب الشرط: أي يسقط.

﴿عَمَلُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار و مجرور متعلق بخبر المبتدأ.

﴿مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ جار و مجرور خبر المبتدأ.

الروايات

صحيحه أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر^{عليه السلام} عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَنَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَنِ فَقَدْ حَيْطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ قال: تفسيرها في بطن القرآن [يعني] من يكفر بولاية علي، وعلى هو الإيمان.^١

صحيحه قتيبة الأعشى قال: سأله رجل أبا عبد الله^{عليه السلام} وأنا عنده فقال له: الغنم يرسل فيها اليهودي والنصراني فتعرض فيها العارضة فيذبح أناكل ذبيحته؟ فقال أبو عبد الله^{عليه السلام}: لا تدخل ثمنها مالك ولا تأكلها فإنما هو الاسم ولا يؤمن عليه إلا مسلم، فقال له الرجل: قال الله تعالى: ﴿الَّيْلَمَ أَحِلَ لَكُمُ الظَّبَابُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلٌ لَكُمْ﴾ فقال له أبو عبد الله^{عليه السلام}: كان أبي^{عليه السلام} يقول: إنما هو الحبوب وأشار بها.^٢

روى الشيخ نحوها في التهذيب^٣ بسند صحيح.

١. بصائر الدرجات ١/١٥٧، ح ٥.

٢. الكافي ١٢/٢٠٠، ح ١٠ (٢٤٠/٦).

٣. التهذيب ٩/٦٤، ح ٥.

معتبرة أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عليه السلام: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ فقال عليه السلام: الحبوب والبقول.^١

موثقة سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله عن طعام أهل الكتاب وما يحلّ منه قال: الحبوب.^٢

موثقة الحسن بن جهم قال: قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام: يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانية على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك وما قولي بين يديك، قال: لتولنَّ فإنَّ ذلك يعلم به قولي، قلت: لا يجوز تزويع النصرانية على مسلمة ولا غير مسلمة، قال: ولم؟ قلت: لقول الله عليه السلام: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾^٣ قال: فما تقول في هذه الآية: ﴿وَالْخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؟ قلت: فقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ نسخت هذه الآية فتبسم ثم سكت.^٤

صحيحه زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عليه السلام: ﴿وَالْخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فقال: هذه منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ﴾^{٦.٥}

موثقة الحسن بن جهم تعارض صحيحه زرارة وعند المعارضة موافقة الكتاب راجحة فتقدّم الموثقة الدالة على جواز نكاحهنّ. أو أن الصحيحه محمولة على النكاح الدوام.

معتبرة عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ﴾ فقال: من ترك العمل الذي أقرّ به، قلت: فما موضع ترك

١. الكافي / ١٢، ٢٧٣، ح ٦ (٢٦٤/٦).

٢. الكافي / ١٢، ٢٧٠، ح ١ (٢٦٣/٦).

٣. سورة البقرة / ٢٢١.

٤. الكافي / ١٠، ٦٥٩، ح ٦ (٣٥٧/٥).

٥. سورة المتحنة / ١٠.

٦. الكافي / ١٠، ٦٦١، ح ٨ (٣٥٨/٥).

العمل؟ حتى يدعه أجمع؟ قال: منه الذي يدع الصلاة متعمداً لا من سكر ولا من علة.^١

عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ»، قَالَ: الْعَدَسُ وَالْحُبُوبُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ، يَعْنِي [مَنْ] أَهْلُ الْكِتَابِ.^٢

عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «وَالْحَصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، قَالَ: هُنَّ الْمُسْلِمَاتِ.^٣

عَنْ أَبِي جَيْلَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي «وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ قَبْلِكُمْ»، قَالَ: هُنَّ الْعَفَافِ.^٤

عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ^٥، قَالَ: سَأْلَنَا عَنْ قَوْلِهِ: «وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» مَا هُنَّ، وَمَا مَعْنَى إِحْصَانِهِنَّ؟ قَالَ: هُنَّ الْعَفَافُ مِنْ نَسَائِهِمْ.^٦
عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَدْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَرَى الرَّأْيَ بِخَلْفِ الْحَقِّ فَيَقِيمُ عَلَيْهِ، قَالَ: «وَمَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ»، وَقَالَ: الَّذِي يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِمَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ، وَلَا يَرْضِي
بِهِ.^٧

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: «وَمَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ»، قَالَ: هُوَ تَرْكُ الْعَمَلِ حَتَّى يَدْعُهُ أَجْمَعُ، قَالَ: مِنْهُ الَّذِي يَدْعُ الصَّلَاةَ

١. الكافي ٤ / ١٤٤، ح ١٢ (٣٨٧ / ٢).

٢. تفسير العياشي ٢ / ١٣، ح ٣٧.

٣. تفسير العياشي ٢ / ١٣، ح ٣٨.

٤. تفسير العياشي ٢ / ١٤، ح ٤٠.

٥. هُوَ الْإِمَامُ مُوسَى الْكَاظِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦. تفسير العياشي ٢ / ١٤، ح ٤١.

٧. تفسير العياشي ٢ / ١٤، ح ٤٣.

مَتَعْمِدًا، لَا مِنْ شُغْلٍ، وَلَا مِنْ سُكْرٍ، يَعْنِي النَّوْمَ.^١
 عن جابر، عن أبي جعفر^{عليه السلام}، قال: سأله عن تفسير هذه الآية ﴿وَمَنْ يَكُفِرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ﴾، [قال]: يعني بولالية علي^{عليه السلام} ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾.^٢

صَحِيحَةُ هِشَامَ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ^{عليه السلام} فِي قَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ فَقَالَ: الْعَدْسُ وَالْحَمْصُ وَغَيْرُ ذَلِكِ.^٣

ابن شهر آشوب السروي عن الباقي^{عليه السلام} وعن زيد بن علي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُفِرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ﴾ قال: بولالية علي^{عليه السلام}.^٤
 وروى ابن الفارسي مثلها في روضة الوعاظين^٥ عن زيد بن علي.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنَاحًا فَاطَّهِرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَابِطِ أَوْ لَمْسَتُمُ الْنِسَاءَ فَلَمْ تَحِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلِكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرُكُمْ وَلِيُتِمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦)

الآية الشريفة تتضمن حكم الطهارات الثلاث: الوضوء وغسل الجنابة

١. تفسير العياشي ٢/١٤، ح ٤٤.

٢. تفسير العياشي ٢/١٤، ح ٤٥.

٣. التهذيب ٩/٨٨، ح ١٠٩.

٤. المناقب ٣/٩٤.

٥. روضة الوعاظين ١٠٦/١٠٦.

وَالْتَّيْمِ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله.

﴿إِذَا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط.

﴿قُمْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، فعل الشرط إِي إذا أردتم القيام. «إِذَا عُدَّيَ بِإِلَيْهِ كَنِيَّةً بِهِ عَنْ إِرَادَةِ الشَّيْءِ الْمُذَكُورِ لِلْمَلَازِمَةِ وَالْقِرَاءَةِ بِيَنْهَمَا»^١.

﴿إِلَى الْأَصْلَوَةِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿قُمْتُمْ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها يبيّن كيفية الموضوع.

﴿أَغْسِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، جواب الشرط، الغسل: إمرار الماء على الشيء.

﴿وُجُوهُكُمْ﴾ مفعول به و مضاف إليه. الوجه: ما يستقبلك من شيء ومن الإنسان صورته. وحدّ الوجه «من قصاص شعر الرأس إلى محاذي شعر الذقن طولاً وما دخل بين الوسطى والإبهام عرضاً، وما خرج عن ذلك فلا يجب غسله. وما نزل من الشعر عن المحادر، فلا يجب غسله»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَيْدِيَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿وُجُوهُكُمْ﴾. والأيدي: جَمْعُ يَدٍ، وَلَهَا اطْلَاقَاتٌ مِنَ الْأَصْبَاعِ فِي حَدَّ السُّرْقَةِ إِلَى الْمُنْكَبَيْنِ فَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُشَتَّرَكَةِ يَحْتَاجُ تَعْيِنِهِ إِلَى الْقَرِينِيَّةِ.

﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾. وبهـما تعـيـنـ المرـادـ منـ الـيدـ أـنـها ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. فـحدـ الـيدـ فـيـ غـسلـهاـ إـلـىـ الـمـرفـقـ وـبـيـانـ لـغـاـيـةـ الـمـغـسـولـ لـاـ الغـسلـ وـدـخـولـ الـمـرفـقـ بـنـفـسـ الـآـيـةـ الشـرـيفـةـ لـأـنـ ﴿إـلـىـ﴾ فـيـهاـ بـمـعـنـىـ «ـمـعـ»ـ كـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَلـاـ تـأـكـلـوـ أـمـوـاـلـهـمـ إـلـىـ أـمـوـاـلـكـمـ﴾^٣ـ أـوـ بـمـعـنـىـ «ـمـنـ»ـ.

١. الميزان / ٥ . ٢١٩.

٢. البيان / ٣ . ٤٤٩.

٣. سورة النساء / ٢ .

«ويجب علينا غسل الأيدي من المرفق، وغسل المرافق معها إلى رؤوس الأصابع، ولا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق»^١.
 (وَ) عاطفة.

﴿أَمْسَحُوا﴾ معطوفة على ﴿فَاغْسِلُوا﴾. المسح: امرار اليد أو كلّ عضو لا مس على شيء بال المباشرة. و «إذا عُدِيَ بنفسه أفاد الاستيعاب، وإذا عُدِيَ بالباء دلّ على المسح ببعضه من غير استيعاب وإحاطة»^٢.

﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَمْسَحُوا﴾. يدل على مسح بعض الرأس لا كُلُّه.

(وَ) عاطفة.

﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿رُءُوسِكُمْ﴾، و قُرئ بالفتح معطوف على موضع ﴿رُءُوسِكُمْ﴾ وهو النصب، و قُرئ بالجر معطوف على لفظ ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾.

وعلى أي حال لم تعطف على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ «في أول الآية مع انقطاع الحكم في قوله ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِق﴾ بحكم آخر وهو قوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾، فان الطبع السليم يأبى عن حمل الكلام البليغ على ذلك^٣، وكيف يرضى طبع متكلم بلigli أن يقول مثلاً: قبلت وجه زيد ورأسه ومسحت بكتفه ويده بنصب يد عطفاً على «وجه زيد» مع انقطاع الكلام الأول، وصلاحية قوله «يده» لأن يعطف على محل المجرور المتصل به، وهو أمر جائز دائرة كثير الورود في كلامهم»^٤.

١. التبيان / ٣ / ٤٥٠.

٢. الميزان / ٥ / ٢٢١.

٣. وَقَدْ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ إِنَّ عَطْفَ الْأَرْجُلَ عَلَى الْوُجُوهِ، مِنْ أَقْبَحِ الْوُجُوهِ.

٤. الميزان / ٥ / ٢٢٢.

٥. وراجع تفاسير آية الوضوء من «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي فقد وافق الإمامية بعدم جواز عطف الأرجل على الوجوه، وأن العطف على الحوار ليس من فصيح كلام العرب ولا يصح إن فرض

﴿إِلَى الْكَعَيْنِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَرْجُلَكُم﴾ . الكعب هو العظم الناتي في وسط ظهر القدم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماضٌ ناقص، اسم «كان» في محل جزم لأنّه فعل الشرط. ﴿جُنْبًا﴾ خبر «كان». «الجنب في الأصل مصدر غلب عليه الاستعمال بمعنى اسم الفاعل، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره، يقال: رجل جنب وامرأة جنب ورجلان أو امرأتان جنب، ورجال أو نساء جنب، واختص الاستعمال بمعنى المصدر للجناية»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَطَهَرُوا﴾ فعل أمرٌ وفاعله. جواب الشرط المراد بالطهارة هنا الغسل لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾^٢. أي « وإن أصابتكم جنابة وأردتم القيام إلى الصلاة فاطهروا بالاغتسال. والجنابة تكون بشيئين: أحدهما: بإنزال الماء الدافق في النوم أو اليقظة. وعلى كُلِّ حالٍ بشهوة كان أو بغير شهوة.

والآخر: بالنقاء الختانتين وحدُهُ غيبوبة الحشمة أنزل أو لم ينزل»^٣. «ويستفاد من ذلك أن تشريع الموضوع إنما هو في حال عدم الجنابة، وأما عند الجنابة فالغسل فحسب كما دلت عليه الأخبار»^٤.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْسَتُمُ النِّسَاءَ

وُقُوعُهُ مع العَطَافِ وَمَعَ احْتِمَالِ الْلِّبَسِ.

١. الميزان / ٥ / ٢٢٥.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. التبيان / ٣ / ٤٥٧.

٤. الميزان / ٥ / ٢٢٥.

فَلَمْ تَحْدُوا مَاءَ فَتَيَّمُوا صَعِيدًا طَيَّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ^١ قد مرّ الكلام حول هذا القسم من الآية الشريفة في سورة النساء^٢ حول التيم فلا نعيده وراجعيه. «مِنْهُ» جار و مجرور متعلق بصفة مذكورة من «صَعِيدًا». و «من» ابتدائية «والمراد أن يكون المسح بالوجه واليدين مبتدء من الصعيد»^٣. والضمير يرجع إلى «صَعِيدًا» أو التيم.

«مَا» نافية. «يُرِيدُ» فعل مضارع، والإرادة هنا تشريعية.

«الله» زائدة تأكيد. «إِنْ» فاعل.

«يَجْعَلَ» فعل مضارع منصوب بأنّ مضمرة بعد «إِنْ» زائدة وفاعله. «أن» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر مفعول به لفعل «يُرِيدُ». والجعل هنا أيضًا تشريعيًّا. «عَلَيْكُمْ» جار و مجرور متعلق بـ «يَجْعَلَ». «مِنْ» زائدة أو تبعيضية.

«حَرَجٍ» اسم مجرور في محل نصب لأنّه مفعول به «يَجْعَلَ».

الخرج: المشقة والضيق والزحمة التي لا يطاق عادة والعسر والثقل والإصر.

ويستفاد منها قاعدة نفي الخرج الحاكمة على الأحكام الأولية الشرعية والبحث عنها يأتي في القواعد الفقهية.

«وَ» استئنافية. «لَكِنْ» حرف استدرالك.

«يُرِيدُ» فعل مضارع والإرادة كما مرّت تشريعية. «إِنْ» زائدة، تأكيد.

«يُطَهِّرُكُمْ» فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. يدلّ على أنّ الطهارات الثلاث هي طهارة معنوية وأنّها غايتها.

«وَ» عاطفة. «لَيُتَمَّ» معطوفة على «لَيَجْعَلَ».

١. أجود البيان في تفسير القرآن / ٥ / ٧٧.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. الميزان / ٥ / ٢٢٩.

﴿نِعْمَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه والمراد بالنعمة هنا الدين بمجموعه.

ومنها: جعل الطهارات الثلاث وغيرهنّ من الأحكام والمعارف.

﴿عَلَيْكُم﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿بُيْتَمَ﴾

﴿لَعَلَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل. ﴿كُم﴾ اسمه.

﴿تَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّ﴾. ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على

إتمام نعمته من تشريع الدين بمجموعه الكامل.

الروايات

صحيحية زراراة قال: قلت لأبي جعفر ع: ألا تخبرني من أين علمت وقلت:

إنَّ المسح ببعض الرأس وبعض الرّجلين؟

فضحشك ثم قال: يا زراراة قال: رسول الله ﷺ ونزل به الكتاب من الله لأنَّ الله يعلم يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُم﴾ فعرفنا أنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل ثم قال: ﴿وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ﴾ ثم فصل بين الكلام فقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ أنَّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرّجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه: فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعَبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس أنَّ المسح على عبضها ثم فسر ذلك رسول الله ﷺ للناس فضيّعوه ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءَ فَتَيَمِّمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ مِنْهُ﴾ فلما وضع الوضوء إن لم تجدوا الماء أثبت بعض العَسْل مسحًا لأنَّه قال: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ ثم وصل بها ﴿وَأَيْدِيْكُمْ﴾ ثم قال: ﴿مِنْهُ﴾ أي من ذلك التّيّم لأنَّه علم أنَّ ذلك أجمع لم يجر على الوجه لأنَّه يعلق من ذلك الصّعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها، ثم قال: ﴿مَا يُرِيدُ

١ . وفي التهذيب ٦١، ح ١٦٨: «بعوض».

الله ليجعل عليكم (في الدين) من حرجٍ والخرج الضيق.^١

صحيحة أخرى لزراة وبكير أنها سألا أبا جعفر ع عن وضوء رسول الله ع فدعا بسته أو تور فيه ماء فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفة فصببها على وجهه، فغسل بها وجهه، ثم غمس كفه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردها إلى المرفق ثم غمس كفه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمينى، ثم مسح رأسه وقدميه ببلل كفه، لم يحدث لها ماءً جديداً ثم قال: ولا يدخل أصابعه تحت الشراب قال: ثم قال: إن الله يقول: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ» فليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلا غسله لأن الله يقول: «أَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ» ثم قال: «وَامْسِحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعَبَيْنِ» فإذا مسح بشيء من رأسه أو شيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزاء.^٢

وروها الصدوق بسنده الصحيح في علل الشرائع.^٣

خبر الهيثم بن عروة التميمي قال سألت أبا عبد الله ع عن قول الله ع: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ» فقلت: هكذا ومسحت من ظهر كفي إلى المرفق، فقال: ليس هكذا تنزيلها إنما هي «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ»، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه.^٤

رجال السنن كلهم ثقات إلا سهل وهو مختلف فيه، والمراد بتنزيلها أي مفادها ومعناها.

صحيحة الحلبية عن أبي عبد الله ع قال: سأله عن قول الله ع: «أَوْ لَمَسْتُمْ

١. الكافي / ٥، ح ٩٥، ٤ / ٣ (٣٠).

٢. الكافي / ٥، ح ٨٢، ٥ / ٣ (٢٦).

٣. علل الشرائع / ٢٧٩.

٤. الكافي / ٥، ح ٩١، ٥ / ٣ (٢٨).

الْيَسَاءَ» فَقَالَ: هُوَ الْجَمَاعُ وَلَكِنَ اللَّهُ سَتِيرٌ يَحْبُّ السَّتِيرَ فَلَمْ يَسْمِمْ كَمَا تَسْمِمُونَ.^١
 عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَلْتُ: كَيْفَ يُمْسَحُ الرَّأْسُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى يَقُولُ: «وَامْسَحُوهُ بِرُءُوسِكُمْ» فَمَا مَسَحَتْ مِنْ رَأْسِكَ فَهُوَ كَذَا، وَلَوْ قَالَ: امْسَحُوا
 رُؤُسَكُمْ، فَكَانَ عَلَيْكُمُ الْمَسْحُ كُلُّهُ.^٢

عَنْ صَفَوَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
 وَأَبْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوهُ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعَبَيْنِ»، فَقَالَ: قَدْ سَأَلَ رَجُلٌ
 أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: سِيَكْفِيكَ أَوْ كَفَتْكَ سُورَةُ الْمَائِدَةِ، يَعْنِي الْمَسْحُ عَلَى
 الرَّأْسِ وَالرِّجْلَيْنِ.^٣

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحُرَاسَانِيِّ، رَفِيعِ الْحَدِيثِ، قَالَ: أَتَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ،
 فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَّيْنِ، فَأَطْرَقَ فِي الْأَرْضِ مَلِيّاً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ
 اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرَ عَبَادِهِ بِالظَّهَارَةِ، وَقَسَّمَهَا عَلَى الْجَوَارِحِ، فَجَعَلَ لِلْوَجْهِ مِنْهُ نَصِيبًا،
 وَجَعَلَ لِلْلَّيْدَيْنِ مِنْهُ نَصِيبًا، وَجَعَلَ لِلرَّأْسِ مِنْهُ نَصِيبًا، وَجَعَلَ لِلرِّجْلَيْنِ مِنْهُ نَصِيبًا، فَإِنَّ
 كَانَتْ خُفَّاكَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ، فَامْسَحْ عَلَيْهَا.^٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ، أَبِي الْعَرِيفِ الْمُكْرَانِيِّ، قَالَ: قَامَ ابْنُ الْكَوَافِرِ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَّيْنِ؟ فَقَالَ: بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَسْأَلُنِي؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَأَيُّهَا^٥
 الَّذِيْنَ إِذَا آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا» إِلَى قَوْلِهِ: «الْكَعَبَيْنِ» ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً
 فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكِ يَتَلوُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةِ.^٦

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ زِيدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَالِفُ الْقَوْمِ فِي

١. الكافي ١١/٢٨١، ح ٥٥٥/٥.

٢. تفسير العياشي ٢/١٩، ح ٥٤.

٣. تفسير العياشي ٢/١٩، ح ٥٥.

٤. تفسير العياشي ٢/٢١، ح ٦٠.

٥. تفسير العياشي ٢/٢٢، ح ٦٢.

المسح على الحُقْفَين على عهد عمر بن الخطاب، قالوا: رأينا النبي ﷺ يمسح على الحُقْفَين، قال: فقال عليٌّ عليه السلام: قبل نزول المائدة أو بعدها؟ فقالوا: لا ندري. قال: ولكن أدرى أنَّ النبي ﷺ ترك المسح على الحُقْفَين حين نزلت المائدة، ولأنَّه مسح على ظهر حمار أحبَّ إلى من أنْ يمسح على الحُقْفَين؛ وتلا هذه الآية ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيهِكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.^{١.}

عن زُرار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التيمم، فقال: إنَّ عمار بن ياسر أتى النبي ﷺ، فقال: أجبت وليس معك ماء؟ فقال: كيف صنعت يا عمار؟ قال: نزعت ثيابي، ثمَّ تعرَّكتُ على الصعيد؟ فقال: هكذا يصنع الحمار، إنَّما قال الله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيهِكُمْ مِنْهُ﴾ ثمَّ وضع يديه جيئاً على الصعيد، ثمَّ مسحهما، ثمَّ مسح من بين عينيه إلى أسفل حاجبيه، ثمَّ دلك إحدى يديه بالأخرى على ظهر الكف بدءاً باليميني.^{٢.}

موثقة ابن بكر قال: قلت: لأبي عبدالله عليه السلام قوله تعالى ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ما يعني بذلك إذا قمت إلى الصلاة؟ قال: إذا قمت من النوم، قلت: ينقض النوم الوضوء؟ فقال: نعم إذا كان يغلب على السمع ولا يسمع الصوت.^{٣.}

خبر غالب بن الهذيل قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ على الحفظ هي أم على النصب؟ قال: بل هي على الحفظ.^{٤.}

١. تفسير العياشي ٢/٢٢، ح ٦٣.

٢. تفسير العياشي ٢/٢٢، ح ٦٤.

٣. التهذيب ١/٧، ح ٩.

٤. التهذيب ١/٧٠، ح ٣٧.

﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيشَقَهُ الَّذِي وَاثْقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾

﴿وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٧

«في هذه الآية إذكار بنعم الله تعالى عليهم برسوله ﷺ (وميشقه الذي) واثقهم به عندما ضمنوا لرسول الله ﷺ السمع والطاعة، ثم حذّرهم أن ينقضوا ذلك بقولهم، وأعلمهم أنه (عليم بذات الصدور)». ^١

و «ترغيب إلى دوام طاعة الله سبحانه وتعالى، وحث على الوفاء بعهده، وتذكير لهم بما أنعم الله تعالى على المؤمنين من الفيوضات العلية والمواهب الجميلة، والدخول في الإسلام الذي جمعهم بعد أن كانوا متباغضين متفرقين، وأرشدهم إلى الكمالات والمعارف الواقعية بعد أن كانوا في جاهلية عمياء، مع أن حالهم في الإسلام من حيث أنهم وغناهم، وصفاء قلوبهم، وخلوص نياتهم، وظهور أعمالهم معروف لا يمكن إنكاره، وتبيّن هذه الآية المباركة قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَفَبَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصِبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُفْرَةٍ مِّنْ آنَارٍ فَأَنْقَدْتُكُمْ مِّنْهَا﴾ ^٢». ^٣

و «كل من دخل في دين أو حزب فقد قطع عهداً على نفسه أن يستجيب لمبادئه وتعاليمه، ويعمل بها عن رضا وطيب نفس... وهذا هو الميثاق الذي واثقنا الله به نحن المسلمين حين ارتضينا الإسلام ديناً، ومن قام بهذا الميثاق وأداه كما أمر الله فقد وفي مع الله، ومن عصى فقد خان الله، ومن أظهر معاني الوفاء لله سبحانه والأخلاق لعباده. والصدق في معاملتهم، ولا أعرف علامة على الصدق في الدين حقاً وواقعاً

١. التبيان / ٣ / ٤٥٩.

٢. سورة آل عمران / ٣ / ١٠٣.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٣.

غير الوفاء... وأنصح كل انسان أن لا يأتمن أحداً لعلمه أو عبادته، أو لمنصبه وشهرته، بل يأتمنه ويثق به بعد اليقين بصدقه ووفائه^١.
﴿وَعَاطِفَة﴾.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على الأفعال الآمرة في الآية السابقة.
فيكون الخطاب للمؤمنين.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضارف إليه. المراد بالنعمة هو إرسال رسول منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم وإنزال الكتاب السماوي عليهم وتشريع الأحكام الشرعية من الواجبات والمحرمات، وبالجملة المراد بالنعمة هو الإسلام بحقيقة وواقعه وروحه ولبّه.

ومن إثمام النعمة هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^٢.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿نِعْمَة﴾. والضمير الخطاب يرجع إلى المؤمنين.

﴿وَعَاطِفَة﴾.

﴿مِيشَقَه﴾ معطوف على ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾. الميثاق: العهد المؤكّد، المراد به الإسلام عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً بقرينة قوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.
ومنه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بدلالة قوله تعالى بعد نصبه عليه السلام بيد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في يوم الغدير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنَّا﴾^٣. فتدخل الولاية في الإسلام بل هي من دعائمه الأساسية

١. التفسير الكاشف / ٣ / ٢٤.

٢. سورة المائدة / ٣.

٣. سورة المائدة / ٣.

بل هي ركنه الوحد. والشاهد عليه ما يأقى من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أَنْفَقَ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^١.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿مِيثَقَهُ﴾.

﴿وَاثَقُكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي عاهدكم عهداً غليظاً ومؤكداً.

﴿بِهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿وَاثَقُكُمْ﴾.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿وَاثَقُكُمْ﴾، بمعنى حين، وبيان للميثاق المأمور.

﴿قُلْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. في محل جرّ بالإضافة لوقوعه بعد الظرف.

﴿سَمِعْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. مفعول به ومقول القول. ومفعول به ﴿سَمِعْنَا﴾ محذوف أي «قولك».

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَطَعْنَا﴾ معطوف على ﴿سَمِعْنَا﴾ ومفعوله محذوف أي «أمرك». وحذف المفعولين يدلّ على الاطلاق أي السمع المطلق والطاعة المطلقة وهي حقيقة الإسلام الذي لا يكون إلا الانقياد لله تعالى والدخول في ولايته التي هي ولاية رسوله ﷺ. وولاية أوصياء رسوله ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَكْفُوا﴾ معطوف على ﴿أَذْكُرُوا﴾، وتأكيد آخر على المحافظة على ميثاق الله.

﴿الَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿بِذَاتِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿الصُّدُورِ﴾ مضارف إليه. تحذير لهم في نسيان نعمه ونقض مواثيقه... فإن الله

تعالى عالم بخفايا القلوب وما تضمّرها النفوس»^١.

رواية

قال أبوالحارود عن أبي جعفر عليهما السلام الميثاق هو ما يَبْيَنُ لهم في حجة الوداع من تحريم كُلِّ مسکرٍ وكيفية الوضوء على ما ذكره الله وغير ذلك ونصب أمير المؤمنين عليهما السلام إماماً للخلق.^٢

درایہ

قال علي بن إبراهيم القمي: لما أخذ رسول الله عليهما السلام الميثاق عليهم بالولاية، قالوا: سمعنا وأطعنا. ثم نقضوا ميثاقهم!^٣

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

خطاب للمؤمنين يذكرهم الله تعالى بأهم قضايا التي تمس حياتهم المادية والمعنوية والدنيوية والآخرية وأمرهم أن يكونوا قائمين بالعدل، يقومون به ويدومون عليه ومبينون له.

و «العدل الذي أمر الله به في هذه الآية وغيرها، العدل الذي هو أمل الإنسانية وهدفها، والذي لا تستقيم بدونه حياة... إن المجتمع قد يعيش من غير علم، أمّا أن

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٤.

٢. التبيان / ٣ / ٤٦٠؛ جمجمة البيان / ٣ / ١٦٨؛ روض الجنان / ٦ / ٢٨٥.

٣. تفسير القمي / ١ / ٢٤١.

يعيش بلا عدل في جهة من الجهات فمحال، حتى ولو كان جميع أفراده عباقرة ومخترعين... إن العلم بلا عدل ضرره أكثر من نفعه، أما العدل فكله نفع، ومحال أن يكون فيه للضرر شائبة، وإن وجدت فهي وسيلة لدفع ما هو أعظم ضرراً، وأشد خطراً^١.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا﴾ خطاب للذين آمنوا واعطوا السمع والطاعة

﴿كُونُوا﴾ فعل أمر ناقص و «واو» اسمه.

﴿قَوْمِينَ﴾ خبر «كان». «القوم من صيغ المبالغة، المراد به كثرة القيام له باللازم لـأداء حقوقه، والوفاء بعهوده، والإخلاص في الأعمال ابتغاً لمرضاته حتى تصير عادةً لكم، وخلقاً كريباً فيكم، فتكونوا مظهراً من مظاهر أسمائه المقدسة، وتكونوا دعاء إلى الله تعالى بأعمالكم وأقوالكم»^٢.

﴿لِلَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿قَوْمِينَ﴾.

﴿شُهَدَاء﴾ حال من اسم «كان» أو بدل من ﴿قَوْمِينَ﴾ أو خبر ثان لـ«كان». ولم ينون آخرها لأنّها منوع من الصرف على وزن «فعلاء». المراد بها إقامة الشهادة في الدعوي وغيرها.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿شُهَدَاء﴾. القسط: العدل وهو وضع كل شيء في موضعه وإعطاء كل ذي حق حق، المراد: «كونوا شهداء بالعدل بابتلاء الحقيقة في الشهادة وأداء الواقع على ما هو عليه، بغير ميل ولا حيف اتباعاً للهوى، والآية المباركة تشابه الآية الكريمة التي وردت في سورة النساء ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ أَلَوَّدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَشْيِعُوا أَهْمَوْيَ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوْرَا أَوْ تُعَرِّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

١. التفسير الكافش ٣/٢٦.

٢. مواهب الرحمن ١١/٦٦.

٢١) ﴿اَخْبِرْ اَنْ تَعْمَلُونَ

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية جازمة.

﴿يَجْرِمَنَّكُم﴾ فعل مضارع مجزوم محالاً، مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الشقيقة ومفعول به. ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُم﴾: لا يعثركم ولا يحملنكم.

﴿شَنَاعٌ﴾ فاعل. ومعناه: شدّة البغض والعداوة. أي: لا تشهدوا على أحد إلا بالعدل ولو كان عدواً لكم فإلى هنا ردع «عن الظلم في الشهادة لسابق عدوة من الشاهد للمشهود عليه»^٣.

﴿قَوْمٌ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم «أعداء الخير والعدل الذين يقاومون كلّ محاولة لتحرير الإنسانية من قيود الضعف والتخلّف».^٤ .
﴿عَلَى﴾ حرف جر.

﴿أَلَا﴾ مكوّنة من «أنْ» المصدرية الناصبة، و «لا» نافية.
﴿تعلُّوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أنْ». وفاعله. «أنْ» المصدرية وما بعدها

﴿أَعْدِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. تأكيد على مراعاة العدل في خصوص الشهادة بل في جميع الأمور.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، والضمير يرجع إلى العدل.

القرينة **«لِتَّقْوَى»** وينتها مناسبة السبيبة.

جار ومحروم متعلق بـ «أقرب». ويستفاد أن العدل من الأسباب

١٣٥ / سورۃ النساء .

٦٦ / ١١ . موهب الرحمن

. ٢٣٧ / ٥ . الميزان

٤. التفسير الكاشف / ٣٦

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَنْقُوا﴾ معطوف على ﴿أَعْدِلُوا﴾. فعل أمر وفاعله. لأن التقوى هي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الأحكام.

﴿الَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل جاء تأكيداً.

﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿بِمَا﴾ جر وموصول في محل جر، متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي عالم بأعمالكم ويحاسبكم ويجازيكم ونسأل الله عفوه ورحمته ومغفرته.

الروايات

صححه الحلبـي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحل من الماء يصيـه الضمان،
ما أوسع العـدـل إذا عـدـلـ فيـهـ وإنـ قـلـ.^١

رواهـاـ الكلـينـيـ^٢ـ بـسـنـدـ آخرـ عنـ الحـلبـيـ.

صحـحـةـ مـعاـوـيـةـ بـنـ وـهـبـ عنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عليهـ السـلامـ قال: العـدـلـ أـحلـ منـ الشـهـدـ،
وـأـلـيـنـ مـنـ الزـبـدـ، وـأـطـيـبـ رـيحـاـ مـنـ المـسـكـ.^٣

صحـحـةـ اـبـنـ أـبـيـ يـعـفـورـ عنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عليهـ السـلامـ قال: إـنـ مـنـ أـعـظـمـ النـاسـ حـسـرـةـ يـوـمـ
الـقـيـامـةـ مـنـ وـصـفـ عـدـلـاـ ثـمـ خـالـفـهـ إـلـىـ غـيرـهـ.^٤

معـتـبـرـةـ الـفـضـلـ عـنـ الرـضـاـ عليهـ السـلامـ يـقـولـ: استـعـمـالـ الـعـدـلـ وـالـإـحـسـانـ مـؤـذـنـ بدـوـامـ

الـنـعـمـةـ.^٥

١. الكافي /٣، ٣٨٠، ح ٢٠/٢ (١٤٨).

٢. الكافي /٣، ٣٧٥، ح ١١/٢ (١٤٦).

٣. الكافي /٣، ٣٧٧، ح ١٥/٢ (١٤٧).

٤. الكافي /٣، ٧٣٢، ح ٣٠٠/٢ (١٤٧).

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام /٢، ٤٤، ح ٥٢ (طبعة آل البيت).

كتب أمير المؤمنين في عهده إلى مالك الأشتر المروي بسند معتبر: ... إنّ أفضل
قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية...^١.

وكتب علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى ابنه زيد: اوصيك بتنقى الله فإنهما تجمع
لـك خير الدنيا والآخرة؛ أمـا الدنيا فتطهير العرض من الدنس وإكرام النفس عن
الدناءة، وأمـا الآخرة فحسن الثواب وكرم المآب. واعلم أنـ الناس إلى ذمـ السيء أسرع
منهم إلى حمدـ المحسـن، فإنـ أتاكـ سائلـ وكانـ أهـلاًـ فاقـض حاجـته لـأهـلهـ، وإنـ لمـ يكنـ
أهـلاًـ فلا تـدعـ ماـ أنتـ أهـلهـ، ولـيـكنـ مـالـكـ دونـ عـرـضـكـ، ولا تـجـعـلـ عـرـضـكـ دونـ
مالـكـ، ولا تـدعـ منـ المعـرـوفـ صـغـيرـاًـ وـكـبـيرـاًـ.^٢

الروايات الواردة حول العدل كثيرة قد ذكرت خمسين منها في كتابي الموسوعة^٣.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^٤

ترغيب وتحثيث في الإيمان والعمل الصالح.

هذه الآية وما بعدها «وـعـدـ جـمـيلـ لـلـذـينـ آمـنـوا وـعـمـلـوا الصـالـحـاتـ، وـإـيـعادـ شـدـيدـ
لـلـذـينـ كـفـرـوا وـكـذـبـوا بـآـيـاتـ اللـهـ، وـبـيـنـ الـمـرـحلـتـيـنـ مـرـاحـلـ مـتوـسـطـةـ وـمـنـازـلـ مـتـخـلـلـةـ أـهـلـهـمـ
الـلـهـ سـبـحـانـهـ أـمـرـهـا وـعـقـبـاهـا»^٤.

﴿وَعَدَ﴾ فعل ماض. ﴿الَّهُ﴾ فاعله. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله، لم يذكر متعلق الإيمان فيشمل جميع الاعتقادات

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢. مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام / ٢٧٤، ح ٣٥٩، للقطب الرواندي المتوفى سنة ٥٧٣.

٣. راجع موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٧/ ١٢٠-١١١.

٤. الميزان ٥/ ٢٣٨.

الصحيحة نحو الإقرار بالله تعالى ووحدانيته والتصديق بنبوة خاتم الأنبياء
محمد ﷺ وإمامه وخلافة وصييه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده
الأوصياء المصوومين وغيرها من العقائد الحقة .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿أَمْنُوا﴾.

﴿الصَّالِحَتِ﴾ مفعول به، الجمع المحل بـ «ال» يفيد العموم فيشمل جميع
الأعمال الصالحة في تعامل الإنسان مع حالقه ومع أفراد مجتمعه الديني والإنساني ومع
الطبيعة والبيئة ونحوها .

﴿هُمْ﴾ جار و مجرور، خبر مقدم.

﴿مَغْفِرَةً﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية ﴿هُمْ مَغْفِرَةً﴾ إنشا للوعد الذي أخبر
عنه تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ وتدلّ على أهمية الموعود والتاكيد عليه . والمغفرة: أصلها
التغطية و معناها تكثير السيئة. أو «المغفرة: الستر، إِي إِيمانهم و عملهم الصالح
يوجبان غفران الله تعالى لهم بستر ذنوبهم ومحو آثارها من نفوسهم» .^١

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَجْرُ﴾ معطوف على ﴿مَغْفِرَةً﴾. الأجر « هو الثواب الذي وعد الله المؤمنين به
على فعلهم الطاعات . والفرق بين الثواب والأجر في العرف أن الثواب هو الجزاء على
الطاعات . والأجر قد يكون مثل ذلك وقد يكون في المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى
الأجر»^٢ .

﴿عَظِيمٌ﴾ نعت، الأجر العظيم هو «الجزاء المضاعف الذي لا حدّ لعظمته»^٣.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٧٠ .

٢. التبيان / ٣ / ٤٦٢ .

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٧٠ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

اسلوب قرآنی في الجمع بين الترغیب والترھیب والقرآن بين الوعد والوعید
إنما للحجۃ وأیضاً للمحجۃ.
﴿وَ﴾ استئنافیة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، والجملة الاسمية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ﴾ خبره.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، والکفر هو الانکار مع وضوھه وثبوت الشیء
عند المنکر، والمراد بالکفر هنا الكفر العقائدي لا الكفر العملي الذي هو الاتيان
بمعاصي الله.

﴿كَذَّبُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

قال العلامة الطاطبائي : «تقید الكفر بتکذیب الآیات للاحتراز عن الكفر
الذی لا یقارن تکذیب الآیات الدالة، ولا یتنهی إلى إنکار الحق مع العلم بکونه حقاً
کما في صورة الاستضعف، فإن أمره إلى الله إن يشاً يغفره وإن يشاً يعذب عليه»^١.
ولكن على ما قلنا کل کفر تکذیب فيكون عطف التکذیب على الكفر عطف
تفسیر لا التقید.

نعم، المکذب بآیات الله وإن لم یعلمها آیات فهو کافر إذا كان له سبیل إلى
معرفتها.

﴿بِإِيمَانِنَا﴾ جار و مجرور ومضاف إليه. یتعلقان بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. آیات الله هي
توحید الله وصفاته الذاتية وعدله ونبوته نبیه ﷺ وخلافة وصیہ علیہ السلام والإقرار
والاعتراف بأحكام الله الواردة في الشريعة المقدسة.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِيَوْمَنَا﴾.
 ﴿أَصْحَابُ﴾ خبر. «المصاحبة» تقتضي الملازمة كما يقال أصحاب الصحراء
 بمعنى الملازمين لها».١

﴿الجِحِيمُ﴾ مضافٌ إليه. اسم من أسماء جهنم، أصلها الجحمة وهي شدّة تأجج النار.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْلُدُ فِي النَّارِ لَا مَرْدُورٌ مِنْ اقْتِصَادِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَسَاجِدِ الْمَلَازِمَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا اذْكُرُوا نَعْمَاتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

خطاب للمؤمنين ذكرهم الله نعمته عليهم «من النصر والعزّة والغلبة على الأعداء والمشركين، وحفظهم من مكائدتهم وشرورهم، والأية المباركة تشمل جميع الطافه يذكر على المؤمنين التي خصّهم بها في جميع الغزوات والوقائع التي دارت بين المسلمين والكافر، الذين كان همّهم الوحيد محارب الإسلام والقضاء على دين الحقّ، ممن كان في عصر النزول ومن هم بعده إلى يوم القيمة»^٢.

ولا يختص بأحدٍ بل «يقبل الانطباق على وقائع متعددة مختلفة وقعت بين الكفار وال المسلمين كغزوات بدر وأحد والأحزاب وغير ذلك، فالظاهر أن المراد به مطلق ما هم به المشركون من قتل المؤمنين وإحاء أثر الإسلام ودين التوحيد».^۳

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تذكير للمؤمنين.

٤٦٣ / ٣ . التبيان

٢. موهب الرحمن / ١١

.٢٣٨ / ٥ .الميزان

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والذكر هو حضور المعنى للنفس ونقضه النسيان والتنذر هو طلب المعنى لا طلب القول.

﴿نِعَمَتْ اللَّهُ﴾ مفعول به و مضاف إليه. والمراد بها هنا نصر المسلمين أعدائهم والظفر بهم والسلطة عليهم.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿نِعَمَتْ﴾، والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب بمعنى «حين» متعلق بـ ﴿نِعَمَتْ اللَّهُ﴾ أو ﴿أَذْكُرُوا﴾.

﴿هُمْ﴾ فِعلٌ ماضٍ، الهم: القصد.

﴿قَوْمٌ﴾ فاعله. والمراد بهم هنا «مشركو مكة الذين أرادوا القضاء على الإسلام في بدايته عن طريق البطش بأتباوه قتلاً و تعذيباً و تشيريداً، ثم اعلن الحرب و تجيش الجيوش، ولكن الله في النهاية نصر المسلمين على أعدائهم وأعدائهم، وصاروا أعزاء بعد أن كانوا أذلاء، وحاكمين بعد أن كانوا محکومين، ولا نعمة أعظم من الحرية والنصر على العدو».^١.

وقال القمي: يعني أهل مكة من قبل أن يفتحها فكفّ أيديهم بالصلح يوم الحديبية.^٢

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَبْسُطُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَن يَبْسُطُوا﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿هُم﴾. البسط: المدّ

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَبْسُطُوا﴾.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مفعول به و مضاف إليه. بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا

١. التفسير الكاشف ٢٧ / ٣

٢. تفسير القمي ٢٤١ / ١

بطش به بالقتل والإهلاك.

﴿فَ﴾ حرف عطف جاء للترتيب و «للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكماها وتحققها بعد الهمّ بلا فصل»^١.

﴿كَفَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله ﷺ.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. واظهار الأيدي في ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ لزيادة التقرير.

﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿كَفَ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَتَقْوَا اللَّهَ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ﴾. تأكيد تام على مراعاة التقوى في جميع الأحوال لاسيما عند النصر والظفر على العدو.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿يَتَوَكَّل﴾، وتقديمهما يفيد الحصر.

﴿فَ﴾ زائدة. ﴿إِنَّ﴾ لام الأمر. ﴿يَتَوَكَّل﴾ فعل مضارع مجزوم بـ «لام الأمر».

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ فاعله. لابد أن يتوكّل المؤمنون على الله «لا على قوّتهم، أي إنما منتحكم هذه القوة لستعملوها في أحقاق الحق، لا في إحياء الباطل، وفي انتشار الأمن والعدل، لا لاستغلال المستضعفين، والتآمر عليهم، والتحكم بهم، كما فعل بكم المشركون من قبل، وكما يفعل أكثر الناس، يطلبون العدالة، وهم ضعفاء، ويتنكرون لها، وهم أقوياء... إن المؤمن حقاً يخشى الله ويشكره، وهو قوي أكثر مما يخشاه ويشكره، وهو ضعيف، أو هو في الحالين سواء - على الأقل - أما من آمن بلسانه، دون قلبه فعلى العكس»^٢.

١. مواهب الرحمن ١١/٧٢.

٢. التفسير الكافش ٣/٢٨.

شأن نزولها

الحبرى بإسناده عن ابن عباس قال: نزلت في رسول الله ﷺ وعليه وَزِيرٍ^١
حين أتاهم يَسْتَعِينُهُمْ في الْقَتْلَيْنِ.

نقل عنه الحسكنى في شواهد التنزيل.^٢

اختلفوا في الباسطين أيديهم على ستة أقوال:

[١] «فقال مجاهد وقتادة وأبو مالك: هم اليهود همّوا بأن يقتلوا النبي ﷺ لما
مضى إلى بني قريظة^٣ يستعين بهم على دية مقتولين من بني كلاب بعد بئر معونة كانا
وفدا على النبي ﷺ فلقىهم عمرو بن أمية الضمري فقال: أ مسلمين؟ فقالوا: بل
وأفادين، فقتلهم، فقال له النبي ﷺ قتلت قتيلين قبل أن يبلغوا الماء والله لأدينهما.
ومضى إلى يهود بني قريظة يستعين بهم.

وقيل: كان يستقرض لأجل الدية لأنّه كان يحملها، فهمّت بنو قريظة بالفتاك به
وبقتله، فأعلم الله تعالى النبي ﷺ ذلك فانصرف عنهم.

[٢] وقال ابن عباس: كانت اليهود دعوا رسول الله ﷺ إلى طعام لهم،
وعزموا على الفتاك به، فأعلم الله ذلك نبيه ﷺ فلم يحضر.

[٣] وقال الحسن: إنما بعثت قريش رجالاً ليفتاك بالنبي ﷺ فاطلع الله نبيه
على أمره ومنعه الله منه، لأنّه دخل على النبي ﷺ وسيفه مسلول فقال له: أرنيه
فاعطاه إياه، فأمّا حصل في يده قال: ما الذي يمنعني من قتلك؟ فقال النبي ﷺ : الله
يمنعك فرمى بالسيف وأسلم. واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان
بن أمية ليغتاله ﷺ بعد بدر، فأعلمه الله ذلك. وكان ذلك سبب إسلام عمرو بن

١. تفسير الحبرى / ٢٥٧، رقم ٢٠.

٢. شواهد التنزيل / ١٧٣، رقم ١٨٦.

٣. وفي مجمع البيان / ٣: ١٦٩؛ بنى النصير.

. وهب.

[٤] وقال الواقدي: غزا رسول الله ﷺ جمعاً من بنى ذبيان ومحارب بذى أمر فتحصنا برأوس الجبال، ونزل رسول الله ﷺ بحث يراهم، فذهب حاجته فأصابه مطر فبل ثوبه، فنشره على شجرة واضطجع تحته بعيداً من أصحابه، والأعراب ينظرون إليه فأخبروا سيدهم دعشور بن الحارث المحاري فجاء حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد ﷺ مَنْ يمنعك مني اليوم؟ فقال: الله ودفعه جبرائيل في صدره ووقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقام على رأسه وقال: مَنْ يمنعك مني اليوم؟ فقال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ فنزلت الآية.

[٥] وقال أبو علي الجبائي: المعنى بذلك ما لطف الله تعالى المسلمين من كف أعدائهم عنهم حين همّوا باستئصالهم بأشياء شغفهم بها من الأمراض والقطط، وموت الأكابر، وهلاك الماشي وغير ذلك من الأسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين:

[٦] وقال آخرون: نزلت الآية فيها عزم المشركون على الالقاء بالنبي ﷺ وأصحابه يوم بطن النخلة إذا دخلوا في الصلاة، فاعلمه الله ذلك، فصلى بهم صلاة الخوف. وإنما جعل الله تخليص النبي مما همّوا به نعمة على المؤمنين من حيث كان إمامهم وسيدهم، وكان مبعوثاً إليهم بما فيه مصالحهم، فمقامه بينهم نعمة على المؤمنين، فلذلك اعتد به عليهم». ^١

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثَنَا مِنْهُمْ أَنْتَ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَيْسَ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكُوَةَ وَأَمْتَمْتُ بِرُسُلِي وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَا كَفِرَنَ عَنْكُمْ سَيِّغَاتُكُمْ وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلُ﴾ ٢٣

الحديث عن اليهود ونعم الله تعالى عليهم وميثاق الله معهم ونقضهم الميثاق وهذا الحديث يجري في غيرهم من الأمم لأنّ سنن الله ثابتة لا تتغير ولقول رسول الله ﷺ : كلُّ ما كانَ فِي الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مُثْلُهُ حَذْوَ النَّعْلِ
بِالنَّعْلِ وَالْقُدْدَةِ بِالْقُدْدَةِ .^١

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿رَ﴾ ابتدائية تأكيدية. ﴿قَدَ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَخَذَ﴾ فعل ماض. ﴿الَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِيقَاتَ﴾ مفعول به. الميثاق: «اليمين المؤكدة لأنّه يستوثق بها من الأمر»^٢، العهد والعقد وفي الفارسية: «بيان»، «قرارداد».

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ مضاد إليه ومضاف إليه ثان. وهم بنويعقوب من قوم اليهود.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها توكيده للميثاق تتميم للنعممة عليهم.

﴿بَعَثَنَا﴾ فعل ماض وفاعله

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿بَعَثَنَا﴾ أو متعلق بحال من ﴿نَبِيًّا﴾ لأنّه صفة قدّمت عليه. لأنّ الحجج الإلهية من قوم لابد أن يكونوا ﴿مِنْهُمْ﴾.

١. كمال الدين و تمام النعمة / ٥٧٦؛ و نحوها في تفسير العياشي ٢/٢٤، ح ٦٩.

٢. التبيان ٣/٤٦٥.

﴿أَثْنَى﴾ مفعول به، وعلامت نصبه الياء لأنّه مثنى وحذفت نونه للإضافة.

﴿عَشَر﴾ مضاف إليه، مبني على الفتح.

﴿نَقِيباً﴾ تميّز، النقيب: الباحث عن القوم وأحوالهم «والظاهر أنّهم رؤساء الأسباط الإثني عشر، كانوا كالولاة عليهم يتولّون أمورهم فنسبتهم إلى أسباطهم بوجه كنسبة أولي الأمر إلى الأفراد في هذه الأمة لهم المرجعية في أمور الدين والدنيا غير أنّهم لا يتلقون وحيّاً، ولا يشرّعون شريعة، وإنّما ذلك إلى الله ورسوله»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوفة على ﴿أَخَذَ اللَّهَ﴾.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمها.

﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر ﴿إِنِّي﴾ ومضاف إليه. و «مع» يدلّ على المصاحبة والنصرة والحفظ والمعونة. ومعية الله مع العباد معية علم وقدرة وحفظ ونصرة لا الاتحاد والحلول الباطلأن. وجملة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ في محل نصب مفعول به - مقول القول -. ثم بعد أن يذكر الله تعالى نعمة النقباء وأنه تعالى معهم، يشرع في ذكر الميثاق وهو يتضمن أموراً خمسة:

﴿إِنِّي﴾ للتوكيد موطة للقسم. ﴿إِنِّي﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَقْمَتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل جزم لأنّه فعل الشرط. والفعل مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع. وجملة ﴿إِنْ أَقْمَتُمْ﴾ اعترافية بين القسم المذوق وجوابه.

﴿الصَّلَاة﴾ مفعول به، وهذا هو الأمر الأول في الميثاق. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنَّمَا تُمْكِنُ الْرَّكْوَةَ﴾ معطوفة على ﴿أَقْمَتُمُ الصَّلَاة﴾. وهذا هو الأمر الثاني في الميثاق.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّمَا تُمْكِنُ الصَّلَاة﴾.

﴿بِرُّسِلٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿ءَامَنْتُم﴾ ومضاف إليه. وهذا هو الأمر الثالث في الميثاق، وهو الإيمان بجميع الأنبياء الماضين، ووجه تأخيره عن الأمرين الأولين شدة الاهتمام بها بحيث لا يقبل الإيمان بالرسل من دونها وإلاً هما متأخران عن الإيمان كما هو الواضح.

أو المراد بالإيمان بالأنبياء المتأخرین من اليهود نحو: عيسى بن مریم ﷺ و محمد المصطفى ﷺ. فيصح التأثير والأول أظهر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَزَّزَتُمُوهُم﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنْتُم﴾. المراد بالتعزير هنا: النصرة مع التعظيم. أي نصرتوكُم، والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿رُسُلٍ﴾. وهذا هو الأمر الرابع.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَقْرَضْتُم﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنْتُم﴾. القرض: هو الإنفاق المندوب في سبيل الله وجهاد أعدائه دون الحقوق المالية الواجبة.

﴿أَللَّهُ﴾ مفعول به أول. ﴿قَرْضًا﴾ مفعول به ثانٍ.

﴿حَسَنًا﴾ نعت أي من طيبة النفس ومن الحلال ومن دون المّن والأذى. وهذا هو الأمر الخامس وهو بذل المال في سبيل الله تعالى، جعله الله في الميثاق لأنّ اليهود معرفون بالبخل والشح فأراد الله تطهيرهم منها. وهذه الأمور الخمسة هي مفاصيل الميثاق الذي أخذ الله منبني إسرائيل بحيث لو وفوا بهذه الأمور كان الله في حفظهم ومعونتهم ونصرتهم في هذه الدنيا ولكنّهم لم يفوا.

وفي الآخرة جزاء هذا الميثاق لِمَنْ وفَى به أمران هما:

﴿إِنَّ﴾ واقعة في جواب القسم المقدر.

﴿أَكَفَرَنَّ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله ببنون التأكيد الثقيلة وفاعله

ضمير مستتر «أنا». وقد مر معنى التكfir: التغطية والغفران والعفو.

﴿عَنْكُم﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَكَفِرَنَ﴾.

﴿سَيِّئَاتِكُم﴾ مفعول به ومضاف إليه. والعفو عن الذنوب هو الجزاء الأولى في الآخرة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا دُخْلَنَّكُم﴾ معطوفة على ﴿لَا كَفَرَنَ﴾. و ﴿كُم﴾ مفعول به أول. ﴿جَنَّتِ﴾ مفعول به ثان.

﴿تَبَرِّى مِنْ تَحْيَهَا الْأَنْهَرُ﴾ الجملة في محل نصب صفة لـ ﴿جَنَّتِ﴾. وأدخال الجنة هو الجزاء الثانية في الآخرة لمن وفى بالミثاق.

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿كَفَرَ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر. في محل جزم لأنّه فعل الشرط. أي من لم يف بالميثاق وكفر به اعتقادياً أو عملياً.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿كَفَرَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مضاف إليه. أي ﴿بَعْدَ﴾ أخذ الميثاق.

﴿مِنْكُم﴾ جار و مجرور متعلق بحال مخدوفة مِنْ ﴿مَن﴾ تقديره حال كونه ﴿مِنْكُم﴾. أي من الذين أخذ الله الميثاق منهم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَد﴾ حرف تحقيق.

﴿صَلَّ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر في محل جزم لأنّه جواب الشرط.
﴿سَوَآء﴾ مفعول به.

﴿الَّسَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. أي خرج عن الصراط المستقيم فلا يصل إلى المقصود ولا يكون عاقبته إلّا الخزي والعار والخذلان وال العذاب.

الرويات

ابوالحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي المعروف بابن شاذان القمي
قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَاشَمَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ مَنْذَرَ، قَالَ:
حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ طَرِيفَ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نَبَاتَةِ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: معاشر النَّاسِ إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَكُمْ بَابًا مِنْ دَخْلِهِ
آمِنٌ مِنَ النَّارِ وَمِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُوسَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اهْدِنَا إِلَى هَذَا الْبَابِ حَتَّى
نَعْرَفَهُ، قَالَ: هُوَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، سَيِّدِ الْوَصِيَّينَ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخُو رَسُولِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ [وَخَلِيفَةِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ].

مَا عَاهَدَ النَّاسُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكُ بِالْعَرْوَةِ الْوَثْقَى الَّتِي لَا يَنْفَضِّمُ لَهَا
فَلَيَتَمَسَّكُ بِبُوْلَاهِ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ وَلَايَتَهُ وَلَا يَتِي، وَطَاعَتْهُ طَاعَتِي.
مَا عَاهَدَ النَّاسُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ الْحَجَّةَ بَعْدِي فَلَيَعْرِفَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
[مَا عَاهَدَ النَّاسُ (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فَلَيَقْتَدِ بِعَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
بَعْدِي] وَالْأَئمَّةُ مِنْ ذَرِّيَّتِي فَإِنَّهُمْ خَرَّانُ عِلْمٍ .

فَقَامَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَدَّةُ الْأَئمَّةِ؟
فَقَالَ: يَا جَابِرَ سَأْلُنِي رَحْمَكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلَامِ بِأَجْمَعِهِ، عَدَّتُهُمْ عَدَّةَ الشَّهُورِ وَهِيَ
عِنْدَ اللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.
وَعَدَّتُهُمْ عَدَّةَ الْعَيْنَاتِ الَّتِي انْفَجَرَتْ لِمُوسَى بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ ضَرَبَ بِعَصَاهِ
[الْحَجَرَ] فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ إِثْنَا عَشَرَةَ عَيْنًا.

وَعَدَّتُهُمْ عَدَّةَ نَقِيبَاءِ بْنِي إِسْرَائِيلَ [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى] «وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أَنْثَى عَشَرَ نَقِيبًا» .
فَالْأَئمَّةُ يَا جَابِرَ إِثْنَا عَشَرَ [إِمَامًا] أَوْلَاهُمْ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْمَهْدِيُّ

صلوات الله عليهم.^١

الرواية معتبرة الاسناد باعتبار محمد بن سنان عندي.

وسئل رسول الله عن عدد الأئمة فقال ﷺ : عَدُّ الْأئمَّةِ مِنْ بَعْدِي عَدْ نَقْبَاءِ

بني إسرائيل.^٢

ومن طريق العامة أخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود أنَّه سُئلَ كم يملك هذه الأئمة من خليفة، فقال: سأله عنها رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدة بني إسرائيل.^٣

فِيمَا نَقْضَاهُمْ مِّيقَاتَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً تُحَرِّكُونَ الْكَلِمَ عنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِّمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَرَالْ تَطَلُّعُ عَلَىٰ خَابِيَّةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾

تفصيل بعد اجمال فإنه يذكر الله تعالى في هذه الآية بعض جزاء نقض الميثاق وهو اللعن الإلهي وتقسيمة القلوب وتحريف الكلم ونسيان الحظوظ وخيانة أولياء الأمور.

قال الشيخ: «المعنى بالأية تسلية النبي ﷺ فقال الله له: لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين همّوا أن يسيطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم، وغدروا بك، فإن ذلك من عادتهم، وعادات أسلافهم، لأنّي أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتي، وبعثت منهم إثنى عشر نقيباً، فنقضوا ميثافي،

١. مائة منقبة = المناقب لابن شاذان / ٧١، ح ٤١ ونقل عنه في الاستنصرار / ٢٠ للكراجكي واليقين في إمرة الإمام أمير المؤمنين ع / ٢٤٤ للعلامة الحلي.

٢. روض الجنان / ٦ ٢٩٤.

٣. الدر المشور / ٢ ٢٦٧.

٤. وقد صنف الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رساله حافلة في طرق أن الخلفاء بعد النبي اثنا عشر وكلهم من قريش وسمّها «لذة العيش في طرق الأئمة من قريش».

ونكثوا عهدي، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم^١.

(فَ) عاطفة، والكلام معطوف على (مِيشَقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) في الآية السابقة.

(بِ) حرف جر، للسببية.

(مَا) زائدة للتأكيد وتفيد الإبهام للتعظيم أو التحذير أو غيرهما، وال مجرور متعلق بـ (لَعْنَتُهُمْ).

(نَقْضِهِمْ) مصدر و مضارف إليه. أي: بسبب (نَقْضِهِمْ).

(مَيْشَقَهُمْ) مفعول به منصوب بالمصدر (نَقْضِهِمْ) و مضارف إليه.

ونقض المواثيق من سمات اليهود و (أَنْهُمْ ينْقَضُونَ كُلَّ عَهْدٍ إِلَّا عَدَمْ نَقْضِ الْعَهْدِ وَالْمِيَاثِقِ، وَهَذِهِ سُمَّةٌ لَهُمْ لَا تَفَارِقُهُمْ أَبَدًا)، كما أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَنْفَكُ عَنْهُمْ أَبَدًا... للتلازم والتلاحم بين نقض العهد، وبين لعنة الله^٢.

(لَعْنَتُهُمْ) فِعْلٌ ماضٍ وفاعله و مفعول به. اللعن هو الإبعاد والطرد عن الرحمة الإلهية. وهو الجزاء الأول لنقض الميثاق التي لا تنفك عنه.

(وَ) عاطفة.

(جَعَلْنَا) فعل ماض وفاعله، معطوف على (لَعْنَتُهُمْ). وهذه الجزاء الثانية لنقض الميثاق وهذا الجعل من الله تعالى يكون جزاءً لنقضهم الميثاق ولا يكون ابتداءً. (قُلُوبُهُمْ) مفعول به أول و مضارف إليه.

(قَسْيَةً) مفعول به ثانٍ. من القسوة وهي الصلابة والغلظة يقال لغير الرحيم: قاسي القلب والمراد بقسوة القلب، عدم خشوعها و خضوعها للحق و عدم التأثر من رحمة الله تعالى، قال الله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَرَى مِنْ أَلْحَقَ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ

١. التبيان / ٤٦٨.

٢. التفسير الكاشف / ٣٣٠.

مِنْهُمْ فَسَقُورٌ^١.

﴿تُخْرِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الحرف: الجانب، الناحية، والتحريف: التغيير وهذه هي الجزاء الثالثة وأئمَّهم يحتاجون إلى التحريف دائمًا فلا يزال التحريف حرفهم والتحريف بأمررين:

١- التفسير الذي لا يرضي به صاحبه وهو سوء التأويل ٢- التغيير والتبديل.

﴿الْكَلِمَةُ﴾ مفعول به، جمع الكلمة وتحريفها إِمَّا معنوي أو لفظي ولا ثالث، والثاني إِمَّا بالزيادة أو النقيصة أو التبديل ولا رابع.

﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ جار ومحروم ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تُخْرِفُونَ﴾.

وحرف اليهود كتابهم السماوي التوراة ولهم باع طويل في التحريف وهم أساتذة هذا الفن، ولم يكتفوا بتحريف كتابهم بل يحرفون التاريخ وقضاياهم والمواثيق والقرارات وغيرها.

﴿وَ﴾ حالية وما بعدها حال ناقضي الميثاق وهو الجزاء الرابعة.

﴿نَسُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، أي تركوا عامدًا وعاملاً.

﴿حَطَا﴾ مفعول به، أي نصيباً، وهذا «الحظ» من الأصول التي تدور على مدارها السعادة.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر «من» و «ما» موصلة، متعلق بـ ﴿حَطَا﴾.

﴿ذُكْرُوا﴾ فعل ماضٍ مجهول ونائب فاعله، أي ﴿مِمَّا﴾ أُنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ موسى عليه السلام.

﴿بِهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿ذُكْرُوا﴾، والضمير يرجع إلى «ما» موصلة.

﴿وَ﴾ استثنافية. **﴿لَا﴾** نافية.

﴿تَزَالُ﴾ فعل مضارع ناقص واسميه ضمير مستتر فيه. «أنت» خطب للرسول

الأعظم ﷺ .

﴿عَلَىٰ حَآئِنَةٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَطَلُّ﴾ . الخائنة: الخيانة.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة مخدوفة من ﴿حَآئِنَةٍ﴾ .

والمراد: يا رسول الله ﷺ أنت تطلع على الدوام على خيانة منهم أو طائفة خائنة منهم. والخيانة هي سيرتهم على الدوام والاستمرار.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾ المستثنى.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة مخدوفة من ﴿قَلِيلًا﴾ . والضمير يرجع إلى اليهود. ومن المعلوم «أنّ استثناء القليل منهم لا ينافي ثبوت اللعن والعذاب للجماعة التي هي الشعب والأمة»^١.

وهذا القليل بعد خروجه عن أعماله الماضية ودخوله في صف المؤمنين يخرج من اللعن والعذاب و «يدخل في الإيمان ويصير كواحد من المؤمنين»^٢.

﴿فَ﴾ جزائية لشرط مخدوف وهو إن تابوا وآمنوا أو استثنافية تفiedad التعليل.

﴿أَعْفُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» يا رسول الله ﷺ .

﴿عَنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَعْفُ﴾ . والضمير يرجع إلى المؤمنين والتائبين من اليهود أو إليهم جميعاً بشرط عدم اقتدارهم وعدم احتمال تسلطهم على المؤمنين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْفَحُ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ . معطوف على ﴿أَعْفُ﴾ .

﴿أَصْفَحُ﴾ عنهم: أي «أعرض» عنهم مُؤْتَيًا. صفح كل شيء: وجهه وناحيته وجنبه.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ .

﴿تُحْبِبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

١. الميزان / ٥ . ٢٤١ .

٢. مواهب الرحمن . ٨١ / ١١ .

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به. جملة ﴿تُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ . تعليل للأمر بالعفو والصفح وإرشاد إلى أن العفو من باب «الإحسان الذي يحبه الله، والرسول أحق الناس أن يتبع ما يحبه الله تعالى»^١.

درائية

قال القمي: «قوله: ﴿فَيَمَا نَقْضَاهُمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنْهُمْ ...﴾ يعني نقض عهد أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ فَسِيَّةً تُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عن مَوَاضِعِه﴾ قال: من نحْنِي أمير المؤمنين عليه السلام عن موضعه. والدليل على ذلك أن الكلمة أمير المؤمنين عليه السلام. قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَّةً في عَقِبِهِ﴾^٢ يعني الإمامة.

قوله: ﴿وَلَا تَرَالُ تَطَلَّعُ عَلَى حَآبِيَّةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾.

قال: منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتَلُوا الْمُشَرِّكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ﴾^٣.

وقال السبزواري: «لا وجه للقول بنسخها»^٤. وهو الظاهر وال الصحيح عندى.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصْرَى أَخْذَنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبَّهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾



بعد أن بين الله تعالى نقض اليهود ميثاقهم بين نقض النصارى ميثاقهم أيضاً

١. مواهب الرحمن ١١ / ٨١.

٢. سورة الزخرف / ٢٨.

٣. سورة التوبة / ٥.

٤. تفسير القمي ١ / ٢٤١.

٥. مواهب الرحمن ١١ / ٨٢.

وأنهم واليهود سواء من هذه الجهة.

ولم يذكر ميثاق النصارى لاتحاده مع ميثاق اليهود ولم يذكر الآثار المترتبة على نقض الميثاق والجزاءات للاشتراك، نعم زاد عليها أضافات تأتي في ضمن الآية الشريفة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مِن﴾ حرف جر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر، متعلق بـ ﴿أَخْذَنَا﴾ الآتي.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل وضمير «نا» اسمه.

﴿نَصَرَى﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية ﴿إِنَّ نَصَرَى﴾ في محل نصب مفعول به - مقول القول -. وهم الذين يدعون متابعة النبي عيسى عليه السلام ويدعون أنهم ينصرون الله تعالى ونبيه ودينه وكتابه، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا عَلَيْهِمْ فَلَمَنَّا وَإِذَا نَصَرَنَا كُوْنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^١.
 ﴿أَخْذَنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِيشَقُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. إضافة الميثاق إلى كلّ قوم لا يدلّ على اختلافه وأصله واحد وهو العقائد الحقة الصحيحة والأحكام الواردة في شريعة كلّنبي عليه السلام. ومن ميثاق النصارى هو التوحيد والإقرار بعبودية عيسى عليه السلام ونبوته والبشرة بالنبي الخاتم ﷺ الذي يأتي من بعده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَسْأَلُ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْوَرْلَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَمْحَدٌ فَلَمَّا جَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^٢.

﴿فَ﴾ عاطفة، للترتيب. يعني بعد نقضهم ميثاقهم.

﴿نَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ مررت في الآية السابقة فلا نعيدها. ذكر الله تعالى

١. سورة الصاف / ١٤ .

٢. سورة الصاف / ٦ .

هذه الجزاء المشتركة بين نقض ميثاق اليهود والنصارى ولم يذكر الباقيه من الآثار لوضوحاها.

(ف) عاطفة، للسيبة والجملة بعدها معطوفة على (أخذنا).

(أغرينا) فعلٌ ماضٍ وفاعله. «الإغراء بالشيء معناه الإلصاق من جهة التسلیط»^١. «أغرينا» أي أصلقنا، لأنّه مأخوذ من الغراء الذي يلتصق بالشيء^٢. يعني كان نقض الميثاق والنسيان العمدي بما أنزله الله على موسى وعيسى وغيرهما من أنبيائهم عليهم السلام سبباً لإغراهم... .

ونسبة الإغراء إلى الله تعالى ليست ابتدائية بل جزائية لأنّه لا يصدر من الله تعالى إلا الخير.

(بينهم) ظرف مكان متعلق بـ(أغرانا) ومضاف إليه. أي بين النصارى.

(العداوة) مفعول به. مأخوذ من العدُو وبمعنى التجاوز ومنافاة الالتام وإذا كان بالقلب يقال له: العداوة والمعاداة.

(و) عاطفة.

(البغضاء) معطوفة على (العداوة). البغض والبغضاء خلاف الحب، وهاتان ملخصتان بهم، ولا تفکان عنهم، لأنّهم نقضوا ميثاقهم و (نسوان) عامداً عالماً كتبهم السماوية وما أنزل إليهم.

«ولم يزل منذ رفع عيسى بن مریم عليه السلام، واختلف حوارييه والدعاة السائحون من تلامذتهم فيما بينهم نشب الاختلاف فيما بينهم، ولم يزل ينموا ويكثر حتى تبدل إلى الحروب والمقاتلات والغارات وأنواع الشرد والطرد وغير ذلك حتى انتهى إلى

١. البيان / ٣ / ٤٧٢.

٢. التفسير الكاشف / ٣ / ٢٩.

حروب عالمية كبرى تهدد الأرض بالخراب والإنسانية بالفناء والانقراض»^١. وبعبارة أخرى: «لقد وقع بين الذين قالوا: إنا نصارى من الخلاف والشقاق والعداء في التاريخ القديم والحديث مصدق ما قصّه سبحانه في كتابه الصادق الكريم، فقد سُأَلَ من دمائهم على أيدي بعضهم البعض، ما لم يُسلَّمَ من حروبهم مع غيرهم في التاريخ كله، سواء أكان ذلك بسبب الخلافات الدينية، أو بسبب الخلافات على الرياسة الدينية، أو بسبب الخلافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي خلال القرون الطويلة لم تسكن هذه العداوات، ولم تخمد هذه الحروب والجرahات، وهي ماضية إلى يوم القيمة، كما قال أصدق القائلين»^٢.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جار ومحرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَغْرَيْنَا﴾ أو بحال مخدوفة من ﴿الْبَغْضَاءِ﴾، يعني لا تنفك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ منهم إلى يوم القيمة. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال لتأكيد الوعيد، أي في يوم القيمة تكشف الحقيقة. ﴿يُنَيِّثُمُ﴾ فعل مضارع ومفعول به، «بحقيقة حا لهم وعليهم من الضلال ويجازيهم على ما صنعواه في الدنيا بالعقاب والذنب»^٣. والتعبير بالإنباء لبيان أئمّهم غالباً لا يعلمون حقيقة حا لهم أو لا يريدون أن يعلموا.

﴿الَّهُ﴾ فاعله. ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصلة، متعلق بـ ﴿يُنَيِّثُمُ﴾. أو مصدرية فهي وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالباء تقديره: بسوء صنيعهم. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقصٍ واسمٌ.

١. الميزان / ٥ / ٢٤٢.

٢. التفسير الكافش / ٣ / ٣٢ نقلًا من كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٨٣.

﴿يَصْنَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر «كان». أي «بِمَا كَانُوا» يصنعونه، والتعبير بالصنع للإعلام بأنّهم كانوا يصنعون عقائدهم وافكارهم وشريعتهم وهم لا يلتزمون بالوحي السماوي الذي أُنزل إليهم.

روایاتان

في تفسير القمي: قال علي عليه السلام: إنّ عيسى بن مريم عبد مخلوق، فجعلوه ربّاً ﴿فَسُوسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ﴾ .^١

خبر أبي الربيع الشامي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: لا تشر من السّودان أحداً، فإن كان لابدّ فمن النّوبة^٢؛ فإنهم من الذين قال الله تعالى: «وَمِنَ الَّذِينَ قَاتُلُوا إِنَّا نَصَرَنَا أَخْذَنَا مِنْتَهُمْ فَسُوسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ» أما إنّهم سيدكرون ذلك الحظّ، وسيخرج مع القائم عليه منّا عصابة^٣ منهم، الحديث.^٤

﴿يَأَهَلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ آلَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾



«لما ذكر تعالى أحذه الميثاق من أهل الكتاب على نصرة رسليه وتعزيزهم وعلى

١. تفسير القمي ١/٢٤٢، ح ٦.

٢. قال الجوهري: «النوب والنوبة أيضاً: جيل من السودان، الواحد: نوبي»، وقال الفيروزآبادي: «النوب: جيل من السودان، والنوبة: بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد، منها بلال الحبشي». الصحاح ١/٢٢٩؛ القاموس المحيط ١/٢٣٢ (نوب).

٣. قال الجوهري: «العصابة: الجماعة من الناس والخيل والطير»، وقال ابن الأثير: «العصائب: جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها». الصحاح ١/١٨٢؛ النهاية ٣/٢٤٣ (عصب).

٤. الكافي ١٠/٦٤٦، ح ٢ (٣٥٢/٥).

حفظ ما آتاهم من الكتاب ثم نقضهم ميثاقه تعالى الذي واثقهم به دعاهم [في الآيات الخمس الآتية] إلى الإيمان برسوله الذي أرسله، وكتابه الذي أنزله، بلسان تعرفهما لهم وإقامة البينة على صدق الرسالة وحقيقة الكتاب، وإنعام الحجة عليهم».^١ .
 «يَتَأَذَّنُونَ» أداة نداء.

«أَهْلُ الْكِتَابِ» منادي ومضاف إليه. والمراد بهم اليهود والنصارى.

«قَدْ» حرف تحقير. «جَاءَكُمْ» فعل ماض ومفوعول به.

«رَسُولُنَا» فاعل ومضاف إليه. وفي إضافة الرسول إلى الضمير «نا» ما لا يخفى من التنوية بمقامه وعظميّة منزلته.

إلى هنا تعريف بالرسول الخاتم محمد المصطفى ﷺ ببيان واضح وما بعده تعريف بكتابه السماوي ومعجزاته الخالدة القرآن الكريم.

«يُبَيِّنُ» فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال من «رَسُولُنَا».

«لَكُمْ» جار ومحرور متعلق بـ «يُبَيِّنُ». والتبيين والتوضيح عام لأهل الكتاب ولجميع الناس.

«كَثِيرًا» مفعول به.

«مِمَّا» «مِنْ» حرف جر و «مَا» موصولة متعلق بصفة مذوقة من «كَثِيرًا».

«كُنْتُمْ» فعل ماضٍ ناقصٍ واسمُه.

«تُخْفُونَ» فعل مضارع وفاعله. خبر «كُنْتُمْ». وهذه الجملة «يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ» مضافاً إلى التعريف بالكتاب، تكون إقامة بينة على صدق الرسالة وحقيقة الكتاب من رسول أمي يخبر بها لا سبيل إليه إلا الإخبار من السماء والوحى الإلهي.

و «مَمَّا يَنْفَعُونَ» من بشارات العهددين على نبوة نبينا خاتم الأنبياء محمد ﷺ

وإخفاء اليهود خبر الحساب والعقاب يوم القيمة وإخفاء النصارى التوحيد الذي هو أساس دعوة الأنبياء بِلِّهِمْ. مضافاً إلى إخفائهم بعض الأحكام الواردة في شرائعهم كتحريم الخمر والزنا والربا ووجوب الحثان ونحوها.

﴿مِنَ الْكِتَبِ﴾ جار ومحرور متعلق بحال مذنفة من ﴿مَا﴾ موصولة تقديره: حال كونه ﴿مِنَ الْكِتَبِ﴾، و ﴿مِن﴾ بيانية. المراد بـ﴿الْكِتَبِ﴾ التوراة والإنجيل. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَعْفُوا﴾ معطوف على ﴿يُبَيِّنُ﴾، فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». أي: يترك ولا يذكر ولا يأخذكم به لآنه بِلِّهِمْ لم يؤمر ببيان الجميع.

﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ جار ومحرور متعلق بـ﴿يَعْفُوا﴾. أي لا يذكر كثيراً من المخفيات والتحريفات ولذا قال في الميزان: «وَأَمَّا عَفْوُهُ عَنْ كَثِيرٍ فَهُوَ تَرَكَ كَثِيرًا مَا كَانُوا يَخْفَونَهُ مِنَ الْكِتَابِ»، ويشهد بذلك الاختلاف الموجود في الكتابين، كاشتمال التوراة على أمور في التوحيد والنبوة لا يصح استنادها إليه تعالى كالتجسم والحلول في المكان ونحو ذلك، وما لا يجوز العقل نسبته إلى الأنبياء الكرام من أنواع الكفر والفحور والزلات، وكفقدمان التوراة ذكر المعاد من رأس ولا يقوم دين على ساق إلا بمعاد، وكاشتمال ما عندهم من الأنجليل ولا سيما إنجيل يوحنا على عقائد الوثنية^١.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ اعربت. والجائي هو الرسول الأعظم بِلِّهِمْ.

﴿مَنْ أَلَّهُ﴾ جار ومحرور متعلق بـ﴿جَاءَكُمْ﴾. أي ﴿مَنْ﴾ جانب ﴿أَلَّهُ﴾ فهو تعالى أرسله إلى جميع الناس.

﴿نُورٌ﴾ فاعل ﴿جَاءَكُمْ﴾، والظاهر مراد به القرآن الكريم وأيات الله الحكيم، ومن المحتمل بقرينة الفقرة الماضية أنّ المراد به الرسول الأعظم بِلِّهِمْ وأوصيائه

المعصومين لَا يَلْهُلُكُمْ كما في تفسير القمي^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كِتَبٌ﴾ معطوف على ﴿نُور﴾ عطف تفسير وبيان.

﴿مُّبِينٌ﴾ نعت.

شأن نزولها

«قال الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ وجماعة من المفسرين: إنّ امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهم محسنان فكرهوا رجتها فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أنْ يسألوا النبي عن ذلك طمعاً في أنْ يأتي لهم بخصبة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكتانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم، فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أنْ يأخذوا به، فقال جبرائيل: أجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له، فقال النبي: هل تعرفون شاباً أمراً دأبوا أعيون يسكن فدكاً يقال له ابن سوريا؟ قالوا: نعم. قال: فأيّي رجل هو فيكم؟ قالوا: أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى، قال: فأرسلوا إليه ففعلوا، فأتاهم عبدالله بن سوريا، فقال له النبي: إنّ أُنْشِدُكَ الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلك لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن سوريا: نعم، والذي ذكرتني به لو لا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المحلة وجب عليه الرجم، قال ابن سوريا: هكذا أنزل الله في عدول

أَنَّهُ قَدْ أَدْخَلَهُ فِيهَا كَمَا يَدْخُلُ الْمَبْلِلَ فِي الْمَكْحَلَةِ وَجَبَ عَلَيْهِ الرِّجْمُ، قَالَ ابْنُ صُورِيَا: هَكُذَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التُّورَاةِ عَلَى مُوسَى. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: فَمَاذَا كَانَ أَوْلَ مَا تَرَخَصْتَمْ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ؟ قَالَ: كَنَا إِذَا زَنَى الشَّرِيفُ تَرَكَنَاهُ وَإِذَا زَنَى الْمُضَعِيفُ أَقْمَنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ فَكَثُرَ الزَّنَاءُ فِي أَشْرَافِنَا حَتَّى زَنَى ابْنُ عَمِّ مَلِكٍ لَنَا فَلَمْ تَرْجِمْهُ ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ آخَرٌ فَأَرَادَ الْمَلِكَ رَجْمَهُ فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا حَتَّى تَرْجِمَ فَلَانَا يَعْنُونَ ابْنَ عَمِّهِ فَقَلَنَا تَعَالَوْا نَجْتَمِعُ فَلَنْضَعَ شَيْئًا دُونَ الرِّجْمِ يَكُونُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْمُضَعِيفِ فَوَضَعُنَا الْجَلْدَ وَالْتَّحْمِيمَ وَهُوَ أَنْ يَجْلِدَ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً ثُمَّ يَسُودَ وَجْهَهُمَا ثُمَّ يَحْمَلُانَ عَلَى حَمَارِيْنَ وَيَجْعَلُ وَجْهَهُمَا مِنْ قَبْلِ دَبْرِ الْحَمَارِ وَيَطَافُ بِهِمَا فَجَعَلُوْا هَذَا مَكَانَ الرِّجْمِ. فَقَالَتِ الْيَهُودَ لِابْنِ صُورِيَا: مَا أَسْرَعَ مَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ وَمَا كَنْتَ لِمَا أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِأَهْلِ وَلَكِنْكَ كَنْتَ غَائِبًا فَكَرْهَنَا أَنْ نَغْتَبِكَ فَقَالَ: أَنْ شَدِّنِي بِالْتُّورَاةِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ فَأَمْرَرَ بِهِمَا النَّبِيُّ فَرَجَمَا عَنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ أَوْ قَالَ أَنَا أَوْلَ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْתُمْ تُحْكُمُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْلُمُونَ كَثِيرًا﴾ فَقَامَ ابْنُ صُورِيَا فَوَضَعَ يَدِيهِ عَلَى رَكْبَتِيْ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِاللَّهِ وَبِكَ أَنْ تَذَكَّرَ لَنَا الْكَثِيرُ الَّذِي أُمِرْتَ أَنْ تَعْفُوَ عَنْهِ فَأَعْرَضَ النَّبِيُّ عَنْ ذَلِكَ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ صُورِيَا عَنْ نُومِهِ فَقَالَ: تَنَامُ عَيْنَايِ وَلَا يَنَمُ قَلْبِيُ، فَقَالَ: صَدِقْتَ وَأَخْبَرْنِي عَنْ شَبَهِ الْوَلَدِ بِأَبِيهِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ شَبَهِ أُمِّهِ شَيْءًا أَوْ بِأُمِّهِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ شَبَهِ أَبِيهِ شَيْءًا فَقَالَ: أَيْهَا عَلَا وَسِيقَ مَاءِ صَاحِبِهِ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، قَالَ: قَدْ صَدِقْتَ. فَأَخْبَرَنِي مَا لِلرَّجُلِ مِنْ الْوَلَدِ وَمَا لِلْمَرْأَةِ مِنْهُ قَالَ: فَأَغْمَيْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ طَوِيلًا ثُمَّ خَلَيْتَ عَنْهُ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ يَفِيضُ عِرْقًا فَقَالَ: الْلَّحْمُ وَالدَّمُ وَالظَّفَرُ وَالشَّحْمُ لِلْمَرْأَةِ وَالْعَظْمُ وَالْعَصْبُ وَالْعَروقُ لِلرَّجُلِ، قَالَ لَهُ: صَدِقْتَ. أَمْرَكَ أَمْرَنِي فَأَسْلَمَ ابْنُ صُورِيَا عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدَ مَنْ يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ. قَالَ: صَفَهُ لِي، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ فِي التُّورَاةِ كَمَا قَلْتَ وَأَنِّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًا فَلِمَا أَسْلَمَ ابْنُ صُورِيَا وَقَعَتْ فِيهِ الْيَهُودَ وَشَتَّمُوهُ، فَلِمَا أَرَادُوا إِنْ

ينهضوا تعلقت بنو قريضة بنبي النصير فقالوا يا محمد إخواننا بنو النصير أبونا واحد وديتنا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا مَنْ قتيلاً لم يُقد واعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا مَنْ الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القتيل امرأة قتلوا به الرجل مَنْ وبالرجل منهم رجلين مَنْ وبالعبد الحر مَنْ وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بیننا وبينهم فأنزل الله في الرجم والقصاص الآيات^١.

أقول: لم يرد في الكتاب الكريم حكم الرجم، نعم حكم القصاص موجود فيه، فلا بد في شأن النزول من رفع اليد عَمَّا لم يكن والله العالم.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٥)

تميم لدلالة الآية السابقة.

﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع، ومعنى المداية واضح وهي الایصال إلى المطلوب.

﴿بِهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿يَهْدِي﴾. والباء للآلية أو السببية والضمير يرجع إلى ﴿نُور﴾ في الآية السابقة.

﴿يَهْدِي﴾ فاعل. واهداية من الله حتى لو كان بواسطة النبي ﷺ أو الكتاب المبين لأن الكل يرجع إليه تعالى. والنبي رسوله والكتاب كتابه تعالى.

﴿مَنِ﴾ اسم موصول، مفعول به أول ﴿يَهْدِي﴾.

﴿اتَّبَعَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿رِضْوَانَهُ﴾ مفعول به ﴿اتَّبَعَ﴾ ومضاف إليه؛ والضمير يرجع إلى ﴿الله﴾ تعالى.

أَيْ رَضَا اللَّهُ وَجَنَّتِهِ مَحْفُوفَةً بِرَضَاهُ.

﴿سُبْلٌ﴾ مفعول به ثان ﴿يَهْدِي﴾، أو بدل من ﴿رِضْوَانَهُ﴾. جمع سبيل.

﴿السَّلَامُ﴾ مضادٌ إِلَيْهِ. وَالسَّلَامُ هِيَ التَّخْلُصُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَشَقَاءٍ يَحْتَلُّ بِهِ أَمْرُ سَعَادَةِ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ معطوفٌ على ﴿يَهْدِي﴾. فعل مضارعٌ وفاعله ومفعولٌ به.

﴿مِنَ الظُّلْمَاتِ﴾ جارٌ ومحرومٌ متعلقٌ بـ ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾. وَالكُفُرُ ظُلْمَةٌ لَأَنَّ الْكَافِرَ يَتَحِيرُ فِيهِ كَمَا يَتَحِيرُ أَحَدٌ فِي الظُّلْمَةِ وَظُلْمَاتُ الْكُفُرِ مُتَعَدِّدةٌ وَمُخْتَلِفَةٌ يَجْمِعُهَا الْكُفُرُ.

﴿إِلَى الْتُّورِ﴾ جارٌ ومحرومٌ متعلقٌ بـ ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾. وَ﴿الْتُّورُ﴾ وَاحِدٌ لَأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَا اخْتِلَافٌ فِيهِ وَلَا تَفْرِقٌ وَانْ تَعْدَدَتْ بِحَسْبِ الْمَرَابِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْمَوَاقِفِ.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ جارٌ ومحرومٌ مضادٌ إِلَيْهِ. أَيْ: بِلَطْفِهِ وَعِلْمِهِ وَأَمْرِهِ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَهْدِيهِمْ﴾ معطوفٌ على ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾، فعلٌ مضارعٌ وفاعلهٌ ومفعولٌ به.

﴿إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ جارٌ ومحرومٌ ونعتٌ، متعلقٌ بـ ﴿يَهْدِيهِمْ﴾. وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَاحِدٌ وَتَنْكِيرٌ لِتَعْظِيمِهِ وَتَفْخِيمِهِ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّاهِرُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهَلِّكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيَمَ وَأَمْهُرَ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيْعًا وَلَلَّهِ مُلْكُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



ابتدأت العقيدة النَّصَارَانِيَّةُ «بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ» في عيسى عليه السلام، وبقيت على

التوحيد أبداً غير قصير فرقٌ من المسيحيين، منها فرقة ابيون، وفرقة بولس الشمسياطي، وفرقة أريوس، وقد نص القرآن صراحة على أنّ عيسى عليه السلام أتى بعقيدة التوحيد: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَخْدُونِي وَأُتَّقِي إِلَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْتَحْنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلُمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتِنِي بِهِ إِنِّي أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾^١.

وظلت عقيدة التوحيد عند كثير من المسيحيين، ولم تُلْن عقيدة التثليث مدعاومة بالقوة إلى سنة ٣٢٥ م حيث أصدر مجمع نيقية قراراً بإثباتألوهية المسيح، وتکفير من يقول: انه إنسان، وحرق جميع الكتب التي تصفه بغير الألوهية، ونفذ قسطنطين امبراطور الرومان هذا القرار، وأصبح المسيح إلهًا عندهم بعد أن كان بشراً^٢.
 ﴿رَبِّ الْابْدَائِيَّةِ وَالتَّأْكِيَّةِ، أَوْ جَوَابَ لِلْقُسْمِ الْمَقْدَرِ وَتَقْدِيرِهِ: أَقْسَمَ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾.

﴿لَقَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿كَفَرَ﴾ فعل ماضٍ، وهذا حكم بالكفر على التحقيق على الذين يقولون بألوهية بشرٍ.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿قَاتُلُوا﴾ فعل ماض وفاعله، والجملة بعده مقول القول.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿الْمَسِيحُ﴾ خبره، وجملة ﴿هُوَ الْمَسِيحُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. يعني أنّ المعبد منحصر في

١. سورة المائدة / ١١٦ و ١١٧ .

٢. التفسير الكاشف ٣/٣٦ .

المسيح لاغير، لقصر المسند إليه على المسند. لأنهم يقولون باتحاد المسيح مع الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿أَنُ﴾ بدل أو صفة لـ ﴿الْمَسِيحَ﴾.

﴿مَرِيمَ﴾ مضاد إليه، منوع من الصرف للعلمية والعجمة فضلاً عن التأنيث. والقرآن الكريم يؤكد على أنّ عيسى النبي ﷺ ابن مريم، فيكون بشراً ومتولّاً من إمراة ومحلاً للحوادث وكل ذلك ينافي القول بالألوهية.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ.

﴿فَ﴾ زائدة أو تكون لمعنى الشرط المتقدم. ﴿مَن﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿يَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، خبر.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَمْلِكُ﴾ أو بحال مقدمة من ﴿شَيْئًا﴾.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول به. هذه الفقرة تثبت سلطنة تامة لله تعالى على جميع خلقه، يحكم فيهم بما يشاء ويريد فهو مالك الملك ولا شريك له ولا نظير.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَرَادَ﴾ فعل ماض وفاعله، فعل الشرط، وجواب الشرط مذوف ويظهر مما يأتي.

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُهْلِكَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ يُهْلِكَ﴾ بتأويل المصدر مفعول به فعل ﴿أَرَادَ﴾، تقديره: الإهلاك.

﴿الْمَسِيحَ﴾ مفعول به. ﴿أَتَكَ﴾ بدل أو صفة لـ ﴿الْمَسِيحَ﴾.

﴿مَرِيمَ﴾ مضاد إليه. تأكيد على بنوته التي تنفي ألوهيته. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أُمَّهُ﴾ معطوف على ﴿الْمَسِيحَ﴾، مضاد إليه. وإذا كانت له أم فلا يمكن أن

يكون إلهاً، لأنَّ الله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ﴾.^١

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَن﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿الْمَسِيحَ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومحروم متصل بفعل مذوق تقديره: وجود.

﴿جَمِيعاً﴾ حال من ﴿الْمَسِيحَ أَبْنَى مَرِيمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وهذه الفقرة برهان على نفي الوهية المسيح وإثبات عبوديته وهو: إنَّ الله تعالى يتصرف في المسيح وأُمِّه ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بما يشاء «فله أن يهلك المسيح كما له أن يهلك أُمِّه ومن في الأرض على حد سواء من غير مزية لل المسيح على غيره، وكيف يجوز ال�لاك على الله سبحانه؟ فوضعهم أن المسيح بشر يبطل وضعهم أنه هو الله سبحانه للنها قضاة»^٢.

«وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ أُمَّ الْمَسِيحَ مَعَ انْدْرَاجِهِ فِي عُمُومِ الْمَعْطُوفِ، لِزِيادَةِ تَأْكِيدِ عَجَزِ الْمَسِيحِ، وَزِيادَةِ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّبْكِيتِ، وَإِمَّا لِتَعمِيمِ إِرْدَاهِ الْهَلاَكِ مَعَ حَصْوَلِ الْغَرْضِ بِقَصْرِهِ عَلَى الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِتَهْوِيلِ الْخَطْبِ وَإِظْهَارِ كَمَالِ الْعَجَزِ، بِبَيَانِ أَنَّ الْكُلَّ تَحْتَ إِرْادَتِهِ وَقَهْرِهِ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى دُفُعِ مَا يَرِيدُهُ فَضْلًا عَمِّا يَرِيدُهُ غَيْرُهُ»^٣.

﴿وَ﴾ استئنافية، مابعدها تعليل لما قبلها.

﴿بِلَّهِ﴾ جار ومحروم خبر مقدم. تقديميه يفيد الحصر.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر. «الملك - بضم الميم - وهو نوع سلطنة ومالكيّة على سلطنة الناس وما يملكونه إنما يتقوّم بشمول القدرة ونفوذ المشيئة، والله سبحانه ذلك في جميع السموات والأرض وما بينهما، فله القدرة على كل شيء»^٤.

﴿الْسَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. سورة التوحيد / ٣.

٢. الميزان / ٥ / ٢٤٧.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ١٠٧.

٤. الميزان / ٥ / ٢٤٨.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ اسم موصول، في محل جر معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿بَيْنُهُمَا﴾ ظرف مكان بفعل مذوف تقديره: استقر، ومضاف إليه. تصريح لنفي توهّم كون ملك ما بين السموات والأرض لغير الله تعالى أو نفي الشبهة في ذلك، حتى لا يبقى مجال لغير الله تعالى وفي مُلْكِهِ وملكته.

﴿سَخْلُقُ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة تعلييل للملك، لأنّ الخالق هو صاحب الملك «وهو يخلق ما يشاء من الأشياء فله الملك المطلق في السماوات والأرض وما بينهما فخلقه ما يشاء وقدرته على كل شيء هو البرهان على ملكه كما أن ملكه هو البرهان على أن له أن يريد إهلاك الجميع ثم يمضي إرادته لو أراد، وهو البرهان على أنه لا يشاركه أحد منهم في اللوهية.

وأما البرهان على نفوذ مشيّته وشمول قدرته فهو أنه الله عز اسمه، ولعله لذلك كرر لفظ الحاللة في الآية مرات فقد آل فرض الالوهية في شيء إلى أنه لا شريك له في الـ^{الـ}لوهية».^١

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع فاعله.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَلَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَى كُلِّ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿قَدِيرٍ﴾. ﴿شَيْءٌ﴾ مضاف إليه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر. «تقرير لمضمون ما سبق وتأكيد له، وبيان لتعيم قدرته إلى ما هو الأوسع من عالم الوجود وإرشاد إلى برهان قويم، وهو أن الإله لا بد أن يتّصف بتهمام القدرة وشمومها لجميع الأشياء، وإنّما فلا يكون إلهًا، ولعله لأجل ذلك ذكر اسم الحاللة، لبيان أنه الإله المستجمع لجميع صفات الكمال التي منها الملكية المطلقة للسماءات والأرضين وما بينهما، وثبتوت القدرة التامة، فهو يخلق ما يشاء بما يشاء،

وهو يدلّ على أنّه لا شريك له في الألوهية^١.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ
بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ حَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنُهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ١٨

حكى الله تعالى بعض ما صدر من اليهود والنصارى «من الدعاوى الباطلة...» وهذه الحكاية تدلّ على جرأتهم على الله تعالى، وعدم مبالاتهم بالمواثيق والعهود التي أخذت منهم على العمل بمقتضاها، فلا تفيid الادعاءات والشعائر في القرب إلى الله تعالى ونيل جزائه العظيم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. **﴿قَالَتِ﴾** فعلٌ ماضٍ، معطوف على **﴿قَالُوا﴾** في الآية السابقة.

﴿أَلَيَهُؤُدُ﴾ فاعله. **﴿وَ﴾** عاطفة.

﴿النَّصَارَى﴾ معطوف على **﴿أَلَيَهُؤُدُ﴾**. والجملة الاسمية بعدها مقول القول.

﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ، أي كلّ قومٍ يقوم بالنسبة إلى أنفسهم.

﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ خبر و مضارف إليه.. البنوة هنا الاختصاص والتقارب، لا البنوة

الحقيقة وإن كانوا يدعونها بالنسبة إلى النبيين عزير وعيسى بن مرريم عليهم السلام.

وإثما كانوا يدعون البنوة لأنفسهم «اطلاقاً» تشريفياً بنوع من التجوز، وقد ورد

في كتبهم المقدسة هذا الاطلاق كثيراً كما في حق آدم^٣ ويعقوب^٤ وداود^٥

١. مواهب الرحمن / ١١ / ١٠٨ .

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ١٠٨ .

٣. آية ٣٨ من الاصحاح الثالث من انجيل لوقا.

٤. آية ٢٢ من الاصحاح الرابع من سفر الخروج من التوراة.

٥. آية ٧ من المزمور ٢ من مزامير داود.

واقرام^١ وعيسيٰ^٢ واطلق^٣ أيضاً على صلحاء المؤمنين.
وكيف كان فإنما أريد بالأبناء أئمّهم من الله سبحانه بمنزلة الأبناء من الأب، فهم
بمنزلة أبناء الملك بالنسبة إليه المنحازين عن الرعية المخصوصين بخاصية القرب
المقتضية أن لا يعامل معهم معاملة الرعية كائمه مستثنون عن إجراء القوانين
والأحكام المgorاة بين الناس لأنّ تعليقهم بعرش الملك لا يلائم مجازاتهم بما يجازي به
غيرهم ولا إيقافهم موقفاً توقف فيه سائر الرعية، فلا يستهان بهم كما يستهان بغيرهم
فكـل ذلك لما تتعقبه علقة النسب من علقة الحبّ والكرامة»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحِبَّتُهُ﴾ معطوف على ﴿أَبْنَيْتُهُ اللَّه﴾. عطف تفسير. «وغرضهم من دعوى
هذا الاختصاص والمحبوبية إثبات لازمه وهو أنه لا سيل إلى تعذيبهم وعقوبتهم فلن
يصيروا إلـا إلى النعمة والكرامة لأنّ تعذيبه تعالى إياهم ينافق ما خصهم به من المزية،
وحباهم به من الكرامة»^٥.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» خطاباً للرسول الخاتم ﷺ. أمر رسوله
بالاحتجاج عليهم وردّ دعواهم بالحجـة والبرهـان.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط مقدّر، إي: إن كان ادعائكم هذا صحيحـاً ﴿فَلِمَ
يُعَذِّبُكُم بِدُثُوبِكُم﴾.

﴿لِمَ﴾ أصلها «لـ» حرف جر و «ما» استفهامـية. حذفت «إـ» «ما» بحرف جر
«لـ». أي: لأـيّ شيء؟

١. آية ٩ من الاصحاح ٣١ من نبوة أرميا.

٢. موارد كثيرة من الأنـجـيل وملحقاتها.

٣. آية ٩ من الاصحاح ٥ إنجـيل متـى، وفي غيره من الأنـجـيلـ.

٤. المـيزـان ٥/٢٤٨.

٥. المـيزـان ٥/٢٤٩.

﴿يُعَذِّبُكُم﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، واطلاق العذاب يشمل الدنيوي والأخروي كما أنّ فعل مضارع يدلّ على الاستمرار كما يدلّ على الاستقبال.

﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية.

﴿بِدُّنْوِيكُم﴾ مجروره ومضاف إليه. جار ومحرر متعلق بـ ﴿يُعَذِّبُكُم﴾ . وهذه الجملة ﴿يُعَذِّبُكُم بِدُّنْوِيكُم﴾ هي الحجة الأولى عليهم أنها لو صحت دعواكم أنّكم أبناء الله وأحبابه فلا ي شيء ﴿يُعَذِّبُكُم بِدُّنْوِيكُم﴾ «وهم يقررون بأنّهم معذبون، لأنّهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم وأباحوا الناس ارتکاب فواحشهم. واليهود تقرّ أنّهم يعذبون أربعين يوماً. وهي عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل»^١.

﴿بَلْ﴾ حرف ابتداء أو استئناف أو بمعنى «إن» على معنى: الحق...، وما بعده الحجة الثانية.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. ﴿بَشَرٌ﴾ خبره.

﴿مَمَّنْ﴾ مكونة: «مِنْ» حرف جر و «مَنْ» اسم موصول. جار ومحرر في محل رفع صفة لـ ﴿بَشَرٌ﴾ .

﴿خَلَقَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. أي ﴿مَمَّنْ﴾ خلقه الله من بني آدم. وهذه الجملة ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مَمَّنْ خَلَقَ﴾ تكون من مقدمات الحجة. أي أنتم بشر مثل غيركم من خلقه الله تعالى من بني آدم.

﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

﴿لِمَنْ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ .

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُعَذِّبُ﴾ معطوف على ﴿يَغْفِرُ﴾ . ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

وهذه الجملة ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ نتيجة الحجة الثانية، أي أنتم لستم من أبناء الله وأحبابه لأن الله إن أراد يعذبكم و﴿أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَشَاءُ العَقُوبَةَ إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَاصِيًّا﴾^١.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها الحجة الثالثة عليهم.

﴿إِلَهٌ﴾ جار ومحرر، خبر مقدم.

﴿مُلْكٌ﴾ مبتدأ مؤخر، قد مر معنى ﴿مُلْكٌ﴾ في الآية السابقة.

﴿السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنُهُمَا﴾ اعربت في الآية السابقة.

والحجۃ الثالثة: أن الله تعالى خالق ﴿السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنُهُمَا﴾ «من المخلوقات، فالجميع مملوك له ﴿يَلِدُ﴾، ومربيوه له مقهور تحت إرادته، فلا يتمي شيء منها إليه تعالى إلا بالمعبودية والمملوکية، يتصرف فيها بما شاء إيجاداً وإعداماً، إحياء وإماتة، إثابةً وتعذيباً. وهو الغني عن خلقه، فلا يحتاج إليهم، بل هم محتاجون إليه، فلا يمكن أن يتصور له بنون»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومحرر، خبر مقدم.

﴿الْمَصِيرُ﴾ مبتدأ مؤخر. وإليه تعالى يؤول أمر العباد و ﴿أَنَّهُ سِيَاحَاسْبِهِمْ عَلَى أَعْلَمِهِمْ وَأَقْوَاهُمْ﴾، فيثيب المحسن على إحسانه، ويُعاقب المسيء على إساءاته، ولا يصرفه صارف عن ذلك الجزء.

وفي الآية المباركة إشعار بأنه سيعذب أصحاب تلك الدعاوى الباطلة، على كفرهم وغرورهم وتقوّلهم على الله تعالى بغير حق^٣.

١. التبيان / ٣ / ٤٧٨.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ١١٢.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ١١٣.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الْرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا
جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٩

خطاب ثانٍ لأهل الكتاب متمم للخطاب السابق يتضمن دعوتهم إلى الإيمان بالرسول الخاتم ﷺ ويكون إتماماً للحججة عليهم لثلا يقولوا: «ما جاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ» وناداهم الله خصوصاً لينبههم على ما يذكرون.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أعربت في أول الآية الخامسة عشرة من هذه السورة كما مرّ معناها أيضاً فلا نعيد ولكن نضيف هنا أنها تدلّ على أنّ الرسول الخاتم ﷺ مخصوص بالعلم الذي ليس مع غيره من الأنبياء عليه السلام، لأنّ التبيين يكون من هذا النبي ﷺ لا من غيره من الأنبياء عليه السلام.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ جار ومحروم متعلق بمحذوف حالاً من الضمير في «يُبَيِّنُ». الفترة: انقطاع مابين النبئين، «والأصل فيها الانقطاع عمّا كان عليه من الجد فيه من العمل، يقال: فتر عن عمله...»^١.

وهذه الفترة أكثر من خمسة أيام.

﴿مِنَ الْرُّسُلِ﴾ جار ومحروم متعلق بصفة محذوفة من «فترة»، يعني «على انقطاع من الرسل»^٢.

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. المصدر المنسبك من «أن تقولوا» مجرور بإضافة مفعول له محذوف وتقديره: مخافة قولكم «ما جاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ».

١. التبيان / ٤٧٩.

٢. تفسير القمي / ٢٤٢.

أو كراهة قولكم...، أي لكي ﴿لَا تَقُولُوا﴾^١ أو لئلاً تقولوا.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿جَاءَنَا﴾ فعل ماض ومحظوظ به مقدم.

﴿مِنْ﴾ حرف جر بيانية.

﴿بَشِّيرٌ﴾ مجروره في محل رفع فاعل ﴿جَاءَنَا﴾. «ال بشير: هو المبشر لك كل مطیع بالثواب... ليتمسك المطیع بطاعته»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿نَذِيرٌ﴾ معطوف على ﴿بَشِّيرٌ﴾. «النذير هو المنذر المخوف كل عاص لله بالعقاب... ويحتنب العاصي لعصيته»^٣.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماض ومحظوظ به مقدم. ﴿بَشِّيرٌ﴾ فاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نَذِيرٌ﴾ معطوف على ﴿بَشِّيرٌ﴾ والمراد به خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾ جار ومحظوظ متعلق بـ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿شَيْءٌ﴾ مضارف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾ خبر.

والجملة الأخيرة تعليل لما سبق من ارسال الرسل وإنزال الكتب وجعل الشرائع، ورد لدعوى اليهود من عدم جواز جعل شريعة بعد شريعة موسى عليه السلام لأنهم يذهبون إلى امتناع النسخ كما أنهم يذهبون امتناع البداء وهاتان الدعويتان تنافيان مع عموم قدرته تعالى شأنه.

رواية

قال أمير المؤمنين عليه السلام في توصيف الأنبياء: «فاستودعهم في أفضل مستودع،

١. سورة البقرة / ١٠٤ و ١٥٤؛ سورة النساء / ٩٤ و ١٧١؛ سورة النحل / ١١٦.

٢. التبيان / ٣ / ٤٨٠.

٣. التبيان / ٣ / ٤٨٠.

وأقرّهم في خير مستقرٌ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى منهم سلفٌ قام منهم بدين الله خلفُ، حتّى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشّجرة التي صدّع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشّجر، نبتت في حرمٍ، وبسقت في كرمٍ، لها فروع طوالٌ، وثمرة لا تزال، فهو إمامٌ من أتقى، وبصيرةٌ مَنْ اهتدى، سراجٌ لمع ضوءه، وشهابٌ سطع نوره، وزندُ برق لمعه، سيرته القصد، وستّته الرّشد، وكلامه الفضل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترةٍ من الرّسل، وهفوّة عن العمل، وغباوةٌ من الأئمّة.

إعملوا رحيمكم الله على أعلامٍ بيّنةٍ، فالطّريق نهجٌ يدعوا إلى دار السّلام، وأنتم في دارٍ مستعتبرٍ على مهلٍ وفراغٍ، والصحف منشورةٌ، والأفلام جاريةٌ، والأبدان صحيحةٌ، والألسن مطلقةٌ، والتّوبة مسموعةٌ، والأعمال مقبولةٌ»^١.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُوا إِذْ كُرُوا بِنِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْبِيَاءَ

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَنَّكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

«إعلامٌ من الله تعالى للنبي ﷺ قدّيم تحدّي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم من الحقّ وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتابع أيديه وألائه عليهم، مسلّياً بذلك نبيه ﷺ من مقاساتهم في ذات الله»^٢.

«والخطاب للرسول الكريم إعراضًا عن خطابهم، وقد ذكر ﷺ نداء موسى عليه السلام لليهود الدال على كمال القرب والمزيد لهم بالاعتناء بهم، حيث أضافهم إلى نفسه ثم

١. نهج البلاغة، خطبه ٩٣.

٢. التبيان / ٣ - ٤٨٠.

عَقْبَهُ بِتَذْكِيرِهِمْ بِهَا خَصَّهُمْ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ الْجَسَامِ، اسْتَهَالَهُمْ بِهِمْ وَنَصَحَّاً فِي تَنْفِيدِ
مواثيقه بِهِمْ^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِذْ﴾ اسم، مفعول به فعل ممدود «اذكر».

﴿قَالَ﴾ فعلٌ ماضٍ. ﴿مُوسَى﴾ فاعله.

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾ ومضاف إليه.

وزمن مقالة ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ كان بعد خروجبني إسرائيل من مصر كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوَّكًا﴾.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿قَوْمٌ﴾ منادى وأصلها «قومي» فحذفت الياء اختصاراً وبقيت الكسرة دالة
عليها. والمراد بهمبني إسرائيل.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وقد قسم الله النعمة ثلاثة أقسام حين
التفصيل.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿نِعْمَةً﴾.

أُريد بها جميع نعم التي أنعم الله تعالى عليهم وحباهم بها، فالمراد جنس النعمة
التي أنعم الله تعالى عليهم.

﴿إِذْ﴾ اسم، مفعول به فعل ممدود «اذكر».

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿فِيهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾.

﴿أَنْبِيَاءً﴾ مفعول به. التفصيل الأول بعد إجمال النعمة و «هم الأنبياء الذين في
عمود نسبهم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من الأنبياء، أو خصوص

الأنبياء من بنى إسرائيل كيوسف أو الأسباط وموسى وهارون»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَعَلْكُم﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول. معطوف على ﴿جَعَلَ فِيْكُم﴾.
﴿مُلُوكًا﴾ مفعول به ثان. يجعلهم ملوكاً هي النعمة الثانية والمراد بها الاستقلال
في أمورهم وخروجهم عن استرافق الفرعانة وغيرها من الطواغيت.
وفي تفسير القمي: «يعني في بنى إسرائيل، لم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت
واحد، ثم جمع ذلك لنبيه ﷺ»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها النعمة الثالثة.

﴿أَتَنْكُم﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول، معطوف على ﴿جَعَلْكُم﴾.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ثان. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
﴿يُؤْتَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أول محذف
تقديره: ﴿مَا لَمْ يُؤْتَ﴾ هـ.

﴿أَحَدًا﴾ مفعول به ثان لـ ﴿لَمْ يُؤْتَ﴾ ،

﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ جار ومحرر متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدًا﴾. والمراد بها «هي
العنایات والألطاف الإلهية التي اقترنت بآيات باهرة قيمة بتعديل حياتهم لو استقاموا
على ما قالوا، وداموا على ما واثقوا، وهي الآيات البينات التي أحاطت بهم من كل
جانب أيام كانوا بمصر، وبعد إذ تجاهلوا الله من فرعون وقومه، فلم يتوافر ويتواتر من
الآيات المعجزات والبراهين الساطعات والنعم التي يتنعم بها في الحياة على أمة من
الأمم الماضية المتقدمة على عهد موسى ما توافرت وتواترت على بنى إسرائيل»^٣.

١. الميزان / ٥ . ٢٨٧

٢. تفسير القمي / ١ . ٢٤٢

٣. الميزان / ٥ . ٢٨٨

روایاتان

سعد بن عبد الله الأشعري قال: حدثني جماعة من أصحابنا، عن الحسن بن علي ابن أبي عثمان وإبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوْكًا﴾ فقال: «الأنبياء: رسول الله ﷺ وإبراهيم وإسماعيل وذرّيته، والملوك: الأئمة عليه السلام»، قال: فقلت: وأيّ ملك أعطيتم؟ قال: «ملك الجنة وملك الكرة». ^١

الكرة: أي الرجعة.

ومراد الرواية عدم اختصاص الآية ببني إسرائيل بل تجري في شأن الأمة المرحومة أيضاً كما ورد عن رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لتركبُنَ سُنُنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حذوا النعل بالتعل، والقدة بالقدة، حتى لا تُخْطِّنُونَ طريقهم، ولا تخطئُنَ سُنَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الحديث.^٢

روي عن النبي ﷺ أنه قال: هؤلاء إنما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهن نساء وأزواج.^٣

﴿يَقُولُونَ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدَبَارِكُمْ

فتَنَقْلِبُوا حَسِيرِينَ﴾

أمر موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة، وكان يستنبط من حা�فهم التمرد والتآبٍ عن القبول، ولذلك أكد أمره بالنهي عن الارتداد وذكر استتباعه الخسران. والدليل على أنه كان يستنبط منهم الرد توصيفه إياهم بالفاسقين بعد ردهم،

١. مختصر البصائر / ١١٩، ح ٩٧.

٢. تفسير العياشي / ٢، ٢٤، ح ٦٩.

٣. التبيان / ٣، ٤٨١.

فإن الردّ وهو فسق واحد لا يصح اطلاق ﴿الْفَسِيقِينَ﴾^١ عليهم الدال على نوع من الاستمرار والتكرر^٢.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء. ﴿قَوْمٍ﴾ منادي.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿الْأَرْضَ﴾ مفعول به.

﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾ نعت لـ ﴿الْأَرْضَ﴾. «المقدسة» في اللغة: المطهرة. وقيل: إنها ظهرت من الشرك وجعلت مسكنًا وقرارًا للأنبياء والمؤمنين، والأصل التقديس، وهو التطهير، ومنه قيل للسلط الذي يتطهّر منه: القدس. وقيل: بيت المقدس لأنّه يظهر من الذنوب. ومنه تسبيح الله وتقديسه سبough قدوس، وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه من نحو الصحابة والولد والظلم والكذب^٣.

﴿أَتَى﴾ اسم موصول، صفة ثانية لـ ﴿الْأَرْضَ﴾.

﴿كَتَبَ﴾ فعل ماض. يعني في اللوح المحفوظ والقضاء الإلهي في توطفهم فيها. «ولا ينافيه قوله في آخرها: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^٤ بل يؤكده فإن قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ كلام مجمل أبهم فيه ذكر الوقت وحتى الأشخاص، فإن الخطاب للأمة من غير تعرض لحال الأفراد والأشخاص، كما قيل: أن السامعين لهذا الخطاب الحاضرين المكلفين به ماتوا وفروا عن آخرهم في التيه، ولم يدخل الأرض المقدسة إلا أبناءهم وأبناء أبنائهم مع يوشع بن نون، وبالجملة لا يخلو قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عن أشعار بأئمّها مكتوبة لهم بعد ذلك^٥. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿كَتَبَ﴾.

١. سورة المائدة / ٢٥.

٢. الميزان / ٥ / ٢٨٨.

٣. التبيان / ٣ / ٤٨٣.

٤. سورة المائدة / ٢٦.

٥. الميزان / ٥ / ٢٨٨.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ نافية جازمة.

﴿تَرْتَدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ جار ومحور ومضاف إليه. حال من ضمير ﴿تَرْتَدُوا﴾ بتقدير: «مدبرين». يعني: لا ترجعوا عن طاعة الله في أمره بدخول ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾.

﴿فَ﴾ للسببية.

﴿تَنَقِّلُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة مصدرية بعد ﴿فَ﴾ وفاعله.

﴿خَسِيرِين﴾ حال من ضمير ﴿تَنَقِّلُوا﴾. الخسران: ذهاب رأس المال. وبني إسرائيل بعد عدم دخولهم ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ صاروا ﴿خَسِيرِين﴾ لعصيان أمر النبي الله موسى عليه السلام وخرقوا حظهم في السلطة على ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾.

فيكون المراد «من الخسران خسران الدارين».^١.

الروايات

صحيحه أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن الرضا عليه السلام في حديث: قلنا: إنّ أهل مصر يزعمون أنّ بلادهم مقدسة.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: جعلت فداك، يزعمون آنّه يحشر من جبلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب.

قال: لا لعمرني ما ذاك كذلك، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها.

ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها، فاستدلّ موسى على من يعرف القبر، فدلّ على امرأة عمياً زمرة، فسألها موسى أن تدلّه

عليه فأبْتَ إِلَّا على خصلتين: فيدعو الله فيذهب بزمانتها، ويصبرها معه في الجنة في الدرجة التي هو فيها. فأعظم ذلك موسى، فأوحى الله إليه: وما يعظم عليك من هذا، أعطها ما سألت. ففعل، فوعده طلوع القمر، فحبس الله القمر حتى جاء موسى لموعده، فأخرجه من النيل في سفط مرمر، فحمله موسى.

ولقد قال رسول الله ﷺ : لا تغسلوا رؤوسكم بطينها، ولا تأكلوا في فخارها، فإنه يورث الذلة ويدهب الغيرة.

قلنا له: قد قال ذلك رسول الله ﷺ ؟

فقال: نعم.^١

روى نحوها العياشي في تفسيره عن علي بن أسباط عن الرضا عليه السلام.^٢

عن أبي جعفر عليه السلام: قال موسى عليه السلام لقومه: «يَقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» فرددوا عليه وكانوا ستمائة ألف، الحديث.^٣

عن زُراة، وحران، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر، وأبي عبدالله عليه السلام ، عن قوله: «يَقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» ، قال عليه السلام : كتبها لهم، ثم محاها.^٤

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لي: إنَّ بنى إسرائيل قال لهم: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» فلم يدخلوها حتى حرّمتها عليهم وعلى أبنائهم، وإنما دخلها أبناء الأبناء.^٥

عن إسماعيل الجعفي، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: قلت له: أصلحك الله «أَدْخُلُوا

١. قرب الاستناد / ٣٧٥، ح ١٣٣٠.

٢. تفسير العياشي ٢/٢، ح ٧٤.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٥، ح ٦٩.

٤. تفسير العياشي ٢/٢٥، ح ٧٠.

٥. تفسير العياشي ٢/٢٥، ح ٧١.

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ؟ أَكَانَ كَتْبَهَا لَهُمْ؟
 قال: إِي وَاللَّهِ، لَقَدْ كَتَبَهَا لَهُمْ، ثُمَّ بَدَاهُ لَهُمْ لَا يَدْخُلُوهَا. قَالَ: ثُمَّ ابْتَدَأَ هُوَ فَقَالَ: إِنَّ
 الصَّلَاةَ كَانَتْ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ، فَجَعَلَهُمَا لِلْمَسَافِرِ، وَزَادَ لِلْمُقَمِّمِ رَكْعَتَيْنِ، فَجَعَلَهُمَا
 أَرْبَعًا.^١

عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: «أَدْخُلُوا
 الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»، قَالَ: كَتَبَهَا لَهُمْ ثُمَّ مَحَاهَا، ثُمَّ كَتَبَهَا لِأَبْنَائِهِمْ
 فَدَخَلُوهَا، وَاللَّهُ يَمْحُو «مَا يَشَاءُ وَيُبَيِّنُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^٢.

عَنْ الْحَسِينِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: ذَكَرَ أَهْلِ مِصْرَ، وَذَكَرَ قَوْمَ
 مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْلَهُمْ: «أَدْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هَنُّنَا قَعِدُونَ»^٤ فَحَرَّمَهَا اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ أَرْبَعينَ سَنَةً، وَتَبَاهُمُوا فَكَانَ إِذَا كَانَ الْعَشَاءُ وَأَخْذَنَوْا فِي الرَّحِيلِ، نَادَوْا: الرَّحِيلُ
 الرَّحِيلُ، الْوَحْيُ الْوَحْيُ، فَلَمْ يَزَالُو كَذَلِكَ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ، حَتَّى إِذَا ارْتَحَلُوا
 وَاسْتَوْتُ بِهِمُ الْأَرْضَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَرْضِ: دِيرِي بِهِمْ، فَلَمْ يَزَالُو كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا
 أَسْحَرُوا وَقَارَبُوا الصُّبْحِ، قَالُوا: إِنَّ هَذَا الْمَاءَ قَدْ أُتْتِيَمُوهُ فَانْزَلُوهُ، فَإِذَا أَصْبَحُوا، إِذَا
 أَبْنَيْتُهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا بِالْأَمْسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمَ، لَقَدْ ظَلَّتُمْ
 وَأَخْطَأْتُمُ الطَّرِيقَ، فَلَمْ يَزَالُو كَذَلِكَ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فَدَخَلُوهَا، وَقَدْ كَانَ كَتَبَهَا لَهُمْ^٥.
 عَنْ دَاؤِ الرَّقِّيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: كَانَ أَبُو جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:
 نَعَمْ الْأَرْضُ الشَّامُ، وَبَئْسُ الْقَوْمُ أَهْلُهَا، وَبَئْسُ الْبَلَادُ مِصْرُ، أَمَا إِنَّهَا سِجْنٌ مِنْ سَخْطِ
 اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ دُخُولُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِصْرًا إِلَّا مِنْ سَخْطٍ وَمُعْصِيَةٍ مِنْهُمْ اللَّهُ، لَأَنَّ اللَّهَ

١. تفسير العياشي ٢/٢٦، ح ٧٢.

٢. سورة الرعد ٣٩.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٦، ح ٧٣.

٤. سورة المائدة ٢٤.

٥. تفسير العياشي ٢/٢٧، ح ٧٥.

قال: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في الأرض أربعين سنةً، في مصر وفيافيها، ثم دخلوها بعد أربعين سنة.

قال: وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم، ورضي الله عنهم.

وقال عَلِيًّا: إِنِّي لأكره أن آكل من شيء طُبخ في فخارها، وما أحب أن أغسل رأسِي من طينها خافةً أن تورثني تُربتها الذل، وتذهب بغيري.^١
روها القطبُ الروانديُّ بإسناده في قصص الأنبياء.^٢

عن ابن سِنان، عن أبي عبد الله عَلِيًّا، في قول الله: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»، قال: كان في علمه أنهم سيعصون ويتهونون أربعين سنة، ثم يدخلونها بعد تحريمها إياها عليهم.^٣

القطب الرواندي بإسناده عن ابن أورمة، عن محمد بن أبي صالح، عن الحسن ابن محمد بن أبي طلحة، قال: قلت للرضا عَلِيًّا: أياتي الرسول عن الله بشيء ثم تأتي بخلافه؟ قال: نعم، إن شئت حدثتك وإن شئت أتيتك به من كتاب الله، قال تعالى جلّت عظمته: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» الآية فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم.

وقال عمران: إن الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا، ثم غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريا، فقالت طائفنة: صدقنبي الله، وقالت الآخرون: كذب، فلما ولدت مريم عيسى عَلِيًّا فقالت الطائفنة التي أقامت على صدق عمران: هذا الذي وعدنا الله.^٤

١. تفسير العياشي ٢/٢٧، ح ٧٦.

٢. قصص الأنبياء ١/٤٤٣، ح ٢٨٥.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٨، ح ٧٧.

٤. قصص الأنبياء ٢/٥٦، ح ٣٠٧.

﴿قَالُوا يَمْوَسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّ

تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَخْلُونَ﴾ ﴿٣﴾

بيان لكيفية إعراضهم عن طاعة ربّهم ومقاتلتهم في جوابه ونقضهم مواثيق ربّهم، وأئمّهم «يريدون نصراً رخيصاً ومرحباً، لا يكلّفهم قتيلاً ولا جريحاً، تماماً كإغراق عدوهم فرعون...»^١.

﴿قَالُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلىبني إسرائيل قوم النبي موسى على نبينا وآله وعليه السلام.

﴿يَأَنَا﴾ أداة نداء. ﴿مُوسَى﴾ منادي.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

﴿فِيهَا﴾ جار و مجرور، خبر ﴿إِنَّ﴾ المقدم. والضمير يرجع إلى ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾.

﴿قَوْمًا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخر.

﴿جَبَارِينَ﴾ نعت لـ ﴿قَوْمًا﴾. الجبار: صفة مبالغة قال الفراء: «لم اسمع أدرك»^٢. «والجبار هو الذي لا ينال بالقهر وأصله - في النخل - ما فات اليك طولاً والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد»^٣.

قال الراغب: «أَصْلُ الْجَبْرِ إِصْلَاحُ الشَّيْءِ بَصَرْبٍ مِنَ الْقَهْرِ يُقَالُ: جَبَرْتُهُ فَأَنْجَبَ وَاجْتَبَرَ وقد قيل جَبَرْتُهُ فَجَبَرَ كقول الشاعر:

قد جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُ فَجَبَرَ

١. التفسير الكاشف ٤٣/٣.

٢. مواهب الرحمن ١٤٦/١١.

٣. التبيان ٤٨٤/٣.

هذا قول أكثر أهل اللغة وقال بعضهم ليس قوله فجبر مذكوراً على سبيل الانفعال بل ذلك على سبيل الفعل وكروه ونبه بالأول على الابداء بإصلاحه وبالثاني على تتميمه فكانه قال فَصَدَ جَبْرَ الدِّينِ وَابْتَدَأَ فَتَمَّمَ جَبْرُهُ، وذلك أن فعل تارة يقال من ابتدأ بفعل وتارة لمن فرغ منه. وتجبر يقال إما لتصور معنى الاجتهاد والبالغة أو لمعنى التكليف كقول الشاعر:

تجبر بعد الأكل فهو غيض

وقد يقال الجبر تارة في الإصلاح المجرد نحو قوله عليه ص: يا جابر كل كسير، ويا مسهّل كل عسير. ومنه قوله للخبز جابر ابن حبة. وتارة في القهر المجرد نحو قوله عليه ص: «لا جبر ولا تفويض». والجبر في الحساب إلحاقي شيء به إصلاحاً لما يريد إصلاحه وسمى السلطان جبراً كقول الشاعر:

وأنعم صباحاً ضيافاً جبراً

لقهر الناس على ما يريده أو لإصلاح أمورهم، والإجبار في الأصل حمل الغير على أن يجبر الآخر لكن تُعرف في الإكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا كقولك أكرهته، وسمى الذين يدعون أن الله تعالى يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجررة وفي قوله المتقدمين جبرية وجبرية. والجبار في صفة الإنسان يقال له يجبر نقيضته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على طريق الذم كقوله ص: «وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ»^١ وقوله تعالى: «وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا»^٢ وقوله ص: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ»^٣ وقوله ص: «كَدِيلَكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قُلْبٍ مُتَكَبِّرٍ

١. سورة إبراهيم / ١٥

٢. سورة مريم / ٣٢

٣. سورة المائدة / ٢٢

جَبَّارٍ^١ أي مُتَعَالٌ عن قَبْوُلِ الْحَقِّ وَالإِيمَانِ لَهُ . وَيُقَالُ لِلْقَاهِرِ عَيْرُهُ جَبَّارٌ نَحْوُهُ : «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ»^٢ وَلِتَصُورِ الْقُهْرِ بِالْعُلُوِّ عَلَى الْأَفْرَانِ قِيلَ نَخْلَةُ جَبَّارٌ وَنَافَةُ جَبَّارَةُ»^٣ .

وقال العالمة الطباطبائي «المراد بالجبارين هم أولو السطوة والقوة من الذين يجرون الناس على ما يريدون... وقد ورد في عدّة من الأخبار^٤ في صفة هؤلاء الجبارين من العلاقة وعظم أجسامهم الأرضية قامتهم أمور عجيبة لا يستطيع ذو عقل سليم أن يصدقها، ولا يوجد في الآثار الأرضية والأبحاث الطبيعية ما يؤيدها فليست إلا موضعية مدعومة»^٥ .

وبالجملة: «جَبَّارِينَ» أي متغلّبين لا يتأتى لنا مقاومتهم.

«وَ» عاطفة. «إِنَّا» حرف مشبه بالفعل، تأكيد والضمير اسمه.

«لَنَّ» حرف نفي ونصب واستقبال، يدلّ على نفي الأبد.

«نَدْخُلُهَا» فعل مضارع منصوب وفاعله مستتر «نحن» ومفعول به. والضمير المفعولي يرجع إلى «الْأَرْضَ الْمُقدَّسَةَ». والجملة «لَنْ نَدْخُلُهَا» خبر «إِنَّا» .

«حَتَّىٰ» حرف غاية وجرّ.

«سَخْرُجُوا» فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «حتى» وفاعله.

«مِنْهَا» جار و مجرور متعلق بـ «سَخْرُجُوا» . و «أن» المضمرة وما بعدها بتأويل مصدر في محل جرّ بـ «حتى» وتقديره: «حتى» خروجهم منها. والجار والمجرور متعلق بـ «لَنْ نَدْخُلُهَا» .

والجملة ردّ لأمر موسى عليه السلام واشتراط من قومه بأنّ دخولهم في «الْأَرْضَ

١. سورة الغافر / ٣٥.

٢. سورة ق / ٤٥.

٣. المفردات / ٨٣.

٤. راجع تفسير الطبرى ٦ / ٢٠٩؛ والدر المنشور ٢ / ٢٧٠.

٥. الميزان ٥ / ٢٩١.

الْمُقَدَّسَةَ》 مشروط بخروج القوم الجبارين منها.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَخْرُجُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله لأنّه فعل الشرط، والضمير الفاعلي يرجع إلى الجبارين.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿تَخْرُجُوا﴾ . ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد والضمير اسمه.

﴿دَخَلُونَ﴾ خبر ﴿إِن﴾ ، إذ لا طاقة لنا بهم.

والجملة الأخيرة ﴿فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا دَخَلُونَ﴾ إيعاد ثانوي من بنى إسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام على اشتراط دخولهم بخروج قوم جبارين.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ تَخَافُرُونَ أَنَّعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا

 دَخَلُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِيبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

هذه الآية «إخبار من الله تعالى عن رجلين من جملة النباء الذين بعثهم موسى لتعرف خبر القوم. وقيل هما يوشع بن نون، وكالب، وقيل كلاب بن يوفنا، في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وفتادة والربيع»^١.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿رَجُلَانِ﴾ فاعله. وعن أبي جعفر عليه السلام : أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يافنا وهمابن عمّه^٢ أي ابنعم موسى عليه السلام .

﴿مِن﴾ حرف جرّ، بياني.

١. التبيان / ٤٨٦ .

٢. تفسير العياشي ٢ / ٢٥ ، ح ٦٩ .

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر، الجار وال مجرور متعلق بصفة ممحوقة من
﴿رَجُلَانِ﴾.

﴿سَخَافُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. صفة أولى لرجلين. «ظاهر السياق أن المراد
بالمخالفة مخافة الله سبحانه وأن هناك رجالاً كانوا يخافون الله أن يعصوا أمره وأمر نبيه،
ومنهم هذان الرجال اللذان قالا ما قالا»^١.

«قرأ سعيد بن جبير ﴿يَخَافُونَ﴾ بضم الياء [بناء على المجهول] وقال: كانا من
الجبارين فأسلموا واتبعاً موسى»^٢. فكان «رجلان من الجباررة أسلموا وسارا إلى موسى،
فعلى هذا «الواو» [في يخافون] لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول ممحوف أي من
الذين يخافهم بنو إسرائيل»^٣.

أقول: هذه القراءة وهذا القول شاذٌ، والاعتماد على الأول.

﴿أَنَّمَّا﴾ فِعْلٌ ماضٍ، صفة ثانية لرجلين. «الله» فاعله.

﴿عَلَيْهِمَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنَّمَّا﴾ والضمير يرجع إلى ﴿رَجُلَانِ﴾ و ﴿أَنَّمَّا
الله عَلَيْهِمَا﴾ بالإيهان والتثبت، «أنهما» كانا يختصان من بين أولئك الذين يخافون بأنّ الله
أنعم عليهما، وقد مر في موارد تقدمت من الكتاب أن النعمة إذا أطلقت في عرف
القرآن يراد بها الولاية الإلهية فهما كانا من أولياء الله تعالى، وهذا في نفسه قرينة على أنّ
المراد بالمخالفة مخافة الله سبحانه فإنّ أولياء الله لا يخشون غيره قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ
أَوْلَيَاءَ الله لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ تَحْزُنُونَ﴾^٤.

ويمكن أن يكون متعلق ﴿أَنَّمَّا﴾ الممحوف يعني المنعم به هو الخوف، فيكون

١. الميزان / ٥ / ٢٩١.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الشعلبي / ٤ / ٤٣.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي / ٢ / ١٥٥.

٤. كما عليه أبوالفتوح الرازي في روض الجنان / ٦ / ٣١٧.

٥. سورة يونس / ٦٢ / ٦٢.

المراد أن الله أنعم عليهم بمخافته، ويكون حذف مفعول **﴿تَخَافُرُكُمْ﴾** للاكتفاء بذلك في قوله: **﴿أَنَّعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾** إذ من المعلوم أن مخافتهم لم يكن من أولئك القوم الجبارين وإنما لم يدعوابني إسرائيل إلى الدخول بقولهم: **﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾**^١.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، ابتداء مقالتهم لبني إسرائيل الجبانين. والأمر يدل على الفور فالمراد به المبالغة «أي: باغتوهم ولا تمهلوهم ليجدوا للحرب مجالاً»^٢.
﴿عَلَيْهِمُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ **﴿أَدْخُلُوا﴾**.

﴿الْبَابَ﴾ مفعول به. «لعل المراد به أول بلد من بلاد أولئك الجبارية يلي بنى إسرائيل... وهذا استعمال شائع أو المراد بباب البلد»^٣.
﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. الضمير الفاعلي يرجع إلى بنى إسرائيل والضمير المفعولي إلى **﴿الْبَابَ﴾**.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنَّكُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد واسمها.
﴿غَلِبُونَ﴾ خبر **﴿إِنَّ﴾**. «وعدُّ منها لهم بالفتح والظفر على العدوّ، وإنما أخبرنا إخباراً بيّناً اتكلّاً منها بما ذكره موسى عليه السلام أن الله كتب لهم تلك الأرض لإيمانها بصدق أخباره، أو أنها عرفاً ذلك بنور الولاية الإلهية»^٤.

١. الميزان / ٥ / ٢٩١.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ١٥٠.

٣. الميزان / ٥ / ٢٩٢.

٤. الميزان / ٥ / ٢٩٢.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَوَكَّلُوا﴾، و تقدمه يدل على أن التوكل لابد أن يكون على الله تعالى فقط حتى يصير سببا للغلبة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المتقدم. أي إذا دخلتم متوكلاً على الله فقط ﴿فَإِنَّكُمْ غَلِيُونَ﴾.

﴿تَوَكَّلُوا﴾ فعل أمر و فاعله. «لأن الله سبحانه كافي من توكل عليه وفيه تطيب لنفسهم و تشجيع لهم»^١ و «من يتوكّل على الله فهو حسبي»^٢

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص و اسمه، في محل جزم بـ ﴿إِن﴾.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

وجواب الشرط محذوف لتقديره: ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾.

أي: ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبما آتاكم به رسوله من عنده ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾ ﴿عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

﴿فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَعِدُونَ﴾

حكى الله تعالى عنادهم مع الرجالين وإصرارهم على التمرد والعصيان وأنهم لا يعبدون الله إلا على حرف... وما أكثرهم في غيرهم من المسلمين والنصارى.

﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ أعربت في الآية ما قبل السابقة. اعراض عن مخاطبة الرجلين الداعيين إلى طاعة الله ورسوله إلى مخاطبة نبيهم موسى عليه تحيراً وعصياناً وتمرداً.

١. الميزان / ٥٢٩.

٢. سورة الطلاق / ٣.

﴿إِنَّا لَنَنْدَخُلُّهَا﴾ أعربت في ما سبق والضمير يرجع إلى ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ .
كرروا مقالتهم ﴿إِنَّا لَنَنْدَخُلُّهَا﴾ حتى يئس نبيّهم موسى عليه السلام ولم يدعهم من بعد
دعوة بعد الدعوة.

﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان للمستقبل، تأكيد لنفي المؤكّد. تأكيد لقوفهم: ﴿إِنَّا لَنَنْدَخُلُّهَا﴾ بظرف الزمان الدالة على التأييد في الاستقبال.

﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية. ﴿دَامُوا﴾ فعل ماضٌ ناقصٌ واسمٍ.

﴿فِيهَا﴾ جارٌ و مجرورٌ في محلٍّ نصبٍ خبر ﴿دَامُوا﴾؛ وجملة ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ بيانية
للإبدية.

وفي هذا الجواب المؤجز «بعد الاطناب في مقام التخاصم والتجابُوب دلالة على
استعمال الكلام وكراهة استماع الحديث أن يمضي عليه المتخاصم الآخر»^١.

﴿فَ﴾ تفريعية. و الجملة بعدها تفريعة على ردّهم الدعوة في كمال سوء الأدب.
﴿أَذْهَب﴾ فعل أمر خطاباً لنبيّهم موسى عليه السلام.

﴿أَنْتَ﴾ فاعله، و ﴿إِنَّمَا أَبْرَزَ الضَّمِيرَ لِيُصْحِّحَ الْعَطْفَ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ لَا يَحُوزُ الْعَطْفَ
عَلَى الضَّمِيرِ قَبْلَ أَنْ يَؤْكَد﴾^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَبُّكَ﴾ معطوف على ﴿أَنْتَ﴾ و مضاف إليه، والضمير الخطاب خروج منهم
عن العبودية والولاية الإلهية، لأنّهم ينسبون «الرب» إلى موسى عليه السلام فقط.
﴿فَ﴾ تفريعية أخرى.

﴿قَتَلَاهُ﴾ فعل أمرٌ فاعله. «وفي الكلام أوضح الدلالة على كونهم مشبهين
بالوثنيين، وهو كذلك فإنّهم القائلون على ما يحكى به الله سبحانه عنهم في قوله:

١. الميزان / ٥ / ٢٩٢.

٢. التبيان / ٣ / ٤٨٧.

﴿وَجَوَزْنَا بَيْنِ إِسْرَاءِ يَلَى الْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ هُمْ قَالُوا يَمُوسَى
أَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^١ ولم يزالوا على التجسيم
والتشبيه حتى اليوم على ما يدلّ عليه كتبهم الدائرة بينهم^٢.

﴿إِنَّا﴾ الحرف المشبهة بالفعل واسمها. **﴿هَنْهَا﴾** اسم اشارة للمكان.

﴿قَعِدُورَ﴾ خبر **﴿إِنَّا﴾**. (أي: لا نبرح عن مكاننا ولا نقاتل)^٣.

آخر تأكيد من بنى إسرائيل على عصيانهم وخروجهم عن طاعة ربهم وولايته
نبيّهم بل على سوء أدبهم والاستهانة والاستهزاء بأوامر الله تعالى ورسوله، بعد صدور
معجزات عديدة منه وإنعام الله تعالى عليهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾

«استنصر من موسى عليه السلام في إجراء الأمر الإلهي، وشكوى منه عليه السلام إلى ربّه
لحال نفسه وأخيه، والاعتذار إليه تعالى، والتَّنَصُّل^٤ من فعل قومه وفسقهم، فإنّه عليه السلام لم
يتعرّض حال غيرهما من المؤمنين، فإنّ المقام يقتضي التعرّض حال أنفسهما، لا حال
من خرج عن الطاعة وفسق عن أمره»^٥.

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى موسى عليه السلام. في هذا المقال
يدلّ على غاية الانقطاع إلى الله تعالى توجّه موسى عليه السلام «إلى ربّه جل شأنه بقلب مليء

١. سورة الأعراف / ١٣٨ .

٢. الميزان / ٥ / ٢٩٢ .

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ١٥٢ .

٤. التَّنَصُّل: شبه التَّبَرُؤ من جنابه ذنبٌ ونحوه.

٥. مواهب الرحمن / ١١ / ١٥٢ .

بالحزن، مشق خائف وجل، وبمثله تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة»^١.

﴿رَبِّ﴾ منادٍ مضاف منصوب بأداة نداء مخدوفة تقديره: «يا ربّ»، ومن المعلومات «أن اسم «الربّ» له أهمية خاصة في الدّعاء، وأثر عظيم في استجابته، وهذا القول يدلّ على عظم هذا الأمر وأهميته في حياةبني إسرائيل، فإنّه عليه لم يتراكهم على حالمهم، ولم ينصرف عنهم بمجرد إعراضهم واستهانتهم له، فإنّ هذا الأمر له الأثر الكبير في ثبيت دعوته واستمرارها، وإنّه أساس كلّ أمر ونبيٍّ فيهم، وفي الإعراض عن هذا الأمر تشتّت كلمتهم، وإهدار وحدتهم، ولهذا فقد بثّ شکواه إلى ربّه جلت عظمته، وطلب منه إصلاح الأمر بعد ما بلغ هذا الحكم، ودعاهم إليه بأبلغ وجه فأعذر فيه»^٢.

و «المقام كان يقتضي رجوع موسى عليه السلام إلى ربّه بالشكوى وهو في الحقيقة استنصار منه في إجراء الأمر الإلهي»^٣.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمـه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنِّي﴾. كناية عن نفي القدرة على ايجاد ما أمرهم الله تعالى من دخول «الأَرْضَ المُقدَّسةَ».

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. والاستثناء يكون منقطعاً.

﴿نَفْسِي﴾ مستثنٍ ومضاف إليه. اقرار من موسى عليه السلام على عصيان المجتمع الإسرائيلي وأنّه يقدر على نفسه فقط وأنّه حاضر على إجابة دعوة ربّه وأوامره بأيّ نحو كانت.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ١٥٣ .

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ١٥٣ .

٣. الميزان / ٥ / ٢٩٤ .

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَخِي﴾ معطوف على «الإياء» في قوله: ﴿إِنِّي﴾ لا يكون معطوفاً على ﴿نَفْسِي﴾ فيكون المراد إنّ أخي أيضاً لا يملك إلّا نفسه. «وإن كان المعنى صحيحاً على جميع التقادير فإنّ موسى وهارون كما كانا يملّك كلّ منهما من نفسه الطاعة والامتثال كان موسى يملك من نفس هارون الطاعة لكونه خليفته في حياته، وكذا كانا يملكان من أخلص الله من المؤمنين السمع والطاعة»^١.

سؤال: كيف لم يتعرض موسى عليه السلام حال أهله وأهل أخيه والرجلين اللذين كانوا ممّن يخالفون ربّهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يافنا ابنا عمّه مع أنّهم لم يتخللوا عن أوامر الله تعالى ولم يتهاونوا بأمر موسى عليه السلام؟

جواب: موسى وأخوه هارون هما المُبلغان عن الله تعالى والرسولان لبني إسرائيل ولذا لا يتعرض موسى عليه السلام «الحال غيرها من المؤمنين وإن كانوا غير متمردين. إذ لا شأن لهم في التبليغ والدعوة، والمقام إنما يقتضي التعرض الحال مبلغ الحكم لا العامل الآخر به المستجيب له»^٢.

وبعبارة أخرى: «أنّ المقام لا يقتضي إلّا ذلك فإنّه دعاهم إلى خطب مشروع فأبلغ وأعذر فردّ عليه المجتمع الإسرائيلي دعوته أشنع ردّ وأقبحه، فكان مقتضى هذا الحال أن يقول: ربّ ابني أبلغت وأعذرت ولا أملك في اقامة أمرك إلّا نفسي وكذلك أخي، وقد قمنا بما علينا من واجب التكليف ولكن القوم واجهونا بأشد الامتناع، ونحن الآن آئسان منهم، والسبيل منقطع فاحلل أنت هذه العقدة ومهد بربوبيتك السبيل إلى نيل ما وعدته لهم من تمام النعمة و airyathem الأرض واستخلافهم فيها،

١. الميزان / ٥ / ٢٩٤.

٢. الميزان / ٥ / ٢٩٣.

واحکم وافصل بیننا وبین هؤلاء الفاسقين».^١

﴿فَ﴾ تفریعیة.

﴿أَفْرُق﴾ فعل أمر في مقام الدعاء والطلب والتضرع وفاعله ضمیر مستتر «أنت». الفرق: هو الفصل بين شیئین والتمیز بینهما.

﴿بَيْنَا﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَفْرُق﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَيْنَ﴾ معطوف على ﴿بَيْنَا﴾. ﴿الْقَوْمِ﴾ مضاف إليه.

﴿الْفَاسِقِين﴾ نعت. وصفهم نبیّهم بـ ﴿الْفَاسِقِين﴾ لتمرّدهم. وهذا التوصیف لا يدلّ على أنّ ما وقع منہم كان فسقاً لا کفراً، لأنّ الکفر قد یوصف بالفسق، لأنّ الفسق هو الخروج من الطاعة إلى المعصیة على وجه التمرد، ويكون ذلك في الکفر قال الله تعالى: ﴿إِلَآ إِلَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^٢ وكان بذلك کافراً بلا خلاف».^٣

دعاة من موسى عليه السلام لنفسه ولأخيه وللمؤمنین المطیعين من قومه للفصل بینهم وبين المجتمع الإسرائيلي المتمردين لحكم الله تعالى الفاسقین لأوامرہ من شمول الرحمة الإلهیة لهم في الدنيا والآخرة.

و «ليس دعاء منه علىبني إسرائل بالحكم الفصل المستعقب لنزول العذاب عليهم أو بالتفريق بینها وبينهم بإخراجها من بینهم أو بتوفیھما فإنه عليه السلام كان یدعوهم إلى ما كتب الله لهم من تمام النعمة، وكان هو الذي كتب الله المآل علىبني إسرائل بإنجائهم واستخلافهم في الأرض بيده كما قال تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُّنَ عَلَى الَّذِينَ

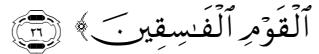
١. المیزان / ٥ . ٢٩٣

٢. سورة الكھف / ٥٠

٣. التبیان / ٣ . ٤٨٩

أَسْتُضْعِفُوْ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَبْيَةً وَنَجْعَلُهُمْ آلَوَرِثَيْنَ ﴿١﴾ .

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَيَّهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِيْنَ﴾



إِخْبَارٌ وَخَطَابٌ لِمُوسَى عليه السلام أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ حَرَمُوا دُخُولَ ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ وَتَمَلَّكُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَضَاءِ الإِلَهِيِّ كَفَارَةً عَنْ تَرَدِّهِمْ وَعَصَيَانِهِمْ وَسُوءِ أَدْبَهِمْ بِلِفَسَقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرُ مُسْتَرٍ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ﴿الله﴾ تَعَالَى .

﴿فَ﴾ لِلْسُبْبَيْبَةِ . أَيْ بِسَبِّبِهِمْ دُخُولَهُمْ ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ .

﴿إِنَّ﴾ حَرْفٌ مُشَبِّهٌ بِالْفَعْلِ ، تَأكِيدٌ .

﴿هَا﴾ اسْمُهُ ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ .

﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ خَبَرَهُ . وَالْمَرَادُ بِهَا التَّحْرِيمُ التَّكَوِينِيُّ وَهُوَ الْقَضَاءُ الإِلَهِيُّ .

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ وَالضَّمِيرُ يُرْجَعُ إِلَيْهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظَرْفٌ زَمَانٌ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ وَالْعَالِمُ فِيهِ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ . أَوْ

﴿يَتَيَّهُونَ﴾ الْآتِيُّ .

﴿سَنَةً﴾ تَبَيَّنَ .

﴿يَتَيَّهُونَ﴾ فَعْلٌ مُضَارِّعٌ وَفَاعِلُهُ . وَالْجَمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي

﴿عَلَيْهِمْ﴾ . «وَأَصْلَ الْتَّيِّهِ التَّحْرِيمُ الَّذِي لَا يُهْتَدِي لِأَجْلِهِ لِلْخُروجِ عَنِ الْطَّرِيقِ إِلَى الْغَرْبَةِ

١. سورة القصص / ٥.

٢. الميزان / ٥ / ٢٩٤.

المقصود. وأصله **الْحِزْرُ**^١. يقال: تاه يتيمه تيهًا: إذا تحير. وتيهته، وتوهته، والياء أكثر. والتيماء - من الأرض - هي التي لا يُتَهَّدِّى فيها. يقال: أرض تيه وتيهاء^٢. ومكان «التيه» في صحراء سيناء الجرداء، يسرون فيها لا يهتدون إلى طريق الخروج، ولا يدرؤن أين المصير... وهكذا يضربون في مجاهلها أربعين عاماً، حتى يفني كبراؤهم، وينشأ بعدهم جيل جديد^٣.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿يَتَهُوْبَ﴾ و ﴿ال﴾ للعهد. «أي قضينا أن لا يوفقا لدخولها أربعين سنة يسرون فيها في الأرض متحيرين لا هم مدنيون يستريحون إلى بلد من البلاد، ولا هم بدويون يعيشون عيشة القبائل والبدوين^٤.﴾

﴿فَ﴾ تفريغية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَأْسَ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ نافية وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب لموسى عليه السلام. الأسى: الحزن، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي فلا تحزن.
 ﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿لَا تَأْسَ﴾.

﴿الْفَسِيقِينَ﴾ نعت. إشعار بأن سبب نزول نسمة التي عليهم هو فسقهم وإمضاء لمقالة موسى وتصيفهم بـ ﴿الْفَسِيقِينَ﴾ في الآية السابقة.
 والمراد به: «﴿فَلَا﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾ من نزول هذه النسمة عليهم لأنهم فاسقون لا ينبغي أن يحزن عليهم إذا أذيقوا وبال أمرهم^٥.

قد يقال: «إن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بالقوم الفاسقين معاصر و فَلَا تَأْسَ من بنى إسرائيل لما عاندوه. وهذا صحيح، لكن ظاهر الآية الشريفة يأباه، وإن أمكن

١. يفتح الحاء المهملة لا يكسرها، كما شاع خطأً ومثلها: الغيرة.

٢. التبيان / ٣ / ٤٩٠.

٣. التفسير الكاشف / ٣ / ٤٤.

٤. الميزان / ٥ / ٢٩٤.

٥. الميزان / ٥ / ٢٩٥.

القول بأنّ الغرض من نقل قصصبني إسرائيل هو العبرة والموعظة والإرشاد، وتطييب نفس الرسول ﷺ ممّا لاقاه منهم»^١.

الروايات

خبر عمارة قال: قلت للصادق أخبرني بوفاة موسى بن عمران^٢: فقال: إنّ لما أتاه أجله واستوفى مدّته وانقطع أكله، أتاه ملّك الموت، فقال: له: السلام عليك يا كليم الله. فقال موسى: وعليك السلام، من أنت؟ فقال: أنا ملّك الموت: قال: ما الذي جاء لك؟ قال: جئت لا تقِبض رُوحك: فقال له موسى عليه السلام: من أين تقِبض روحـي؟ قال: من فميـكـ. قال له موسى عليه السلام: كيف وقد كلّمت به ربـيـ جـلـ حـلـلهـ؟ قالـ:ـ فمن يديكـ.ـ قالـ:ـ كيفـ وقدـ حـملـتـ بـهـاـ التـورـةـ؟ـ قالـ:ـ فـمـنـ رـجـليـكـ.ـ قالـ:ـ كـيـفـ وـقـدـ وـطـئـتـ بـهـاـ طـوـرـ سـيـنـاءـ؟ـ قالـ:ـ فـمـنـ عـيـنـيكـ؟ـ قالـ:ـ كـيـفـ وـلـمـ تـزـلـ إـلـىـ رـبـيـ بـالـرـجـاءـ مـدـوـدـةـ؟ـ قالـ:ـ فـمـنـ أـذـنـيـكـ.ـ قالـ:ـ كـيـفـ وـقـدـ سـمـعـتـ بـهـاـ كـلـامـ رـبـيـ جـلـ وـعـزـ؟ـ قالـ:ـ فـأـوـحـيـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ إـلـىـ مـلـكـ الموـتـ:ـ لـاـ تـقـبـضـ رـوـحـهـ حـتـىـ يـكـونـ هـوـ الـذـيـ يـرـيدـ ذـلـكـ.ـ وـخـرـجـ مـلـكـ الموـتـ،ـ فـمـكـثـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ ماـ شـاءـ اللـهـ أـنـ يـمـكـثـ بـعـدـ ذـلـكـ،ـ وـدـعـاـ يـوـشـعـ بـنـ نـوـنـ،ـ فـأـوـصـىـ إـلـيـهـ وـأـمـرـهـ بـكـتـمـاـنـ أـمـرـهـ،ـ وـبـأـنـ يـوـصـيـ بـعـدـهـ إـلـىـ مـنـ يـقـومـ بـالـأـمـرـ،ـ وـغـابـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـنـ قـوـمـهـ،ـ فـمـرـ فـيـ عـيـتـهـ بـرـجـلـ وـهـوـ يـخـفـرـ قـبـراـ،ـ فـقـالـ لـهـ:ـ أـلـاـ أـعـيـنـكـ عـلـىـ حـفـرـ هـذـاـ القـبـرـ؟ـ فـقـالـ لـهـ الرـجـلـ:ـ بـلـ.ـ فـأـعـانـهـ حـتـىـ حـفـرـ القـبـرـ وـسـوـيـ الـلـحـدـ،ـ ثـمـ اضـطـبـعـ فـيـهـ مـوـسـىـ بـنـ عـمـرـانـ عـلـيـهـ السـلـامـ،ـ لـيـنـظـرـ كـيـفـ هـوـ،ـ فـكـشـفـ لـهـ عـنـ الـغـطـاءـ،ـ فـرـأـيـ مـكـانـهـ مـنـ الـجـنـةـ،ـ فـقـالـ:ـ يـاـ رـبـ،ـ اقـبـضـنـيـ إـلـيـكـ.ـ فـقـبـضـ مـلـكـ الموـتـ رـوـحـهـ مـكـانـهـ،ـ وـدـفـنـهـ فـيـ القـبـرـ،ـ وـسـوـيـ عـلـيـهـ التـرـابـ،ـ وـكـانـ الـذـيـ يـخـفـرـ القـبـرـ مـلـكاـ فـيـ صـورـةـ

١. موهاب الرحمن ١٥٧/١١.

٢. عـمـرـانـ فـيـ الـأـسـماءـ يـكـسـرـ الـعـيـنـ الـمـهـمـةـ وـفـيـ الـبـنـاءـ بـضـمـهـا:ـ الـعـمـرـانـ وـكـثـيرـ مـنـ النـاسـ لـاـ يـمـيـزـونـ بـيـنـهـمـ.

آدمي، وكان ذلك في الْتِيهِ، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأيّ نفس لا تموت؟

فحدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليه السلام: أنّ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن قبر موسى بن عمران عليه السلام أين هو؟ فقال: هو عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر.^١

صحيحة أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَمَّا انتهى بهم موسى إلى الأرض المقدّسة قال لهم: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا خَسِيرِينَ»^٢ - وقد كتبها الله لهم - قالوا: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا حَجَارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَا دَخْلُوكُمْ * قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلُتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِيلُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَبَّلَاهُ إِنَّا هُنَّا قَعْدُورُكُمْ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ»^٣ فلَمَّا أَبْوَا أَن يدخلوها حَرَّمَهَا الله عليهم فتاهوا في أربع فراسخ «قال فِإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ»^٤ قال أبو عبد الله عليه السلام: وكانوا إذا أمسوا نادي مناديم أمسيت الرّحيل فيرحلون بالحداء والزّجر حتّى إذا أسرحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحوا في منزلم الذّي ارتحلوا منه. فيقولون: قد أخطأتم الطريق فمكثوا بهذا أربعين سنة ونزل عليهم المنّ والسلوى حتّى هلكوا جميعاً إِلَّا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وأبناءهم وكانوا يتيمون في نحو من أربع فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم

١. أمال الصدوق، المجلس الحادي والأربعون، ح/٢، ٣٠٣، رقم ٣٤٣، كمال الدين و تمام النعمة .١٧، ح/ ١٥٣.

٢. سورة المائدة / ٢١.

٣. سورة المائدة / ٢٥-٢٢.

٤. سورة المائدة / ٢٦.

عليهم وخفافهم؛ قال: وكان معهم حجرٌ إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عينٌ، فإذا ارتحلوا رجع الماء فدخل في الحجر ووضع الحجر على الدّابة.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله أَمْرَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُدْخِلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدُسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ثُمَّ بَدَالَهُ فَدَخَلُوهَا أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ.

خبر ابن عباس قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر:
خبّرنا يا موسى بأيّ قوّة وبأيّ عدّة وعلى أيّ حولة تبلغ الأرض المقدّسة ومعك الذرّية والنساء والهرمي والزّمني؟

فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورث الله من عرض الدنيا ما ورثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الذي آتاكما، فمعكم من ذلك ما لا يحصيه إلّا الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً، فاذكروه وردوا إليه أموركم، فإنَّه أرحم بكم من أنفسكم.

قالوا: فادعه يطعمنا ويستقيانا ويكسونا ويحملنا من الرجلة، ويظللنا من الحرّ.
فأوحى الله تعالى إلى موسى قد أمرت السماء أن تطر عليهم المن والسلوى، وأمرت الريح أن تنشف لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن يظللهم، وسحرت ثيابهم أن تثبت بمقدار ما يثبتون.

فأمّا قال لهم موسى ذلك سكتوا، فسار بهم موسى فانطلقوا يومّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّما قدّسها لأنّ يعقوب عليه السلام ولد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوفى عليه السلام ولد بها، ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين.^٢

١. الاختصاص / ٢٦٥ .

٢. قصص الأنبياء / ٤١٧ ، ح ٤٨ ، للقطب الرواندي .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَىءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لِأَقْتُلْنَاكَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

«وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود في الظلم ونقض العهد وارتكاب الفواحش من الأمور كحال ابن آدم قايل في قتل أخيه هابيل، وما عاد عليه من الوبرال بتعديه. فأمر نبيه أن يتلو عليهم أخبارهما وفيه تسلية للنبي ﷺ لما ناله من جهلهم بالتكذيب في جحوده وتبكيت اليهود»^١.

هذه الآية وما بعدها «تنبيء عن قصة ابني آدم، وتبيّن أن الحسد ربيما يبلغ بابن آدم إلى حيث يقتل أخيه ظالماً فيصبح من الخاسرين ويندم ندامة لا يستبع نفعاً، وهي بهذا المعنى ترتبط بما قبلها من الكلام على بني إسرائيل واستنكافهم عن الإيمان برسول الله ﷺ فإن إباءهم عن قبول الدعوة الحقة لم يكن إلا حسداً وبغيّاً، وهذا شأن الحسد يبعث الإنسان إلى قتل أخيه ثم يوقعه في ندامة وحسرة لا مخلص عنها أبداً، فليعتبروا بالقصة ولا يلحوا في حسدهم ثم في كفرهم ذاك الإلحاد»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿أَتَلُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب للنبي ﷺ . من تلو بمعنى تبع ومنها: التلاوة وهي القراءة سميت بها لأن قاريء النبأ يأتي بأجزائه في تلو الآخر، أي متابعة الكلمات في تلو الأخرى. قال تعالى: ﴿يَتَلَوْنَهُ حَقَ تِلَاؤَتِهِ﴾^٣ أي يقرؤونه ويتبعونه حق اتباعه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَتَلُ﴾ . والضمير يرجع إلى المسلمين.

١. التبيان / ٣ / ٤٩٢.

٢. الميزان / ٥ / ٢٩٨.

٣. سورة البقرة / ١٢١.

﴿نَبَأً﴾ مفعول به. البناء: هو الخبر المهم إذا كان له نفع أو فائدة.

﴿أَبْنَى﴾ مضارف إليه وهمًا هابيل وقابيل.

﴿أَدَمَ﴾ مضارف إليه ثان ومن نوع من الصرف. وهو أبوالبشر وابنه من صلبه ومن زوجته حواء، لا أنه رجل منبني إسرائيل كما قاله الحسن وأبومسلم محمد بن بحر والزجاج بدعوى علامه قبول القربان لم تكن قبل ذلك.^١

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومحرر في محل نصب نائب عن صفة مصدر مذوق تقديره:

﴿أَتَلُ﴾ تلاوة متلبسة بالحق، أو حال من الضمير الفاعلي ﴿أَتَلُ﴾ وتقديره: ومعك الحق.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ ﴿أَتَلُ﴾.

﴿قَرَبَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿قُرْبَانًا﴾ مفعول به، «القربان مصدر كالشكران والكفران والمراد به هنا اسم المفعول أي الشيء الذي يتقرب به إلى الله من الذبائح وغيرها فهو مثل الخلق حيث أُريد به المخلوق»^٢.

﴿فَ﴾ تفريعية.

﴿تُقْبِلَ﴾ فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول تعظيماً لفاعله، ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». التقبيل: هو القبول مع زيادة وهي الاهتمام بالمقبول والعناية به فيكون أخصاً من القبول.

﴿مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ جار ومحرر ومضارف إليه. متعلق بـ ﴿تُقْبِلَ﴾. وهو هابيل لأنه أخلص النية لله تعالى وأختار أحسن ما عنده ورضي بحكم الله تعالى.

١. حكى عنهم الشيخ في التبيان / ٣ / ٤٩٢.

٢. التفسير الكافش / ٣ / ٤٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُتَقْبَلُ﴾ فعل مضارع مجزوم مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿مِنَ الْأَخْرِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿لَمْ يُتَقْبَلُ﴾ . وهو قابيل لأنّه لم يخلص النية في قربانه وأختار أرده وأخنس ما عنده ولم يرض بحكم الله وليس عنده ملكة التقوى.

﴿قَالَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى قابيل.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم ممحوف، تقديره: والله ﴿لَا قَاتَلَنَا﴾ .

﴿أَقْتُلْنَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «انا» و «نون» التأكيد الثقيله ومفعول به. تهديد بالقتل حسداً لقبول قربان أخيه دون قربانه.

﴿قَالَ﴾ أجابه هايل¹ وقرره الربّ الجليل.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. مسوق لقصر الأفراد وهو «المتفون».

﴿يُتَقْبَلُ﴾ فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿يُتَقْبَلُ﴾ . أي عملية القبول يدور مدار تقوى الله سبحانه والتقوى فعل اختياري للقارب؛ فالقبول من الله بمال يرجع إلى فعل اختياري للفاعل ولأنّ النظام الإلهي يؤدي إلى تقدير الأعمال بميزان العدل وترتبط الجزاء والثواب على العصيان والإطاعة وثبتوت المجازاة الإلهية يكون من لوازم الربوبية من رب العالمين.

فائدة

في «بيان لحقيقة من الحقائق الواقعية في قانون المجازة وقبول الأعمال والعبادات، وهذه الحقيقة تبني على قاعدتين مهمتين، هما أساس قانون الجزاء في

1. والملحوظ أنَّ اسمَيْ آبَيَ آدَمَ لَمْ يَرِدَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا وَرَدَا فِي الْأَخْبَارِ بِاسْمِ قَابِيلٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ وَهَايِلُ لِلْمَقْتُولِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ بِلِيْعَتَقْدُ جَازِمًا أَنَّ اسْمَيْهِمَا وَرَدَا فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَبِرَاهِنٌ عَلَى ذَلِكَ وَيَتَلَوُ مِنْ نَفْسِهِ: «وَقَاتَلَ قَابِيلٌ هَايِلٌ» اعْتَقَادًا مِنْهُ أَنَّهَا آيَةٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

الإسلام.

الأولى: ثبوت المجازاة، الذي لا يتم ب Aiصال كل عامل إلى جزاء عمله وتقديره بميزان القسط والعدل، فيثاب المحسن بإحسانه، ويُعاقب المسيء على إساءته، ليكون سبباً لارتداع الظالم الذي يعذّب جزاء أعماله بنفسه، ويرغب المحسن إلى الزيادة في الإحسان.

وهذه القاعدة لا تتم إلا بنظام خاص متقن يقوم على العلم والقدرة والحكمة المتعالية، ولذا كان من شؤون الربوبية العظمى لرب العالمين.

الثانية: وهي أن قبول الأعمال مطلقاً إنما يدور مدار التقوى، التي هي أساس الكمالات، ولا يمكن تحصيلها إلا بجهد شخصي مرير، وتدلل عليها جملة من الأدلة، منها هذه الآية المباركة التي ترمي إلى معنى دقيق يعذّب نفسه من أُسُسِ قانون المجازاة الإلهية، وهو أن حرمان الإنسان من جزاء عمله إنما يكون من تقصيره، ولابد من السعي في إزالة ما يكون مانعاً عن القبول، ولا يمكن ذلك إلا بالتقوى، فلا بد من الاجتهاد في تحصيلها مهما أمكن، ليكون محظوظاً عند رب العالمين، لا السعي في إزالة حظه ونعمته، فإن ذلك يضره ولا ينفعه.

ومن ذلك يعلم أن القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾ قصر القلب، رداً لما زعمه القاتل من قبول عمله حسباناً منه أن الأمر لا يدور مدار التقوى، وأن التقى وغير التقى في ذلك على حد سواء، إلا أن الآية الشريفة قصرت القبول على المتّقين فقط، فلا حظّ لغيره من عمله.

والظاهر من الآية المباركة وما ورد في تفسيرها عن المعصومين عليهما السلام والتأنّ في أحوال قabil وارتداده عن شريعة آدم عليهما السلام، أن المراد من التقوى هنا هو الموت على الإيمان، لا التقوى الخاص، فكيف بالأخص، فلا يصح التمسك بهذه الآية الشريفة لعدم قبول أعمال فساق المؤمنين إن ماتوا على الدين الحق، ويمكن استظهار ذلك من

جملة كثيرة من الأخبار، ومن قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^١.

وكيف كان، ففي الآية الكريمة العبرة والموعظة للعاملين بأن لا يغترّوا بأعمالهم، إذ المناط كله هو التقوى، فما أنسى هذه الآية الشريفة على العاملين أعمالهم وهي ترشد المؤمنين إلى إزالة ما يكون مانعاً عن قبول أعمالهم»^٢.

الروايات

معتبرة عمرو بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن آية في القرآن تشكيكني، قال: وما هي؟ قلت: قول الله ﴿إِنَّمَا يَتَّقِبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال: وأي شيء شككت فيها؟ قلت: من صلّى وصام وعبد الله قبل منه؟ قال: إنما يتقبل الله من المتّقين العارفين، ثم قال: أنت أزهد في الدنيا أو الضحاك بن قيس؟ قلت: لا، بل الضحاك بن قيس، قال: فإن ذلك لا يتقبل منه شيء مما ذكرت.^٣

صححه أبي حمزة عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: إن الله - تبارك وتعالى - عهد إلى آدم عليهما السلام أن لا يقرب هذه الشجرة، فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها، نسي فأكل منها، وهو قول الله تعالى: «وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَسَيِّئَ وَلَمْ يُنْجِدْ لَهُ عَزْمًا»^٤.

فلما أكل آدم عليهما السلام من الشجرة أهبط إلى الأرض، فولد له هابيل وأخته توأم، وولد له قابيل وأخته توأم.

ثم إن آدم عليهما السلام أمر هابيل وقابيل أن يقربا قرباناً، وكان هابيل صاحب غنم،

١. سورة الزلزلة / ٧-٨.

٢. موهاب الرحمن / ١١ (١٨٩٠-١٩١٠).

٣. المحاسن / ٢٧٠، ح ١٣١.

٤. سورة طه / ١١٥.

وكان قابيل صاحب زرع، فقرب هايبيل كيشاً من أفالضل غنمته، وقرب قابيل من زرעה ما لم يُتقَّن، فتقبل قربان هايبيل، ولم يتقبل قربان قابيل، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَنَّهُ إِذَا دَعَاهُ إِذْ قَرَبَنَا قُرْبَانًا فَتَقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبِلْ مِنَ الْأَخْرِ﴾ إلى آخر الآية، وكان القربان تأكله النار، فعمد قابيل إلى النار، فبني لها بيتاً وهو أول من بنى بيوت النار، فقال: لاعبدن هذه النار حتى تتقبل مني قرباني.

ثم إنَّ إبليس لعنه الله أنتاه - وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق - فقال له: يا قابيل، قد تقبل قربان هايبيل، ولم يتقبل قربانك، وإنك إنْ تركته يكون له عقب يفتحرون على عقبك، فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم عليه السلام، قال له: يا قابيل، أين هايبيل؟ فقال: اطلبه حيث قربنا القربان، فانطلق آدم، فوجد هايبيل قتيلاً، فقال آدم عليه السلام: لعنة من أرضٍ كما قبلت دم هايبيل، وبكى آدم عليه السلام على هايبيل أربعين ليلة، ثم إنَّ آدم سأله ربُّه ولدًا، فولد له غلام، فسماه هبة الله؛ لأنَّ الله عزّ وجلّ وهب له وأخته توأم.

فلما انقضت نوبة آدم عليه السلام واستكمل أيامه، أوحى الله عزّ وجلّ: أنْ يا آدم، قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند هبة الله، فإني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وأثار النبوة من العقب من ذريتك إلى يوم القيمة، ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يعرف به ديني، ويعرف به طاعتي، ويكون نجاة لمن يولد فيها بينك وبين نوح، وبشر آدم بنوح عليه السلام فقال: إنَّ الله - تبارك وتعالى - باعث نبياً اسمه نوح، وإنَّه يدعو إلى الله - عزّ ذكره - ويكتُبُه قومه، فيهلكهم الله بالطوفان، وكان بين آدم وبين نوح عليه السلام عشرة آباء أنبياء وأوصياء كلّهم، وأوصى آدم عليه السلام إلى هبة الله أنَّ من أدركه منكم فليؤمن به ولويتَبعه ولسيصدق به، فإنَّه ينجو من الغرق.

ثم إنَّ آدم عليه السلام مرض المرضة التي مات فيها، فأرسل هبة الله، وقال له، إنَّ لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكة، فأقرئه مني السلام، وقل له: يا جبرئيل، إنَّ

أبى يستهديك من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل: يا هبة الله، إنّ أباك قد قبض، وإنّا نزلنا للصلوة عليه، فارجع، فرجم، فوجد آدم عليهما السلام قد قبض، فأراه جبرئيل كيف يغسله، فغسله حتى إذا بلغ الصلاة عليه، قال هبة الله: يا جبرئيل، تقدم فصل على آدم، فقال له جبرئيل: إنّ الله عزّ وجلّ أمرنا أن نسجد لأبيك آدم وهو في الجنة، فليس لنا أن يوم شيئاً من ولده، فتقدم هبة الله، فصل على أبيه وجبرئيل خلفه وجنود الملائكة، وكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمر جبرئيل عليهما السلام، فرفع خمساً وعشرين تكبيرة، والسنّة اليوم فينا خمس تكبيراتٍ، وقد كان يكبر على أهل بدرٍ تسعاً وسبعاً.

ثم إنّ هبة الله لما دفن أباه، أتاه قابيل، فقال: يا هبة الله، إني قد رأيت أبي آدم قد خصّك من العلم بما لم أخصّ به أنا، وهو العلم الذي دعا به أخيك هابيل، فتقبل قربانه، وإنّما قتلته لكيلا يكون له عقبٌ، فيفتخرون على عقبي، فيقولون: نحن أبناء الذي تقبل قربانه، وأنتم أبناء الذي ترك قربانه، فإنك إن أظهرت من العلم الذي اختصّك به أبوك شيئاً، قتلتكم كما قتلت أخاك هابيل.

فلبث هبة الله والعقب منه مُستخفين بها عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث النبوة وأثار علم النبوة حتى بعث الله نوح عليهما السلام، وظهرت وصيّة هبة الله حين نظروا في وصيّة آدم عليهما السلام، فوجدوا نوح عليهما السلام نبياً قد بشّر به آدم عليهما السلام، فآمنوا به واتّبعوه وصدقواه.

وقد كان آدم عليهما السلام وصيّ هبة الله¹ أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كل سنة، فيكون يوم عيدهم، فيتعاهدون نوحًا وزمانه الذي يخرج فيه، وكذلك جاء في وصيّة كلنبيٍّ حتى بعث الله محمداً عليهما السلام، وإنّما عرفوا نوحًا بالعلم الذي عندهم وهو قول الله عزّ وجلّ: «ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ»² إلى آخر الآية، الحديث.¹

1. واسمه شيث.

2. سورة هود / ٢٥

روى نحوها العياشي^٢ والصدوق^٣.

عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبدالله عليهما السلام جعلت فداك، إن الناس يزعمون أن آدم زوج ابنته من ابنه؟

فقال أبو عبدالله عليهما السلام: قد قال الناس في ذلك، ولكن يا سليمان، أما علمت أن رسول الله عليهما السلام قال: لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه، لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم.

فقلت: جعلت فداك، إنهم يزعمون أن قابيل إنما قتل هابيل، لأنهما تغايرا على أختهما؟

فقال له: يا سليمان، تقول هذا! أما تستحيي أن تروي هذا علىنبي الله آدم؟

فقلت: جعلت فداك، ففيما قتله قابيل هابيل؟

فقال: في الوصيّة، ثم قال لي: سليمان، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم، أن يدفع الوصيّة باسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، بلغ ذلك قابيل غضب، فقال: أنا أولى بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقربا قرباناً بواحي من الله إليه ففعلا، فقتل الله قربان هابيل، فحَسَدَه قابيل فقتله.

فقلت له: جعلت فداك، فمن من تناسل ولد آدم، هل كانت ائتمان غير حواء، وهل كان ذكر غير آدم؟

فقال: يا سليمان، إن الله تبارك وتعالى رزق آدم من حواء قابيل، وكان ذكر ولده من بعده هابيل، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجال، أظهر الله له جنّية، وأوحى إلى آدم أن يزوجها قابيل، ففعل ذلك آدم، ورضي بها قابيل وقنع، فلما أدرك هابيل ما يدرك

١. الكافي ١٥ / ٢٧٥، ح ٩٢ (٨/١١٣).

٢. تفسير العياشي ٢ / ٣٢، ح ٧٩.

٣. كمال الدين وقام النعمة ٢١٣، ح ٢.

الرجال، أظهر الله له حوراء، وأوحى الله آلي آدم أن يزوجها من هابيل، ففعل ذلك، فُقتل هابيل والحوراء حامل، فولدت غلاماً، فسمّاه آدم عليهما هبة الله، فأوحى الله إلى آدم عليهما أن ادفع إليه الوصيّة واسم الله الأعظم، وولدت حوراء غلاماً فسمّاه آدم شيث بن آدم، فلما أدرك ما يدرك الرجال، أهبط الله له حوراء، وأوحى إلى آدم أن يزوجها من شيث بن آدم، ففعل فولدت الحوراء جارية، فسمّها آدم حورة، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل، فنسل آدم منها، فماتت هبة الله بن هابيل، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع الوصيّة واسم الله الأعظم، وما أظهرتك عليه من علم النبوة، وما علّمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم، فهذا حديثهم يا سليمان.^١

صحيحة هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: لما أوصى آدم صلوات الله عليه إلى هابيل، حسدته قابيل فقتله، فوهب الله تعالى لآدم هبة الله، وأمره أن يوصي إليه وأمره أن يكتم ذلك، فجرت السنة بالكتمان في الوصيّة، فقال قابيل لهبة الله: قد علمت أن أباك قد أوصى إليك، فإن أظهرت ذلك أو نطقت بشيء منه لأقتلنك كما قتلت أخيك.^٢

حسنة حبيب السجستاني، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: لما قرب ابن آدم عليهما السلام القربان، فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، دخل قابيل من ذلك حسد شديد، وبغى قابيل على هابيل، فلم يزل يرصده ويتابع خلواته حتى خلا به متنحيًا فقام قابيل فقتله، وكان من قصتهما ما قد بيّنه الله في كتابه من المحاوراة قبل أن قتله.^٣

١. تفسير العياشي ٢/٣٥، ح ٨٤.

٢. قصص الأنبياء ١/٢١٩، ح ٤٥ للقطب الرواندي.

٣. قصص الأنبياء ١/٢١٩، ح ٤٦.

﴿إِنْ بَسَطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلَكَ إِنِّي أَخَافُ﴾

الله رب العالمين ﴿٢٨﴾

تممة مقالة هايل و «بيان خلق كريم من مكارم الأخلاق التي تحث الشرائع الإلهية إليها، تحرّض الناس على التحلّي بها، وهو يرشد إلى أصل من أصول الأديان السماوية، وهو أصل احترام الدماء والآنفوس، الذي يعدّ من القواعد المهمة في الفقه الإسلامي، وفيه من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة ما يكون سبباً في السعادة والفرح ونيل الكمالات، ويبيّن أنه لا بدّ من نبذ روح الانتقام، وعدم إضرار السوء والشرّ بالنسبة إلى الآخرين، حتى إذا أرادوا الشرّ له، لأنّ السبب في ذلك هو الخوف من الله تعالى، الذي هو من أسمى الغايات وأجلّها.

ومن ذلك يعرف أنّ ذلك لا ربط له بمسألة وجوب الدفاع عن النفس وإن أدّى إلى القتل إذا توجّه الضرب إليها، لأنّ المسألة تبيّن حكمًا شرعاً في ظروف خاصة، في حين أنّ الآية المباركة تبيّن حكمًا أخلاقياً يعدّ من الكمالات الواقعية، فإنّها تدلّ على أنّ أحد الأخوين أضرّ السوء لأخيه وأخبره بأنه يريد قتله ظلمًا وعدواناً، إلا أنّ الأخ الآخر أظهر عدم إضرار السوء له، ولم يرد أن يقابل الجنابة بمثلها، لا جنباً ولا خوفاً منه، بل خوفاً من الله تعالى فقط»^١.

﴿إِنْ﴾ موطئه للقسم تقديره: أُقسم. ﴿إِنْ﴾ (إِنْ) حرف شرط جازم.

﴿بَسَطَت﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جزم لأنّه فعل الشرط. البسط: هو المدّ، ضد القبض.

﴿إِلَيْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿بَسَطَت﴾.

﴿يَدَكَ﴾ مفعول به و مضارف إليه. وبسط اليد: هنا كناية عن الأخذ بمقدمات القتل وإعمال أسبابه.

﴿لِ﴾ حرف جر للتعليق.

﴿تَقْتُلَنِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» التعلييل وفاعله ضمير مستتر «أنت» ونون الوقاية ومفعول به وهو ضمير المتكلم. «أن» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر تقديره «لقتلى» والجار والمجرور متعلق بـ «بَسْطَتْ».

يعني: إن أنت ت يريد قتلي وازهاق روحي فاعلم....

﴿مَا﴾ نافية. ﴿أَنَا﴾ مبتدأ. ﴿بِ﴾ حرف جر، زائد لتأكيد النفي.

﴿بَاسِطِ﴾ مجروره. جار و مجرور خبر المبتدأ والجملة «مَا أَنَا بِبَاسِطِ﴾ في محل جزم، جواب القسم ويظهر منها جواب الشرط و«قد أتي في جواب الشرط بالنفي الوارد على الجملة الاسمية، وبالصفة «بِبَاسِطِ﴾ دون الفعل وأكّد النفي بالباء ثم الكلام بالقسم، كل ذلك للدلالة على أنه بمراحل من بعد من إرادة قتل أخيه، لا يهم به ولا يخطر بباله»^١.

﴿يَدِي﴾ مفعول به لاسم الفاعل «بَاسِطِ»، و مضارف إليه.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ «بَاسِطِ﴾. ﴿لِ﴾ حرف جر للتعليق.

﴿أَقْتُلَكَ﴾ فعل مضارع منصوب - «أن» مضمرة بعد «لام» التعلييل وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به.

وأنت ترى أن هايل لم يقل لأخيه: «إنك إن أردت أن تقتلني أقيت نفسى بين يديك ولم أدفع عن نفسى ولا أتقى القتل، وإنما قال: «مَا﴾ كنت «لأَقْتُلَكَ﴾.

ولم يقل: إني أريد أن أقتل بيدك على أي تقدير لتكون ظالماً ف تكون من أصحاب النار فإن التسبب إلى ضلال أحد وشقائه في حياته ظلم و ضلال في شريعة الغطرة من

غير اختصاص بشرع دون شرع، وإنما قال: إني أُريد ذلك وأختاره على تقدير بسطك يدك لقتلي.

ومن هنا يظهر اندفاع ما أورد على القصة: أنه كما أن القاتل منهما أفرط بالظلم والتعدي كذلك المقتول قصر بالتفريط والانظام حيث لم يخاطبه ولم يقابلة بالدفاع عن نفسه بل سلم له أمر نفسه وطاواعه في إرادة قتله حيث قال له: «لَيْنَ بَسْطَتِ إِلَيَّ يَدَكَ» (الخ).

وجه الاندفاع أنه، لم يقل: إني لا أدفع عن نفسي وأدعك وما تريد مني وإنما قال: لست أُريد قتلك، ولم يذكر في الآية أنه قُتل ولم يدافع عن نفسه على علم منه بالأمر فلعله قتله غيلة أو قتله وهو يدافع أو يحترز^١.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿أَخَافُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». ﴿الله﴾ مفعول به.

﴿رَبَّ﴾ نعت أو بدل من لفظ الحالة.

﴿الْعَلَمِينَ﴾ مضاد إليه. وجملة ﴿أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾ في محل رفع خبر
﴿إِنِّي﴾.

ومن هذه الجملة والجملة السابقة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ يظهر أن هابيل ابن آدم المقتول من المتقين والعلماء بالله «أما كونه من المتقين فلقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المتضمن لدعوى التقوى، وقد أمضها الله تعالى بنقله من غير رد، وأما كونه من العلماء بالله فلقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾ فقد ادعى مخافة الله وأمضها الله سبحانه منه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخَشَّى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْأَعْلَمُوا﴾^٢

١. الميزان / ٥٣٠.

٢. سورة فاطر / ٢٨.

فحكايته تعالى قوله: ﴿إِنَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَ الْعَالَمِينَ﴾ وأمضاؤه له توصيف له بالعلم^١.

رواية

خبر أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي عن الرضا عليهم السلام عن آبائه عليهم السلام
عن أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة... وسأله كم كان عمر آدم، فقال: تسعين سنة
وثلاثين سنة، وسأله عن أول من قال الشعر، فقال: آدم، قال: وما كان شعره؟ قال: لما
أنزل إلى الأرض من السماء، فرأى تربتها وسعتها وهوها، وقتل قابيل هابيل قال
آدم عليه السلام:

تَنَحَّ عَنِ الْبَلَادِ وَسَاكِنِيهَا
وَكُنْتَ بِهَا وَرَوْجُكَ فِي قَرَارٍ
فَلَمْ تَنْفَكَّ مِنْ كَيْدِيْ وَمَكْرِيْ
فَلَوْ لَا رَحْمَةُ الْجَبَّارِ أَضْحَى
فِي كَفْكَ مِنْ جِنَانِ الْحَلْدِ رِبْحٌ^٢

... ثم قام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن يوم الأربعاء
وتطيرنا منه ونقله، وأي أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وفيه قتل
قابيل هابيل أخاه، الحديث.^٣

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ حَزَرُواْ^٤﴾

الظَّاهِمِينَ

تعليق آخر لامتناعه عن بسط يده ليقتل أخاه والتعليق الأول قوله: ﴿إِنَّ

١. الميزان / ٥ . ٣٠٢

٢. علل الشرائع / ٥٩٤

٣. علل الشرائع / ٥٩٧

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَلَمَيْنَ).

﴿إِن﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه.

﴿أُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا»، خبر «إِن». «وَالْمَرَادُ بِالْإِرَادَةِ هُنَا هِيَ اخْتِيَارُ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ عِنْدِ دُورَانِ الْأَمْرِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِنَّهُ قَدْ اخْتَارَ طَرِيقَ الْخَيْرِ، وَهُوَ الْمَوْتُ مَعَ السُّعَادَةِ وَعَدْمِ تَحْمِيلِ تَبعَاتِ الْإِثْمِ وَآثَارِهِ السَّيِّئَةِ»^١.

يعني أنَّ الْأَمْرَ «يَدُورُ بَيْنَ أَنْ يُقْتَلَ هُوَ أَخَاهُ فَيَكُونَ هُوَ الظَّالِمُ الْحَامِلُ لِلْإِثْمِ الدَّاخِلِ فِي النَّارِ، أَوْ يُقْتَلَهُ أَخُوهُ فَيَكُونَ هُوَ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْتَارُ قَتْلَ أَخِيهِ الظَّالِمِ عَلَى سُعَادَةِ نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِظَالِمٍ، بَلْ يَخْتَارُ أَنْ يَشْقِي أَخُوهُ الظَّالِمِ بِقَتْلِهِ وَيَسْعَدُ هُوَ وَلَيْسَ بِظَالِمٍ»^٢.

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَبُوَا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». «تَبُوَا»: «تَرْجِعُ وَأَصْلَهُ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَنْزِلِ يُقَالُ: بَاءَ إِذَا رَجَعَ إِلَى الْمَبَاءِ وَهِيَ الْمَنْزِلُ ﴿وَبَاءُ وَبَغَضَّ بَرَأَ اللَّهُ﴾^٣ أَيْ رَجَعُوا»^٤.

﴿بِإِلَّمِنِي﴾ جار و مجرور ومضاف إليه. والجملة «أَنْ تَبُوَا بِإِلَّمِنِي» بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به «أُرِيدُ».

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِلَّمِكَ﴾ معطوف على «إِلَّمِنِي». أي «إِثْمٌ قُتِلَ إِنْ قُتْلَتِنِي ﴿وَإِلَّمِكَ﴾ الَّذِي كَانَ مِنْكَ قَبْلَ قُتْلِي»^٥.

١. مواهب الرحمن / ١١٩٣ .

٢. الميزان / ٥٣٠٢ .

٣. سورة البقرة / ٦١؛ وسورة آل عمران / ١١٢ .

٤. التبيان / ٣٤٩٦ .

٥. التبيان / ٣٤٩٦ .

«إِنَّ هَايِلَ لَمْ يُضْمِرِ الشَّرَّ لِأَخِيهِ أَبْدًا، وَلَمْ يَحْدُثْ نَفْسَهُ فِي التَّعْدِي عَلَى أَخِيهِ، وَإِنَّ أَضْمَرَ أَخْوَهُ الشَّرَّ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ سَبِيلًا فِي الْهَلاَكِ وَالْخَسْرَانِ، فَإِذَا اخْتَارَ الْأَخْ قَتْلَهُ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ الشَّرِيرَةِ، فَهُوَ يَتَحَمَّلُ تَعْبَاتَ فَعْلَهُ، لَأَنَّهُ الْمُبَاشِرُ لِلْقَتْلِ، وَتَعْبَاتُ إِثْمِيِّ لَوْ فَعَلَتْهُ، فَيَحْمِلُهُ إِثْمُ الْمُقْتُولِ عَلَى تَقدِيرِ قَتْلِهِ إِيَّاهُ.

أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهُ لَوْ اخْتَارَ القَتْلَ فَقَتَلَ أَخَاهُ، تَحْمِلُ جَمِيعَ آثَامِهِ، لَأَنَّهُ اعْتَدَى عَلَى مُظْلُومٍ لَا يَسْتَحْقُّهُ، فَيُورِثُ الْقَاتِلَ جَمِيعَ آثَامِ الْمُقْتُولِ، الَّذِي لَوْ مَمْكُرَتْهُ لَجَازَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، إِلَّا أَنَّهُ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ أَوْرَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا»^١.

وَهَذَا الْوَجْهُ الْأَخْيَرُ يَعْنِي: «أَنْ يَنْتَقِلَ إِثْمُ الْمُقْتُولِ ظَلْمًا إِلَى قَاتِلِهِ عَلَى إِثْمِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي جَمِيعِ عَلَيْهِ الإِثْمَانِ، وَالْمُقْتُولُ يَلْقَى اللَّهُ سَبِيلَهُ وَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ، فَهَذَا ظَاهِرٌ قَوْلُهُ: «أَنْ تَبُؤَ بِإِثْمِيِّ وَإِثْمِكَ» وَقَدْ وَرَدَ بِذَلِكَ الرُّوَايَاتُ وَالاعتَبَارُ الْعُقْلِيُّ يُسَاعِدُ عَلَيْهِ. وَالْإِشْكَالُ عَلَيْهِ بِأَنَّ لَازْمَهُ جَوازُ مُؤَاخِذَةِ الْأَنْسَانَ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَالْعُقْلُ يَحْكُمُ بِخَلْافِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «لَا تَرُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أَخْرَى»^٢. مَدْفُوعٌ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقْلِ النَّظَرِيِّ حَتَّى يَخْتَمَ عَلَيْهِ بِاسْتِحَالَةِ الْوَقْعَ، بَلْ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقْلِ الْعَمَلِيِّ الَّتِي تَتَبعُ مَصَالِحَ الْمَجَمِعِ الْإِنْسَانيِّ فِي ثَبَوتِهَا وَتَغْيِيرِهَا»^٣ وَالْمَصْلَحةُ هُنَا تَرْكُ الْقَتْلِ.

﴿فَ﴾ تَفْرِيعَيْهِ.

﴿تَكُونَ﴾ فَعْلُ مُضَارِعٍ ناقِصٍ مَنْصُوبٍ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿أَنْ تَبُؤَ﴾ وَاسْمُهُ ضَمِيرُ مُسْتَترٍ «أَنْتَ».

﴿مِنْ أَصْحَابِ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ، خَبْرٌ ﴿تَكُونَ﴾.

﴿أَنَّارِ﴾ مَضَافٌ إِلَيْهِ. فِي الْآخِرَةِ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ. اِيْعَادُ بِالنَّارِ لِلْقَاتِلِ.

١. مَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ / ١١ / ١٩٣.

٢. سُورَةُ النَّجْمِ / ٣٨.

٣. الْمِيزَانُ / ٥ / ٣٠٤.

﴿وَ﴾ اسْتِئْنَافِيَة.

﴿ذَلِكَ﴾ اسْمُ اشارة، مبتدأ. اشارة إلى صِيرورة القاتل ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ في يومِ المَعَادِ.

﴿جَزَاؤُ﴾ خبر.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ مضافٌ إِلَيْهِ. وَالْمَرَادُ بِهِمْ هُنَّ «القاتلين».

قالُ الشِّيخُ: «وَفِي الآيَةِ دَلَالةٌ عَلَى أَنَّ الْوَعِيدَ بِالنَّارِ قَدْ كَانَ فِي زَمْنِ آدَمَ بِخَلْفِ مَا يَدْعُونَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»^١.

الروایات

خبرُ أَسْلَمَ الْجَبَلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا مَتَعَمِّدًا أَثَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، وَبِرِيءَ الْمَقْتُولِ مِنْهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُرِيدُ أَنْ تَبُوَّأَ بِإِشْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾^٢.

صَحِيحَةُ سَلِيمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أُوحِيَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: أَنَّ يَا مُوسَى قُلْ لِلْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِيّاكمْ وَقَتْلُ النُّفُوسِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَإِنَّمَا مِنْ قَتْلِكُمْ نَفْسًا فِي الدُّنْيَا قُتْلَتَهُ فِي النَّارِ مَائَةً أَلْفَ قَتْلَةً مِثْلَ قَتْلَهُ صَاحِبِهِ.^٣

صَحِيحَةُ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ أَعْانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطَرِ كَلْمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: أَيْسَ منْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.^٤

صَحِيحَ أَبْنَانَ عَمْنَ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ قُتِلَ نَفْسًا مَتَعَمِّدًا

١. التبيان / ٣، ٤٩٧.

٢. عَقَابُ الْأَعْمَالِ / ٣٢٨، ح. ٩.

٣. عَقَابُ الْأَعْمَالِ / ٣٢٧، ح. ٨.

٤. عَقَابُ الْأَعْمَالِ / ٣٢٦، ح. ١.

قال: جزاوه النار.^١

خبر جابر بن يزيد، عن أبي جعفر^{عليه السلام} قال: أَوْلَ مَا يُحْكَمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الدَّمَاءُ فَيُوقَفُ إِبْنِي آدَمَ فَيُفَصَّلُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّنُهُمَا مِنْ أَصْحَابِ الدَّمَاءِ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَأْتِي الْمَقْتُولُ قَاتِلَهُ فَيُشَخِّبُ دَمَهُ فِي وَجْهِهِ فَيَقُولُ: هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ: أَنْتَ قَاتِلَهُ؟ فَلَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ حَدِيثًا.^٢
 خبر سعيد الأزرق، عن أبي عبدالله^{عليه السلام} في رجل قتل رجلاً مؤمناً قال: يقال له: مت أيّ ميّة شئت إن شئت يهودياً وإن شئت نصرانياً وإن شئت مجوسيّاً.^٣

خبر أبي الجارود، عن محمد بن علي^{عليه السلام} قال: ما من نفس تقتل برأة ولا فاجرة إلا وهي تحشر يوم القيامة متعلقاً بقاتلها بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً يقول: يارب سل هذا فيم قتلني؟ فإن كان قتله في طاعة الله كذلك أثيب القاتل الجنة وذهب بالمقتول إلى النار، وإن كان في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلت، ثم يفعل الله فيها بعد مشيته.^٤

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُر قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُر فَأَصَبَحَ مِنَ الْحَسِيرِينَ﴾

«الآية الشريفة في غاية الفصاحة والبلاغة تبيّن الصراع المرير داخل النفس الإنسانية بين قوى الخير وقوى الشر، وتغلب النفس الأمارة وانقيادها لتنفيذ الشر، ولا ريب أن ذلك لابد أن يمر بمراحل وخطوات وهمسات في النفس ووساوسم، فإن

١. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح .١.

٢. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح .٣.

٣. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح .٤.

٤. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح .٥.

تغلب إحدى القوتين على الأخرى لا تكون بسهولة، إلا إذا اعتادت النفس على إداتها، فتكون طوع إرادة الإنسان، وهذا ما تدلّ عليه كلمة «طَوْعَةٌ»، التي هي أبلغ من «أطاعت» وظيراتها، فإنّ الأولى تدلّ على الانقياد التدريجيّ، كما أنّ الإطاعة تدلّ على الدفعيّ، فيستفاد منها أنّ النفس لم تصل إلى الطوع والانقياد إلاّ بعد اقترابها إلى الفعل السيء تدريجياً، وفي خطوات حثيثة، ويدلّ على ذلك سياق الآية المباركة، فإنّها تبيّن المراحل التي تقدّمت على الفعل، فابتداّت بإثارة النفس بقبول قربان هابيل دون قربان قابيل، وقد بيّن أولاً السبب في عدم قبول قربان الأخير وكان عليه إزالة المانع، إلاّ أنّ الإثارة تلك تبدلت إلى حسد رهيب في النفس استولى على مشاعره، فنشأت الإرادة إلى القتل، ثمّ الجزم إليه بعد انقياد النفس الأمّارة واستيلائها على العقل والفطرة، فوق القتل.

فالآية الشريفة من الآيات المعدودة التي تبيّن واقع النفس الإنسانية، والصراع الواقع بين قوى الشرّ وقوى الخير، ولتجاذب الواقع بين دواعي الحكمة والمعونة، وصوارف الفطرة ودواعي النفس الأمّارة.

وبالجملة: أنّ هذا التنازع يمثّل به كلّ إنسان عند إرادة ارتكاب جريمة، أو فعل شنيع، كما تدلّ عليه آيات أخرى في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم^١.
﴿فَإِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْمُحَاجَاتِ﴾^٢.

﴿طَوَّعَتْ﴾ فعل ماضٍ، قال الراغب: «الطوع: الانقياد ويُضادُه الكُرْهُ...»
والطاعة مثله... قوله: «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ» نحو أسمَحْتُ له قرينته وانقادت له وسَوَّلت، و﴿طَوَّعَتْ﴾ أبلغ من أطاعت، و﴿طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ بإزاء قولهم تأبّت عن كذا نفسُهُ...»^٢.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ١٩٥.

٢. المفردات / ٣١٨ و ٣١٩.

«وليس مراده أن طوّعت مضمّن معنى انقادت أو سولت بل يريد أن التطويق يدلّ على التدريج كالإطاعة على الدفعة، كما هو الغالب في باب الإفعال والتفعيل فالتطويق في الآية اقترب تدريجياً للنفس من الفعل بوسوسة بعد وسوسة وهمامة بعد همامة تنقاد لها حتى تتم لها الطاعة الكاملة فالمعنى: انقادت له نفسه وأطاعت أمره إياها بقتل أخيه طاعة تدريجية»^١.

﴿لَهُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿طَوَّعَتْ﴾، والضمير يرجع إلى قabil القاتل.

﴿نَفْسُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. والمراد بالنفس هي الأمارة وهوها وشهواتها ومطالباتها ومقاصدها ومراداتها. وهي التي تكون أعداء عدو الإنسان العاقل الملزوم بالشريعة.

﴿قَتَلَ﴾ مفعول به، أو منصوب بتنزع الخافض إذا كان معنى ﴿طَوَّعَتْ﴾ طاوعته ﴿أَلَهُ نَفْسُهُ﴾ في قتل أخيه، أو بمعنى ساعدته ﴿نَفْسُهُ﴾ على قتل أخيه، أو شجعته ﴿نَفْسُهُ﴾ على قتل أخيه.

وأمّا إذا كان بمعنى زينت أو ما مرّ منا ﴿قَتَلَ﴾ يصير مفعول به.

﴿أَخِيهِ﴾ مضارف إليه ومضارف إليه ثان، والضمير يرجع إلى قabil القاتل والأخ هو هابيل المقتول وكان أخوه من أبيه وأمه. أي شقيقه.

﴿فَ﴾ عاطفة للتسبيب والتفریع.

﴿قَتَلَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. يعني مطاوعة النفس صارت سبباً لقتل قabil أخيه. فالقتل مسببٌ عن مطاوعة النفس الشريرة.

﴿فَ﴾ عاطفة للتسبيب والتفریع.

﴿أَصَبَحَ﴾ فعل ماضٍ ناقصٍ واسمه ضمير مستتر «هو». أي صار ولا يدلّ على أنّ القتل وقع في الليل وإن كان ﴿أَصَبَحَ﴾ بحسب أصل معناه واشتقاقه يفيد ذلك لأنّه

في مقابل أمسٍ و «لِكِنَّ عُرْفَ الْعَرَبِ يَسْتَعْمِلُهُ بِمَعْنَى صَارَ مِنْ غَيْرِ رِعَايَةِ أَصْلِ اشتقاقِهِ، وَفِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ كَوْلُهُ: ﴿فَأَصَبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِحْوَانًا﴾^١ وَكَوْلُهُ: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾^٢ فَلَا سَبِيلٌ إِلَى إِثْبَاتِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ فِي الْمَقَامِ».^٣

﴿مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ فِي مَحْلٍ نَصْبٌ خَبْرٌ ﴿أَصَبَحَ﴾ . وَالخَسْرَانُ هُوَ ذَهَابُ رَأْسِ الْمَالِ وَرَأْسُ مَالٍ كُلُّ اِنْسَانٍ نَفْسُهُ وَلَيْسَ ثَمَنُ النَّفْسِ إِلَّا جَنَّةٌ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا حُرُّ يَدِعُ هَذِهِ الْلَّهَاطَةَ لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثُمَنٌ إِلَّا جَنَّةٌ، فَلَا تَبْيَعُوهَا إِلَّا بِهَا»^٤ ، وَلَكُنْ قَبِيلٌ بَعْدَ مَطَاوِعَةِ نَفْسِهِ فِي قَتْلِ أَخِيهِ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاِهِ، فَخَسَرَ وَخَابَ الصَّفْقَةَ وَصَارَ ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْنَّارِ وَذَلِكَ جَزَءُ الظَّلَمِيْمِ﴾^٥ .

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَوْيَلَتَى أَعَجَّرَتْ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصَبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ﴾

«إِعْلَامٌ لِسَقْوَطِ نَفْسِ قَابِيلَ عَنْ قَابِيلِيَّةِ الإِلْهَامِ وَالْإِفَاضَةِ عَلَيْهَا بِلَا وَاسْطَةٍ مِنَ اللَّهِ حَكَّلَهُ، أَوْ مِنَ التَّعْلِمِ مِنْ وَالدِّهِ النَّبِيِّ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَرِيقِ السُّؤَالِ مَثَلًا عَلَى نَحْوِ الْكَلِّيَّةِ لَا لَخْصُوصِ الْوَاقِعَةِ. ثُمَّ لَا يَخْفَى كَمَالُ رَأْفَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصَّالِحِينَ مِنْ عَبَادِهِ، حِيثُ لَمْ يَرْضِ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ جَسْدُ عَبْدِهِ الصَّالِحِ مُورِدًا فَتْرَاسِ السَّبَاعِ، فَدَبَّرَ تَعَالَى لَهُ

١. سورة آل عمران / ١٠٣ .

٢. سورة المائدة / ٥٢ .

٣. الميزان / ٥٣٦ .

٤. نهج البلاغة، حكمة ٤٤٤ .

٥. سورة المائدة / ٢٩ .

كيفية دفنه بهذا التدبير الحسن^١.

وهابيل «كان أول ميت من الناس فلذلك لم يدر كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرائبين أحدهما حي والآخر ميت، وقيل كانا حين قتل أحدهما صاحبه ثم بحث الحي الأرض فدفن فيه الغراب الميت، ففعل به مثل ذلك قabil، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن مالك ومجاهد والضحاك وقادة»^٢.

﴿فَتَفْرِيعَةٌ عَلَى الْقَتْلِ﴾. «والآية بسياقها تدل على أن القاتل قد كان بقي زماناً على تحير من أمره، وكان يحدّر أن يعلم به غيره، ولا يدرى كيف الحيلة إلى أن لا يظفروا بجسده حتى بعث الله الغراب»^٣.

﴿بَعَثَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، ﴿بَعَثَ﴾ هنا بمعنى ألم.

﴿أَللّهُ﴾ فاعله.

﴿غُرَابًا﴾ مفعول به، والغراب من ديدنه الدفن في الأرض والادخار فيها.
 ﴿يَبْحَثُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». البحث: طلب الشيء في التراب. البحث: الحفر.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَبْحَثُ﴾. والجملة ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ في محل نصب صفة ﴿غُرَابًا﴾.

﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿يُرِيهُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿لِ﴾ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى قabil وأمّا الضمير الفاعلي فيرجع إلى الغراب كما هو الظاهر والأقرب، ويمكن ارجاعه إلى الله سبحانه وتعالى على خلاف

١. مواهب الرحمن / ١١ / ١٩٦.

٢. التبيان / ٣ / ٤٩٩.

٣. الميزان / ٥ / ٣٠٦.

الظاهر لأنّه الأبعد، والمعنى صحيح على التقدير لأنّ الغراب مبعوث من الله تعالى.
﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، مبني على الفتح، مفعول به ثان ﴿لِيُرَيَهُ﴾.
﴿يُوَارِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». التواري: التستر والمواراء
هنا: الدفن.

﴿سَوْءَة﴾ مفعول به، «السوأة»: ما يكرهه الإنسان وتطلق على العورة لما تسوء
ناظرها، والمراد بها في المقام جميع الجسد^١.

﴿أَخِيهِ﴾ مضارف إليه ومضارف إليه ثان. «ومعنى ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ قيل فيه قولهان:
أحدهما: قال أبو علي: إنّه حيفة أخيه، لأنّه كان تركه حتى أنتن فقيل لحيفته سوءة.
وقال غيره: معناه عوره أخيه والظاهر يتحمل الأمرين^٢.

﴿قَالَ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى قابيل القاتل. ﴿قَالَ﴾ مخاطباً
لنفسه على طريق الاستفهام الإنكارى.
﴿يَ﴾ أداة نداء.

﴿وَيَلْتَقِي﴾ منادى منصوب ومضارف إليه. وهي كلمة جزع وتأسف وتلهّف
ونحسّ يقال عند الملائكة وعلى مافاته من الفائدة أو اكتسابه من الضرر والخسران.

﴿أَ﴾ حرف استفهام يفيد الإنكار والتعجب هنا.
﴿عَجَزْتُ﴾ فعل ماض وفاعله. ومعنى العجز مقابل الاستطاعة. «يقال:
عجزت عن الأمر، أعجز عجزاً ومعجزة^٣.
﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَكُونَ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمه ضمير مستتر «أنا».

١. مواهب الرحمن ١٩٧/١١.

٢. التبيان ٣/٥٠٠.

٣. التبيان ٣/٥٠٠.

﴿مِثْل﴾ خبر ﴿أَكُون﴾. ﴿هَذَا﴾ اسم اشارة، مضاف إليه.

﴿الْغَرَاب﴾ بدل ﴿هَذَا﴾. مطاوعة النفس يسلب من الإنسان قدرة تفكره بحيث لا بد أن يتعلّم من الغراب وأن يتحسّر أن يكون مثله، وهذا عجب العجاب.

﴿ف﴾ واقعة في جواب الاستفهام.

﴿أُوْرِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» المضمرة بعد ﴿ف﴾. وفاعله ضمير مستتر «أنا».

﴿سَوَّة﴾ مضاف إليه، ومضاف إليه ثان.

﴿ف﴾ تفريعية سبيبة.

﴿أَصْبَحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه ضمير مستتر «هو».

﴿مِنَ الْنَّدَمِينَ﴾ جار ومحور في محل نصب خبر ﴿أَصْبَحَ﴾. «الندامة تأثر روحية خاص من الإنسان وتتألم باطنني يعرضه من مشاهدته إهماله شيئاً من الأسباب المؤدية إلى فوت منفعة أو حدوث مضره، وإن شئت فقل هي تأثر الإنسان العارض له من تذكره إهماله في الإستفادة من إمكان من الإمكانيات.

وهذا حال الإنسان إذا أتى من المظالم بما يكره أن يطلع عليه الناس فإن هذه أمور لا يقبلها المجتمع بنظامه الجاري فيه، المرتبط بعض أجزاءه ببعض فلا بد أن يظهر أثر هذه الأمور المنافية له وإن خفيت على الناس في أول حدوثها، والإنسان الظالم المجرم يريد أن يجبر النظام على قبوله وليس بقابل نظير أن يأكل الإنسان أو يشرب شيئاً من السم وهو يريد أن يضممه جهاز هضمه وليس بهاضم، فهو إن أمكن وروده في باطنه لكيّ له موعداً لن يخلفه ومرصاداً لن يتتجاوزه، و﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمَرْصَادِ﴾^١.

وعند ذلك يظهر للإنسان نقص تدبيره في بعض ما كان يجب عليه مراقبته ورعايته فينتم لذلك، ولو عاد فأصلاح هذا الواحد فسد آخر ولا يزال الأمر على ذلك

حتّی یفضحه الله علی رؤس الاشھاد.

وقد اتضح بما تقدم من البیان: أن قوله: «فَأَصَبَحَ مِنَ الْنَّذِمِينَ» إشارة إلى ندامته على عدم مواراته سوأة أخيه، وربما أمكن أن يقال: إن المراد به ندمه على أصل القتل، وليس بعيداً^١.

والالأظھر أن تكون الندامة على مطاوعة النفس التي وصلت إلى حد قتل أخيه. ولكن هذا الندم منه لا يُعد توبۃ لأنّه حالة نفسانية تکوینية بلا واسطة الاختیار الإنساني «تعرض لکلّ إنسان عقب ما يصدر عنه من الخطأ والفعل الشنیع، وارتكابه ما يكره أن يطّلع عليه الناس أو يرفضه المجتمع، وربما يكون الندم توبۃ إذا كان سببه الخوف من الله تعالى، والتّألم من التعذی على حدوده، وارتكاب ما لا يرضاه يَكْرَهُ، وفي الحديث: «كفى بالندم توبۃ». وأما إذا كان سببه فوت منفعة أو حدوث مضرّة، فلا يكون الندم حينئذ توبۃ، كما هي العادة في ما إذا ظهر للإنسان بعد ارتكابه الفعل أنّه قصر في تدبیر أمره واتخاذ الحیطة الالازمة عند ارتكابه الجريمة، ولذا لو عاد فإنه يصلح ما فاته فیا لمّرّه الأولى، فلا يكون مثل هذا الندم توبۃ.

الظاهر من الآية المباركة أن ندامته من جهة عجزه عن مواراة سوأة أخيه، أو ندمه على أصل القتل قبل أن يتّخذ جميع الإجراءات، وقبل أن يعرف ما يصنع بجسد أخيه، فالندامة تأثير روحي خاص في الإنسان يعرض عند ارتكاب الخلاف، ولكن يختلف أسبابها، فقد يكون من الله تعالى، فتكون حيلة موجبة للتخفيف عن الظالم، كما يحدث كثيراً عند المجرمين عند حصول النّقمة عليهم.

وكيف كان، فإنّ ندم قابل لا يفيده لما ارتكبه من الفعل الشنیع الذي لا يغفر بمجرد الندم، لما عرفت في بحث التوبۃ من عدم كفاية الندم في رفع آثار الذنب في

بعض الجرائم الموبقة»^١.

رواياتان

حسنة ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش، قال:

لما قرب ابنا آدم القربان، قرب أحدهما أسمن كبش كان في ظانه، وقرب الآخر ضغثاً من سنبل فتقبل من صاحب الكبش وهو «هابيل» ولم يقبل من الآخر. فغضب «قابيل» فقال هابيل: والله لا قتلنّك! فقال هابيل:

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لِئِنْ بَسْطَتِ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتَلَنِي مَا أَنَا بِيَاسِطٍ
يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ حَزَرُوا لِظَّالِمِينَ * فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَتَمَّ أَخْيَهُ﴾^٢.

فلم يدرِّ كيف يقتله، حتّى جاء إبليس فعلمته، فقال: ضع رأسه بين حجرين، ثم اشدّه! فلما قتله لم يدرِّ ما يصنع به، فجاء غراباً فأقبل يتصاربان حتّى قتل أحدهما صاحبه، ثم حفر الذي بقي الأرض بمخالبه، ودفن فيها صاحبه!

قال قابيل: «يَوْمَئِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي». فَأَصْبَحَ مِنَ الْنَّدِيمِينَ فـ حفر له حفيرة ودفنه فيها، فصارت سنة يدفنون الموتى.

فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل، فقال له آدم عليه السلام: أين تركت ابني؟

قال له قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ فقال آدم: انطلق معك إلى مكان القربان. وأوجس^٣ قلب آدم بالذي فعل قابيل، فلما بلغ مكان القربان استبان قتله.

فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل، وأمر آدم أن يلعن قابيل، ونودي قابيل

١. مواهب الرحمن / ١١ / ١٩٩.

٢. سورة المائدة / ٣٠ - ٢٧.

٣. توجّس بالشيء: أحسّ به. النهاية / ٥ / ١٥٦.

من السماء: «الْعِنْتُ كَمَا قَتَلْتُ أَخَاكَ» ولذلك لا تشرب الأرض الدم! فانصرف آدم، فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة، فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله تعالى؛ فأوحى الله إليه: «أني واهب لك ذكرأً يكون خلفاً من هابيل».

فولدت حواء غلاماً زكيّاً مباركاً، فلما كان اليوم السابع أوحى الله إليه:

«يا آدم! إنّ هذا الغلام هبة مني لك، فسمّه هبة الله» فسمّاه آدم: هبة الله. ١

موثقة محمد بن مسلم عن أبي جعفر علیه السلام قال: كنت جالساً معه في المسجد الحرام، فإذا طاوس٢ في جانب الحرم يحدث أصحابه حتى قال: أتدرى أيّ يوم قُتل نصفُ الناس؟

فأجابه أبو جعفر علیه السلام فقال: أو ربع الناس يا طاوس؟ فقال: أو ربع الناس. فقال: أتدرى ما صنع بالقاتل؟ فقلت: إنّ هذه لمسألة. فلما كان من العد غدوت إلى الإمام أبي جعفر علیه السلام فوجده قد لبس ثيابه وهو قاعد على الباب يتظاهر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله، فقال:

إنّ بالهند أو من وراء الهند رجلاً معقولاً^٣ برجله - أي واحدة - لبس المصح موكل به عشرة نفر، كلّما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدلته، فالناس يموتون والعشرة لا ينقصون، يستقبلون بوجهه الشمس حين تطلع، ويديرونه معها حتى تغيب، ثمّ يصيّبون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحرّ الماء الحار! قال: فمرّ به رجل من الناس، فقال له: من أنت يا عبد الله؟

١. تفسير القمي ١/٢٤٤، ح. ٧.

٢. هو طاوس الياني التّابعي المعروف والمختر用 أن تكتب طاؤس بواو واحدة للرجال وبواوين للطير المعروض. راجع مادة (طُوس) من كتاب «تاج اعلروش من جواهر القاموس» للسيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ).

٣. أي مشدوداً.

٤. المصح - بالكسر فالسكانون - واحد المسوح وهوكساء معروف. مجمع البحرين ٣/٦٩٥.

فرفع رأسه ونظر إليه، ثم قال له: إِمَّا أَنْ تَكُونَ أَحْمَقُ النَّاسِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَعْقَلُ النَّاسِ، إِنِّي لِقَائِمٍ هاهُنَا مِنْذُ قَامَتِ الدُّنْيَا، مَا سَأَلْنِي أَحَدٌ غَيْرُكَ مِنْ أَنْتَ؟^١

ثم قال: يَزْعُمُونَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَاتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا مَنْ قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

«لقد كشفت قصة ولدِي آدمَ أنَّ في الناس نوعين: معتدياً ومعتدىً عليه... وللحماية هذا من ذاك، وصيانة الحياة ونظامها جعل الله لكلٍّ معتدي عقوبة يستحقها، واعتبر قتل الأبرياء جريمة الجرائم كلّها».^٢

و «تشديد في أمر القتل، وتأكيد على حرمة إراقة الدم من غير سبب شرعي، وبيان إلى أنَّ قتل النفس المحترمة يستعقب الغضب الربوبي والسطح الإلهي».^٣

﴿مِنْ﴾ حرف جر، و معناه هنا لا بدء الغاية.

﴿أَجْلٌ﴾ مجروره، يتعلّقان بـ ﴿كَتَبْنَا﴾ الآتي. أي: بسبب.

قال الراغب: «الأجلُ: المدْهُ المضروبةُ للشيءِ... والأجلُ ضِدُّ العاجِلِ، والأجلُ: الجنَيَةُ التي يُخافُ منها آجلاً فكُلُّ أَجْلٍ جَنَيَةٌ وليس كُلُّ جَنَيَةٍ أَجَلاً»، يقال:

١. تفسير القمي / ١، ٢٤٥، ح. ٨.

٢. التفسير الكاشف / ٣، ٤٧.

٣. مواهب الرحمن / ١١، ٢٠٠.

فعلت كذا من أجله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي من جراءه وفري من أجل ذلك بالكسر أي من جنایة ذلك...^١. «ثم استعمل [أجل] للتعليل...»^٢.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، في محل جر بالإضافة. اشارة إلى نبأ ابني آدم المذكور في الآيات السابقة ولكن هو السبب الباعث على التشريع - كما تشرع السلطة قانوناً عاماً بسبب حادثة خاصة - أي تشريع جريمة القتل من حيث هي^٣.

﴿كَتَبْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي جعلنا، وهو جعل الحرمة المغاظة على جريمة القتل العمد.

﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿كَتَبْنَا﴾ ومضاف إليه. الجعل عام لا يختص بـ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وغيرهم وأمّا الوجه في ذكر اليهود خاصة «أنهم أجرأ خلق الله على قتل عباده، واراقة دمائهم، وبذلك تشهد توراتهم التي أباحت لهم قتل النساء والأطفال، ويشهد عليهم قتلهم الأنبياء في تاريخهم القديم، وسيرتهم في فلسطين في تاريخهم الحديث»^٤.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿هُوَ﴾ اسمه، ضمير الشأن. والجملة الاسمية ﴿مَن﴾ المبتدأ وخبره في محل رفع خبر ﴿أَنَّهُ﴾.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿قَتَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». في محلب جزم لأنّه فعل الشرط. والمراد به القتل العمد.

١. المفردات / ٦ و ٧.

٢. الميزان / ٥ / ٣١٥.

٣. راجع التفسير الكافش / ٣ / ٤٧.

٤. التفسير الكافش / ٣ / ٤٧.

﴿نَفْسًا﴾ مفعول به، من ﴿النَّاس﴾ كما يأتي بلا فرق بين ألوانهم وملتئتهم وأديانهم وجنسيةهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم ورؤسهم ومرؤوسهم و... واطلاق ﴿نَفْسًا﴾ يشمل جميعهم وت nomine تصریح باطلاقها.

﴿بِعَيْرٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿قَتَلَ﴾ أو حال من الضمير الفاعلي والباء لل مقابلة.

﴿نَفْسٍ﴾ مضاد إليه. استثناء من قتل النفس المحرّم المستثنى هو قتل النفس بالنفس وهو القود والقصاص كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَتَأْمُرُ الَّذِينَ ءامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلَ﴾^١ و قوله: ﴿وَكَتَبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ يَالنَّفْسِ﴾^٢ و قوله تعالى: ﴿وَلَا حُرْمَةٌ قِصاصٌ﴾^٣ و قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةٌ يَتَأْمُرُ الْأَنْبِيبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٤.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿فَسَادٍ﴾ معطوف على ﴿نَفْسٍ﴾. أي ﴿بِعَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ﴾ استثناء ثانية من قتل النفس المحترمة. والفساد مطلق يشمل ما يقابل الصلاح ولكن بين الكتاب والسنة مصاديقه كما ورد أحدها في الآية التالية.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿فَسَادٍ﴾ أو بصفة له.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿كَانَمَا﴾ كافية ومكافحة، مركبة من ﴿كَانَ﴾ المكافحة عن العمل حرف تشبيه و توکید، مبني على الفتح لا محل له من الإعراب و ﴿مَا﴾ الزائد الكافية و

١. سورة البقرة / ١٧٨ .

٢. سورة المائدة / ٤٥ .

٣. سورة البقرة / ١٩٤ .

٤. سورة البقرة / ١٧٩ .

﴿كَانَمَا﴾ تدخل على الجمل الاسمية والفعلية بخلاف ﴿كَانَ﴾ المختص بالجمل الاسمية.

﴿قُتِلَ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿النَّاسَ﴾ مفعول به.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿النَّاسَ﴾. شَبَّهَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَتْلَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ بِقَتْلِ جَمِيعِ النَّاسِ وَوَجَهَ الشَّبَهُ اتِّحَادُ الْوَاحِدِ وَالنَّوْعِ هُنَا فِي الْحُكْمِ لَأَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ جَارِيَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأَفْرَادِ وَالْكُلِّ يَشْتَرِكُونَ فِيهِ وَلَذَا يُعَدُّ قَتْلُ الْوَاحِدِ قَتْلًا لِجَمِيعِ الْأَفْرَادِ وَلَذَا لَا يَرِدُ عَلَيْهَا الإِشْكَالُ الْتَّالِيَّاتُ: «وَرِبِّاً أَشْكَلَ عَلَى الْآيَةِ أَوْلًا»: بَأَنَّ هَذَا التَّنْزِيلُ يُفْضِي إِلَى نَفْضِ الْغَرْضِ فَإِنَّ الْغَرْضَ بِيَانِ أَهْمَيَّةِ قَتْلِ النَّفْسِ وَعَظِيمَتِهِ مِنْ حِيثِ الْإِثْمِ وَالْأَثْرِ، وَلَازِمَهُ أَنْ تَزِيدَ الأَهْمَيَّةَ كُلَّمَا زَادَ عَدْدُ مَنْ قُتِلَ عَشَرًا كَانَ الْوَاحِدَةُ مِنْ هَذِهِ الْمُقاتَلَاتِ تُعَدُّ قَتْلًا لِجَمِيعِ الْأَفْرَادِ، وَتَبْقَى الْبَاقِيُّ وَلَيْسَ بِإِلَزَائِهِ شَيْءٌ.

وَلَا يَنْدُفعُ الإِشْكَالُ بَأَنْ يَقَالُ: إِنَّ قَتْلَ الْعَشَرَةِ يَعْدُلُ عَشَرَةً أَصْعَافَ قَتْلِ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ وَأَنَّ قَتْلَ الْجَمِيعِ يَعْدُلُ قَتْلَ الْجَمِيعِ بَعْدَ قَتْلِ الْجَمِيعِ لَأَنَّ مَرْجِعَهُ إِلَى الْمُضَاعَفَةِ فِي عَدْدِ الْعِقَابِ، وَالْفَظْوَلُ لَا يَفِي بِبَيَانِ ذَلِكَ.

عَلَى أَنَّ الْجَمِيعَ مُؤَلَّفٌ مِنْ آحَادٍ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَعْدُلُ الْجَمِيعَ الْمُؤَلَّفَ مِنَ الْآحَادِ كَذَلِكَ، وَيَذَهَّبُ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ، وَلَا مَعْنَى لِلْجَمِيعِ بِهَذَا الْمَعْنَى، إِذَا لَمْ يَكُنْ فَرْدًا وَاحِدًا لَهُ فَلَا جَمِيعٌ مِنْ غَيْرِ آحَادٍ.

عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّعَةِ فَلَا يُحِرِّزَ إِلَّا مِثْلَهَا»^١.

وَثَانِيًّا: بَأَنَّ كَوْنَ قَتْلِ الْوَاحِدِ يَعْدُلُ قَتْلَ الْجَمِيعِ إِنْ أُرِيدَ بِهِ قَتْلُ الْجَمِيعِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى هَذَا الْوَاحِدَ كَانَ لَازِمَهُ مَسَاوَةُ الْوَاحِدِ جَمِيعَ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ وَهُوَ مَحَالٌ بِالْبَدَاهَةِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ قَتْلُ الْجَمِيعِ بِإِسْتِثنَاءِ هَذَا الْوَاحِدِ كَانَ مَعْنَاهُ مِنْ قَتْلِ نَفْسًا فَكَانَتْ قَتْلُ غَيْرِهَا مِنَ النُّفُوسِ، وَهُوَ مَعْنَى رَدِيءٍ مُفْسِدٍ لِلْغَرْضِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ بِيَانِ غَايَةِ

١. سورة الأنعام / ١٦٠.

أهمية هذا الظلم. على أنّ إطلاق قوله: «فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» من غير استثناء يدفع هذا الاحتمال.

كما لا يندفع هذا الإشكال بمثل قوله: أنّ المراد هو المعادلة من حيث العقوبة أو مضاعفة العذاب ونحو ذلك، وهو ظاهر.

والجواب عن الإشكاليين: أن قوله: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا» - إلى قوله «فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» كناية عن كون الناس جميعاً ذوي حقيقة واحدة إنسانية متحدة فيها، الواحد منهم والجميع فيها سواء، فمن قصد الإنسانية التي في الواحد منهم فقد قصد الإنسانية التي في الجميع كالماء إذا ورّع بين أواقي كثيرة فمن شرب من أحد الآنية فقد شرب الماء، وقد قصد الماء من حيث إنّه ماء - وما في جميع الآنية لا يزيد على الماء من حيث إنّه ماء - فكأنّه شرب الجميع، فجملة: «مَنْ قَتَلَ» الخ كناية في صورة التشبيه، والإشكالان مندفعان، فإنّ بناءهما على كون التشبيه بسيطاً يزيد فيه وجه الشبه على حسب زيادة المشبه عدداً إذ لو سوي حيئتذ بين الواحد والجميع فسد المعنى وعرض الإشكال كما لو قيل: الواحد من القوم كالواحد من الأسد والواحد منهم كالجميع في البطش والبسالة^١.

وبعبارة أخرى: «والذي نفهمه من الآية أنّ الفرد في نظر الإسلام هو غاية بنفسه، لا وسيلة إلى غيره، وأنّه ظاهرة إنسانية، له ما لها من الحرمة والكرامة، وأنّ العداوة عليه عدواً على الإنسانية التي تمثل به وبالناس جميعاً، وأنّ الاحسان إليه احسان إلى الناس جميعاً.

وتساؤل: إنّ هذا تضخيم خيالي لذات الفراد: وتضخيم بالجماعة من أجله، مع أنّ العكس هو الحق والعدل؟

الجواب: ليس المراد بمصلحة الفرد المصلحة التي تطغى على مصلحة الجماعة،

وتتنافى معها، ولا المراد بالفرد الذي يحاول العيش على حساب غيره من الناس... أنّ هذا لا يُعد انساناً بالمعنى الصحيح، بل هو أعدى أعداء الإنسانية في نظر الإسلام، وإلى هذا يوميء قوله تعالى: «أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ». وإنما المراد بالفرد الذي يستمد مصلحته من مصلحة الجماعة، ويرى حياته بحياتها، وكرامته بكرامتها. كما أنّ المراد بمصلحة الجماعة مصلحة جميع أفرادها، لأنّ الجماعة ليست مجموعة أصنفار، وإنما هي مجموعة أفراد... فأيّة جماعة يوجد فيها ضعيف واحد يخاف على حقّ من حقوقه فهي ضعيفة في كيانها، فاسدة في أوضاعها، تماماً كالجسم إذا فسد بعض أعضائه، أو البيت إذا انهدم ركن من أركانه.

وعلى هذا تكون مصلحة الفرد والجماعة متکاملتين، يملأ بعضهما بعضاً، ولا تنفك إحداهما عن الأخرى^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحْيَا هَامَنْ فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ الجملة الاسمية معطوفة على ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ وتعرّب مثلها. والإحياء له فردان: المادي والمعنوي كما أنّ القتل له فردان أيضاً. والشاهد عليه قوله تعالى: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَنَنَهُ وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»^٢ فمن دلّ نفساً إلى الإثبات فقد أحياها ومنْ ضلّها إلى الكفر فقد قتلها كما مرّ^٣ في ذيل قوله تعالى: «وَتُخْرِجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيْتَ وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِ»^٤. ﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة على صدر الآية.

١. التفسير الكاشف / ٣ / ٤٨.

٢. سورة الأنعام / ١٢٢.

٣. راجع أوجود البيان في تفسير قرآن / ٣ / ٢٤٥.

٤. سورة آل عمران / ٢٧.

﴿لَّا إِبْدَاءٌ وَالْتَّأْكِيدُ﴾ حرف تحقیق.

﴿جَاءَتْهُمْ فِعْلٌ ماضٍ وَمَفْعُولٌ بِهِ مُقْدَمٌ، وَالضَّمِيرُ الْمَفْعُولِيُّ يَرْجُعُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿رُسُلُنَا﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿بِالْيَتِينَتِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿رُسُلُنَا﴾. وهي الأدلة الواضحة غير قابلة للإنكار ويحذّر ونهم القتل وكل ما يلحق به من وجوه الفساد.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بصفة محدوفة من ﴿كَثِيرًا﴾. «من» هنا بيانٌ والضمير يرجع إلى بنى إسرائيل نموذجاً من الأمم.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، في محل جر بالإضافة، اشارة بعد ارسال الرسل ﴿بِالْيَتِينَتِ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومحروم متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَّا﴾ المزحلقة.

﴿مُسْرِفُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. الاسراف: التجاوز عن حد الاعتدال، أي أنّ بنى إسرائيل «قوم مفسدون مصرون على استكبارهم وعتوّهم فلقد بينما لهم منزلة القتل وجاءتهم رسالنا فيها وفي غيرها بالبيانات، وبينوا لهم وحذروهم وهم مع ذلك لم يتنهوا عن إصرارهم على العتو والاستكبار فأسرفوا في الأرض قدّيماً ولا يزالون يسرفون»^١.

ويمكن أن يقال: «معنى ﴿لُمُسْرِفُونَ﴾ العاملون بمعاصي الله، وخالفون أمره ونفيه باتباعهم غير رسول الله. والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضده

التقطير. والاقتصاد هو التعديل بلا إسراف ولا اقتار وقد يمدح بالاقتصاد^١.
والحكم لا يختص بهم كما مرّ في أول الآية ويجري في شأن غيرهم من الأمم
والملل، كما قال القمي: «فلفظ الآية خاص في بني إسرائيل، ومعناها عام جار في
الناس كلّهم»^٢.

الروايات

موثقة سماعة بن مهران عن أبي عبدالله عليهما السلام، قال: قلت له قول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾؟ فقال: من أخرجها من ضلاله إلى هدى فقد أحياها،
ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها.^٣

رواه الكليني^٤ والعياشي^٥ والطوسي^٦. وسند الكافي والأمالي موثق.

صحيحه فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليهما السلام: قول الله في كتابه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: من حرق، أو غرق، قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ فقال: ذلك تأويلها الأعظم.^٧

رواه الكليني بسندين صحيحين في الكافي^٨.

خبر حمران قال: قلت لأبي عبدالله عليهما السلام: أسألك أصلحك الله؟ قال: نعم، قال:

١. البيان / ٣، ٥٠٤.

٢. تفسير القمي / ١، ٢٤٦.

٣. المحسن / ١، ٣٦٢، ح ١٨٣.

٤. الكافي / ٣، ٥٣٤، ح ١٢١٠.

٥. تفسير العياشي / ٢، ٣٧، ح ٨٦.

٦. أمالي الطوسي، المجلس الثامن ح ٤٦، ٢٢٦، رقم ٣٩٦.

٧. المحسن / ١، ٣٦٢، ح ١٨٤.

٨. الكافي / ٣، ٥٣٥، ح ٢١٠.

كنت على حال وأنا اليوم على حال أخرى، كنت أدخل الأرض، فأدعوا الرجل والإثنين والمرأة، فينقذ الله من يشاء، وأنا اليوم لا أدعو أحداً؟ فقال: وما عليك أن تخلي بين الناس وبين ربيهم؟ فمن أراد الله أن يخرجه من ظلمة إلى نور آخرجه، ثم قال: ولا عليك إن آنست من أحد خيراً أن تبذر إليه الشيء نبذًا، قلت: أخبرني عن قول الله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: من حرق، أو غرق، أو غدر، ثم سكت، فقال: تأول لها الأعظم أن دعاها فاستجابت له.

رواها الكليني في الكافي.

صحيحه معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليهما السلام قال: من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفساً ومن أحيا نفساً فكانما أحيا الناس جميعاً.^٣

خبر حمران قال: قلت لأبي جعفر عليهما السلام: ما معنى قوله الله عزوجل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبَنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^٤ قال: قلت: وكيف فكانما قتل الناس جميعاً فإنما قتل واحداً؟ فقال: يوجد في موضع من جهنّم إليه يتتهي شدّة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً إنما كان يدخل ذلك المكان، قلت: فإنه قتل آخر؟ قال: يضاعف عليه.

رواها الصدوق في الفقيه^٥ ومعاني الأخبار^٦ وعقاب الأعمال^٧.

١. المحسن ١/٣٦٣، ح ١٨٥.

٢. الكافي ٣/٥٣٥، ح ٢١١.

٣. الكافي ٧/٣٥٢، ح ٥٧.

٤. سورة المائدة / ٣٢.

٥. الكافي ١٤/٢٧٧، ح ١/٢٧١.

٦. الفقيه ٤/٩٤، ح ٥١٦٠.

٧. معاني الأخبار ٣٧٩، ح ٢.

٨. عقاب الأعمال ٣٢٦، ح ٢.

صحيحه محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عليه السلام: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» قال: له في النار مقعد لقتل الناس جميعاً لم يرد إلا إلى ذلك المقعد.^١

مرفوعة إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجل وجد في خربة وبيده سكين ملطخ بالدم وإذا رجل مذبوح يتشحط في دمه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا قتله، قال: اذهبوا به فاقتلوه به.

فأمّا ذهبوا به ليقتلوه به أقبل رجل مسرعاً فقال: لا تعجلوا ورددوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فرددوه، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتنته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام للأول: ما حملك على إقرارك على نفسك ولم تفعل؟
فقال: يا أمير المؤمنين وما كنت أستطيع أن أقول وقد شهد عَلَيَّ أمثال هؤلاء الرجال وأخذوني وبيدي سكين ملطخ بالدم والرجل يتشحط في دمه وأنا قائم عليه وخفت الضرب فأقررت وأنا رجل كنت ذبحت بجنب هذه الخربة شاة وأخذني البول فدخلت الخربة فرأيت الرجل يتشحط في دمه فقمت متعجباً فدخلت على هؤلاء فأخذوني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: خذوا هذين فاذهبوا بهما إلى الحسن وقصوا عليه قصتها
وقولوا له: ما الحكم فيها؟

فذهبوا إلى الحسن عليه السلام وقصوا عليه قصتها، فقال الحسن عليه السلام: قولوا لأمير المؤمنين عليه السلام إنّ هذا إن كان ذبح ذاك فقد أحيا هذا وقد قال الله عليه السلام: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» يُحْلِي عنهمَا وَتُخْرِجُ دِيَّةَ المذبوحِ من بيت المال.^٢

١. الكافي / ١٤، ٢٨٠، ح ٦ (٢٧٢/٧).

٢. الكافي / ١٤، ٣٢٤، ح ٢ (٢٨٩/٧).

روها الصدوق^١ والشيخ الطوسي مرتين^٢.

عن حنان بن سدير، عن أبي عبدالله عليهما السلام، في قول الله: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: وادٍ في جهنّم لو قتل الناس جميعاً كان فيه، ولو قتل نفساً واحدةً كان فيه.^٣

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: سأله عن قول الله عزوجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

قال: له في النار مقعد، لو قتل الناس جميعاً لم يُزد على ذلك العذاب.

قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لم يقتلها، أو أنجى من غرق أو حرق، وأعظم من ذلك كله يُحرجها من ضلالته إلى هُدُي.^٤

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: سأله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: من استخرجها من الكفر إلى الإيمان.^٥

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليهما السلام: المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء.^٦

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ: من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة، ومن سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها.^٧

١. الفقيه / ٣، ٢٣، ح ٣٢٥٢.

٢. التهذيب / ٦، ٣١٥، ح ٣٧٤ و ١٧٣ / ١٠، ح ٦٧٩.

٣. تفسير العياشي / ٢، ٣٧، ح ٨٧.

٤. تفسير العياشي / ٢، ٣٨، ح ٨٨.

٥. تفسير العياشي / ٢، ٣٨، ح ٨٩.

٦. التبيان / ٣ / ٤٥٠؛ مجمع البيان / ٣ / ١٨٧.

٧. التبيان / ٣ / ٥٠٢؛ مجمع البيان / ٣ / ١٨٦.

﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ سُخْرَيْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَاتَلُواْ
أَوْ يُصْلَبُواْ أَوْ تُقطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلْفٍ أَوْ يُنَفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

الآية الشريفة تبيّنت أهم الأحكام الاجتماعية وهي عقاب الذين يخلون بالأمن
المجتمع والأمان الحاكم فيه ويسمّهم بالمحارب.

و «المحارب عندنا هو الذي أشهر السلاح وأخاف السبيل سواء كان في مصر
أو خارج مصر»^١ كما قاله الشيخ الطوسي.
﴿إِنَّمَا﴾ كافية مكفوفة.

﴿جزاؤُ﴾ مبتدأ. والمراد به حدّه في الدنيا وعقابه في الآخرة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضارف إليه.

﴿سُخْرَيْرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد هنا الإخلال بالأمن العام بشهر
سلاحه وتهديد الناس به فمحاربة الله ورسوله هي الاعتداء على الناس.
﴿الله﴾ مفعول به. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على ﴿الله﴾ ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة تفسيرية.

﴿يَسْعَوْنَ﴾ الجملة معطوفة على جملة ﴿سُخْرَيْرُونَ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَسْعَوْنَ﴾.

﴿فَسَادًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَسْعَوْنَ﴾، أو مفعول مطلق منصوب
بفعل محنوف تقديره: يفسدون فساداً.

ومن هذا العطف التفسير يظهر أنّ المراد بالمحاربة هي الإفساد في الأرض بشهر

السلاح وقطع الطريق وإخافة السبيل.
﴿أن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُقَاتِلُوا﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب ونائب فاعله والمصدر المنسكب خبر ﴿جَرَأُوا﴾. وهذا هو الجزء الأول للمحاربين المفسدين.
﴿أَو﴾ عاطفة، تدل على تخير الحاكم بما يرى من المصلحة من تنفيذ أيّ جزاء من هذه الأقسام على المحارب المفسد، أو بما يناسب جرمه كما يأتي من الشيخ الطوسي والثاني أظهر.

﴿يُصَلِّبُوا﴾ معطوفة على ﴿يُقَاتِلُوا﴾. وهو الجزء الثاني.
﴿أَو﴾ عاطفة.
﴿تُقطَعَ﴾ معطوفة على ﴿يُقَاتِلُوا﴾ وهو الجزء الثالث.
﴿أَيْدِيهِمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.
﴿أَرْجُلُهُمْ﴾ معطوف على ﴿أَيْدِيهِمْ﴾.

﴿مِنْ خَلْفِ﴾ جار ومحروم في محل نصب حال من ﴿أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾. أي إذا قُطعت اليد اليمنى تقطع الرجل اليسرى والعكس بالعكس.
﴿أَو﴾ عاطفة. ﴿يُنْفَوْا﴾ معطوفة على ﴿يُقَاتِلُوا﴾.

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿يُنْفَوْا﴾. ونفي البلد هو الجزء الرابع.
قال الشيخ الطوسي في كيفية تنفيذ هذه العقوبات الأربع: «وجزاءهم على قدر الاستحقاق إن قتل وان أخذ المال وقتل قتل وصلب وان أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف. وان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير هذا مذهبنا. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام»^١.

﴿ذَلِك﴾ اسم اشارة، مبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومحروم خبر مقدم.

﴿خِزْنِي﴾ مبتدأ مؤخر، وجملة ﴿لَهُمْ خِزْنِي﴾ خبر ﴿ذَلِك﴾. الخزي: الفضيحة

وَالذَّلِّ.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار و مجرور متعلق بصفة ممحورة من ﴿خَرَّى﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿لَهُمْ﴾ جار و مجرور، خبر مقدم.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿عَذَابٍ﴾.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت.

«وهذا يبطل قول من قال إقامة الحدود تكثير للمعاصي لأنّه يقال مع إقامة الحدود عليهم بين أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً ومعنى أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً أنّهم يستحقون ذلك ولا يدلّ على أنّه يفعل بهم ذلك لا محالة لأنّه يجوز أن يغفر الله عنهم ويتفضل عليهم بإسقاط عقابهم»^١.

ولذا قال العالمة الطباطبائي^{عليه السلام}: «وقد استدل بالآية على أنّ جريان الحدّ على المجرم لا يستلزم ارتفاع عذاب الآخرة، وهو حقّ في الجملة»^٢.

الروايات

صحيحه علي بن حسان الواسطي عن أبي جعفر^{عليه السلام} قال: من حارب الله وأخذ المال وقتل، كان عليه أن يُقتل ويُصلب.

ومن حارب فقتل ولم يأخذ المال، كان عليه أن يُقتل ولا يُصلب.

ومن حارب فأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن تقطع يده ورجله من خلاف.

ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن يُنفي.

ثم استثنى^{عليه السلام}، فقال: «إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ»^٣.

يعني يتوب من قبل أن يأخذه الإمام.^١

١. التبيان / ٣ / ٥٠٧.

٢. الميزان / ٥ / ٣٢٧.

٣. سورة المائدة / ٣٤.

صحيحة عجلان أبي صالح عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: قدم على رسول الله قوم من بني ضَبَّةٍ^٢ مرضى فقال لهم رسول الله عليهما السلام : أقيموا عندي فإذا برئتم بعثتكم في سرية، فقالوا: أخرجنا من المدينة فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة من كانوا في الإبل بلغ رسول الله عليهما السلام فبعث إليهم علياً عليهما السلام فهم في واد قد تحرروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه قريباً من أرض اليمن فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله عليهما السلام فنزلت هذه الآية عليه ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنَفَّوْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فاختار رسول الله عليهما السلام القطع فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.^٣

صحيحة جميل بن دراج قال: سألت أبي عبد الله عليهما السلام عن قول الله تعالى: «إنما جَزَاؤُ الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ» - إلى آخر الآية - فقلت: أي شيء عليهم من هذه الحدود التي سمى الله تعالى؟ قال: ذلك إلى الإمام إن شاء قطع وإن شاء صلب وإن شاء نفى وإن شاء قتل، قلت: النفي إلى أين؟ قال: ينفي من مصر إلى مصر آخر؛ وقال إن علياً عليهما السلام نفى رجلين من الكوفة إلى البصرة.^٤

صحيحة حنان عن أبي عبد الله عليهما السلام في قول الله تعالى: «إنما جَزَاؤُ الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» - إلى آخر الآية - قال: لا يابع ولا يؤوى ولا يتصدق عليه.^٥

١. تفسير القمي ١/٢٤٦، ح ٩.

٢. بنو ضَبَّةَ بْنِ طَابِخَةَ بَطْنُ مِنَ الْعَرَبِ الْعَدْنَانِيَّةِ الْمُضْرِيَّةِ وَهُمْ أُخْوَةُ بْنِ تَمِيمٍ لَمَّا جَاءَتِ فِي كُتُبِ الْأَنْسَابِ.

٣. الكافي ١٤/٢٠٣، ح ١ (٢٤٥/٧).

٤. الكافي ١٤/٢٠٥، ح ٣ (٢٤٥/٧).

٥. الكافي ١٤/٢٠٦، ح ٤ (٢٤٦/٧).

صحيحه بريد بن معاوية قال: سأله عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى:
 ﴿إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: ذلك إلى الإمام يفعل به ما يشاء، قلت:
 فمفوض ذلك إليه قال: لا، ولكن نحو الجناية.^١

صحيحه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: من شهر السلاح في مصر من الأ MCSAR فعمر اقتضى منه ونفي من تلك البلدة، ومن شهر السلاح في غير الأ MCSAR وضرب وعقر وأخذ المال ولم يقتل فهو محارب فجزاؤه جزاء المحارب وأمره إلى الإمام إن شاء قتله و [إن شاء] صلبه وإن شاء قطع يده ورجله، قال: وإن ضرب وقتل وأخذ المال فعل الإمام أن يقطع يده اليمني بالسرقة ثم يدفعه إلى أولياء المقتول فيتبعونه بمال ثم يقتلونه قال: فقال أبو عبيدة: أصلحك الله أرأيت إن عفى عنه أولياء المقتول قال: فقال: أبو جعفر عليه السلام: إن عفوا عنه فإن على الإمام أن يقتله لأنّه قد حارب وقتل وسرق قال: فقال أبو عبيدة: أرأيت إن أراد أولياء المقتول أن يأخذوا منه الديمة ويدعونه، ألم ذلك؟ قال: فقال: لا، عليه القتل.^٢

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام صلب رجلاً بالحيرة ثلاثة أيام، ثمَّ أنزله يوم الرابع فصلَّى عليه ودفنه.^٣

خبر عبيد الله بن إسحاق المدائني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سئل عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَاتَلُوا﴾ الآية، فما الذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع؟ فقال: إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً قتله به وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن شهر السيف فحارب الله

١. الكافي ١٤/٢٠٦، ح ٥ (٢٤٦/٧).

٢. الكافي ١٤/٢١٢، ح ١٢ (٢٤٨/٧).

٣. الكافي ١٤/٢٠٧، ح ٧ (٢٤٦/٧).

ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال ينفي من الأرض، قلت: كيف ينفي وما حد نفيه؟ قال: ينفي من المسر الذي فعل فيه ما فعل إلى مصر غيره ويكتب إلى أهل ذلك المسر أنه منفي فلا تجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤكلوه ولا تشاربوه فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المسر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتى تتم السنة، قلت: فإن توجّه إلى أرض الشرك ليدخلها؟ قال: إن توجّه إلى أرض الشرك ليدخلها قوتل أهلها.

خبر عبد الله بن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّقُوا الَّذِينَ سُخْنَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَاتَلُوا﴾ الآية، هذا نفي المحاربة غير هذا النفي قال: يحكم عليه الحاكم بقدر ما عمل وينفي ويحمل في البحر ثم يقذف به لو كان النفي من بلد إلى بلد كان يكون إخراجه من بلد إلى بلد آخر عدل القتل والصلب والقطع ولكن يكون حدّاً يوافق القطع والصلب.^٢

عن أحمد بن الفضل الحنفاني، من آل رزين، قال: قطع الطريق بجلواء^٣ على السابلة^٤ من الحجاج وغيرهم، وأفلت القطاع، بلغ الخبر المعتصم، فكتب إلى العامل الذي كان بها: أتأمن الطريق بذلك، فقطع على طرف^٥ إذن أمير المؤمنين، ثم انفلت القطاع، فإن أنت طلبت هؤلاء وظفرت بهم، وإلا أمرت بأن تُضرب ألف سوط، ثم تُصلب بحيث قطع الطريق.

قال: وطلبهم العامل حتى ظهر لهم، واستوثق منهم، ثم كتب بذلك إلى

١. الكافي / ١٤ / ٢٠٧، ح ٨ (٢٤٦ / ٧).

٢. الكافي / ١٤ / ٢٠٩، ح ١٠ (٢٤٧ / ٧).

٣. جلواء: بلدة في العراق، على شاطئ دجلة الأيمن، كانت محطة هامة على طريق خراسان بين العراق وإيران.

٤. السابلة: المازرون على الطريق.

٥. في نسخة: طرق.

المعتصم، فجمع الفقهاء وفيهم ابن أبي دؤاد^١، ثم سأله الآخرين عن الحكم فيهم، وأبو جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام حاضر، فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: ﴿إِنَّمَا جَرَأُوا لَذَّيْنَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ تُقطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مَنْ خَلَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ولأمير المؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء فيهم.

قال: فالتفت إلى أبي جعفر عليهما السلام فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه؟ فقال: قد تكلّم هؤلاء الفقهاء، والقاضي بما سمع أمير المؤمنين.

قال: وأخبرني بما عندك. قال: إنهم قد أضلّوا فيها أفتوا به، والذي يجب في ذلك أن ينضر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق، فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، ولم يقتلوا أحداً، ولم يأخذوا مالاً، أمر بإيداعهم الحبس، فإن ذلك معنى نفيهم من الأرض بإخافتهم السبيل. وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، أمر بقتلهم، وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، وأخذوا المال، أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك، قال: فكتب إلى العامل بان يمثل ذلك فيهم.^٢

﴿إِلَّا لَذَّيْنَ تَابُوا مِنْ قَاتِلٍ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

حكم تربوي إنساني عام يجري في جميع الحدود الإلهية وهو «إذا تاب قاطع الطريق من تلقائه، وقبل القبض عليه سقطت عنه العقوبة، لأنّ الحكمة من العقوبة أن يرتدع المجرم عن الفساد، فإن ارتدع من نفسه لم يبق لها من موجب، وهذا أصدق مثال على إنسانية الشريعة الإسلامية وعظمتها.

١. وهو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير، ولي القضاء للمعتصم ثم للواشق. راجع: تاريخ بغداد / ٤ / ١٤١.

٢. تفسير العياشي ٣٩ / ٢، ح ٩٢.

وتجدر الإشارة إلى أن التوبة قبل الظفر بالجاني تسقط عنه العقوبة الأدبية، أما الحقوق المادية للناس فيُطالب بها، فإن سلب مالاً فعليه ارجاعه أو ارجاع بده من المثل أو القيمة إذا كان قد تلف، وإن قتل، فلا ولاء للمقتول أن يقتلوه به إن شاءوا^١.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، في محل نصب، مستثنى. ويمكن أن يكون في محل رفع بالابتداء.

﴿تَابُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَابُوا﴾.
 ﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَقْدِرُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ القبض ﴿عَلَيْهِمْ﴾.
 وأما بعد القبض وقيام البينة لا يسقط الحدّ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَقْدِرُوا﴾.
 ﴿فَ﴾ استئنافية أو واقعة في جواب للشرط على ابتدائية ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿أَعْلَمُوا﴾ فعل أمر وفاعله.
 ﴿أَن﴾ حرف مشبه بالفعل، ومع ما بعدها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي
 ﴿أَعْلَمُوا﴾.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراه. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا آتُّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

رسم الله ﷺ حقيقة التوسل في هذه الآية الشريفة وعد التقوى والجهاد من

الوسائل التي بإمكان الإنسان أن يتخدّها سبباً للوصول إليه بِعَذَابٍ.
ومن المعلوم أنَّ القرب إلى الله سبحانه وطرق تحقّقه تحتاج إلى بيان شرعي، ولذا
بَيْنَهَا الشارع في الكتاب والسنة، وتصدّت لبيانها الشريعة فنصّت عليها وحدّتها
بشكل خاص أو عام.

وأماماً سوياً ما نصّت الشريعة المقدّسة عليها تدخل في البدع والضلال.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب من الله تعالى للمؤمنين.

﴿أَتَقْوَ﴾ فعل أمر وفاعله، أي اجتنبوا.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، أي معاصي ﴿اللَّهُ﴾ ونواهيه. واعملوا بفرائض ﴿اللَّهُ﴾
وأوامره وقد مرّ معنى تقوى الله وله مراتب.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَبْتَغُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿أَتَقْوَ﴾، أي اطلبوا. وذكر الابتغاء
بعد الأمر بالتقوى لعلّ من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومحور متعلّق بـ ﴿أَبْتَغُوا﴾، والضمير يرجع إلى الله سبحانه.

﴿الْوَسِيلَةُ﴾ مفعول به. على وزان فَعِيلَة، وهي في اللغة الدرجة والقرابة والوصلة
والقربى والطلب، وجمعها الوسائل، الواسل: الراغب إلى الله، ومعناها من
الواضحةات وهي: اتخاذ الشيء ذريعة إلى أمر آخر يكون هو المقصود والمبتغي،
وتحتّل حسب اختلاف المقاصد.

قال ابن كثير في شأن التوسل: «أن يجعل الإنسان واسطة بينه وبين الله ليقضي حاجته بسبب الواسطة»^١.

وقال القمي في ذيل الآية: «اقرّبوا إليه بالإمام»^٢.

١. تفسير ابن كثير ١/٥٣٢.

٢. تفسير القمي ١/٢٤٧.

وقوله تعالى **«وَآتَيْتُهُمْ وِسْلَةً إِلَيْهَا الْوَسِيلَةَ»** دال على جواز التوسل كما عليه المسلمون شيعةً وسنةً إلا شرذمة قليلة من اتباع ابن تيمية^١ وهم الفرقـة التكفـيرـية الـانتـحـارـية الـوهـابـية الـضـالـلـة أمـثال مـحمد بن عـبدالـوهـاب^٢ وـالـأـلـبـانـي^٣ وـعـبدـالـعزـيزـ بن عـبدـالـلهـ بن باـزـ^٤.

ذهب إلى جواز التوسل من العـامـة: أـحمدـ بنـ حـنـبلـ وـابـنـ أـبـيـ الدـنـيـاـ وـالـبـيـهـقـيـ^٥ وـالـطـبـرـانـيـ.

وـمـنـهـمـ: مـحـمـدـ بـنـ إـدـرـيـسـ الشـافـعـيـ قالـ: «إـنـيـ لـاـ تـرـكـ بـأـبـيـ حـنـيفـةـ وـأـجـيـءـ إـلـىـ قـبـرـهـ كـلـ يـوـمـ، فـإـذـاـ عـرـضـتـ لـيـ حـاجـةـ صـلـيـتـ رـكـعـتـيـ وـجـئـتـ إـلـىـ قـبـرـهـ وـسـأـلـتـ اللهـ تـعـالـىـ الـحـاجـةـ عـنـهـ، فـمـاـ تـبـعـدـ أـنـ تـقـضـيـ»^٦.

وـمـنـهـمـ: أـبـوـعـلـىـ الـخـالـلـ شـيـخـ الـخـاتـمـةـ قـالـ: «مـاـ هـمـنـيـ أـمـرـ فـقـصـدـتـ قـبـرـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ، فـتوـسـلـتـ بـهـ إـلـىـ سـهـلـ اللهـ تـعـالـىـ لـيـ مـاـ أـحـبـ»^٧.

وـمـنـهـمـ: السـمـهـوـدـيـ الشـافـعـيـ قـالـ: «قـدـ يـكـوـنـ التـوـسـلـ بـهـ بـطـبـ ذـلـكـ الـأـمـرـ مـنـهـ، بـمـعـنـيـ أـنـهـ قـادـرـ عـلـىـ التـسـبـبـ فـيـهـ بـسـؤـالـهـ وـشـفـاعـتـهـ إـلـىـ رـبـهـ، فـيـعـودـ إـلـىـ طـلـبـ دـعـائـهـ وـإـنـ اـخـتـلـفـ الـعـبـارـةـ. وـمـنـهـ قـوـلـ الـقـائـلـ لـهـ أـسـأـلـكـ مـرـاقـقـتـكـ فـيـ الـجـنـةـ... وـلـاـ يـقـصـدـ بـهـ إـلـىـ كـوـنـهـ بـلـيـلـ بـسـبـاـ وـشـافـعـاـ»^٨.

١. التـوـسـلـ وـالـوـسـيـلـةـ / ١٣، ٢٠، ٥٠ وـ ٥٠ لـابـنـ تـيمـيـةـ.

٢. كـشـفـ الشـبـهـاتـ / ٦٠ لـابـنـ عـبدـالـوهـابـ.

٣. التـوـسـلـ، أـنـوـاعـهـ وـأـحـكـامـهـ، لـالـأـلـبـانـيـ.

٤. الـعـقـيـدـةـ الصـحـيـحـةـ وـنـوـاقـصـ الـإـسـلـامـ لـابـنـ باـزـ.

٥. كـمـاـ نـقـلـ عـنـهـمـ اـبـنـ تـيمـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ التـوـسـلـ وـالـوـسـيـلـةـ / ١٤٤، ١٤٥ وـ ١٤٥، طـبـعـةـ دـارـ الـآـفـاقـ سـنـةـ ١٣٩٩ـ هـ.

٦. تـارـيـخـ بـغـدـادـ ١٢٣ـ / ١ بـابـ ماـ ذـكـرـ فـيـ مقـابـرـ بـغـدـادـ.

٧. تـارـيـخـ بـغـدـادـ ١٢٠ـ / ١ بـابـ ماـ ذـكـرـ فـيـ مقـابـرـ بـغـدـادـ.

٨. وـفـاءـ الـوـفـاءـ بـأـخـبـارـ دـارـ الـمـصـطـفـيـ / ٢ ١٣٧٤ـ.

وقال الشوكاني الزيدى: «ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبائه والصالحين»^١. وأما الشيعة الإمامية أعلى الله كلامهم فقد قالوا: بجواز التوسل بالنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في قضاء الحوائج وتفریج الكرب بعد موتهم، كما يجوز حال حياتهم لعدم كون ذلك من خطاب المدعوم أولاً ولا كونه شركاً ثانياً والاتصال بيننا وبينهم موجود ثالثاً.

وقد بحثنا في أبحاثنا الكلامية حول جواز التوسل مفصلاً فراجع إن شئت إلى تقرير هذه البحوث في نقد الوهابية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ معطوفة على ﴿أَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، ويمكن حمل الجهاد على معنى الأعم من القتال في سبيل الله وجهاد النفس ولكن تقييد الجهاد بسبيل الله وقع في الآيات الآمرة بالقتال، والأمر بالجهاد في سبيل الله بعد الأمر بابتاع الوسيلة يكون من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماماً بشأنه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. والإيمان والتقوى وابتاع الوسيلة والجهاد في سبيل الله كلها من أسباب الفلاح وعلله. والفالح هو الغاية القصوى من الفوز والسعادة في الدارين.

التوسل في سيرة المسلمين

«لقد جرت سيرة المسلمين في أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد مماته على التوسل بالرسول ﷺ وبأولياء الله والاستشفاع بمنزلتهم عنده وفيما يلي نماذج من تلك السيرة:

١. تحفة الذاكرين / ٣٧.

أ. إن أبابكر بعدما توفي رسول الله، قال: «اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن في بالك».^١

ب. قال الحافظ أبو عبدالله محمد بن موسى النعاني في كتابه مصباح الظلام: إن الحافظ أبي سعيد السمعاني ذكر فيها رويانا عنه عن علي بن أبي طالب عليهما السلام، آله قال: «قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله عليهما السلام بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي عليهما السلام وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه ووعينا عنك، وكان فيما أنزل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسُهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ...﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتكم تستغفر لي فنودي من القبر: إنه قد غفر لك».^٢

ج. كان رسول الله قد عَلِمَ رجلاً أن يدعو فيسأل الله ثم يخاطب النبي فيتوصل به ثم يسأل الله قبول شفاعته، فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربّي في حاجتي لتقضي لي، اللهم فشفعه في».^٣

د. جاء في صحيح البخاري أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب عليهما السلام وقال: اللهم كنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسوقون.^٤

هـ . سأّل المنصور العباسي مالك بن أنس - إمام المالكية - عن كيفية زيارة رسول الله عليهما السلام والتوكيل به... فقال مالك: «يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعوه، أم أستقبل رسول الله؟ فقال مالك في

١. الدرر السنّية في الرد على الوهابية / ٣٦.

٢. وفاء الوفاء للمسعودي / ٢ / ١٣٦١.

٣. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية / ١ / ١٨.

٤. صحيح البخاري: باب صلاة الاستسقاء / ٢ / ٣٢، ح ٩٤٧.

جوابه: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلة أبيك آدم إلى يوم القيمة؟! بل استقبله واستشفع به فـيُشفعُك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...﴾^١.

وقال الشافعي هذين البيتين من شعره متولاً بالرسول ﷺ:

أَلَّا النَّبِيُّ ذَرِعَتِي وَهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي
أَرْجُوْهُمْ أُعْطَى غَدًا بِيَدِ الْيَمِينِ صَحِيقَتِي^٢

التوسل في أحاديث العامة

«وردت عدّة أحاديث تدلّ على جواز التوسل بالنبي ﷺ أو بالأولى الصالحين.

١- عن عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي أن يعافيني.

فقال ﷺ: إن شئت أخرت لك وهو خير، وإن شئت دعوت. فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلّي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة. يا محمد إني قد توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتفصّلي. اللهم فشقّعه في»^٣.

وهذا الحديث لاشكال في صحته حتى أن ابن تيمية اعتبره صحيحًا وقال: بأن المقصود من أبي جعفر الموجود في سند الحديث هو أبو جعفر الخطمي وهو ثقة.

أما الرفاعي فيقول: لاشك أن هذا الحديث صحيح ومشهور، وقد ثبت فيه - بلاشك ولا

١. سورة النساء / ٦٤ .

٢. عن وفاة الوفاء للسمهودي / ٢ ١٣٧٦ .

٣. الصواعق المحرقة / ٢٧٤ .

٤. التوسل / ٣١-٢٩ .

٥. سنن ابن ماجه ٤٤١/١، ح ١٣٨٥؛ مسند أحمد ١٣٨/٤، ح ١٦٧٨٩؛ مستدرك الصحيحين للحاكم النيشابوري ١/٣١٣؛ الجامع الصغير للسيوطى ٥٩؛ ومنهاج الجامع ١/٢٨٦.

ريب - ارتداد بصر الأعمى بداعاء رسول الله.^١

وقد أورد هذا الحديث النسائي والبيهقي والطبراني والترمذني والحاكم في مستدركه.^٢

وبهذا الحديث تتأكد شرعية التوسل، حيث نجد رسول الله ﷺ قد عَلِمَ الرجل الضرير كيف يتولّ إلى الله بنبيه نبّي الرحمة، ويُشفع له لقضاء حاجته، والمقصود بالنبي هو نفس النبي لا دعاؤه، والتوجه إلى الله بجاه النبي ووسيلته.

٢- روى عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق مشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيني من النار وأن تغفر لي ذنبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت»، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك.^٣

إنّ هذا الحديث يدلّ على جواز التوسل إلى الله بحرمة أوليائه الصالحين، ومتزلّتهم ووجاهتهم عند سبحانه، فيجعل أولئك وسطاء وشفاعاء لقضاء حاجته واستجابة دعائه.

٣- عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي بعد أمي». وذكر ثناءه عليها وتکفینها ببرده، ثم دعا رسول الله ﷺ أسمة بن زيد وأبا أيوب الأنباري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود لحفر القبر، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يُحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبّيك والأنبياء الذين من قبلّي».^٤

١. التوسل للسبحاني / ٦٩ ، نقلًا عن التوصل إلى حقيقة التوسل للرافعي / ١٥٨ .

٢. سنن الترمذى / ٥ ، ٥٣١ ح ٣٥٧٨؛ السنن الكبرى للنسائي / ٦ ، ١٦٩ ح ١٠٤٩٥ .

٣. سنن ابن ماجه / ١ ، ٢٥٦ ح ٧٧٨ باب المشي إلى الصلاة .

٤. كشف الارتباط / ٣١٢ ، نقلًا عن وفاء الوفاء والدرر السنّية / ٨ .

٤- روي أن سواد بن قارب أنسدَ لرسول الله ﷺ؛ قصيده التي يتسلل فيها بالنبي وفيها يقول:

وأشهدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وسِيلَةً
إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَابِ
فَمُرْنَا بِهَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ
وَإِنْ كَانَ فِيهَا فِيهِ شَبِيبُ الدَّوَائِبِ
سُوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ^١
سُوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ^٢

الوسيلة في الروايات

خبر سليمان الفارسي رض عن أمير المؤمنين [عليّ بن أبي طالب رض] في قول الله تبارك وتعالى: «فُلْ كَفَنَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِ وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَكْتَسِبْ». ^٣
فقال: أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله، وأعطاه الوسيلة في الوصيّة، إذ لا يخلو أمتّه من وسيلة إليه وإلى الله، فقال: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا أَتَقُولُوا أَنَّهُ
وَأَنْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» ^٤.

الصدقوق بإسناده عن الرضا رض عن أبياته رض عن رسول الله صل قال:
الأئمة من ولد الحسين رض، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى
الله ع، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله ع. ^٥
الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين رض أنه قال: إن أفضل ما توسل به المتتوسلون إلى الله (سبحانه وتعالى) الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنه ذرورة الإسلام، وكلمة

١. الدرر السنية / ٢٧؛ التوصل إلى حقيقة التوسل / ٣٠٠؛ فتح الباري / ٧ / ١٣٧.

٢. التوصل / ٢٦-٢٩.

٣. سورة الرعد / ٤٣.

٤. بصائر الدرجات / ١، ٣٨٦، ح ٢٠.

٥. عيون أخبار الرضا رض / ٢، ١٢٨، ح ٢١٧ (٥٨/٢).

الإخلاص فِإِنَّهَا الفطرة، وإقام الصلاة فِإِنَّهَا الْمَلَةُ، وإيتاء الزكوة فِإِنَّهَا فريضة واجبة،
وصوم شهر رمضان فِإِنَّهُ جَنَّةٌ من العقاب، وحج البيت واعتماره فِإِنَّهَا ينفيان الفقر
وينهيان الذنب، وصلة الرحم فِإِنَّهَا مثراً في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السرّ
فِإِنَّهَا تکفر الخطية وصدق العلانية فِإِنَّهَا تدفع ميته السوء، وصنائع المعروف فِإِنَّهَا تقى
مصارع الهوان، الخطبة.^١

ابن شهر آشوب رفعه عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ اَللّٰهُ اَكْبَرُ اَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ
الْوَسِيلَةَ﴾ : أَنَا وَسِيلَتُهُ وَوَلِيُّ ذُرْيَتِهِ.^٢

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْاْنَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ، مَعَهُمْ لِيَفْتَدُوا
بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

هذه الآية الشريفة تعليل «لضمون الآية السابقة، والمحصل أنه يجب عليكم أن تتقووا الله وتبتغوا إليه الوسيلة وتجاهدوا في سبيله فإن ذلك أمر يهمكم في صرف عذاب أليم مقيم عن أنفسكم، ولا بدل له يحلى محله فإن الذين كفروا فلم يتقووا الله ولم يتبعوا إليه الوسيلة ولم يجاهدوا في سبيله لو أنهم ملكوا ما في الأرض جميعاً - وهو أقصى ما يتيمناه ابن آدم من الملك الدنيوي عادة - ثم زيد عليه مثله ليكون لهم ضعفاً ما في الأرض ثم ارادوا أن «ليفتدوا به» من عذاب يوْم الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وهي العذاب **﴿وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنْهَا﴾** لأنه **﴿عَذَابٌ﴾** خالد **﴿مُّقِيمٌ﴾**^٣ عليهم لا يفارقهم أبداً^٤.

١. نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

٢. المناقب ٩٢/٣.

٣. سورة المائدة / ٣٦ و ٣٧.

٤. الميزان ٣٢٨/٥.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. «الَّذِينَ» اسم موصول، اسم «إِنَّ».
 ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، بيان حال الكفار ولكن أعرض عن مخاطبتهم لكرهم.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، ﴿لَوْ﴾ مع ما في حيزه من جوابه في محل رفع خبر «إِنَّ الَّذِينَ».

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
 «لَهُمْ» جار ومحرر، خبر «أَنَّ» مقدم. والضمير يرجع إلى «الَّذِينَ كَفَرُوا».

﴿مَا﴾ موصولة
 «في الأرضِ» جار ومحرر، «مَا في الأرضِ» اسم «أَنَّ» مؤخر.
 «جِيَعاً» حال، «أَنَّ لَهُمْ مَا في الأرضِ جِيَعاً» بتأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل مخدوف تقديره: لو ثبت ملكهم كل «مَا في الأرضِ».
 «وَ» للمعية.

«مِثْلُهُ» مفعول معه ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى «مَا في الأرضِ جِيَعاً».
 «مَعْهُ» ظرف مكان يدل على المصاحبة والاجتماع متعلق بحال مخدوفة من «مِثْلُهُ»، والضمير يرجع إلى «مَا في الأرضِ جِيَعاً».
 «إِنَّ» حرف جر، للتعليل.

﴿يَفْتَدُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله. فدى: إذا أعطى مالاً وأخذ رجلاً، كما قاله الوزير ابن المعري. ١ «ليفتدوا»: أي ليجعلوه فدية لأنفسهم.

﴿بِهِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿يَفْتَدُوا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَا في الْأَرْضِ حَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعْهُ﴾.

﴿مِنْ عَذَابِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿يَفْتَدُوا﴾.

﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مضاد إليه ومضاف إليه ثان. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿تُقْبَلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿تُقْبَلَ﴾. والجملة ﴿مَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ﴾ جواب

شرط غير جازم.

يعني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ افتداوا جميع ﴿مَا في الْأَرْضِ﴾ بل ﴿مِثْلُهُ مَعْهُ﴾ لينجيهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لم ينفعهم ذلك، فالفذية في يوم القيمة لا ﴿تُقْبَلَ﴾ من الكافرين ولا ترفع عنهم العذاب الذي استحقوه بكفرهم وسيئات أعمالهم. وبالجملة: إنما يقبل الفدية من يفتقر إليها ﴿وَلِهُ مُلْكُ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَمْ﴾ جار ومحرر، خبر مقدم، واللام للملك، لأنّ حقيقة الملكية هي الإضافة على معنى الاختصاص.

﴿عَذَابُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾ نعته. لأنّ باب التوبة في الآخرة مسدودة.

 ﴿يُرِيدُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

«بيان لحالم في النار، وهو يدلّ على كمال إحساسهم بالعذاب، وأنّ الفطرة

الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْلَمُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا لَمْ تَغْيِرْ وَلَمْ تَنْتَفْ عَنْهُمْ، بَلْ تَأْثِيرَ بِالنَّارِ، وَيَتَأْلَمُونَ وَيَرِيدُونَ الْخَلاصَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّهَا دَارَ الْعَذَابَ وَالشَّقَاءَ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا الْبَتَّةَ، وَالْجَمْلَةُ تَدْلِي عَلَى الشُّبُوتِ وَالدُّوَامِ، الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تَدْلِي عَلَى عَدْمِ قَبْولِ الشَّفَاعَةِ وَالْعَدْلِ وَالْفَدِيَّةِ مِنْهُمْ»^١.

﴿يُرِيدُونَ﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلٌ. يَدْلِي عَلَى اسْتِمْرَارِ هَذِهِ الْإِرَادَةِ فِيهِمْ لِأَئْمَانِهِمْ يَعْذِبُونَ بِالنَّارِ دَائِمًا.

﴿أَن﴾ مُصَدْرِيَّةٌ نَاصِبَةٌ. ﴿خَرَجُوا﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ مُنْصُوبٌ وَفَاعِلٌ.

﴿مِنَ النَّارِ﴾ جَارٌ وَمُجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿خَرَجُوا﴾. ﴿أَن﴾ مُصَدْرِيَّةٌ وَمَا بَعْدُهَا بِتَأْوِيلِ مُصَدِّرِ مُفْعُولِهِ بِـ﴿يُرِيدُونَ﴾. تَقْدِيرُهُ: يَرِيدُونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ.

﴿و﴾ اسْتِئنَافِيَّةٌ. ﴿مَا﴾ نَافِيَّةٌ. ﴿هُم﴾ مُبِتدَأٌ.

﴿بِ﴾ حَرْفٌ جَرِ زَائِدٌ، تَأْكِيدٌ لِلنَّفِيِّ.

﴿خَرَجِينَ﴾ مُجْرُورٌ، فِي مَحْلٍ رَفْعٌ خَبَرٌ. جَمْعُ خَارِجٍ. وَالْجَمْلَةُ الْأَسْمَيَّةُ تَدْلِي عَلَى الْمُبَالَغَةِ.

﴿مِنْهَا﴾ جَارٌ وَمُجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿خَرَجِينَ﴾ عَلَى تَأْوِيلِ فَعْلِهِ أَيْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ.

﴿و﴾ اسْتِئنَافِيَّةٌ، وَمَا بَعْدُهَا تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ. ﴿أَلْهُمْ﴾ جَارٌ وَمُجْرُورٌ، خَبَرٌ مُقْدَمٌ.

﴿عَدَادٌ﴾ مُبِتدَأٌ مُؤَخِّرٌ. ﴿مُقِيمٌ﴾ نَعْتُهُ.

وَفِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ إِشَارَاتٌ:

«أَوْلًا: إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ هُوَ الْأَصْلُ الْقَرِيبُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَإِنَّهَا يَصْرُفُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا﴾ *

* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَدْرُ الظَّلَمِينَ فِيهَا جِئْنَا ١ وَكَذَا قَوْلُهُ: «إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ٢ .

وَثَانِيًّا: أَنَّ الْفَطْرَةَ الْأَصْلِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَهِيَ الَّتِي تَأْلَمُ مِنَ النَّارِ غَيْرَ بَاطِلَةٍ فِيهِمْ وَلَا مُنْفِيَّةٌ عَنْهُمْ وَإِلَّا لَمْ يَتَأْلَمُوا وَلَمْ يَتَعَذَّبُوا بِهَا وَلَمْ يَرِيدُوا الْخَرْوَجَ مِنْهَا» ٣ .

وَثَالِثًّا: «هَذَا نَصْ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ مِنْ جَهْدِ الْخَالقِ، أَوْ عَبْدِ سُوَّا هُوَ، فَهُوَ مُخْلَدٌ فِي النَّارِ. «وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنْهَا». وَفِي الْآيَةِ ٢٠ مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ: «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» وَ[رَابِعًا] هُنَاكَ جَرَائِمُ لَا تَقْلِ إِثْمًا وَعَذَابًا عَنِ الْكُفُرِ بِاللهِ، كَسْلُ الشَّعُوبِ أَقْوَاتُهَا وَمَقْوِمَاتُ حَيَاتِهَا، وَقَتْلُ النَّفْسِ، لَأَنَّهَا أَبْتَ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ حَرَةَ كَرِيمَةٍ» ٤ .

الروايات

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ الْبَشَّارَ يَقُولُ: عَدُوُّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ الْبَشَّارُ هُمُ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ: «وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنْهَا» ٥ .

عَنْ مُنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْبَشَّارَ: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: أَعْدَاءُ عَلِيٍّ هُمُ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ أَبْدَ الْأَبْدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ ٦ .

عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ [جَعْفَرَ] عَلَيْهِ الْبَشَّارَ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنْهَا» قَالَ: كَأَنَّكَ تَرِيدُ الْأَدْمِينَ؟ قَلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَانُوا حَوْسِبَوْا وَعَذَبُوا!

١. سورة مریم / ٧١ و ٧٢.

٢. سورة العصر / ٢ و ٣.

٣. الميزان / ٥ / ٣٢٩.

٤. التفسير الكاشف / ٣ / ٥٣.

٥. تفسير العياشي / ٢ / ٤٣، ح ١٠١.

٦. تفسير العياشي / ٢ / ٤٣، ح ١٠٢.

وَأَنْتُمُ الْمَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ إِنَّ أَعْدَاءَ عَلَيْهِمُ الْمَخْلُدُونَ فِي النَّارِ أَبْدُ الْأَبْدِينَ
وَدُهْرُ الدَّاهِرِينَ هَكُذَا تَنْزِيلُهَا.^١

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهُ أَئِذِيهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٢٨

الآية الشريفة تشير إلى مجازة السرقة، لأنّها كانت تضرّ بالمجتمع الإنساني وأمنه وتفسد أخلاق أفراده وتهدم كيانه، فلذا تجعل الآية المسئولية على عاتق المجتمع حيث قام بعلاج السرقة وقطع جذورها من الأساس، وإلا خرجت من جديد في ضمن الفرد الأول أو غيره.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿السَّارِقُ﴾ مبتدأ. اسم فاعل من فعل سَرَقَ، وهو اللِّصُّ والحرامي.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿السَّارِقَةُ﴾ معطوف على ﴿السَّارِقُ﴾، مؤنثه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، لأن الجملة تتضمن معنى الشرط لأن «ال» في ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بمعنى اسم الموصول فكتّبه قال: من سرق أو الذي سرق والتي سرقت «فَ»، ولأنّ اسم الموصول يتضمن معنى الشرط نحو: من يسرق فقد سرق آخر له.

﴿أَقْطَعُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله. خبر. والمخاطب بهذا الأمر من له أهلية إقامة الحدود كالآباء والأوصياء والفقهاء الذين هم حُكَّامُ الشَّرْعِ الْمُبِينِ، فليس لِكُلِّ أَحَدٍ إقامة الحدّ.

١. تفسير فرات الكوفي / ١٢٢، ح ٢٦.

﴿أَيْدِيهِمَا﴾ مفعول به و مضارف إليه. أيدي جمع يد «و إِنَّمَا ﴿أَيْدِيَ﴾ لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ من شَيْئَيْن فَتَشْتَتِيهِ بِلِفْظِ الْجَمْعِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَقَدْ صَغَّرْتُ قُلُوبَكُمَا»^١ وَقَالَ الْفَرَاءُ كَلِّمَا كَانَ فِي الْبَدْنِ مِنْهُ وَاحِدٌ فَتَشْتَتِيهِ بِلِفْظِ الْجَمْعِ لَأَنَّ أَكْثَرَ أَعْضَائِهِ فِيهِ مِنْهُ إِثْنَانٌ، فَحَمَلَ مَا كَانَ فِيهِ الْوَاحِدُ عَلَى مَثْلِ ذَلِكَ، فَقِيلَ قُلُوبُهُمَا وَظَهُورُهُمَا. كَمَا قِيلَ عِيُونُهُمَا وَأَيْدِيهِمَا. وَقَالَ الْفَرَاءُ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ مَا فِي الْبَدْنِ مِنْهُ وَاحِدٌ وَبَيْنَ مَا فِي الْبَدْنِ مِنْهُ إِثْنَانٌ، فَجَعَلَ مَا فِي الْبَدْنِ مِنْهُ وَاحِدًا تَشْتَتِيهِ وَجَعَلَهُ بِلِفْظِ وَاحِدٍ لَمْ يَشْنُ أَصْلًا، لَأَنَّ الإِضَافَةَ تَدَلُّ عَلَيْهِ، وَلَأَنَّ التَّشْتِيَّةَ جَمْعٌ، لَأَنَّهُ ضَمَّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. وَإِنْ ثَنِيَ جَازَ قَالَ الشَّاعِرُ:

ظَهَرَاهُمَا مُثْلِظَهُمَا ظَهُورَ التَّرْسِينِ

فَجَمْعُ بَيْنِ الْأَمْرَيْنِ»^٢.

ثُمَّ فَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْحَدَّ فِي السُّرْقَةِ مُشْرُوتٌ بِالْأَمْرِ التَّالِيَّةِ:

١- الْبَلُوغُ

٢- الْعُقْلُ

٣- ارْتِفَاعُ الشَّبَهَةِ

٤- ارْتِفَاعُ الشَّرْكَةِ

٥- أَنْ يَهْتَكَ السَّارِقُ الْحَرَزَ

٦- أَنْ لَا يَكُونَ السَّارِقُ وَالَّذِي قَدْ سَرَقَ مِنْ وَلَدِهِ.

٧- أَنْ يَأْخُذَهُ السَّارِقُ سَرِّاً.

٨- لَا يُقْطَعُ إِذَا سَرَقَ مَالَهُ نَحْوَ الرَّاهِنِ إِذَا سَرَقَ الرَّهَنَ أَوْ الْمُؤْجَرَ الْعَيْنَ

الْمُسْتَأْجِرَةِ.

٩- لَا قَطْعٌ فِي مَا نَقْصَهُ عَنْ رُبْعِ دِينَارٍ.

١. سورة التحرير / ٤.

٢. التبيان / ٣٥١٦.

١٠- أن لا تكون السرقة في عام الماجعة، فإذا سرق الجائع مأكولاً حيث لا وسيلة لسد حاجته إلّا السرقة فلا حدّ عليه.

وحلوها قطع الأصابع الأربع من اليد اليمنى ويترك له الراحة والإبهام عندنا، وعند العامة: الكف اليمنى تقطع من المفصل.

وعندنا في المرة الثانية: تُقطع رجلُه اليسرى من مفصل القدم ويترك له العقب يعتمد عليها.

وفي المرة الثالثة: يحبس دائمًا.

وفي المرة الرابعة: يقتل.

ولكن لو تكرّرت السرقة من غير تخلّل حدّ، فالحدّ الواحد كافٍ.

والتفصيل يطلب من الكتب الفقهية، كتاب الحدود باب حدّ السرقة.

«ولا ريب في أن قطع اليد من أجدر العقوبات لمنع السرقة، فإنه يفضح صاحبه، وتكون علامه من علامات الذل والعار، ليكون متعالاً عن ارتكاب الجرم، وعبرة يعتبر بها غيره من الناس فيكونوا في مأمن من أموالهم وأرواحهم»^١.

﴿جزاء﴾ مفعول لأجله أو حال من القطع المستفاد من قوله ﴿فَاقْطَعُوه﴾.

﴿بِ﴾ حرف جرّ، للسببية.

﴿مَا﴾ مجروره. يتعلق الجار والمجرور بـ ﴿جزاء﴾.

﴿كَسَبَ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، أي استحقاقاً على فعلهما.

وجملة ﴿جزاء بـ كَسَبَ﴾ تعليل لثبوت الحدّ عليهما.

﴿نَكَلًا﴾ بدل من ﴿جزاء﴾. «والنكال هو العقوبة التي يعاقب بها المجرم ليتنهى

عن إجرامه ويعتبر بها غيره من الناس»^٢. والمراد بها هنا العقوبة الدنيوية.

١. مواهب الرحمن ١١/٢٤٧.

٢. الميزان ٥/٣٢٩.

﴿مَنْ أَلَّهُ جَارٌ وَمُجْرُورٌ مَتَعْلِقٌ بِـ(نَكَلًا)﴾ . والمراد هذه العقوبة ثابتة على السارق ﴿مَنْ أَلَّهُ تَعَالَى وَهِيَ حَدٌّ مِنْ حَدُودِ اللَّهِ﴾ .
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَلَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ خبراه. ﴿عَزِيزٌ﴾: مقتدر لا يُغالَبُ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في ما يأمر به من الحدود وغيرها من تشريعاته وأفعاله.

الروايات

صحيحية محمد بن مسلم، قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: في كم يقطع السارق؟

فقال: في ربع دينارٍ.

قال: قلت له: في درهمين؟

فقال: في ربع دينارٍ بلغ الدّينار ما بلغ.

قال: فقلت له: أرأيت من سرق أقلّ من ربع دينارٍ، هل يقع عليه حين سرق اسم السارق؟ وهل هو عند الله سارق في تلك الحال؟

فقال: كُلّ من سرق من مسلمٍ شيئاً قد حواه وأحرزه، فهو يقع عليه اسم السارق، وهو عند الله سارق، ولكن لا يقطع إلّا في ربع دينارٍ أو أكثر، ولو قطعت أيدي السارق فيها هو أقلّ من ربع دينارٍ، لأنّفالت عامة الناس مقطّعين.^١

صحيحية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان عليٌ صلوات الله عليه لا يزيد على قطع اليد والرّجل، ويقول: إِنِّي لِأَسْتَحِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَدْعُه لِيْسَ لَهُ مَا يَسْتَنْجِي بِهِ أَوْ يَتَظَهَّرْ .^٢

قال: وسألته: إنْ هو سرق بعد قطع اليد والرّجل؟

١. الكافي / ١٤، ١٣٩ / ٧، ح (٢٢٢ / ٧).

فَقَالَ: أَسْتَوْدُعُهُ السَّجْنَ أَبْدًا، وَأَغْنِيَ عَنِ النَّاسِ شَرٌّ.^١

صَحِيحَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ، قَالَ: قُضِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا فِي السَّارِقِ: إِذَا سَرَقَ قَطَعْتَ يَمِينَهُ، وَإِذَا سَرَقَ مَرَّةً أُخْرَى قَطَعْتَ رِجْلَهُ الْيَسِيرَى، ثُمَّ إِذَا سَرَقَ مَرَّةً أُخْرَى سَجَنْتَهُ، وَتَرَكْتَ رِجْلَهُ الْيَمِينِى يَمْشِي عَلَيْهَا إِلَى الْغَائِطِ، وَيَدِهِ الْيَسِيرَى يَأْكُلُ بِهَا وَيَسْتَنْجِي بِهَا، وَقَالَ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُتَرَكَهُ لَا يَتَفَعَّشُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنِّي أَسْجَنَهُ حَتَّى يَمُوتَ فِي السَّجْنِ، وَقَالَ: مَا قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فِيمَا سَارِقٌ بَعْدَ يَدِهِ وَرِجْلِهِ.^٢

مَوْثِقَةُ سَمَاعَةُ بْنُ مَهْرَانَ، قَالَ: قَالَ: إِذَا أَخْذَ السَّارِقَ قَطَعْتَ يَدَهُ مِنْ وَسْطِ الْكَفِّ، فَإِنْ عَادَ قَطَعْتَ رِجْلَهُ مِنْ وَسْطِ الْقَدْمِ، فَإِنْ عَادَ اسْتَوْدُعَ السَّجْنَ، فَإِنْ سَرَقَ فِي السَّجْنِ قُتِلَ.^٣

مَوْثِقَةُ أُخْرَى لَهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ: أُتَقَدِّمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا بِرِجَالٍ قَدْ سَرَقُوا، فَقَطَعْتُ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي بَانَ مِنْ أَجْسَادِكُمْ قَدْ وَصَلَ إِلَى النَّارِ، فَإِنْ تَوَبُوا تَحْبَرُونَهَا، وَإِنْ لَمْ تَتَوَبُوا تَحْبَرُوكُمْ.^٤

عَنْ زُرْقَانَ^٥ صَاحِبِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ^٦ وَصَدِيقِهِ بِشَدَّةٍ، قَالَ: رَجَعَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ عِنْدِ الْمُعْتَصِمِ وَهُوَ مَغْتَمٌ، فَقَلَّتْ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: وَدَدْتُ الْيَوْمَ أَنِّي قَدْ

١. الكافي / ١٤، ح ٣ / ٢٢٢.

٢. الكافي / ١٤، ح ٤ / ٢٢٣.

٣. الكافي / ١٤، ح ٨ / ٢٢٣.

٤. الكافي / ١٤، ح ١٤٧ / ٢٢٤.

٥. لِعَلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَفِيَّانَ، الْمُعْتَصِمُ بِزَرْقَانَ الْمُزَيَّدُ، الْمَحْدُثُ، اَنْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادٍ ٤٣١، وَفِي نَسْخَةِ ابْنِ أَبِي زَرْقَانَ.

٦. فِي النَّسْخَةِ: ابْنُ أَبِي دُوَادَ، وَكَذَا فِي بَقِيَّةِ الْمَوْاضِعِ. وَابْنُ أَبِي دُوَادَ (بِلاَ هَمْزَ) وَلَا عِبْرَةَ بِالْخُطُّ الشَّائِعِ رَاجِعٌ كِتَابَ «الاشْتِقَاقِ» لِابْنِ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١هـ) وَاسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادِ الإِيَادِيُّ الْقَاضِيُّ الْمُعْتَرَفُ بِهِ أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ الْعَبَّاسِيِّ.

مُتُّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقر على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع، في أي موضع يجب أن يقطع. قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله تعالى في التيمم: ﴿فَامْسِحُوهُ بِيُؤْجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ﴾^٢ واتفق معى على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق^٣، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ﴾^٤ في الغسل، دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي، فقال: ما تقول في هذا، يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه، يا أمير المؤمنين. قال: دعني مما تكلّموا به، أي شيء عندك؟ قال: أعفني عن هذا، يا أمير المؤمنين.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه. فقال: أما إذا أقسمت على الله، أني أقول إِنَّهُمْ أَخْطَأُوْا فِي السُّنَّةِ، فَإِنَّ الْقَطْعَ يَحْبَبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَفْصِلِ أَصْوَلِ الْأَصْبَاعِ، فَيُرَكِّبُ الْكَفَّ.

قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله ﷺ : «السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ

١. الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.

٢. سورة النساء / ٤٣ .

٣. في نسخة: مع المرفق.

٤. سورة المائدة / ٦ .

أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين» فإذا قطعت يده من الكُرسُوع أو المَرْفِق، لم يبق له يدٌ يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^١، وما كان الله لم يُقطع.

قال: فاعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مُفصل الأصابع دون الكف. قال ابن أبي دجاد: قامت قيامتي وتمتّت أني لم أك حيًّا.

قال زُرقان^٢: إنَّ ابن أبي دجاد قال: صرُتُ إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إنَّ نصيحة أمير المؤمنين علىٰ واجبة، وأنا أكُلْمه^٣ بما أعلم أني أدخل به النار. قال: وما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمْرٍ واقعٍ من أمور الدين، فسألهم عن الحُكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحُكم في ذلك، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده^٤ وزراؤه وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كُلَّهم لقول رجل يقول شَطْر هذه الأُمَّةِ يَامَاتَهُ، ويَدَعُونَ آنَّهُ أَوْلَى مِنْ بِمَقَامِهِ، ثُمَّ يَحْكُمُ بِحُكْمِهِ دُونَ حُكْمِ الْفُقَهَاءِ!^٥

قال: فغَيَّرَ لونُهُ، وانتبه لما نَبَهَهُ له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر يوم الرابع فلاناً من كُتاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه فأبى أن يحييه، وقال: قد عِلمت أني لا أحضر مجالسك. فقال: إني إنما أدعوك إلى الطعام، وأُحِبُّ أن تطأ ثيابي^٦، وتدخل منزلي، فأتبرّك بذلك، وقد أحبّ فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك؛ فصار إليه فلما أطعِم منها أحسَّ السَّمَّ، فدعا بدارته، فسألَه ربَّ

١. سورة الجن / ١٨ .

٢. في نسختين: ابن أبي زرقان.

٣. في نسخة: مُكَلَّمه.

٤. في نسختين: حضر مجلس بيته وقواده، في نسخة: حضر في بيته وجلسه قواده.

٥. في نسخة: ببابي.

المنزل أن يُقيم، قال: خُروجي من دارك خيرٌ لك، فلم يَرِل يومه ذلك وليله في خلفه^١
حتى قُبض عليه^٢.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

الآية الشريفة تفريعة «على ما ذكره في من كون الحد» **«جزاءً بما كسباً»** و **«نكلاً»**، فإن الهدف من تشريعه هو المنع من السرقة ورجوع المنكول به عن معصيته. فمن تاب من السراق من بعد ظلمه على نفسه وعلى الآخرين، ورجع عن ذنبه رجوع ندم على ما فعل، وعزم على الترك، وأصلاح نفسه بالتزكية، وأرجع ما سرقه إلى أصحابه، وتنصي من تبعاته، وقد عرفت في بحث التوبة أن ما اجتمع فيه حق الله تعالى وحق الناس، لا تتم التوبة إلا بأداء الحقين، ويكتفي في حق الله تعالى الندم والعزم على الترك. وأما حق الناس فيعتبر فيه الإصلاح، وهو يختلف باختلاف الموارد، ففي السرقة يجب رد المسروق إلى مالكه والاسترضا عنه^٣.

(ذ) تفريعة.

«من» اسم شرط جازم، مبدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.
«تاب» فعل ماضٍ في محل جزم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر. أي:
ندم من الذهب وعزم على الترك ورجع إلى ربّه التوّاب.

١. الخلفة: الميضة، وهي القيء والإسهال.

٢. تفسير العياشي ٤٦/٢، ح ١١٠.

٣. مواهب الرحمن ١١/٢٤٧.

﴿من بعده﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَاب﴾.

﴿ظُلْمِهِ﴾ مضاد إليه ومضاف إليه ثان. أي من بعد ذنبه لأنّ كُلّ ذنبٍ ظلمٌ على النفس لوم يكن ظلماً على الغير.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلَحَ﴾ معطوف على ﴿تَاب﴾ وحذف مفعوله اختصاراً وتعميماً أي ردّ الأموال إلى أصحابها في السرقة وفي غيرها من الذنوب أيضاً إعادة حقوق الناس إليهم وقضاء ما عليه من حقوق الله.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَتُوبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿الَّهُ﴾.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَتُوبُ﴾، والضمير يرجع إلى التائب. وجملة ﴿يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ في محل جزم جواب شرط.

أي: يقبل الله توبة المذنب بإسقاط العقاب عنه، ترغيباً له في فعل التوبة.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراً ﴿إِنَّ﴾. والجملة الأخيرة تعليل لقبول توبة العبد لأنّه تعالى

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومن المعلوم أنّ قبول توبة العبد تفضل من الله تعالى على عبده لأنّه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

«قال السنة: توبه السارق لا تُسقط عنه الحدّ. وقال الشيعة الإمامية: إذا تاب السارق من تلقاء نفسه، وقبل أن تثبت السرقة عليه عند الحاكم فلا حدّ عليه.

ووافقهم على ذلك صاحب تفسير المنار، قال: «إذا قيست السرقة على الحرابة^١ فالقول بسقوط الحدّ ظاهر، إن تاب [السارق] قبل رفع أمره إلى الحاكم»^٢.^٣.

رواية

في تفسير العياشي قال: وكتب إلينا أبو محمد يذكر عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عامة أصحابه، يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أنه كان إذا قطع السارق، ترك له الإبهام والراحة.

فقيل له: يا أمير المؤمنين، تركت عامة يده؟ قال: فقال لهم: فان تاب، فبأي شيء يتوضأ؟ لأنَّ الله يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ ... فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.^٤ القائل هو العياشي والمراد بأبي محمد، هو الفضل بن شاذان، وقد كان الفضل بن شاذان يكتبه كثيراً.^٥

﴿أَكَلَرَ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الآية الشريفة «في موضع التعليل لما ذكر في الآية السابقة من قبول توبة السارق والسارقة إذا تابا وأصلحا من بعد ظلمهما فإنَّ الله سبحانه لما كان ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

١. الحرابة: قطع الطريق.

٢. تفسير المنار ٦/٣١٦.

٣. التفسير الكافش ٣/٥٥.

٤. تفسير العياشي ٢/٤٤، ح ٤٠.

٥. انظر: رجال الكشي ١٥٨، رقم ٢٦٢ و ٣٧٠، رقم ٣٧٩ و ٦٩١، رقم ٧١١.

وَالْأَرْضِ، ولا ملك أن يحكم في مملكته ورعايتها بما أحبّ وأراد من عذاب أو رحمة كان له تعالى أن «يُعَذِّبَ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ» على حسب الحكمة والمصلحة فيعذب [مثلاً] السارق والسارقة إن لم يتوبوا، ويغفر لها إن تاباً^١.

﴿أ﴾ حرف استفهام. وهنا يدلّ على التقرير. ﴿لَم﴾ حرف نفي وجزم وقلب. ﴿تَعْلَم﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاب للإنسانية وإلى كلّ مكلّف من الناس وكلّ من يسمع ويقرأ كتاب الله تعالى لا للرسول الخاتم ﷺ وحده.

﴿أَن﴾ حرف نصب وتأكيد ومشبه بالفعل، و﴿أَن﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي ﴿تَعْلَم﴾ المتعدي إلى مفعولين.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿أَن﴾. ﴿لَهُ﴾ جار ومحرر، خبر مقدم.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضaf إلية.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

وجملة ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَن﴾. وفيها «إيماء إلى أنّ السارق الذي يريد من السرقة جمع المال فهو خطئ في ذلك، فـ﴾ أَنَّ اللَّهَ لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يهب لمن يشاء ويمنع عن من يشاء، فهو القادر على كلّ شيء»^٢.

﴿يُعَذِّب﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله تعالى.

﴿مَن﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله. «إذا كان مستحقاً للعقاب»^٣ ولأنّه كان قادراً على أن يعاقب على وجه الجزاء.

١. الميزان / ٥٣٣٠.

٢. مواهب الرحمن / ١١٢٤٨.

٣. التبيان / ٣٥٢٠.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿لِمَن﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾.

﴿يَشَاء﴾ فعل مضارع وفاعله. «إذا عصاه ولم يتوب لآنّه إذا تاب فقد وعد بأنّه لا يؤخذ به بعد التوبة وعند المخالفة يصبح مؤاخذته بعدها، فعلى الوجهين معًا لا يعلق ذلك بالمشيئة»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَللّٰهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿قَدِيرٍ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر.

والجملة الأخيرة تعليل لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. لأنّ من شؤون الملك هو القدرة التامة كما أنّ الملك من فروع الخلق والإيجاد أعني القيمة الإلهية.

«بيان ذلك: إنّ الله تعالى خالق الأشياء وموجدها فما من شيء إلا وما له من نفسه وآثار نفسه لله سبحانه، هو المعطى لما أعطي والمانع لما منع، فله أن يتصرف في كلّ شيء، وهذا هو الملك (بكسر الميم) قال تعالى: ﴿فُلِّ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْفَهِيرُ﴾^٢، وقال: ﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٣ وهو تعالى مع ذلك قادر على أي تصرف شاء وأراد إذ كلّ ما فرض من شيء فهو منه، فله مضي الحكم ونفوذ الإرادة وهو الملك (بضم الميم) والسلطنة على كلّ شيء فهو تعالى مالك لأنّه قيوم على كلّ شيء، وملك لأنّه قادر غير عاجز ولا منزع من نفوذه مشيته وإرادته»^٤.

١. التبيان / ٣ / ٥٢٠.

٢. سورة الرعد / ١٦.

٣. سورة البقرة / ٢٥٥.

٤. الميزان / ٥ / ٣٣٠.

رواية

صحيحه جميل عن رجل عن أحد هم عائلا في رجل سرق، أو شرب الخمر، أو زنى، فلم يعلم بذلك منه ولم يؤخذ حتى تاب وصلاح، فقال: إذا صلح وعرف منه أمر جميل، لم يقم عليه الحدّ.

قال محمد بن أبي عمير: قلت: فإنْ كانَ أَمْرًا قُرِيبًا لَمْ يَقُمْ؟

قال: لو كان خمسة أشهر أو أقلَّ وقد ظهر منه أمرٌ جميلٌ، لم يقم عليه الحدود.^١

﴿يَأَيُّهَا آلَّرَسُولُ لَا تَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِيمَانَهُمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِكَذِبِهِمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِكَذِبِهِمْ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ إِخْرِينَ لَمَّا يَأْتُوكَ تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُدُوهُ وَإِنَّ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحَدُرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ إِلَهٍ شَيْئًا وَلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١)

ذكر الله تعالى في الآية المنافقين الذين يؤمنون بأفواهم خوفاً أو طمعاً ولم تؤمن قلوبهم، ثم ذكر اليهود الذين يقبلون الكذب ويحرفون الكتب الإلهية وأوعدتهم الخزي في الدنيا والعقاب الأليم في الآخرة.

﴿يَأَيُّهَا آلَّرَسُولُ﴾ خطاب برسول الله ﷺ فيه غاية التشريف والقرب ويدل على أهميته الأمر وعظمته عند الله تعالى ولم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين كلتيها في

هذه السورة والآخر قوله تعالى: ﴿يَنَّا إِلَيْهَا الرَّسُولُ يَأْتِي مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾^١.
 ﴿لَا تَحْزُنْنَكَ﴾ فعل نهي، فتح الياء هـنا دليل على أن فعله ثلاثي (حزن) وليس رباعياً (أحزن) وقد جاء هذا الفعل في القرآن الكريم على لغة قريش من الثلاثي أمّا (أحزن) الرباعي فهو على لغة هـذيل فلا حـظ وتأمل. الحزن ضد السرور، تسلية للرسول ﷺ وتطيب لنفسه الشريفة مما لا يـقـى من المنافقين واليهود.
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفَّرِ﴾ فعل مضارع وفاعله وجار ومحرر له «المسارعة هي السير الحثيث والمشية السريعة، والمسارعة إلى الشيء، غير المسارعة في الشيء، فإن الأولى هي السرعة إليه من الخارج، وأما الثانية فهي السرعة من الداخل. أي يظهر من الأفعال والأقوال التبادي في الكفر. فتكون في كلامه (في) الدلالة على أنهم مستقررون في الكفر لا يبرحون عنه، فينتقلون من صنف من الكفر إلى صنف آخر، فتظهر عليهم موجبات الكفر مـرة بعد أخرى، وفي الوصف ﴿يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفَّرِ﴾ إشعار بعلـة النهي عن الحزن، أي أن تلك المسارعة هي السبب لحزنه ﷺ . المعنى: لا يحزنك هؤلاء بسبب مسارعتهم في الكفر، فإذا لم يؤمنوا حقيقة، فإذا سـنت لهم الفرصة أظهروا الكفر. والجملة تدل على التسلية بأبلغ وجه، فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه نهي عنه وقطع له عن أصله، فليس المراد منه نهي الرسول ﷺ ، وإنما النهي للكف عن أن يحزنوه بمسارعتهم في الكفر، وتسلية له ﷺ بعد تأثيرهم عليه، فإنه الرسول المؤيد والمنصور المسـدـد^٢.

﴿مِنَ﴾ حرف جر بياني، بين الحال ﴿الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفَّرِ﴾.
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، في محل جـر. ﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

١. سورة المائدة / ٦٧.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٦٨.

﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله والجملة الفعلية مفعول به - مقول القول - .

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ جارٌ و مجرورٌ ومضافٌ إليه. متعلقان بحالٍ مذكورة أي ناطقين

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بـأَلسْتَهْمِ .

﴿وَ﴾ حالية .

﴿لَمْ تُؤْمِنْ﴾ فعل مضارعٍ مجزومٍ بـ ﴿لَمْ﴾ الدال على نفي الإيمان .

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعله ومضافٌ إليه. أي لم يدخل الإيمان في قلوبهم بل هم ينطقون بالإيمان بـأَلسْتَهْمِ فقط .

﴿وَ﴾ عاطفة .

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوفةٌ على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا﴾ . وهم اليهود .

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ جارٌ و مجرورٌ خبرٌ مقدم .

﴿سَمَّاعُونَ﴾ مبتدأٌ مؤخرٌ. أو خبرٌ لمبتدأٌ مذكورةٌ. تقديره: هم ﴿سَمَّاعُونَ﴾ أي: اثُّهم يكثرون السماع .

﴿لِلْكَذِبِ﴾ جارٌ و مجرورٌ متعلقٌ باسم الفاعل ﴿سَمَّاعُونَ﴾ ويمكن أن يكون

«ل» زائدةً والكذب مفعول ﴿سَمَّاعُونَ﴾ . أي «إِنْهُمْ يكثرون من سماع الكذب، مع العلم بـأنَّه كذب، ومن دوام على سماعه كان كاذباً». ويحتمل أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ ، سَمَّاعون للكلذب فيك، كما يحتمل أن يكون المراد منه

سماعون كلامك ليكذبوا عليك، قوله تعالى: ﴿تُخْرِفُونَ الْكَلَمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ قرينة على الثاني، ولعل حذف المتعلق يشمل الجميع، فـإِنْهُمْ مارسوا كلا الكذبين».^۱

﴿سَمَّاعُونَ﴾ تأكيدٌ لـ ﴿سَمَّاعُونَ﴾ الأولى. أو خبرٌ لمبتدأٌ مذكورةٌ، الثانية

بـمعنى القبول والأولى بـمعنى الإصغاء واختلاف المعنى موجبٌ للتكرار. مع أنَّ التكرار في حدٍّ نفسه مبالغةٌ في الذم والقدح والردع والزجر .

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿سَمَّعُونَ﴾ الثانية، نحو قوله: استمعت له.

﴿ءَآخَرِينَ﴾ صفة ﴿لِقَوْمٍ﴾. وهو اليهود.

﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية صفة ثانية ﴿لِقَوْمٍ﴾. أي لم يحضروا مجلسك خوفاً أو بغضاً. أو أولئك الذين أرسلوا الوفد لسؤال النبي ﷺ ولم يأتوه بأنفسهم كما يأتي في شأن نزولها.

﴿تُحَرِّفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال من الضمير الفاعلي في ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾. أو صفة ثالثة ﴿لِقَوْمٍ﴾ ومعنى التحريف واضح وإطلاقه يشمل جميع أقسامه اللغوية أو المعنوية.

﴿الْكَلْمَ﴾ مفعول به. جمع الكلام أو الكلمة.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تُحَرِّفُونَ﴾.

﴿مَوَاضِعِهِ﴾ مضاد إليه و مضاد إليه ثان. أي من بعد الاستقرار في مستقرها.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حال آخر من الضمير الفاعلي في ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أو صفة رابعة ﴿لِقَوْمٍ﴾. وما بعده مقول القول، وفاعله علماء اليهود الذين أرسلوا الوفد إلى رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أُوتِيَّتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبنيٌ للمجهول ونائب فاعله، في محل جزم لأنَّه فعل الشرط.

﴿هَذَا﴾ اسم اشارة، مفعول به. أي: إن حكم رسول الله ﷺ في الزنا بالجلد أو في القتل بالدية.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿خُذُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. جواب الشرط. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تُؤْتَهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، فعل الشرط، أي: ﴿وَإِن﴾ لم

يحكم رسول الله ﷺ بالجلد في الزنا أو في القتل بالدية.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَحَدَرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. أي فارضوا ولم يقبلوا.

﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يُرِد﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط. وحرّك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿فِتَّنَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الفتنة: الاختبار وأصله: التخلص.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَن﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَمَلِّك﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ.

﴿لَهُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَمَلِّك﴾.

﴿مِنْ لَهُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَمَلِّك﴾.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول مطلق، أي نوعٍ من الملك.

وحاصل المعنى: «إنّ الله سبحانه نهى اليهود عن الكذب والتحريف، والمكر والخداع، وتوعدهم بالعذاب إن خالفوا وتمردوا. ولكنّهم أصرروا على العناد، ولم يكتثروا بالنهي، ولا بالوعيد... فتركهم الله و شأنهم؛ ولم يردعهم بالقسر والقهر عن الفتنة، لأنّه تعالى يعامل الناس - فيها يعود إلى أفعالهم - معاملة المرشد الناصح، لا معاملة القاهر الغالب»¹.

فلا وجه لحزن رسول الله ﷺ عليهم في كفرهم وغيّبهم لأنّ الله تعالى جعل لهم الاختيار وهم اختاروا الكفر والغيّ ولا حالات أصابتهم عذاب الله تعالى وناره.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، وخبره جملة ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿أُولَئِكَ﴾.

﴿لَمْ يُرِدُ﴾ فعل مضارع مجزوم. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿أَنْ يُطَهِّرَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

والمعنى: أن اليهود «بلغوا في الغي والضلال مبلغًا لم تتعلق إرادة الله تعالى أن يطهر قلوبهم من الكفر والنفاق والخبث والضلال، فهبي باقية على قدراتها وختم عليها بالكفر. وإن من سنته تعالى أن لا يطهر قلب من تكرر منه العصيان، وانغماس في الكيد والضلال»^١.

﴿لَهُمْ﴾ جار و مجرور خبر مقدم، والضمير يرجع إلى المنافقين واليهود.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار و مجرور متعلق بحال من ﴿حِزْبٍ﴾.

﴿حِزْبٍ﴾ مبتدأ مؤخر. ايعاد ﴿لَهُمْ﴾ «جزاءً على أفعالهم الشنيعة، فقد أذهب الله تعالى في الدنيا، وكتب عليهم الجلاء من ديارهم، وأظهر كذبهم وكفر المنافقين، وأثبت الخوف في قلوبهم من المؤمنين»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ﴾ الجملة معطوفة على ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ وتكرار الضمير مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد.

﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾. ايعاد ﴿لَهُمْ﴾ «في الآخرة فإن لهم العذاب العظيم الذي لا يعرف كنهه وأمره إلا الله تعالى»^٣.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٧١.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٧١.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٧١.

شأن نزولها

قال القمي: فإنّه كان سبب نزولها آنَّه في المدينة بطنان من اليهود من بنى هارون وهم: «النضير» و«قريظة»، وكانت قريظة سبعمائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي؛ فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتل، وكان القتيل من بنى النضير، قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل مننا بقتيل منكم! فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة، حتى كادوا أن يقتلوا حتى رضيت قريظة، وكتبوا بينهم كتاباً على آنَّه:

أيّ رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بنى قريظة أن يجبيه ويحتمم - والتجنية أن يقعد على جمل ويولى وجهه إلى ذنب الجمل، ويبلطخ وجهه بالحمة^١ - ويدفع نصف الديّة، وأيّما رجل من بنى قريظة قتل رجلاً من بنى النضير أن يدفع إليه الديّة كاملة ويقتل به!

فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود، فقتل رجل من بنى قريظة رجلاً من بنى النضير؛
بعث إليهم بنو النضير، أبعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله!
فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة، وإنّما هو شيء غلبتمونا عليه؛
إماماً الديّة وإماماً القتل، وإلاّ فهذا محمدٌ بيننا وبينكم، فهلّمّوا للتحاكم إليه.
فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبي، وقالوا: سل محمدًا أن لا ينقض شرطنا في
هذا الحكم الذي بيننا وبين بنى قريظة في القتل!

فقال عبد الله بن أبي: أبعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلاّ فلا ترضوا به. فأبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له:
يا رسول الله! إنّ هؤلاء القوم «قريظة والنضير» قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً

١. الطين الأسود المتغّير، كما في مجمع البحرين ٤٥٠ / ١.

وثيقاً تراضوا به، والآن في قدوتك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم، فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإنّ بنى النضير لهم القوة والسلاح والكراع، ونحن نخاف الغوائل والدوائر!

فاغتمّ لذلك رسول الله ﷺ ولم يحبه شيء، فنزل عليه جبرائيل بهذه الآيات:

﴿يَأَيُّهَا أَرْسُولُ لَا تَحْزِنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِيمَانًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ - يعني اليهود - ﴿سَمَعُونَ لِكَذِبِ سَمَعُونَ لِقَوْمٍ أَخْرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ تُخْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ - يعني عبدالله بن أبي وبنى النضير - ﴿يَقُولُونَ إِنَّا أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُدُوهُ وَإِنَّ لَمْ تُؤْتُنَّهُ فَأَحَدُرُوا﴾ - يعني عبدالله بن أبي حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا - ﴿وَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَلَتِلِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا حَزَرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَعُونَ لِكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّجْنَتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَغْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾^١

وقال الشيخ: قال أبو جعفر ع عليه السلام وجماعة من المفسرين ذكرنا أسماءهم: إنَّ امرأة من خير - في شرف منهم - زنت وهي محصنة فكرهوا رجمها، فأرسلوا إلى يهود المدينة يسألون النبي ﷺ طمعاً أن يكون أتي برخصة، فسألوه، فقال: هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فأنزل الله عليه الرجم، فأبواه. فقال جبرائيل: سلهم عن ابن صوريما، ثم اجعله بينك وبينهم، فقال: تعرفون شاباً أيضاً أعوراً أمراً يسكن فدكاً يقال له ابن صوريما؟ قالوا: نعم، هو أعلم يهودي على ظهر الأرض بما أنزل الله على

١. سورة المائدة / (٤١-٤٤).

٢. تفسير القمي / ١ (٢٤٩-٢٤٧).

موسى. قال: فارسلوا إليه فأرسلوا فأتى، فقال له رسول الله ﷺ : أنت عبدالله بن صوريا. قال: نعم. قال: أنت أعلم اليهود قال: كذلك يقولون. قال رسول الله ﷺ : فأني أناشدك الله الذي لا إله إلا هو القوي إله بني إسرائيل الذي أخر جكم من أرض مصر، وخلق لكم البحر فأنجمكم وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والنلوى، وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى الرجم على من أحصن؟ قال عبدالله بن صوريا: نعم، والذي ذكرتني لولا مخافتني من رب التوراة أن يهلكني إن كتمنت ما اعترفت لك به، فأنزل الله فيه ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُوُ عَنِ الْكِتَابِ﴾^١ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتيه رسول الله ﷺ ثم قال: هذا مقام العائد بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبي ﷺ عن ذلك، ثم سأله ابن صوريا عن نومه وعن شبه الولد بأبيه وأمه وما حظ الأب من أعضاء المولود؟ وما حظ الام؟ فقال: تنام عيني ولا ينام قلبي، والشبه يغلبه أبي المائين علا، وللأب العظم والعصب والعروق، وللام اللحم والدم والشعر. فقال: أشهد أن أمراك أمرك أمني، وأسلم، فشتمه اليهود. فقال المنافقون لليهود: إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوه وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا. وهو قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذِهِ فَخُذُوهُ﴾ يعني الجلد ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْدَرُوْا﴾ وسلام عن ذلك بقوله: ﴿لَا سَخْرُونَكَ الَّذِينَ يُسَرِّعُونَ فِي الْكُفَّارِ﴾ فلما أرادوا الانصراف تعلقت قريطة بالنضير، فقالوا يا أبا القاسم - وكانوا يكرهون أن يقولوا يا محمد لئلا يوافق ذلك ما في كتابهم من ذكره - هؤلاء إخواننا بنوا النضير إذا قتلوا متنا قتيلاً لا يعطونا القود وأعطونا سبعين وسقاً من قمر، وإن قتلنا منهم قتيلاً أخذوا القود ومعه سبعون وسقاً من قمر، وإن أخذوا الديمة أخذوا متنا مئة وأربعين وسقاً. وكذلك جراحاتنا على

أنصاف جراحاتهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ تُعْرِضُ عَنْهُمْ فَإِنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾^١ فحكم بينهم بالسواء، فقالوا: لا نرضى بقضاءاك، فأنزل الله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْنُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾^٢.

ثم قال: ﴿وَكَيْفَ تُحْكِمُونَكُمْ وَعِنْدَهُمُ الْتَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾^٣ شاهدا لك بها يخالفونك. ثم فسر ما فيها من حكم الله فقال: ﴿وَكَبَتْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾^٤ الآية ﴿فَإِنْ تَوَلُّو﴾^٥ يعني بني النضير، لما قالوا لا تقبل حكمك ﴿يُصِيبُهُمْ بِعَظِيمٍ دُنُوِّهِمْ﴾^٦ وهو إجلاؤهم من ديارهم.^٧

ثم قال في آخره: «والاصلح من هذه الأقوال أنها نزلت في ابن صوريا على ما قدمناه عن أبي جعفر عليه السلام وهو اختيار الطبرى لأنه رواه أبوهريرة والبراء بن عازب وهما صحابيان».^٨

رواية

عن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله إذا أراد بعده خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء، وفتح مسامع قلبه، ووكل به ملكاً يسدده، وإذا أراد الله بعد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه، ووكل به شيطاناً يضلله، ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ سَجَعَلْ

١. سورة المائدة / ٤٢.

٢. سورة المائدة / ٥٠.

٣. سورة المائدة / ٤٣.

٤. سورة المائدة / ٤٥.

٥. سورة المائدة / ٤٩.

٦. سورة المائدة / ٤٩.

٧. التبيان / ٣ و ٥٢٥ و ٥٢٦.

٨. التبيان / ٣ و ٥٢٧.

صَدَرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا^١ الْآيَةُ، وَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ»^٢ وَقَالَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ»^٣.

﴿سَمَعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾



أُولَآيَةُ الشَّرِيفَةِ أَشَارَتْ إِلَى تَعْلِيلِ تَعْذِيبِ الْيَهُودِ فِي الدَّارِينِ وَبِقِيَّتِهَا جَعْلُ الْاِخْتِيَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ وَالْأَمْرِ لَهُ بَأْنَ حُكْمُهُ لَابْدَ أَنْ يَكُونَ «بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

﴿سَمَعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ تَكْرَارُهَا مِبالغَةٌ فِي الذَّمِ وَالْقَدْحِ وَالرُّدُعِ وَالزُّجُرِ، وَتَأْكِيدٌ أَوْ تَقْرِيرٌ أَوْ تَمْهِيدٌ لِمَا سِيَّأَتِيَ أَوْ اهْتَمَّ بِشَأنِ هَذَا الْوَصْفِ، وَالْيَهُودُ «سَمَعُونَ لِلْكَذِبِ» بِجَمِيعِ مَعَانِيهِ مِنْ حِثِّ الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْحَقَائِقِ وَالْوَقَائِعِ وَالتَّارِيخِ، وَهَذِهِ صَفَةٌ رَاسِخَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَهُمْ مِنْ أَكَابِرِ الْكَذَّابِينَ وَمِنْ أَسَاذَةِ هَذَا الْفَنِ الْكَثِيفِ.

﴿أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وَصَفَ آخِرَ لِلْيَهُودِ. السُّحْتُ: الْمُحَظُورُ الَّذِي يَلْزِمُ صَاحِبَهُ الْعَارَ كَأَنَّهُ يَسْحِتُ أَيِّ يَسْتَأْصِلُ دِينَهُ وَمَرْوِعَتِهِ. وَالسُّحْتُ فِي الْلُّغَةِ: الْقَشْرُ الَّذِي يَسْتَأْصِلُ، وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا الْمَالُ الْحَرَامُ كَالرَّشْوَةِ وَالْقَهَّارِ وَالسُّرْقَةِ وَالرَّبَا. وَأُجُورُ الْفَوَاجِرِ وَثَمَنُ الْخَمْرِ.

١. سورة الأنعام / ١٢٥ .

٢. سورة يونس / ٩٦ .

٣. تفسير العياشي ٤٨/٢، ح ١١١.

﴿فَ﴾ تفريعة لما سبق من قضية اليهود. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿جَاءُوكَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. في محل جزم لأنّه فعل الشرط.

والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود والمفعولي يرجع إلى الرسول الخاتم ﷺ .

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَحْكُم﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول ﷺ في محل

جزم جواب الشرط.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاد إليه. أي بين اليهود. ﴿أَو﴾ حرف عطف.

﴿أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ معطوفة على «أَحْكُم بَيْنَهُمْ». فالنبي ﷺ مخير بين الحكم

بينهم وتركه، وهذا الاختيار باق لأئمة المسلمين بناءً على المصالح كما هو المروي عن

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُعَرِّضَ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً

لرسول الله ﷺ .

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بـ «تُعَرِّضَ». ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَن﴾ حرف نصب ونفي واستقبال.

﴿يَضُرُّوكَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «لن» وفاعله ومفعول به في محل جزم لأنّه

جواب الشرط.

﴿شَيْءَ﴾ مفعول مطلق. أي ضرراً أي نوع من الضرر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنْ حَكَمْتَ فَاَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ معطوفة على «ولن تُعَرِّضْ عَنْهُمْ». أي:

ولأن اخترت الحكم فإنه ينبغي أن يكون الحكم بينهم بالعدل الذي أمر الله تعالى به لا

بالظلم والبغى.

وبالجملة: إذا كان المتخاصلان غير مسلمين ورجعا إلى الفقيه الذي هو الحاكم الشرعي هو خير بينهما أو عدم الحكم ورفضهما. ولكن إذا حاكم يجب عليه أن يفصل بينهما بحكم الإسلام لا بأحكام دينهم لقوله تعالى: ﴿إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾.

«وإذا كان أحد المتخاصلين مسلماً، والآخر غير مسلم وجب على الحاكم قبول الدعوى والحكم بما أنزل الله بالاتفاق المسلمين»^١.

﴿إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ تعلييل للحكم ﴿بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾.

والحاصل: إن الله «لا يرضي أن يجري بينهم إلا حكمه فإنما أن يجري فيهم ذلك أو يحمل أمرهم فلا يجري من قبله ﷺ حكم آخر»^٢.

الروايات

صححه عمار بن مروان قال: سألت أبا جعفر^{عليه السلام} عن الغلول؟
فقال: كُلُّ شيءٍ غلَّ من الإمام فهو سحتٌ، وأكُلُّ مال اليتيم وشبهه سحتٌ،
والسُّحت أنواعٌ كثيرةٌ: منها أجور الغواجر، وثمن الخمر والبيز المسكر، والربا بعد
البينة، فأمام الرّشا في الحكم، فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله ﷺ»^٣.

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله^{عليه السلام}، قال: السُّحت: ثمن الميته، وثمن الكلب،
وثمن الخمر، ومهر البغي، والرّشوة في الحكم، وأجر الكاهن.^٤

معتبرة أخرى للسكوني عن أبي عبدالله^{عليه السلام}، قال: نهى رسول الله ﷺ عن
كسب الإماء؛ فإنما إن لم تجد زنت، إلا أمة قد عرفت بصنعة يدِها، ونهى عن كسب

١. التفسير الكافش ٥٩/٣

٢. الميزان ٣٤١/٥

٣. الكافي ٦٨٥، ح ١٢٦/٥

٤. الكافي ٦٨٧، ح ١٢٧/٥

الغلام الصَّغِيرُ الَّذِي لَا يَحْسِنُ صِنَاعَةً بِيَدِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ سُرْقَ.١

خبر سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: السُّحْتُ أَنْوَاعٌ كثِيرٌ، منها كسب الحجَّام إذا شارط، وأجر الزَّانِيَة، وثمن الخمر، فَأَمَّا الرُّشَا فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ الْعَظِيمِ.٢

خبر يزيد بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: سأله عن السُّحْتِ؟ فقال: الرُّشَا فِي الْحُكْمِ.٣

خبر القاسم بن الوليد العماري قال: سأله أبا عبد الله عليه السلام عن ثمن الكلب الذي لا يصيد؟

فقال: سُحْتٌ، وَأَمَّا الصَّيْوِدُ فَلَا بِأَسِ.٤

خبر مسمع بن عبد الملك عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: الصُّنَاعَ إِذَا سَهَرُوا اللَّيْلَ كَلَّهُ، فَهُوَ سُحْتٌ.٥

عن جراح المدائني٦، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال: مِنْ أَكْلِ السُّحْتِ: الرَّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ، وَعَنْهُ عَلَيْهِ وَمَهْرُ الْبَغْيِ.٧

عن السَّكُونِيِّ، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أنَّه كان ينهى عن الجوزِ الذي يحيى به الصبيان من القمار أن يُؤْكَلُ، وقال: هو السُّحْتُ.٨

الصدقوق بإسناده عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ قال: هو

١. الكافي ٩/٦٩١، ح ٥/١٢٨.

٢. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٥/١٢٧.

٣. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٤/١٢٧.

٤. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٥/١٢٧.

٥. الكافي ٩/٦٩١، ح ٧/١٢٧.

٦. وفي المصدر المدائني على رسم خط القدماء.

٧. تفسير العياشي ٢/٤٩، ح ١١٤.

٨. تفسير العياشي ٢/٥٠، ح ١١٧.

الرجل يقضي لأنبياء الحاجة ثم يقبل هديته.^١
والروايات الواردة حول «السحت» كثيرة جداً وقد ذكرت عشرين منها في موسوعتي^٢
فراجعها إن شئت.

﴿وَكَيْفَ تُحِكِّمُونَكُمْ وَعِنْدَهُمُ الْتَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَأْتِيَوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ دَلِيلًا وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

تعجب من الله تعالى لرسوله ﷺ من أفعال اليهود وأحوالهم لأنهم قوم لهم كتاب وفيه شريعة وفقه فكيف يرغبون عن فقههم وشرعيتهم ويحضرن على رسول الله ﷺ ويتحاكمون إليه وهم ينكرون نبوته وكتابه وشرعيته ولا يقرّون بها، فإنكار الرسول ﷺ مع التحاكم إليه والبقاء على اليهودية مع ترك شريعتها وفقها تناقضان واضحان يفعلهما اليهود والأية الشريفة أشارت إليهما وكشفت عنهم الغطاء.
﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في ﴿تُحِكِّمُونَكُمْ﴾.

﴿تُحِكِّمُونَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود والمفعولي إلى رسول الله ﷺ. تقرير لليهود وبيان وجه التعجب النبي ﷺ.
﴿وَ﴾ حالية. ﴿عِنْهُمُ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. خبر مقدم.

﴿الْتَّوْرَةُ﴾ مبتدأ مؤخر. على ما يدعون وإلا بحسب ما يحكي التاريخ ضاعت التوراة في أسر البابليون اليهود الموجودة عندهم «هي التي جمعها لهم عزراء بإذن

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٨/٢، ح ١٦.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥/٥٥٢.

«كوروش» ملك إيران بعد ما فتح بابل، وأطرقبني إسرائيل من أسر البابليين وأذن لهم في الرجوع إلى فلسطين وتعمير الهيكل، وهي التي كانت بيدهم في زمن النبي ﷺ، وهي التي بيدهم اليوم»^١.

﴿فِيهَا﴾ جار و مجرور، خبر مقدم. ﴿حُكْمُ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿الَّهُ﴾ مضaf إليه.

والجملة الاسمية ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ في محل نصب حال من ﴿الْتَّوْرَةِ﴾. و ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ باعتقادهم وادعائهم، أو أنّ حكم الواقعه الموجودة في التوراة هو حكم الله الذي لا يتغير ولا يتبدل فيها وهو رجم المحسن أو القصاص في القتل العمد. و «القرآن يصدق أن فيها حكم الله، وهو أيضاً يذكر أن فيها تحريفاً وتغييراً».

ويستتبّج من الجميع: أن التوراة الموجودة الدائرة بينهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصلية النازلة على موسى عليه السلام وأمور حرفت وغيرت إما بزيادة أو نقصان أو تغيير لفظ أو محل أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿يَتَوَلَّنَّ﴾ معطوف على ﴿نُحْكِمُونَ﴾. «التولي هو الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق: الترك له وهو خلاف التولي إليه، لأن الإقبال عليه والتولي له... ومنه تولي الله المؤمنين»^٣.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَتَوَلَّنَّ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة مبني على السكون في محل جر بالاضافة. أي ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ حكم رسول الله ﷺ في واقعهم الموافق لكتابهم التوراة.

١. الميزان / ٥ .٣٤٢

٢. الميزان / ٥ .٣٤٢

٣. التبيان / ٣ .٥٣١

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَا﴾ نافية لا عمل لها على لغةبني تميم، وبمنزلة «ليس» بلغة أهل الحجاز وتسمي «ما» الحجازية.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة مبني على الكسر ﴿أُولَئِ﴾ في محل رفع مبتدأ على لغةبني تميم، واسم ﴿مَا﴾ على لغة أهل الحجاز. اشارة إلى هؤلاء اليهود المذكورين. «والإتيان باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ قصدًا إلى إحضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح، ولبيان العلة بأنّهم تميّزوا عن غيرهم أكمل تمييز حتى انتظموها في سلك المشاهدة^١.

﴿بِ﴾ حرف جر زائد. يدل على التأكيد.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مجروره في محل رفع خبر المبتدأ على اللغة الأولى؛ وفي محل نصب على اللغة الثانية.

«حذف المتعلق يدل على العموم، أي فما هم بالمؤمنين لكتابهم لإعراضهم عنه، ولا بك لأنّهم لم يرتضوا بحكمك الذي وافق ما في التوراة أيضًا^٢.

وبالجملة: «لا غرابة في أن يتولوا عن حكم النبي بعد أن رضوا به حكمًا، وإنما يؤمنون بأهوائهم ورغباتهم... وكل من لا يرضى بالحق وحكمه فما هو من الإيمان الحق في شيء يهودياً كان أو مسلماً. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَسُلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٣؛ ويأتي في الآية الآتية ﴿وَمَنْ لَمْ تَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرُونَ﴾^٤.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٧٥.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٧٥.

٣. سورة النساء / ٦٥.

٤. التفسير الكافش / ٣ / ٦٠.

٥. سورة المائدة / ٤٤ / ٤٤.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشُوْا النَّاسَ وَأَخْشُوْنَ وَلَا تَشْرُوْا بِعَايَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾ ٤٤

الآية الشريفة: «بمنزلة التعليل لما ذكر في الآية السابقة، وهي وما بعدها من الآيات تبيّن أنّ الله سبحانه شرع لهذه الأمم على اختلاف عهودهم شرائع، وأودعها في كتب أنزلها إليهم ليهتدوا بها ويتبصروا بسيبها، ويرجعوا إليها فيما اختلفوا فيه، وأمر الأنبياء والعلماء منهم أن يحكموا بها، ويتحفظوا عليها ويقوواها من التغيير والتحريف، ولا يطلبوا في الحكم ثمناً ليس إلّا قليلاً، ولا يخافوا فيها إلّا الله سبحانه ولا يخشوا غيره.

وأكّد ذلك عليهم وحدّرهم اتباع الهوى، وتفتین أبناء الدنيا، وإنما شرع من الأحكام مختلفاً باختلاف الأمم والأزمان ليتم الامتحان الإلهي فإنّ استعداد الأزمان مختلف بمرور الدهور، ولا يستكمل المختلفان في الاستعداد شدّة وضعفاً بمكمل واحد من التربية العلمية والعملية على وتيرة واحدة»^١.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. **﴿أَنْزَلْنَا﴾** فعل ماضٍ وفاعله.

﴿الْتَّوْرَةَ﴾ مفعول به. والجملة الفعلية **﴿أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ﴾** خبر **﴿إِنَّا﴾**. تدلّ على أنّ

التوراة الواقعية هي منزلة على النبي موسى عليه السلام وتعدّ من الكتب السماوية.

﴿فيهَا﴾ جار و مجرر و، خبر مقدم.

﴿هُدًى﴾ مبتدأ مؤخر، مرفوع بالضمة المقدرة على آخره - الألف المقصورة -

للتعذر. أي **﴿فِيهَا﴾** شيءٌ من الهدایة يهتدي بها.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نُور﴾ معطوف على **﴿هُدًى﴾**. أي و **﴿فِيهَا﴾** شيءٌ من النور يستضي به بنی إسرائیل في المعارف والأحكام على حسب أحواهم واستعدادهم.
«وقد بین الله سبحانه في كتابه عامة أخلاقهم، وخصوصيات أحوال شعبيهم وبلغ فهمهم، فلم ينزل إليهم من الهدایة إلا بعضها ومن النور إلا بعضه لسبق عهدهم وقدمة أمتهم، وقلة استعدادهم، قال تعالى: **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾** ١».

نعم، «كل كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه فهو نور يهدي إلى الحق والخير، والتوراة كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام فهو هدى ونور... أما توراة اليوم فليست من الله في شيء، لأنها أبعد ما تكون عن الهدى والنور، والحق والخير... إن تعاليمها تقوم على التفرقة العنصرية، فتجعل اليهود شعب الله المختار، يباح لهم غزو الشعوب الأخرى، وقتل رجالها، وذبح نسائها وأطفالها، ونهب أموالها، واحتلال ديارها»^٤.

﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع، حال من **﴿الْتَّوْرَةَ﴾**
﴿إِهَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ **﴿تَحْكُمُ﴾**.

﴿النَّبِيُّونَ﴾ فاعل **﴿تَحْكُمُ﴾**. وهم النبي موسى عليه السلام والأنبياء الذين جاءوا بهده كداود وسلیمان وزکريا ویحيی عليه السلام.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت للموصوف **﴿النَّبِيُّونَ﴾**.

١. سورة الأعراف / ١٤٥ .

٢. الميزان / ٥ / ٣٤٣ .

٣. انظر فقرة ١٣ و ١٤ من اصلاح ٢٠ سفر التشنية.

٤. التفسير الكاشف / ٣ / ٦١ .

﴿أَسْلَمُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي ﴿أَسْلَمُوا﴾ أنفسهم لله، «إِنَّمَا وصف النبئين بالإسلام وهو التسليم لله، الذي هو الدين عند الله سبحانه للإشارة إلى أن الدين واحد، وهو الإسلام لله وعدم الاستنكاف عن عبادته، وليس لؤمن بالله - وهو مسلم له - أن يستكبر عن قبول شيء من أحكامه وشرائعه»^١.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَحْكُمُ﴾.

﴿هَادُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. يعني أنبياء الله ﴿أَسْلَمُوا﴾ أنفسهم لله وحكموا لليهود بحكم الله الوارد في التوراة.
 (و) عاطفة.

﴿الرَّبَّيْنِيُونَ﴾ معطوف على ﴿النَّبِيُوتَ﴾. جمع رباني نسبة إلى الرب، أي الذي يرضي الرب بآقواله وأفعاله.
 (و) عاطفة.

﴿الْأَحْبَارُ﴾ معطوف على ﴿النَّبِيُوتَ﴾. جمع حَبْر وهو العالم الخبير المتطلع في علمه.

(ب) حرف جر. (مَا) اسم موصول في محل جر، متعلق بـ ﴿تَحْكُمُ﴾.

﴿أَسْتَحْفِظُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. أي إنهم كانوا يحكمون ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ لهم من أحكام الله الواردة في التوراة.
 (من) حرف جر، بياني.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ مجروره ومضاف إليه. جار و مجرور متعلق بحال ممحوظة من ﴿مَا﴾، تقديره: حال كونه ﴿مِن كَتَبِ اللَّهِ﴾.
 (و) حالية، والجملة بعدها حال.

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمها يرجع إلى ﴿الرَّبَّيْنِيُونَ وَالْأَحْبَارُ﴾.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق بخبر كان. والضمير يرجع إلى ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾.

﴿شُهَدَاء﴾ خبر «كان». أي أتمهم ﴿شُهَدَاء﴾ على ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ بأنّ ﴿مَا أَسْتُحْفِظُوا﴾

لهم يعدّ من ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿فَ﴾ تفريغية، تفريغ على ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ تَحْكُمُ بِهَا﴾ أو على

﴿بِمَا أَسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾.

﴿لَا تَخْشُوا﴾ فعل نهي، خطاباً لجامعة خاصة من اليهود وهم ﴿الرَّبَّنِيُّونَ

وآلَّا حَبَائِر﴾.

﴿النَّاسَ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿أَحْشَوْنَ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به وهو ضمير «ي» حذف

اختصاراً والكسرة «ن» تدلّ عليه.

والوجه في النهي عن خشية الناس والأمر بخشية الله تعالى هو أنَّ مَنْ عَرَفَ

حُكْمَ الله لا يخالفه إلَّا ١ - إما فخوفاً من الناس وأرباب الحكم من زوال قدرته ومنصبه

و....

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَشْرُكُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَخْشُوا﴾.

﴿بِغَایْتِي﴾ جار و مجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿لَا تَشْرُكُوا﴾.

﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به.

﴿قَلِيلًا﴾ نعته. ٢ - وإنما فطمها في المال أو الجاه أو القدرة ونحوها.

فنهى الله تعالى عنهم.

﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿لَمْ تَحْكُم﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَم﴾، فعل الشرط في محلّ جزم، أي لم

يقض ولم يفت.

﴿بِمَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يَحْكُمْ﴾.

﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في كتابه.

﴿فَ﴾ واقعة في حواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها حواب الشرط في محل جزم.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ. ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثان.

﴿الْكَافِرُونَ﴾ خبر ﴿هُمُ﴾ . و ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ خبر ﴿أُولَئِكَ﴾ .

والجملة الأخيرة عامة تشمل علماء اليهود وغيرهم فمن لم يقض ولم يفت بها ورد في كتاب الله خوفاً من أحد أو طمعاً في شيء فهو كافر بالله العزيز، أعادنا الله منه.

الروايات

صحيحية أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من حكم في درهمين بغیر ما أنزل الله به فهو كافر بالله العظيم.^١
رواه العياشي في تفسيره^٢.

خبر عبد الله بن مسakan رفعه، قال: قال رسول الله عليه السلام : مَنْ حَكِمَ فِي دَرْهَمَيْنَ بِحَكْمٍ جُوَرٍ ثُمَّ جَرَ عَلَيْهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

فقلت: وكيف يجر عليه؟

فقال: يكون له سوط و سجن، فيحكم عليه، فإن رضي بحكمته، وإنما ضربه بسوطه، وحبسه في سجنه.^٣

١. الكافي / ١٤ ، ٦٤٠ ، ح ٢ (٤٠٨/٧).

٢. تفسير العياشي / ٢ ، ٥١ ، ح ١٢٣.

٣. الكافي / ١٤ ، ٦٤١ ، ح ٣ (٤٠٨/٧).

رواها العیاشی فی تفسیره ^١ والشیخ فی التهدیب ^٢.

عن أبي بصیر، عن أبي عبدالله ع، قال: من حکم في درْهَمِين بغير ما أنزل الله
فقد كفر، ومن حکم في درْهَمِين فأخطأ كفر. ^٣

عن أبي بصیر، عن أبي جعفر ع، قال: قال عليّ ع: من قضى في درْهَمِين بغير
ما أنزل الله، فقد كفر. ^٤

عن مالک الجھنّمی، قال: قال أبو جعفر ع: «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ»
إلى قوله: «بِمَا آسْتَحْفَطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»، قال فینا نزلت. ^٥

عن أبي عمرو الزبیری، عن أبي عبدالله ع: أنَّ مَا اسْتَحْقَقَتْ به الإمامة:
التطهیر، والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثم العلم المنور.
بحجیع ما تحتاج إلیه الأُمّة من حلّها وحرامها، والعلم بكتابها خاصة وعامة،
والمحکم والمتّشابه، ودقائق علمه، وغرائب تأویله، وناسخه ومنسوخه.

قلت: وما الحجّة بأنَّ الإمام لا يكون إلا عالماً بهذه الأشياء الذي ذكرت؟

قال: قول الله في من أذن الله لهم في الحكم وجعلهم أهلها: «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْبَیْتُوْتَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِیُّونَ وَالْأَحْبَارُ» فهذه
الأئمّة دون الأنبياء الذين يرثون ^٦ الناس بعلمهم، وأماماً الأخبار فهم العلماء دون
الربّانیّین، ثم أخبر فقال: «بِمَا آسْتَحْفَطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء» ولم يقل

١. تفسیر العیاشی ٢/٥١، ح ١٢١.

٢. التهدیب ٦/٢٢١، ح ٥٢٤.

٣. تفسیر العیاشی ٢/٥١، ح ١٢٢.

٤. تفسیر العیاشی ٢/٥٢، ح ١٢٥.

٥. تفسیر العیاشی ٢/٥٠، ح ١١٩.

٦. وفي نسخة وبحار الأنوار ٢٥/١٤٩، ح ٢٤: «يربون».

بها حملوا منه.^١

﴿وَكَبَّنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ
وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَتَحَكَّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٤)

«بيان بعض ما فرضه الله تعالى في التوراة قد بقيت هذه الكتابة عليهم وقررتها الشرائع الإلهية الأخرى، وكانت خاتمتها الشريعة الإسلامية التي جعلت هذا الفرض قانوناً إلهياً بأبهى صورة وأبلغ تعبير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَتَأْوِلُ
إِلَيْهَا﴾^٢، وقد اعتبر أحسن تشريع في هذا الموضوع، حيث اهتمّ بجميع الجوانب المرتبطة به»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا آلَّتَوْرَةَ» في صدر الآية السابقة.

﴿كَتَبَنَا﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى «كَتَبَنَا» أي فرضنا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ «كَتَبَنَا»، والضمير يرجع إلى اليهود.

﴿فِيهَا﴾ كسابقيه، والضمير يرجع إلى التوراة.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿النَّفْسَ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿بِالنَّفْسِ﴾ جار و مجرور خبر ﴿أَنَّ﴾. و «الباء» للمقابلة وهي هنا إنما وقعت بين

١. تفسير العياشي ٢/٥٠، ح ١٢٤.

٢. سورة البقرة ١٧٩.

٣. مواهب الرحمن ١١/٢٨٠.

المقتضى له والمقتضى به والمراد به أن النفس تعادل النفس في باب القصاص، بلا فرق بين الملك والرعية والرئيس والرئوس، وبلا فرق بين الغني والفقير، والعالم والجاهل، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى، والكبير والصغير، والشيخ والشاب.

والقصاص قانون إلهي ثابت في الشرائع الماضية والشريعة المقدسة الإسلامية لو يعمل به في جميع المراتب والطبقات والأزمنة والأمكنة يقف حام الدم الذي يجري في أنحاء العالم لا سيما في قارتنا القديمة وببلادنا الإسلامية العزيزة.

وهذا القانون متكامل متراقب ويحتاج البشرية به لأجل الحفاظ على دم الإنسانية النظيفة المحترمة.

ولكن مع الأسف لا يجري هذا القانون المتكامل إلا في حق الطبقات الضعيفة فلا يشعر.

ومن أعجب العجائب المهجوم على هذا القانون المترقي حتى ممّن يزعمون أنّهم يدافعون عن الحقوق الإنسانية والبشرية، ولا يكون هذا المهجوم إلا لأجل عدم إجرائه الكامل الصحيح، وإلى الله المستكفي وهو المستعان.

﴿وَالْعِينَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَ بِالسِّنِ﴾ الأسماء معطوفة بواوات العطف على ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾. وهذا بيان حكم القصاص في الجنائيات التي وقعت على الأعضاء من القطع وغيره، وـ«أن كل واحدة من الجوارح المذكورة تعادل بما ياثلها في باب القصاص، فالعين تفتقاً بالعين، والأنف يجتمع بالأنف، والأذن تصلم بالأذن، والسن تقطع بالسن» إذا قلعت. وقد ذكر العلماء في إعراب هذه الجملة وجوهاً، والحق أنها جمل تامة تفيد معنى تاماً لا يحتاج إلى التقدير أو التأويل^١.

﴿وَالْجُرُوحَ﴾ معطوفة بواو العطف على ﴿النَّفْسَ﴾، اسم ﴿أَنَّ﴾ قبلها ﴿قِصَاص﴾

١. مواهب الرحمن ١١/٢٨١.

خبر (أَنَّ)، أي القصاص ثابت في الجرح أيضاً.

«وبالجملة: إِنْ كُلًاً من النفس واعضاء الإنسان مقتضٌ بمثله»^١.

(فَ) تفريغية على حكم القصاص، وما بعدها «بيان لاختيار المجنى عليه أو وليه في إعمال حقه أو العفو عنه، وقدم الثاني ترغيباً إلى العفو وحثاً على الصدقة»^٢.

(مَنْ) اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجزائه خبره.

(تَصَدَّقَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». في محل جزم لأنّه فعل الشرط. أي (فَمَنْ) عفى^٣ من أولياء القصاص.

(بِهِ) جار ومحور متعلق بـ (تَصَدَّقَ). أي بما يملكه من القصاص.

(فَ) واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.

(هُوَ) مبتدأ. (كَفَارَةً) خبر.

(لَهُ) جار ومحور متعلق بـ (كَفَارَةً). أي العفو كفاراة لذنوب المتصدق والمجنى عليه لا الجاني والمتصدق عليه.

(وَ) عاطفة.

«مَنْ لَمْ تَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» اعربت في الآية السابقة.

والجملة معطوفة على (مَنْ تَصَدَّقَ)، ومعناه: «وإِنْ لم يتصدق فليحكم بما أنزل الله فإنْ (مَنْ لَمْ تَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^٤.

وهذا البيان من قبيل وضع العلة موضع معلوها.

«وَإِنَّمَا ذَكَرَ بَعْدَهُ: (هُمُ الظَّالِمُونَ)، وفي السابق: (هُمُ الْكَافِرُونَ)، لأنَّ الآية الأولى

١. الميزان / ٥ / ٣٤٤.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٢٨١.

٣. كما في تفسير القرمي / ١ / ٢٤٩.

٤. الميزان / ٥ / ٣٤٥.

وردت لبيان عدم تصديقهم بما أنزله الله تعالى، وهو يستلزم الكفر، وفي المقام إنما كان إعراضًا في التطبيق على الوجه الذي أنزله الله اتباعاً للهوى بعد التصديق به، فكان ظلماً وذنباً كبيراً^١.

الروايات

صحيحية الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأله عن قول الله عز وجل: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةً لَهُ»^٢? فقال: يُكَفِّرُ عنه من ذنبه بقدر ما عفا، الحديث.^٣ رواها في الفقيه.

عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً^{صلوات الله عليه} بِخَمْسَةِ أَسِيافٍ، سيفٌ مِّنْهَا مَغْمُودٌ سَلَّهُ إِلَى غَيْرِنَا وَحُكْمُهُ إِلَيْنَا، فَأَمَّا السيفُ الْمَغْمُودُ فَهُوَ الَّذِي يُقَامُ بِهِ الْقِصَاصُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَجْهَهُ: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ» الْآيَةُ، فَسَلَّهُ إِلَى أُولَئِكَ الْمُقْتُولِينَ، وَحُكْمُهُ إِلَيْنَا.^٤

رواهَا الشِّيخُ بِسْنَدِهِ الْمُعْتَدِلِ عَنْ حَفْصَ بْنِ غَيَاثٍ.^٥

صحيحية زرارة عن أحد همَا عليهما السلام في قول الله عز وجل: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفُ بِالْأَنفِ» الآية قال هي: محكمة.^٦

١. مواهب الرحمن / ١١، ٢٨٢.

٢. الكافي / ١٤، ٥٠٣، ح ١ (٣٥٨/٧).

٣. الفقيه / ٤، ١٠٨، ح ٥٢٠٧.

٤. تفسير العياشي / ٢، ٥٣، ح ١٢٩.

٥. وهو من العامة.

٦. التهذيب / ٦، ١٣٧، ح ١.

٧. التهذيب / ١٠، ١٨٣، ح ١٥.

﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ إِاثَرِهِمْ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمْ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِاتَّيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًىٰ

﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾



تبين بعثة النبي عيسى عليه السلام بعد الأنبياء الذين كانوا يحكمون بالتوراة وتصديقه للتوراة بأفعاله وأقواله، مع خالفته في بعض أحكام التوراة ولكن شريعته هو شريعة التوراة إلا ما خالف فيها ونقضها وهو قليل.

﴿وَهُوَ عَاطِفٌ، وَمَا بَعْدَهَا عَطْفٌ عَلَىٰ إِنَّا أَنْزَلْنَا آلَّتَوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ﴾ .١

﴿قَفَيْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعلٍ. أي أتبعنا. مادة «قفي» تدل على الاتباع.

﴿عَلَىٰ إِاثَرِهِمْ﴾ جار ومحروم و مضافٍ إليه. والضمير يعود إلى «الأنبياء»، والآثار جمع الأثر وهو ما يحصل من الشيء مما يدلّ عليه، وغلب استعمالها في الشكل الحاصل من القدم ممّن يمشي على الأرض.

﴿بِعِيسَىٰ﴾ جار ومحروم متعلقٌ بـ ﴿قَفَيْنَا﴾. ﴿ابْنِ﴾ بدلٌ من ﴿بِعِيسَىٰ﴾.

﴿مَرْيَمَ﴾ مضادٍ إليه. من نوع من الصرف للعلمية والتأنيث مع العجمة.

إلى هنا «استعارة بالكلنائية أريد بها الدلالة على أنه سلك به عليه المسار الذي سلكه من قبله من الأنبياء، وهو طريق الدعوة إلى التوحيد والإسلام لله» .٢

﴿مُصَدِّقاً﴾ حالٌ من ﴿بِعِيسَىٰ﴾، أي إنه عليه يصدق ويوافق.

﴿مَّا﴾ موصولةٌ في محل جرٍ، يتعلّقان بـ ﴿مُصَدِّقاً﴾ .

١. سورة المائدة / ٤٤ .

٢. الميزان / ٥ . ٣٤٥

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان، متعلق بفعل مذوف نحو: وجد.

﴿يَدِيهِ﴾ مضارف إليه ومضاف إليه ثان. أي ﴿لِمَا﴾ وجد ﴿بَيْنَ يَدِيهِ﴾. و ﴿لِمَا﴾ حضر عنده.

﴿مِنَ الْتَّوْرَةِ﴾ جار ومحروم متعلق بحال مذوفة من ﴿مَا﴾ وتقديره: حال كونه ﴿من التوراة﴾. وأشار إلى أن دعوة عيسى عليه السلام هي دعوة موسى عليه السلام من دون فرق.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَتَيْتَهُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. معطوفة على ﴿قَفَّيْنَا﴾. أي أعطينا عيسى بن مریم عليهما السلام.

﴿الْإِنجِيل﴾ مفعول به ثان. وهو كتاب السماوي.

﴿فِيهِ﴾ جار ومحروم في محل رفع خبر مقدم. وفي الكتاب السماوي الأصلي لا المحرّف.

﴿هُدَى﴾ مبتدأ مؤخر، مرفوع بالضمة المقدرة للتعذر على الألف المقصورة. أي قسم من المهدى. والجملة ﴿فِيهِ هُدَى﴾ حال من ﴿الْإِنجِيل﴾.

﴿نُور﴾ معطوف على ﴿هُدَى﴾، أي قسم من النور.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ﴾ عطف على ﴿مُصَدِّقاً﴾ الأولى في الآية أو عطف على الجملة الحالية ﴿فِيهِ هُدَى﴾ لأنّ ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال مثلها، أي الإنجيل يكون مصدقاً للتوراة كما كان عيسى عليه السلام مصدقاً له.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُدَى﴾ حال آخر لـ ﴿الْإِنجِيل﴾. وحال جميع الكتب السماوية الأصلية هي المداية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَوْعِظَةً﴾ حال ثالث لـ ﴿الْإِنجِيل﴾ لأنّ أكثره مواعظ وإرشادات، أو عطف تفسيريٌّ لقوله: ﴿هُدَى﴾.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿مَوْعِظَةً﴾.

«تسأل: إنّ الله سبحانه وصف الإنجيل الذي أنزله على عيسى بالهدى والنور، ثمّ وصفه ثانية بالهدى والموعظة للمتقين فما هو الوجه لتكرار وصفه بالهدى في آية واحدة؟

الجواب: إنّ الهدى الأول جاء وصفاً لطبيعة الإنجيل من حيث هو بقطع النظر عن العمل به، والهدى الثاني جاء وصفاً له من حيث العمل به، أي إنّ هذا الذي في الإنجيل إنما يتتفع به ويتعظ بمواعظه المتقون، فهو تماماً كقولك: إنما يتتفع بالنور ذرو والأبصار، قال الإمام علي عليه السلام: «رب عالم قتل جهله وعلمه معه لا ينفعه». لأنّه لم يعمل بعلمه، ونكرر القول: إنّ المراد بالإنجيل في الآية الإنجيل الذي ينزع الله عن الولد والصاحبة، وينفي الربوبية عن عيسى عليه السلام ويسخر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم». ١.

ويعارة أخرى: «أنّ قوله تعالى في وصف الإنجيل: ﴿فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ﴾ محادة لقوله في وصف التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ﴾ يراد به ما يستتمل عليه الكتاب من المعارف والأحكام غير أنّ قوله تعالى في هذه الآية ثانياً: ﴿وَهُدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يدلّ على أنّ الهدى المذكور أولاً غير الهدى الذي تفسيره الموعظة فالهدى المذكور أولاً هو نوع المعارف التي يحصل بها الاهتمام في باب الاعتقادات، وأماماً ما يهدي من المعارف إلى التقوى في الدين فهو الذي يراد بالهدى المذكور ثانياً.

وعلى هذا لا يبقى لقوله: ﴿وَنُورٌ﴾ من المصادق إلا الأحكام والشرع، والتدبّر ربّما ساعد على ذلك فإنّها أمور يستضاء بها ويسلك في ضوئها وتنورها مسلك الحياة،

وقد قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَنَنَّهُ وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي الْأَنَاسِ﴾^١. وقد ظهر بذلك: أن المراد بالهدى في وصف التوراة وفي وصف الإنجيل أوّلًا هو نوع المعرف الإعتقادية كالتوحيد والمعاد، وبالنور في الموضعين نوع الشرائع والأحكام، وبالهدى ثانياً في وصف الإنجيل هو نوع الموعظ والنصائح، والله أعلم. وظهر أيضاً وجه تكرار الهدى في الآية فالمى المذكور ثانياً غير الهدى المذكور أوّلًا وأن قوله ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ من قبيل عطف التفسير والله أعلم. وأن قوله ثانياً في وصف الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ﴾ ليس من قبيل التكرار لتأكيد ونحوه بل المراد به تبعية الإنجيل لشريعة التوراة فلم يكن في الإنجيل إلّا الأمضاء لشريعة التوراة والدعوة إليها إلّا ما استثناه عيسى المسيح على ما حكاه الله تعالى من قوله: ﴿وَلَا جِلَالَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ﴾^٢. والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية الآتية في وصف القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ﴾^٣.^٤.

﴿وَلِيَحُكُمَ أَهْلُ الْإِنْحِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ تَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِّقُونَ﴾



أمر الله سبحانه كل من يدين بادين أو يؤمن بكتاب من الكتب السماوية أن يعمل به ويلتزم نفسه بأحكامه والحكم والقضاوة على طبقة.

١. سورة الأنعام / ١٢٢ .

٢. سورة آل عمران / ٥٠ .

٣. سورة المائدة / ٤٨ .

٤. الميزان / ٥ ٣٤٦ و ٣٤٧ .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَمْ﴾ لام الأمر.

﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ الأمر. ﴿أَهُلُّ﴾ فاعله.

﴿الْإِنْجِيلِ﴾ مضاد إليه. و ﴿أَهُلُّ الْإِنْجِيلِ﴾ هم النصارى.

﴿بِمَا﴾ حرف جر واسم موصول مجروره. متعلق بـ﴿لَيَحْكُمُ﴾.

﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿الَّهُ﴾ فاعله.

﴿فِيهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ﴿أَنْزَلَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْإِنْجِيلِ﴾.

أي لابد للنصارى أن يحكمون ويقضون بكتابهم السماوي الإنجيل ويلتزمون بأحكامه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ لَمْ تَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ﴾ تشديد في الأمر وتأكيد في الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

روایتان

حسنة أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبدالله عليهما السلام إذ دخلت علينا أم خالد
- التي كان قطعها يوسف بن عمر - تستاذن عليه.

فقال أبو عبدالله عليهما السلام: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم.

قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه على الطنفسة.

قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأة بلغة، فسألتها عنهم، فقال: لها: توَلَّهُمَا؟

قالت: فأقول لربّي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم.

قالت: فإن هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهم، وكثير النساء

يأمرني بولايتهما، فأيهما خير وأحب إليك؟

١. وهو ضعيف.

قال: هذا والله أحب إلى من كثيرون النّوّاء وأصحابه، إنّ هذا يخاصم فيقول: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ»^١، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^٢، «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ»^٣.

عن أبي جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحد هم عليهم السلام ، قال: قد فرض الله في الحُمس نصيباً لآل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبيهم حسداً وعداوةً، وقد قال الله: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ» و كان أبو بكر أول من منع آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه حقّهم، وظلمهم، وحمل الناس على رقاهم، ولما قُضي أبو بكر استخلف عمر على غير شوري من المسلمين، ولا رضا من آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فعاش عمر بذلك لم يُعطِ آل محمد حقّهم، وصنع ما صنع أبو بكر.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَزَّعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ حَلْعَنَا مِنْكُمْ شَرِعَةٌ وَمِنْهَا حَاجَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنَ لَّيَبْلُوْكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ فَاسْتَقِوْا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَيِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ ٤٨

«بعد ما بين الله تعالى شأن التوراة والإنجيل وأئمّها كتاب هدى ونور، وقد حتم على بني إسرائيل الحكم بما أنزل فيها وإقامتها، وشدد عليهم من ترك الحكم بهما،

-
١. سورة المائدة / ٤٤ .
 ٢. سورة المائدة / ٤٥ .
 ٣. الكافي / ١٥ ، ح ٧١ ، ٢٤٧ ، ح ١٠١ / ٨ .
 ٤. تفسير العياشي / ٢ ، ٥٣ ، ح ١٣١ .

واعتبر ذلك كفراً وظلماً وفسقاً، يذكر تعالى في هذه الآيات شأن القرآن العظيم ومكانته العظيمة بين الكتب الإلهية، فهو المهيمن عليهما، وأمر نبيه الكريم ﷺ بإقامته والحكم بها أُنزل فيه، والإعراض عن صدّ عن الحقّ، ثمّ يَبْيَنْ سبحانه الحكمة في تعدد الشرائع والمناهج، واعتبرها مقدمات لهذا الدين الذي هو المقصود والنتيجة لها، فكان آخر الأديان الإلهية، وأمر رسوله العظيم بالاستقامة والإعراض عن الكافرين، وحذّرهم من الصدّ عن إقامة الحقّ واتّباع حكم الجاهلية، فإنه سيجازيهما بأعمالهم في الدنيا وسيصيّبهم عذاب الآخرة بما كسبت أيديهم^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله: «أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ»^٢.

﴿أَنْزَلْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾. خطاب للنبي الخاتم ﷺ.

﴿الْكِتَبَ﴾ مفعول به. يعني: القرآن الكريم و «ال» للتعظيم والبعد. وبيان بأنّه الفرد الكامل الحقيق بأنّ يسمّى كتاباً على الإطلاق فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه لفظ الكتاب.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار و مجرور متعلق بحال من ﴿الْكِتَبَ﴾. أي متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾. تأكيد بأن ﴿الْكِتَبَ﴾ حق و ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^٣.

﴿مُصَدِّقاً﴾ حال من ﴿الْكِتَبَ﴾. ﴿لَّا﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر. جار و مجرور متعلق باسم فاعل ﴿مُصَدِّقاً﴾.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان. متعلق بفعل مذوق تقديره: وجد أو استقر.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٠٤.

٢. سورة المائدة / ٤٤.

٣. سورة فصلت / ٤٢.

﴿يَدِيهِ﴾ مضارف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير يرجع إلى ﴿الْكِتَبِ﴾.

﴿مِنَ الْكِتَبِ﴾ جار و مجرور متعلق بحال محدوفة من ﴿مَا﴾ الموصولة. و

﴿مِن﴾ بياني و ﴿ال﴾ للجنس، أي: القرآن الكريم مصدق للكتب الإلهية السماوية السابقة الأصلية. و تصديق الكتب يلزم تصديق أنبياء الذين يأتون بها بالمال.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُهَمِّمِنَا﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾. أي رقيباً، وما دة «هيمن» تدلّ السلطة على شيء في حفظه و مراقبته وأنواع التصرف فيه؛ والمراد به هنا تسلط القرآن على الكتب الإلهية السابقة من التقرير والتبديل والتكميل والتقييد والتخصيص والنسخ.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار و مجرور متعلق باسم الفاعل والضمير يرجع إلى ﴿الْكِتَبِ﴾

الثاني.

﴿فَ﴾ تفريغية.

﴿أَحْكُمُ﴾ فعل أمر و فاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم ﷺ. أي إذا كان كتابك الحق ﴿وَمُهَمِّمِنَا﴾ على الكتب السابقة و مسلطاً عليها فلا بد أن تحكم أنت - صاحب القرآن - بين الناس بما فيهم أهل الكتاب.

﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف مكان ومضاف إليه، والضمير يرجع إلى الناس وفيهم أهل الكتاب.

﴿بِمَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَحْكُمُ﴾. ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض.

﴿الَّهُ﴾ فاعله. ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ نافية جازمة.

﴿تَتَّبَعُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ نافية و فاعله ضمير مستتر «أنت». «ونهي المعصوم ﷺ» عن اتّباع الأهواء إما لأجل تعليم الغير، أو لأنّ النهي لِمَنْ لا يتصرّر منه و قوع المنهي عنه جائز لا إشكال فيه^١.

﴿عَمَّا﴾ جار ومحروم - «عن» حرف جر و «ما» موصولة - متعلق بـ ﴿لَا تَتَّبِعُ﴾.

﴿جَاءَكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿جَاءَكَ﴾.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾، ﴿لِكُلِّ﴾ نبِيٌّ شريعةٌ وطريقٌ^١.

﴿جَعَلْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، والمراد بالجعل هنا الجعل التشعيعي.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿شِرْعَةً﴾ مفعول به. «الشرعية والشريعة واحد وهي الطريقة الظاهرة.

والشريعة هي الطريق الذي يوصل منه إلى الماء الذي فيه الحياة فقيل الشريعة في الدين أي الطريق الذي يوصل منه إلى الحياة في النعيم، وهي الأمور التي تعبد الله تعالى بها»^٢

والأصل فيه الظهور.^٣

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنْهَا جَأَ﴾ معطوف على ﴿شِرْعَةً﴾. المنهاج: الطريق المستمر الواضح. «بيان الحقيقة من الحقائق الاجتماعية». وأساس هذه الحقيقة هو اختلاف استعداد أفراد الإنسان ولزياتهم، فإنَّ الله تعالى لم يخلقهم شرعاً سواء في القابلية والاستعداد والملكات، والأية الشريفة بمنزلة التعليل لما ورد قبلها من الأمر والنهي، وفيها التأكيد على متابعة الرسول ﷺ والانقياد لحكمه بما أنزل الله تعالى، لأنَّ السابق وإن كان منهاجاً وشريعة، إلا أنَّ الذي كلفوا به هو ما جاء به الرسول الأعظم، فإنه الحق دون غيره مما نسخته هذه الشريعة التي هي أكمل الشرائع وأتمتها وأجمعها، ولا وجه لأخذ

١. تفسير القرني ٢٤٩ / ١.

٢. التبيان ٥٤٤ / ٣.

٣. التبيان ٥٤٤ / ٣.

الناقص، ولا سيما أنَّ الإنسان لم يبق على واحدة، فهو في طريق الاستكمال والترقي^١. «والمعنى: جعلنا لكلَّ أُمَّةٍ من الناس شريعة ومنهاجاً لا يمكن أن تتخطاها، والاختلاف وإن كان في الفروع والأحكام العملية، ولكن الشرائع كلُّها اتفقت على أصل الدين وجوهره، وهو المبدأ والمعاد، أي توحيد الله تعالى والدعوة إليه وتسليم الوجه له، والأنبياء منها اختلقو في الأحكام الفرعية، إلَّا أنَّهم اتفقوا في ذلك، والآية لا تدلُّ على بطلان شرع مَنْ قبلنا، كما زعمه بعض المفسِّرين، فإنَّها ليست في مقام بيان هذه الجهة، فقد تتحد الشرائع في كثير من الأمور، وإنَّما تختلف فيما يرجع إلى استعداد البشر وحال الاجتماع والظروف التي تحيط بكلِّ أُمَّةٍ، وقد تبادلت الشرائع فيما بينها واحتللت في الأخذ والعطاء، فأخذت شريعة خاتم الأنبياء ﷺ اللَّهُ أَكْبَرَ شريعة الخinيفيَّة التي جاءَ إبراهيم عليه السلام، وأقرَّت كثيرةً من الأحكام التي نزلت في بقية الشرائع الإلهيَّة، فإنَّ طريق الهدى واحدة، وإنَّما اختلفت المسالك إليها»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم. ﴿شَاءَ﴾ فعل ماض.

﴿أَلَّهُ﴾ فاعله. ﴿إِذْ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿جَعَلَكُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أول. والمراد من الجعل هنا الجعل التكويني.

﴿أُمَّةً﴾ مفعولٌ به ثانٍ. ﴿وَاحِدَةً﴾ نعت.

«بيان للسبب في اختلاف الشرائع، أي ولو شاء تعالى أن يجعلكم أهلاً الناس أُمَّةً واحدة بأن يخلقكم مع استعداد واحد لا اختلاف في القابليات، فتتحد جميع الشرائع والمناهج، فيكون المراد من الجعل هو الجعل التكويني، بمعنى خلقهم على مستوى واحد من الاستعداد والتهيؤ والقابلية، لا أن يكون المراد منه النوعية الواحدة، فإنَّ

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٠٧ و ٣٠٨.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٣٠٩ و ٣١٠.

الناس أفراد نوع واحد، أي لم يخلقهم كسائر أنواع الخلق يقفون عند استعداد واحد، بل اختلفت العطايا الإلهية والفيوضات الربانية لأفراد هذا النوع، فجعلهم على تفاوت كبير في القابلية والإستعداد، فاقتضى ذلك أن تختلف الشرائع والمناهج، لتنتمي سعادتهم وتكون سلماً لارتفاعاتهم درجات الرقي والكمال، والأمم التي اختلفت الشرائع فيها قد ذكرها ~~هذا~~ في قوله تعالى: «شَرَعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ»^١.

﴿وَ﴾ شرطية، وما قبلها « من قبيل وضع علة الشرط موضع الشرط ليتضخ باستحضارها معنى الجزء أعني قوله»^٢.

﴿لَكِن﴾ حرف استدراك، لا عمل له. ﴿إِن﴾ حرف تعلييل.

﴿يَبْلُوْكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿إِن﴾ تعلييل وفاعله ضمير مستتر «هو» و مفعول به. أي: ليتحنكم.

«أن» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر في محل جز بـ ﴿إِن﴾ وجار ومحرور متعلق بفعل محنوف نحو: أراد «باءكم».

﴿فِي مَا﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿يَبْلُو﴾.

﴿أَتَنْكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي: أعطاكم وأنعم عليكم.

وبالجملة: الأحكام الشرعية في جميع الأديان الإلهية ليست إلا امتحاناً إلهياً للإنسان في مختلف مواقف حياته.

و «لما كانت العطايا الإلهية لنوع الإنسان من الاستعداد والتهيؤ مختلفة

١. سورة الشورى / ١٣.

٢. مواهب الرحمن / ١١٠.

٣. الميزان / ٥٣٥٢.

باختلاف الأزمان، وكانت الشريعة والسنّة الإلهية الواجب اجراؤها بينهم لتنمية سعادتهم وهي الامتحانات الإلهية تختلف لا محالة باختلاف مراتب الاستعدادات وتنوعها أتت ذلك لزوم اختلاف الشرائع، ولذلك علّ تعلى ما ذكره من اختلاف الشريعة والمنهج بأن إرادته تعلقت ببلادكم وامتحانكم فيما أنعم عليكم»^١.

﴿فَتَفْرِيهَةُ﴾ فعل أمر وفاعله، الاستباق: أخذ السبق.

﴿الْخَيْرَاتِ﴾ مفعول به، جمع محلّي بـ«ال» يفيد العموم فيكون «الْخَيْرَاتِ» اسمًا جامعًا لكل الفضائل والمكارم في ما يعود إلى الدنيا والآخرة.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار و مجرور خبر مقدم.

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر و مضاف إليه. المرجع: مصدر ميمي من الرجوع.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير ﴿كُم﴾. ﴿فَتَفْرِيهَةُ﴾ تفريعة.

﴿يُنَتَّهِكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أي يختركم ويحكم بينكم.

﴿بِمَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ«يُنَتَّهِكُمْ». ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿فِيهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ«تَخْتَلِفُونَ».

﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل رفع خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

رواية

صحيحية سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يخلف اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي بغير الله؛ إن الله يكمل يقول: «فَآخْرُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ»^٢.

١. الميزان / ٥ / ٣٥٣.

٢. الكافي / ١٤ / ٧ / ٤٥١، ح ٧٥٣، ٤ / ٧ / ٤٥١.

وروها العيّاشيُّ في تفسيره^١.

﴿وَإِنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْدَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِعَذَابٍ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ﴾ ٤٩

أمر الله تعالى بالحكم والقضاء بين الناس «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» وهو الحق الذي لا محيس عنه والعلم بأنه حق، ونهى عن اتباع أهواء الناس، لأن الحق قد وضعت معالمه واستقرت دعائمه وأركانه بنزول هذه الشريعة فلابد من الحكم على طبقها.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى في الآية السابقة «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» كما يجوز أن يكون معطوفاً على جملة «فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» من باب عطف الجملة على الجملة.

﴿أَنِ﴾ حرف مصدرية أو تفسيرية وكسر آخره لالتقاء الساكين.

﴿أَنِ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل المصدر معطوف على «الْكِتَابَ» أي «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» والحكم.

و «أَنِ» التفسيرية، تقديره: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» أَن «أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» ف «أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ».

«وما حسّن عطف التفسير هنا طول الكلام الفاصل بين الفعل المفسّر وبين

تفسيره^٢.

١. تفسير العيّاشي / ٢، ٥٣، ح ١٣٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير / ٥، ١٢٧.

﴿أَحْكُم﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ .
 ﴿بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم﴾ مرّ إعرابه ومعناه في الآية السابقة ولكن
 «يختلفان فيما فرّغ على كلّ منها، ويعلم منه أن التكرار لحيازة هذه الفائدة فالآية الأولى
 تأمر بالحكم بما أنزل الله وتحذر اتباع أهواء الناس لأنّ هذا الذي أنزله الله هي الشريعة
 المجعلة للنبي ﷺ ولأمّة فالواجب عليهم أن يستبقوا هذه الخيرات، والآية الثانية
 تأمر بالحكم بما أنزل الله، وتحذر اتباع أهواء الناس وتبيّن أن توليهما ان تولوا عما أنزل
 الله كاشف عن إضلال إلهي لهم لفسقهم وقد قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي
 بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَسِيقِينَ﴾^١.

فيتحصل مما تقدم أنّ هذه الآية بمنزلة البيان لبعض ما تتضمنه الآية السابقة
 من المعاني المفتقرة إلى البيان، وهو أنّ إعراض أرباب الأهواء عن اتباع ما أنزل الله
 بالحقّ إنّما هو لكونهم فاسقين، وقد أراد الله أن يصيّبهم ببعض ذنوبهم الموجبة
 لفسقهم^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحَدَرْهُم﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. والضمير
 الخطاب يرجع إلى الرسول الخاتم ﷺ والضمير الغياب يرجع إلى الناس. أمر الله
 تعالى نبيه ﷺ بالحذر والإعراض.
 ﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَفْتَوِك﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. أي عن فتنتهم. أمر
 نبيه ﷺ بالحذر عن فتنتهم مع كونه معصوماً بعصمة الله تعالى لأنّها لا تنافي الاختيار
 أو من جهة تعليم الغير أو إظهار مكرهم وإيأسهم عن الاختبار.

١. سورة البقرة / ٢٦

٢. الميزان / ٥ / ٣٥٣

﴿عَنْ بَعْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَفْتَنُوكُ﴾ .

﴿مَا﴾ موصولة . ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض . ﴿اللَّهُ﴾ فاعله .

﴿إِلَيْكُ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ . والخطاب للنبي ﷺ و تكرار ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ تأكيد بأنهم مصرون على التشكيك في الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ولو على نحو الموجبة الجزئية الدالة عليها كلمة ﴿بَعْضِ﴾ الواردہ في الآیة .

﴿فَ﴾ تفريغية . ﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم .

﴿تَوَلُّوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل جزم لأنّه فعل الشرط ، أي ﴿إِنْ تَوَلُّوا﴾ عن الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ واعرضوا عنه .

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط .

﴿أَعْمَم﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» في محل جزم جواب الشرط .

﴿أَنَّا﴾ كافية مكفوفة أو أداة حصر .

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع ، المراد به الارادة التكوينية .

﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة . ﴿اللَّهُ﴾ فاعله .

﴿يُصِيبُهُم﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ ومفعول به . والمراد بالإصابة هنا هو الإضلal .

﴿بِبَعْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يُصِيبُهُم﴾ والباء للسيبية .

﴿ذُنُوبِهِم﴾ مضارف إليه و مضارف إليه ثان . أي أن توليهم عما ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿أَنَّا﴾ صدر عنهم بسبب ﴿بَعْضِ ذُنُوبِهِم﴾ أعني فسقهم يؤدي إلى انكار ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وعدم الحكم بها والاعتراض عن الأحكام الإلهية .

﴿وَ﴾ استثنافية . ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل ، تأكيد . ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ .

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة محدوفة من ﴿كَثِيرًا﴾ .

﴿لِ﴾ المزلقة ، تأكيد . ﴿فَسِقُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ .

والجملة الأخيرة تعليل لقوله: ﴿أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبُهُمْ بِعَضُّ ذُنُوبِهِمْ﴾ .
وبالجملة: من أعرض عن الأحكام الالهية فهو فاسق وفسقه يوجب اعراضه
عنها والله العالم.

﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٦

إنكارٌ وتبسيخٌ وتعجبٌ للذين يتولون عن أحكام الله تعالى ويريدون غيرها وكل حكم يخالف حكم الله فهو حكم الجاهلية بلا فرق بين عصر الجاهلية - قبل الإسلام - أو الجاهليه المدرنيه - أي العصر الحاضر - «إِنَّ التَّوْلِيَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ عَجِيبٌ، وَطَلَبُ حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ أَقْبَحُ وَأَعْجَبُ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِذَا تَوَلَّوْا عَنْ حُكْمِ اللَّهِ عَجَّلَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِي يَبْتَنِي عَلَى اتِّبَاعِ الْهُوَى، وَمَتَابِعَ النُّفُوسِ الْأَمَّارَةِ»^١.

﴿أَ﴾ حرفاً استفهام للاستكار والتتبسيخ والتعجب.

﴿فَ﴾ تفريع على توليهما عن أحكام الله تعالى النازلة إليهم والحق الذي علموا أنه حق، ويمكن أن يكون ما بعده النتيجة المستفاده من الآيات السابقة.
﴿حُكْمٌ﴾ مفعول به مقدم لفعل ﴿يَبْغُونَ﴾.

﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ مضاف إليه و «المراد من الجاهلية هي كل ملة باطلة وحكم جائر، الذي يكون منشأها العناد واللجاج والإعراض عن الحكم الحق، اتباعاً للهوى. وقد ورد في الحديث: «إِنَّ الْحُكْمَ حَكْمَنَ، حُكْمُ اللَّهِ، وَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ»^٢»^٣.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣١٥

٢. يأتي آنفًا بعد تفسير الآية.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٣١٥

﴿يَعْوُنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وقرأ ابن عامر بالباء الخطاب على صنعة الالتفات خطاباً لليهود أو كُلّ مَنْ طلب غير حكم الله من الذين يدعون الإسلام أو غيرهم. ومعنى يغون: يطلبون «يقال بغي بيغي بغياً إذا طلبه، والبغة هم الذين يطلبون التآمر على الناس والترأس بغير الحق، والبغى: الفاجرة لأنها تطلب الفاحشة»^١.

«إذا كانت هذه الأحكام والشائع حقة نازلة من عند الله ولم يكن وراءها حكم حق لا يكون دونها إلا حكم الجاهلية الناشئة عن اتباع الهوى فهو لاء الذين يتولون عن الحكم الحق ماذا يريدون بتوليهم وليس هناك إلا ﴿حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^٢». وحالية.

﴿مَن﴾ اسم استفهام. مبتدأ و الاستفهام الإنكاري في معنى النفي أي لا، والخطاب للMuslimين المؤمنين إذ لا فائدة في خطاب غيرهم.

﴿أَحَسَنُ﴾ خبر. التفضيل والاطلاق يدلان على أنّ ﴿حُكْمُ الله﴾^٣ يجمع حسن الدنيا والآخرة بجميع أنحائه ولا يكون حكماً أحسن منه.

﴿مِنَ اللهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَحَسَنُ﴾.

﴿حُكْمًا﴾ تميز، ويكون ﴿حُكْمُ الله﴾ هو الفاصل بين الحق والباطل ﴿حُكْمُ الله﴾ حق وغيره باطل.

﴿رَ﴾ حرف جر وفيه أقوال:

١- قال أبو علي: «بمعنى عند»^٤ مثل كتبته لخمس خلون من شهر كذا، أي عند

١. التبيان / ٣٤٩.

٢. الميزان / ٥٣٥٦.

٣. سورة المائدة / ٤٣.

٤. التبيان / ٣٥٥٠.

خمس.

٢- لام البيان أو التبيين^١: «وَهِيَ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْكَلَامِ سَوَاءً أَكَانَ خَبَرًا أَمْ إِنْشَاءً، وَهِيَ الْوَاقِعَةُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ: سَقِّيَا لَكُمْ، وَجَدْعًا لَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ «تَبَأً وَسُحْقًا مَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَيَّاهَاتٌ هَيَّاهَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ»^٢ «حَشَّ لِلَّهِ»^٣. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ التَّبَيِّنُ عَلَى الْمَرَادِ مِنَ الْكَلَامِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ زَلِيخَا «وَقَالَتْ هَيَّاهَاتٌ لَكَ»^٤ لِأَنَّ تَهْيَّاهَا لَهُ غَرِيبٌ لَا يَنْخُطُرُ بِيَالِ يُوسُفَ فَلَا يَدْرِي مَا أَرَادَتْ فَقَالَتْ لَهُ «هَيَّاهَاتٌ لَكَ»^٥.

٣- لام الاختصاص: نحو «الجنة للمتقين، لأن المؤمنين الموقنين هم وحدتهم الذين يحكمون ويعملون بحكم الله»^٦.

«قَوْمٌ» مجرور حرف جر. والجار والمجرور متعلق بأصل الاستفهام.

«يُوقِنُونَ» فعل مضارع وفاعله. في محل جرٍ صفة لـ «قَوْمٌ».

«في أخذ وصف اليقين تعريض لهم بأنهم إن صدقوا في دعواهم الإيمان بالله فهم يوقنون بآياته، والذين يوقنون بآيات الله ينكرون أن يكون أحد أحسن حكمًا من

١. جَرَيْنَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَإِلَّا فَإِنَّ الْبَيَانَ هُوَ بِمَعْنَى التَّبَيِّنِ وَالشَّيْءِ لَا يُعْطَفُ عَلَى تَنْفِيهِ. وَأَمَّا كِتَابُ أَدِيبِ الْعَرَبِيَّةِ الْكَبِيرِ أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ (ت ٢٥٥ هـ) الْمُطَبَّعُ طَبَاعَاتٍ كَثِيرَةً بِاسْمِ «الْبَيَانِ وَالتَّبَيِّنِ» فَالصَّوَابُ أَنَّ عُنْوانَهُ الصَّحِيحُ: «الْبَيَانُ وَالتَّبَيِّنُ» كَمَا هُوَ مَرْسُومٌ عَلَى النُّسُخِ الْقَدِيمَةِ مِنْهُ وَدَهَبَ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَائِنَا الْمُتَأَخَّرِينَ مِنْهُمُ الْعَالَمَةُ الشَّيْخُ شِيرُّ مُحَمَّدُ الْمَهْدَانِيُّ وَمِنَ الْجَمِيعِ الْأَسْتَاذُ الْمُحَقَّقُ عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُهارُونَ الْمَصْرِيُّ (ت ١٩٨٨ م).

٢. سورة المؤمنون / ٣٦.

٣. سورة يوسف / ٥١.

٤. سورة يوسف / ٢٣.

٥. تفسير التحرير والتنوير / ٥ / ١٢٨.

٦. التفسير الكافش / ٣ / ٧١.

الله سبحانه وَهُوَ أَكْبَرُ .^١

رواية^{*}

موثقة أبي بصير عن أبي جعفر ع عليهما السلام قال: الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهليّة، وقد قال الله تبارك وَهُوَ أَكْبَرُ: «وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ» وأشهد على زيد بن ثابتٍ، لقد حَكَمَ فِي الْفَرَائِضِ بِحُكْمِ الْجَاهْلِيَّةِ.^٢
رواه العياشي في تفسيره.^٣

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا لَا تَتَخَذُوا آلَّيَهُودَ وَآلَّنَصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمُ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٤

الأية الشريفة وما بعدها «تبين أهم الأمور الاجتماعية التي فيها حياة الإسلام واستقلال المسلمين وثبات عقيدتهم، فقد حذر سبحانه وتعالى المؤمنين اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، واعتبر توليتهم ظلماً يسلب الهدى التي يحتاج إليها المسلم في حياته الظاهرية والمعنوية، وهددهم بأنه من فعل ذلك يكون منهم، لا علاقة له بهذا الدين».^٤

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا﴾ خطاب للمؤمنين على سبيل التحجب والموافقة.
 ﴿لَا تَتَخَذُوا﴾ فعل نهي وفاعله. الاتخاذ هو الاعتماد على الشيء لأمر ما، من باب افتعال من أخذ ومادة أخذ تدل على تناول شيء اعتماداً عليه، ومنه: أخذ العلم

١. الميزان ٥/٣٥٦.

٢. الكافي ١٤/٦٣٩، ح ٢ (٤٠٧/٧).

٣. تفسير العياشي ٢/٥٤، ح ١٣٣.

٤. مواهب الرحمن ١١/٣٢٧.

أي تناول منه معتمداً عليه في نقله. ﴿لَا تَتَخِذُوا﴾ : أي لا تعتمدوا.
﴿الْيَهُود﴾ مفعول به أولاً. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿النَّصَارَى﴾ معطوف على ﴿الْيَهُود﴾. عبر عنهم بـ ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ دون أهل الكتاب، لإظهار الفارق الأساسي بينهما وبين الأمة الإسلامية وتبين الاختلاف بينهم بالدين والاعتقاد والعمل والشريعة والأخلاق.

﴿أُولَئِكَ﴾ مفعول به ثانٍ. مادة «ولي» تدلّ على التبعية وتحقق شيئاً من أحد هما خلف الآخر. المراد بالولاية هنا ليست المحبة والموعدة والنصرة فقط بل هي التبعية وقبول ولايتهم.

لأنّ قبول ولايتهم والتبعية لهم يوجب الخروج عن ولية الله وتبعية أولياء الله وهذا الخروج يوجب الخروج عن دين الله في اعتقاده وشرعيته واحلاقه فله تعالى عن هذه التبعية.

فلا يتم ما ذكره السيدان الطَّبَاطَبَائِيُّ والسبزواريُّ رَبِّيَّا من أن معناها:
«أي لا تعاشرو اليهود والنصارى معاشرة الأحباب، تلقون إليهم بالموعدة
وتستنصرونهم في بعض شؤونهم، كما هو الأمر بالنسبة إلى ولية المشركين. قال تعالى:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقُوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^١.
وعلة «النهي» عن موادتهم الموجب لتجاذب الأرواح والآنفوس الذي يقضي إلى التأثير والتأثير الأخلاقيين فإن ذلك يقلب حال مجتمعهم من السيرة الدينية المبنية على سعادة اتباع الحق إلى سيرة الكفر المبنية على اتباع الهوى وعبادة الشيطان والخروج عن صراط الحياة الفطرية»^٢.

١. سورة المتحنة / ١ .

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٣٠ .

٣. الميزان / ٥ / ٣٧٢ .

والشاهد لما ذكرنا قوله تعالى في سورة المتحنة: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ أَن تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١.
 ﴿بَعْضُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾.
 ﴿أُولَئِكَ﴾ خبر.

﴿بَعْضٍ﴾ مضاف إليه. إخبار من الله تعالى أن الكفار يوالي بعضهم بعضاً أو أن الكفر ملة واحدة في مقابل المسلمين مع أنها ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ ملتدين وليسوا على وحدة الملة ولكنهم يتّحدون على المسلمين ويصيرون يداً واحدةاً عليهم. وهذه الجملة في موضع التعلييل للنبي السابق.

ويمكن أن يكون معناها: ﴿لَا تَشْخِذُوا﴾ «هم أولياء لأنكم إنما تتخذونهم أولياء لتنصرموا ببعضهم الذي هم أولياؤكم على البعض الآخر، ولا ينفعكم ذلك فإن بعضهم أولياء بعض فليسوا ينصرونكم على أنفسهم»^٢.
 ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجزائه في محل رفع خبره.
 ﴿يَتَوَهُم﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. التولي: اتّحاذ الولي وقد مرّ معنى الولي في هذه الآية الشريفة.
 ﴿مِنْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بحال محنّفة من ﴿مَن﴾. ﴿مِنْ﴾ تبعيّضية والضمير يرجع إلى المسلمين المؤمنين.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

١. سورة المتحنة / ٩.

٢. الميزان / ٥ ٣٧٣.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿مَن﴾.

﴿مِنْهُم﴾ جار ومحروم متعلق بخبر ﴿إِن﴾ أي يكون ﴿مِنْهُم﴾. والضمير يرجع إلى اليهود والنصارى. وهذا الحق تزيله يصير به المؤمن يهودياً أو نصرانياً ويكون بعضهم.

«يعني من استنصرهم واتخذهم أنصاراً ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُم﴾ أي محكوم له بحكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه ويجكم بأنه من أهل النار»^١.

﴿إِن﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿لَا يَهْدِي﴾ فعل نفي وفاعله ضمير مستتر «هو». والجملة الفعلية وما بعدها في محل رفع خبر ﴿إِن﴾.

﴿الْقَوْمَ﴾ مفعول به. ﴿الظَّالِمِينَ﴾ نَعْتُ لـ ﴿الْقَوْمَ﴾.^٢

يعني: ﴿مَن يَتَوَهَّم﴾ يصير ﴿مِنْهُم﴾ ويكون ظالماً مثلهم ومنْ كان ظالماً لا يهديه الله تعالى لـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

تنبيه

«يتسع الإسلام لجميع الأديان والأجناس، لا فرق عنده بين الأسود والأبيض، ولا العربي والعجمي، ولا بين المسلم وغير المسلم من حيث المساواة أمام العدالة والقانون... فلكل إنسانٍ كائناً من كان الحق في أن يعيش بحرية وأمان على نفسه وماليه، ولا سلطان لأحد عليه ما كفّ أذاه عن غيره، فإن تعذّر وأفسد أقيمت عليه الحد... فإذا أساء المسلم إلى غيره وجب علينا نحن المسلمين أن نمقته ونبرأ منه، وعلى العدالة أن تردعه وتعاقبه، وإذا كفّ اليهودي أو النصراني أذاه بسطنا له يد البر

١. التبيان / ٣٥٠.

٢. أبْقَيْنَا عَلَى حَرَكَة ﴿الْقَوْمَ﴾ - هُنَا وَفِي كُلِّ الْكِتَابِ - وَهِيَ النَّصْبُ عَلَى الْحِكَمَيَةِ كَمَا لَا يَخْفَى.

والإحسان، ولو أنكر نبوة محمد والقرآن، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ أَن تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

وإذا عطفنا هذه الآية التي رغب الله بها المسلمين في البر والإحسان إلى جميع الطوائف وأهل الأديان الذين لم ينصبوا العداء للMuslimين، إذا عطفنا هذه الآية على الآية التي نفسرها، وجمعناها في كلام واحد يكون المعنى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولَئِكَ إِذَا نَصَبُوا عَدَاءً لَّكُمْ وَكَانُوا حَرَبًا عَلَيْكُمْ، أَمَا إِذَا كَانُوا وَادِعِينَ مُسَالِمِينَ فَعَلَيْكُمْ أَن تَحْسِنُوْا الْعَشْرَةَ مَعَهُمْ، وَتَعْيَشُوْا جَيِّعاً مَّتَّعَارِفِينَ مَتَّالِفِينَ... بَلْ وَلَكُمْ أَن تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، لَأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَدْلَ وَالإِحْسَانَ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، مِنْ آمِنَ أَوْ كَفَرَ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ: وَهُوَ أَنْ لَا يُسِيءَ إِلَىٰ أَحَدٍ، لَأَنَّ النَّاسَ، كُلُّ النَّاسِ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُعُهُمْ لِعِيَالِهِ... فَالْمُبَرِّ عِنْهُ تَعَالَى لِحَسْنِ الْعَشْرَةِ مَعَ أَيِّ إِنْسَانٍ، هُوَ كَفِ الإِسَاءَةِ وَالْأَذَى، أَمَا مَنْ جَحَدَ وَكَفَرَ فَعَلِيهِ كَفْرٌ...﴾.

وبهذه المناسبة نشير إلى أن كرهنا لليهود نحن المسلمين لا سبب له إلا أنهم قاتلوا في عقر ديارنا، وأخرجوا منها نساعنا وأطفالنا، كما أن السبب الأول والأخير لكرهنا وعدائنا للولايات المتحدة وإنكلترا، ومن إليهما من دول الاستعمار التي ساندت إسرائيل هو أن هذه الدول ظاهرت إسرائيل على إخراج أهل فلسطين من ديارهم... ومرة ثانية نعيد خطاب الله لنا وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٢.

١. سورة المتحنة / ٨ و ٩.

٢. سورة المتحنة / ٩.

البترول واليهود والنصارى

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءِ بَعْضٍ﴾ . أجمع المفسرون على أنّ المراد بعض اليهود أنصار بعض، وبعض الصارى أنصار بعض، وليس المراد أنّ كُل طائفةٌ تواли الأخرى، لأنّ ما بين الطائفتين من العداء أكثر مما بين النصارى والمسلمين، فإنّ اليهود يرمون مريم بالفاحشة، والمسلمون يقدسونها ويرأونها من كُل عيب.

وليس من شك أنّ المفسرين قد استوحوا هذا المعنى من العصر الذي عاشوا فيه، حيث لا شركات بترول عالمية، ولا مؤسسات احتكارية نهمة إلى التوسيع والسيطرة على ثروات الشعوب ومقدراتها... أمّا اليوم وبعد أن قامت هذه الشركات والمؤسسات فقد رأى أصحابها المسيحيون في اليهود خير وسيلة يعتمدون عليها لتدعمهم احتكاراتهم وأطمعتهم، ومن أجل هذا أقاموا دولة إسرائيل في فلسطين وحرصوا على تعزيزها وحمايتها، ورسموا لها خطط العدوان والتتوسيع، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن... وتعلقت هي بأذىهم، ودارت في فلكهم، ونفذت خطط الاستعمار، وامتثلت أوامر العدوان بعد أن استبان لها أنّ حياتها رهن بالسمع والطاعة لأوامر الاستعمار، وتنفيذ خططه، وإلا تخلي عنها، وولت إلى غير رجعة... وإذا عقد المستعمرون وأذن لهم الآمال على مخالب إسرائيل فإنّا نعتمد على الله، وعلى حّقنا المشروع، واستعادة إيجابيتنا استعداداً للمعركة الخامسة لاسترداد الحق السليم»^١.

رواية

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليهما السلام، قال: مَن تولى آل محمد وقدّمهم على جميع الناس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من آل محمد لتوليه آل محمد،

١. التفسير الكافش (٧٤-٧٢) / ٣.

لَا أَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَإِنَّهَا هُوَ مِنْهُمْ بِتَوْلِيهِ إِلَيْهِمْ وَاتِّبَاعِهِ إِلَيْاهُمْ، وَكَذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ: «وَمَنْ يَتَوَهَّمُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ»، وَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^١.

﴿فَرَأَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشِّيَ أَنْ تُصِيبَنَا دَآءِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِبِّحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَذِيرًا﴾

﴿فَ﴾ تفريع على قوله تعالى في آخر الآية السابقة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ومن آثار عدم هداية الله تعالى لـ «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أنهم يسارعون في موالة اليهود والنصارى والضلال والغواية.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للنبي الخاتم ﷺ أعلم الله أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَلَّمَ يرى.

﴿تَرَى﴾ إن كانت بصرية فتحتاج إلى مفعول واحد وإن كانت قلبية فتحتاج إلى مفعولين.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومحروم ومضاف إليه. والأولان خبر مقدم. القلب في القرآن الكريم مركبٌ لإدراكات الإنسان ومحملٌ استقرار الفطرة السليمة والإيمان بالحقائق الثابتة.

١. سورة إبراهيم / ٣٦.

٢. تفسير العياشي ٤١٥ / ٢، ح ٣٢.

﴿مَرَضٌ﴾ مبتدأ مؤخر. أي الشك والنفاق. «مرض القلب الذي اختص القرآن الكريم بذكره، من أسوأ الأمراض التي تصيب الإنسان، فإنه يخرجه عن استقامة الفطرة والطريق السوي إلى الشك والريب اللذين يستوليان على عقيدته ودينه وخلقه، فلا يمكن له أن يحصل ثبات واطمئنان واستقرار في إدراكاته الدينية، فيكون ضعيف الإيمان، متذبذباً فيه غير مستقر على خلق كريم، ويظهر أثره على عمله، فيصدر منه ما يناسب الكفر والنفاق، كما في المقام، فإنك ترى أنّ مرضى القلوب يتدرّون في توثيق ولائهم مع الكافرين وتوكيده، فيسارعون في هذا الطريق مسارعة من يرغب في شيء ويجدّ في طلبه»^١.

﴿يُسْرِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب حال لـ ﴿الَّذِينَ﴾ إن كانت ﴿تَرَى﴾ بصرية ومفعول ثان لـ ﴿تَرَى﴾ إن كانت قلبية.

المسارعة: المسابقة. وأخذ السرعة والمراد بها هنا التوغل والتشدد.

﴿فِيهِمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿يُسْرِعُونَ﴾. والضمير يرجع إلى اليهود والنصارى. و«في» دال على الظرفية وأنّهم منهم ولا يكونون خارجين عنهم. «وتختلف المسارعة في شيء عن المسارعة إليه، فإن الأولى حاصلة من الداخل في شيء والثابت فيه المستقر، وإنما كانت مسارعة من مرتبة إلى أخرى، فهم إنما يسارعون في مولاتهم للكافرين لزيادة تمكّنهم فيها وثباتهم عليها. بخلاف المسارعة إلى شيء الداخل فيه من خارجه»^٢.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب حال وهذه المقالة الآتية صدرت منهم عذرًا لدفع اللوم التوبخ الصادرة من ناحية النبي ﷺ والمؤمنين إليهم. وإنما هي [المقالة] معدّة يختلقونها.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٣٥.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٣٥.

وقد نسب القول إلى عبد الله بن أبي لرسول الله ﷺ : لا تنقض حكم بنى النضير فإننا نخاف الدوائر.^١

﴿نَخْشَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» في محل نصب مقول القول.
 ﴿أَن﴾ مصدرية، ناصبة.
 ﴿تُصِيبَنَا﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به مقدم.
 ﴿دَآءِرَة﴾ فاعله. أي نازلة أو مصيبة. الدائرة: اسم فاعل من دار إذا عكس سيره فالدائرة: تغير الحال وغلب اطلاقها على تغير الحال من خير إلى شر ولذا قال الشيخ: «الدائرة: الدولة التي تحول إلى من كانت له عمن هي في يديه»^٢.
 ﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿عَسَى﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ، موضوع «في اللغة للشك وهي من الله تعالى تفيد الوجوب، لأنّ الكريم إذا أطمع في خير يفعله، فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به وإرجائها له، ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب»^٣.

﴿أَلَّه﴾ اسم ﴿عَسَى﴾.
 ﴿أَن﴾ مصدرية، ناصبة.
 ﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير «هو» مستتر.
 ﴿أَن يَأْتِي﴾ بتأويل مصدر «اتيان» في محل نصب خبر ﴿عَسَى﴾.

﴿بِالْفَتْحِ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿يَأْتِي﴾. و«ال» للجنس. و«جنس الفتح ينطبق على كل فتح يظهر الله به الإسلام ويعز الدين، وينصر المؤمنين على الكافرين، ويفضح به أعدائهم، ويكشف حقيقتهم ونواياهم. فتكون الآية الشريفة من الملائم القرآنية التي ينبيء فيها تعالى إعلاء كلمة الإسلام وظهوره على الكفر كله، بعد ما تستقبل الأمة من الحوادث مما تزعزع عقيدة كل فرد مؤمن إلا من عصمه الله

١. تفسير القمي ٢٤٩ / ١

٢. التبيان ٥٥١ / ٣

٣. التبيان ٥٥١ / ٣

تعالى، فلا تختص الآية الشريفة بعصر النزول ولا بطائفة خاصة»^١.
﴿أو﴾ عاطفة.

﴿أمر﴾ معطوف على ﴿الفتح﴾. أي ﴿أمر﴾ من قوة المسلمين ووهن اليهود والنصارى أو ﴿أمر﴾ من تجديد عز المؤمنين وذل المشركين أو اظهار نفاق وكفر الذين يتولون اليهود والنصارى أو كل ﴿أمر﴾ يصيب نفعه إلى المؤمنين ويوجب تقويتهم وشوكتهم ودولتهم.

﴿من عنده﴾ جار و مجرور و مضاف إليه متعلق بصفة مخدوفة من ﴿أمر﴾ والضمير يرجع إلى الله تعالى وما يأتي من عند الله فهو ينفع المؤمنين قطعاً.
﴿ف﴾ عاطفة، تفريغية أو تعليمة.

﴿يُصِحُّوا﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أن﴾ واسمه.

﴿على ما﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تدبر﴾ و ﴿ما﴾ موصولة.

﴿أسروا﴾ فعل ماضٍ و فاعله أي يسترلون.

﴿في أنفسهم﴾ جار و مجرور و مضاف إليه، متعلق بـ ﴿أسروا﴾.

﴿تدبر﴾ خبر ﴿يُصِحُّوا﴾.

لـ «أنهم اسروا في أنفسهم النفاق وتولى اليهود والنصارى، وجددوا في المسارعة فيه إرضاء للشهوات الدنيئة في نفوسهم، لينالوا به ملاذ الدنيا وإطفاء نور الله تعالى، وهو الذي مراد اليهود والنصارى أيضاً، ولكنهم غفلوا عن عواقب الأمور وأن الله محيط بهم، فقد يفضحهم ويقطع أملهم، فيصبحوا على ما أسروا نادمين»^٢.

رواية

عن داود الرّقي، قال: سأّل أبا عبد الله عليه السلام رجل وأنا حاضر، عن قول الله

١. مواهب الرحمن / ١ / ٣٣٨.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٣٩.

سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عَنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَذِيرًا﴾.

قال: أذن في هلاكبني أمية بعد إحراق زيد بسبعة أيام.^١

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنَهُمْ إِلَّهُمْ لَعُنْكُمْ حَبَطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصَبَّهُوا خَسِيرِينَ﴾

«لما أظهر الله المسلمين على أعدائهم لم يستطع المنافقون أن يخفوا ما في أنفسهم من الحسرة واللوامة، وظهر أثرها في فلتات ألسنتهم، وصفحات وجوههم... فتعجب المؤمنون من حال المنافقين حين تكشف حقيقتهم، وقال بعضهم لبعض: أهؤلاء الذين كانوا يخلفون بالأمس أغاظ الإيمان مجتهدين في تؤكيدها أمّهم منا؟ وما أجرأهم على الكذب والرياء».^٢

و«الآية الشريفة تعجب حاهم، وتبجل للمؤمنين، وتكريم لهم ووعده بالنصرة والغلبة والجزاء الحسن، ولا اختصاص لهذا القول بالدنيا، بل هو صادر من المؤمنين في الآخرة بعد فضيحتهم وپيأسهم وانقطاع أملهم، بل يمكن القول بأن ذلك حاصل في هذه الدنيا، فإن المؤمن ينظر بنور الله فيرى أن حال هؤلاء آيلة إلى الخسران، فيتعجب من حاهم وهم في غفلة من عاقبة أمرهم، فالقول يمكن أن يكون لفظياً صادراً من المؤمنين، ويمكن أن يكون حكاية عمّا يدور في نفوس المؤمنين، لكشف حقيقة أعداء الله تعالى والمنافقين لهم في هذه الدار الفانية، ويرشد إلى ما ذكرناه ذيل

١. تفسير العياشي ٢/٥٤، ح ١٣٤.

٢. التفسير الكاشف ٣/٧٥.

الآية الشريفة في المقام ومواضع أخرى في القرآن الكريم»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة. قرأ ابن كثير وعامر ونافع بلا ﴿وَ﴾ والباقيون بالواو.

﴿يَقُولُ﴾ كلّهمقرأ بضم اللام إلّا أبا عمرو ويعقوب فإنه فتحها. ومن قرأها بالضم على أنها مبتدأ أو استئناف يباني جواب سؤال مقدر تقديره: ماذا يقول المؤمنون حينئذ.

ومن فتحها عطفها على قوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِي﴾^٢ أو على قوله: ﴿فَيُصْبِحُوا﴾^٣

المعطوف على ﴿أَنْ يَأْتِي﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿إِمَّا مَنْتَوْا﴾ فعل ماض وفاعله. يعني: «يقول المؤمنون للمنافقين تعجبًا من حاهم وتقريراً لهم بعاقبة أمرهم، وتبجحاً بما من الله على المؤمنين من الإخلاص والنصرة، فالخطاب للمنافقين ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^٤».

﴿أَ﴾ استفهام تعجيبي. من هنا ﴿أَ﴾ إلى ﴿لَعُكُمْ﴾ مقول القول.

﴿هَتُؤَلِّأَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ. اشارة لليهود والنصارى أو إلى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. خبر. ﴿أَقْسَمُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَقْسَمُوا﴾.

﴿جَهَدَ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿أَقْسَمُوا﴾ لأنّه مضاد إلى ﴿أَيَّمَنِهِمْ﴾ بمعنى القسم فيكون مثل قعدت جلوساً وجلست قعداً.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٤١

٢. سورة المائدة / ٥٢

٣. سورة المائدة / ٥٢

٤. سورة المائدة / ٥٢

٥. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٤٠

«**جَهَدَ**» الأيمان - بفتح الجيم - أقواها وأغلظها، وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومتنهى الطاقة، وفعله كمنع. ثم أطلق على أشدّ الفعل ونهاية قوّته **لِمَا بَيْنَ الشَّدَّةِ** والمشقة من الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى **أُوكِدَ** الأيمان وأغلظها، أي أقسموا أقوى قسم، وذلك بالتأكيد والتكرير ونحو ذلك مما يغليظ به اليمين عرفاً. ولم أر إطلاق الجهد على هذا المعنى فيها قبل القرآن^١.

أَيْمَنِهِمْ مضاد إليه ومضاف إليه ثان.

إِنَّهُمْ حرف مشبه بالفعل، تأكيد، واسمه. **(ل)** المزحلقة، تأكيد.

مَعَكُمْ جار ومحروم، خبر **إِنَّ** والضمير يرجع إلى **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** أو إلى اليهود والنصارى على عكس **هَؤُلَاءِ**. ويمكن ارجاع الضمير إلى المؤمنين المخلصين أيضاً كما مرّ في صدر الآية.

حَبَطَتْ فعل ماضٍ مؤنث، أي: فسدت وتلفت.

أَعْمَلُهُمْ فاعل ومضاف إليه. يمكن رجوع الضمير «إلى اليهود والنصارى، وإلى **الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» لكن الظاهر من السياق أن الخطاب للذين **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**، والإشارة إلى اليهود والنصارى^٢.

فَ تفريعة. **أَصَبَحُوا** فعل ماضٌ ناقص واسمه.

خَسِرِينَ خبره. «خسروا الدنيا لأنهم خذلوا وخسروا الآخرة لما أعد لهم من العذاب الأليم»^٣.

«جملة مستأنفة تبيّن حقيقة حاهم وما عليه ماهم، بلا فرق بين أن نقول هي حكاية المؤمنين، أو قول الله تعالى، فإنّ فيها التعجب منهم من آنّه كيف آل أمرهم إلى

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٣٣ / ٥.

٢. الميزان ٣٧٧ / ٥.

٣. التفسير الكافش ٧٥ / ٣.

الخسران، وحيطت أعماهم مع مسارعتهم في توقي أعداء الله تعالى، الشك في أمر الرسول ﷺ، وقد أعطوه الأبيان المغلظة على أنهم مع المؤمنين، فحيطت أعماهم التي كانوا يتکلّفونها نفاقاً، وخسروا ما كان يترتب عليها من الأجر والثواب لو كانوا في إيمانهم صادقين.

إِنَّ حِبْطَ الْأَعْمَالِ يَخْصُّ بَعْضَ الذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ، وَالْمَقَامُ مِنْهَا، فَإِنَّ النَّفَاقَ وَالتَّلَاعِبَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا يُوْجِبُ حِبْطَ الْأَعْمَالِ وَالخُسْرَانِ»^١.

أو «كاجواب لسؤال مقدر، والمعنى: وعسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده فيقول الذين آمنوا لهؤلاء الضعفاء الإيمان عند حلول السخط الإلهي بهم: أهؤلاء اليهود والنصارى هم ﴿الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي إيمانهم التي بالغوا وجهدوا فيها جهداً ﴿إِبَّهُمْ لَعَكُمْ﴾ فلماذا لا ينفعونكم؟! ثم كأنه سئل فقيل: فإلى مَ انتهى أمر هؤلاء الموالين؟ فقيل في جوابه: ﴿حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا حَسِيرِينَ﴾^٢.

رواية

صححه أبي بصير، قال: أبو جعفر عليه السلام يقول: إن الحكم بن عتبة وسلمة، وكثيراً النوء، وأبا المقدام، والتهار - يعني سالماً - أضلوا كثيراً ممن ضل من هؤلاء الناس، وإنهم ممن قال الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ آخِرٍ وَمَا هُمْ

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٤١.

٢. الميزان / ٥ / ٣٧٧.

٣. هؤلاء من البرية، وهم فرقة من الزيدية، قيل: سموا بذلك لأنهم يتسبون إلى كثير النوء، وكان أبتر اليد، وقيل: لأن زيد بن علي عليهما السلام قال لهم: بت禄تم أمرنا، بت禄كم الله. وهم الذين دعوا إلى ولاية علي عليهما السلام فخلطوها بولاية أبي بكر وعمر، وجوزوا إماماً المفضول على الفاضل إذا كان الأخير راضياً، وكانوا يبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة، وقالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام وكان زاهداً شجاعاً فهو الإمام. معجم الفرق الإسلامية / ٥١.

٢.١ بِمُؤْمِنِينَ ﴿

رواها العياشي في تفسيره وزاد عليها.

وَأَتَهُم مَّنْ قَالَ اللَّهُ أَكْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَعَنْكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا حَسِرِينَ ﴾ ٣ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا آتَيْنَا مَنْ يَرَتَدَ مِنْكُمْ عَنِ الدِّينِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ أَدِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يَمِّنْ دَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسْعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾

«الآية الشريفة تبيّن حقيقة من الحقائق الواقعية، وهي أنّ قوام هذا الدين إنما يكون بالعمل بأحكامه وتشريعاته وتعاليمه، وأنّ النكوص عن ذلك يوجب الارتداد عنه، وأنّ الله سوف يؤيد الدين بأقوام يحبّهم ويحبّونه، لهم صفات خاصة لها المدخلية في إقامة الحق وإزهاق الباطل، ولا يخلو ارتباطها بما سبق من الآيات الشريفة التي بيّن بذلك فيها بعض التعاليم التي بها يقوم عمود هذا الدين، كما لا يخفى أنها توطة لأمر مهم هو أساس الدين وركنه الوثيق، وفيها الوعيد على من ينكص على عقبيه ويرتدّ عن دينه ويرفض التعاليم الإلهية، ووعد لمَن يطيع الله ورسوله وأولياءه»^٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا آتَيْنَا مَنْ يَرَتَدَ مِنْكُمْ عَنِ الدِّينِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ أَدِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يَمِّنْ دَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسْعٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

١. سورة البقرة / ٨ .

٢. رجال الكشي / ٢٤٠ ، ح ٤٣٩ .

٣. تفسير العياشي / ٢ ، ٥٤ ، ح ١٣٥ .

٤. مواهب الرحمن / ١١ ، ٣٥٥ .

﴿يَرْتَدَ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو»، ارتدّ عن دينه رجع عنه، الارتداد: الرجوع من الإيمان إلى الكفر اعتقادياً كان أو عملياً.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بحال محدوقة من اسم الشرط ﴿مَنْ﴾.

و ﴿مِنْ﴾ بيانيُّ والضمير يرجع إلى المؤمنين وتقديره: حال كونه ﴿مِنْكُمْ﴾.

﴿عَنْ دِينِهِ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه متعلق بـ ﴿يَرْتَدَ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال.

﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع، الآتيان هنا بمعنى الأيجاد. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِقَوْمٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَأْتِي﴾، أي ﴿بِقَوْمٍ﴾ مكانكم.

﴿تُحِبُّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿قَوْمٍ﴾ يعني: يحبّ الله القوم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تُحِبُّوْنَهُ﴾ معطوف على ﴿تُحِبُّهُمْ﴾. فعل مضارع وفاعله ومفعول به. قصة الحب لا يكون إلا من الطرفين. أي: إنّهم يحبون الله.

﴿أَذْلَلَةٌ﴾ صفة أخرى لـ ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿أَذْلَلَةٌ﴾: جمع ذليل وهو الذي وصف بالذل - بضم الدال وبكسرها - أي الهوان والطاعة فهو ضد العزّ والمراد بها هنا التواضع والتعاطف واللين والحنان.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَذْلَلَةٌ﴾.

﴿أَعِزَّةٌ﴾ صفة ثالثة لـ ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿أَعِزَّةٌ﴾: جمع عزيز وهو الذي وصف بالعزّ وهو القوة والاستقلال.

﴿عَلَى الْكَفَرِيْنَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَعِزَّةٌ﴾.

﴿تُجْهِهُوْنَ﴾ صفة رابعة لـ ﴿قَوْمٍ﴾. فعل مضارع وفاعله. إنّما جاءت الجملة

﴿تُجْهِهُوْنَ﴾ هنا صفة، لأنّ الجملة بعد النكرات صفات.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومحرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يُجْهِدُونَ﴾. وكل عمل يسد حاجة أو يدفع ظلامة فهو جهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية.

﴿لَا تَحَافُونَ﴾ فعل نفي وفاعله. صفة خامسة لـ ﴿قَوْمٍ﴾ وتكون في محل جرّ أو حال من الضمير الفاعلي في ﴿يُجْهِدُونَ﴾ بتقدير: حا لهم أهْمَهم ﴿لَا تَحَافُونَ﴾. لأنهم كانوا على ثقة بأنفسهم وأصالحة في آراءهم.

﴿لَوْمَةً﴾ مفعول به، واحدة من لوم وأريد بها هنا مطلق المصدر أي ﴿لَا تَحَافُونَ﴾ جميع أنواع اللوم.

﴿لَآئِمٍ﴾ مضاد إليه.

وفي الجملة ﴿لَا تَحَافُونَ لَوْمَةً لَآئِمٍ﴾ ثلاثة عمومات: عموم الفعل في سياق النفي وعموم المفعول وعموم المضاف إليه وهذا الوصف عالمة صدق إيمانهم.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى مجموع صفات الكمال المذكورة.

﴿فَضْلٌ﴾ خبر. ﴿الَّهُ﴾ مضاد إليه.

﴿يُؤْتَيهِ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، في محل نصب حال ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾.

﴿مَن﴾ اسم موصول، مفعول به ثان.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ممن له الاستعداد والقابلية لتحمل تلك الصفات الحميدة.

﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿الَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿وَسْعٌ عَلِيِّمٌ﴾ خبران أو أنّ الثاني نعت للأول.

أي كثير الفضل لا يخاف نفاد ما عنده وعليم بموضع جوده وعطائه.

شان نزو لها

قال القمي: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصباً آل محمد ﷺ حقهم وارتدوا عن دين الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَتُكْبِرُهُمْ﴾ نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه ﴿تُجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَحَافِظُونَ لَوْمَةً لَا يُبْرِئُ﴾ ١.

الروايات

عن سليمان بن هارون، قال: قلت له: إنَّ بعض هذه العِجَالَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ سَيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسْنِ؟

فقال: والله ما رأه هو ولا أبوه بواحدٍ من عينيه، إِلَّا أن يكون رأه أبوه عند الحسين عليهما السلام، وإنَّ صاحب هذا الأمر محفوظٌ له، فلا تذهبنَّ يميناً ولا شماليًّاً، فانَّ الأمر والله واضحٌ، والله لو أنَّ أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يُحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أنَّ الناس كفروا جميعاً حتَّى لا يبقى أحدٌ لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون من أهله.

ثم قال: أما تسمع الله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءاَمَنُوا مَن يَرْتَدُ مِنْكُمْ عَن دِيِّنِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ سُجِّلُوهُ أَذْلَالٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ - حتى فرغ من الآية - وقال في آية أخرى ﴿فَإِن يَكُفُّرُهُمْ هُنُّ لَا إِلَهَ إِلَّا وَهُنَّ فَقَدْ وَكَنَّا بِهِمْ قَوْمًا لَّيْسُوا بِهِمْ بِكُفَّارِ﴾ ثم قال: إنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْآيَةِ هُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْآيَةِ.^٤ ونحوها في الغيبة^٥ للنعماني.

١. تفسير القمي / ٢٥٠

^{٢٠} العِجَلَةُ: جمع عِجْلٍ، وفي بحار الأنوار ٤٩ / ٢٧، ح ١: العِجَلِيَّةُ، وهم طائفةٌ من الغُلاةِ، أتباعُ عمِيرٍ ابنِ بَيْانِ العِجْلِيِّ. راجع: معجم الفرق الإسلامية ١٧٠.

٣. سورة الأنعام / ٨٩

٤. تفسير العياشي / ٢، ٥٥، ح ١٣٦.

٥. الغيبة / ٣١٦، ح ١٢

عن بعض أصحابه، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سأله عن هذه الآية
 »فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَتُحْبِبُونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِينَ« قال:
 الموالي.^١

فرات قال: حدثني الحسين بن سعيد معنعاً عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:
 »فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَتُحْبِبُونَهُ« قال: علي وشيعته.^٢

قال أبو جعفر عليه السلام وأبو عبدالله عليه السلام وروي ذلك عن عمار وحذيفة، وابن عباس: أنها نزلت في أهل البصرة ومن قاتل علياً عليه السلام فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: يوم البصرة «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» وتلا هذه الآية.^٣
 عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: يرد عليّ يوم القيمة
 رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: رب أصحابي أصحابي!! فيقال: لا
 علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدوا على أدبارهم القهري.^٤

يروي عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سليمان الفارسي فقال: هذا وذوه، ثم قال: لو كان الدين معلقاً بالثريا لثالثه من أبناء فارس.^٥

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»

هذه الآية الشريفة سبقت لبيان الولاية الكلية الإلهية في ثبات دين الله تعالى

١. تفسير العياشي / ٢، ٥٦، ح ١٣٧.

٢. تفسير الفرات / ١٢٣، ح ٢٢.

٣. التبيان / ٣، ٥٥٥.

٤. تفسير الشعابي / ٤، ٧٩؛ صحيح البخاري / ٧، ٢٠٨.

٥. تفسير الشعابي / ٤، ٧٩؛ مجمع الزوائد / ١٠، ٦٤؛ تاريخ دمشق / ٥١، ٤٧.

وارسأه قواعد الإيمان وتطبيق شريعته، فمنْ أمعن النظر فيها وألقى العناد والمجادلة في الحق يظهر له هذه الولاية بوضوح.

﴿إِنَّا﴾ أداة حصر كافية مكفوفة دالة على قصر الأفراد بمعنى أنّ الولي فقط هؤلاء المذكورين لا غير أو قصر قلب بمعنى أنّ هؤلاء المذكورين هم الأولياء فقط لا غير، فيدل على الحصر أيضاً.

﴿وَلِيُّكُم﴾ مبتدأ ومضاف إليه والضمير يرجع إلى المؤمنين، والولي هو الذي يلي الأمر، يعني الذي يلي أمر المؤمنين ويتصدى شؤونهم والمراد بها قوله تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^١.

﴿الَّهُ﴾ خبر، الولاية أوّلاً وبالذات لله تعالى فقط. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على اسم الجلاله ومضاف إليه، ثم ثانياً وبالعرض جعل الله الولاية لرسوله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على اسم الجلاله.

﴿أَمْنُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿الَّذِينَ أَمْنُوا﴾ عام يشمل كلّ المؤمنين ولكن يراد به هنا شخص واحد - وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع - لأنّ:

- استعمال الجمع في موضع الإفراد وبالعكس من أساليب البلاغة.

- وقد استعمل «القرآن» ذلك في غير موضع: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الَّنَّاسُ إِنَّ الَّنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ﴾^٢، المراد به نعيم بن مسعود الأشعجي، وقصته معروفة ومذكورة في كتب التفسير والتاريخ. قال تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^٢. وقال

١. سورة الأحزاب / ٦.

١. سورة آل عمران / ١٧٣.

٢. سورة آل عمران / ٦١.

تعالى: «يُقُولُونَ لِئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمِ مِنْهَا الْأَذَلَّ»^١، المعروف أن القائل هو عبدالله بن أبي بن سلوى. قوله تعالى: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً»^٢. والمنفق إما هو على ليل أو غيره، وغير ذلك من الموارد الكثير^٣، بل يمكن القول أن أكثر ما ورد في القرآن الكريم من السؤال إنما هو من واحد، مثل قوله: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ»^٤، والسائل هو واحد^٥.

ومن الممكن أنه استعمل في معنى الجمع مع الحاق أولاد أمير المؤمنين المعصومين الأحد عشر عليهم السلام به عليهم السلام فحينئذ اللفظ استعمل في معنى الموضوع له. «الَّذِينَ» اسم موصول، بدل «الَّذِينَ» السابق، أو صفة لـ «الَّذِينَ ءامَنُوا». «يُقِيمُونَ» فعل مضارع وفاعله. واستعمال فعل المضارع يدل على الاستمرار والدואم.

«الصَّلَاةُ» مفعول به. يعني هم الذين يصلون على الدوام وصفتهم أنهم المصلون.

«وَ» عاطفة. «يُؤْتُونَ» فعل مضارع وفاعله.

«الزَّكُوَةُ» مفعول به. صفة ثابتة لهم أنهم على الدوام والاستمرار يكونون في مقام إعطاء الزكاة. و«الزَّكُوَةُ» انصرفت إلى الصدقة الواجبة المعروفة وقد يطلق على الصدقة المندوبة.

«وَ» حالية وما بعدها حال من الضمير الفاعلي في «يُؤْتُونَ الْزَّكُوَةَ».

١. سورة المنافقون / ٨.

٢. سورة البقرة / ٢٧٤.

٣. وليراجع كتاب «المراجعات» للأمام السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي عليه السلام فقد ذكر نكبات أخرى في علة التعبير عن المفرد بالجمع في هذه الآية الكريمة.

٤. سورة البقرة / ٢١٥.

٥. مواهب الرحمن / ١١٠٥.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿رَكِعُونَ﴾ خبر.

كلمات مفسري العامة أنها نزلت في عليٍ عليه السلام

قال الطبرى: «فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به، فقال: بعضهم: عني به علي بن أبي طالب. وقال بعضهم: عني به جميع المؤمنين»^١.

وقال الزمخشري: «وأنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه، كأنه كان مرجاً في خصره، فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته. فإن قلت: كيف صح أن يكون لعليٍ عليه السلام وللله لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمه أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها»^٢.

وقال البيضاوى: «وأنها نزلت في عليٍ عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه. واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولى للأمور والمستحق للتصرف فيها، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلى هذا يكون دليلاً على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة»^٣.

وقال الشعابي: «ولكن اتفق مع ذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام أعطى خاتمة

١. تفسير الطبرى ٦/٣٤٣.

٢. الكشاف ١/٦٤٩.

٣. تفسير البيضاوى ٢/١٦٩.

وهو راكع^١.

وقال أبوالسعود: «وروي أتّها نزلت في عليٍّ حين سأله سائل وهو راكعٌ فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجأً في خنصره غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدّي إلى فساد الصلاة، ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله^{عليه السلام}، وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة»^٢.

وقال الفخر الرازي: «روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب^{عليه السلام}. روى أن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع، فتحنن نتوهه. وروى عن أبي ذر^{رض} أنه قال: صليت مع رسول الله^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فما أعطاني أحد شيئاً، وعلى^{عليه السلام} كان راكعاً، فأوْمأ إليه بخصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}، فقال: اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال: (قَالَ رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي)^٣ إلى قوله: (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)^٤ فأنزلت قرآنناً ناطقاً: (سَتَشْدُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعْلُ لَكُمَا سُلْطَنَّا)^١ اللهم وأنا محمد نبيك وصفريك فاسرح لي صدري ويسّري أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري. قال أبوذر: فوالله ما أتمَ رسول الله هذه الكلمة حتّى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ: (إِنَّا وَلِكُمْ أَلَّهُ وَرَسُولُهُ)^٢ إلى آخرها، فهذا مجموع ما يتعلق بالروايات في

١. تفسير الشعابي / ٣٩٦ / ٢.

٢. تفسير أبي السعود / ٣ / ٦٤.

٣. سورة طه / ٢٥.

٤. سورة طه / ٣٢.

١. سورة القصص / ٣٥.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ»^١.

وَقَالَ السَّيِّدُ الْأَلْوَسِيُّ الشَّافِعِيُّ ثُمَّ الْحَنْفِيُّ: «وَغَالِبُ الْأَخْبَارِيِّينَ عَلَى أَنَّهَا نَزَلتَ فِي عَلِيٍّ كَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَجْهُهُ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدُوْيَهُ وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا بِإِسْنَادٍ مَتَّصِلٍّ قَالَ: «أَقْبَلَ ابْنُ سَلَامٍ وَنَفَرَ مِنْ قَوْمِهِ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مَنَازِلَنَا بَعِيدَةٌ وَلَيْسَ لَنَا مَجْلِسٌ وَلَا مَتْحَدِثٌ دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ وَإِنَّ قَوْمَنَا لَمَّا رَأَوْنَا آمَنَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَصَدَّقَنَا رَفِضُونَا وَآتَوْنَا عَلَى نُفُوسِهِمْ أَنَّ لَا يَجِدُونَا وَلَا يَنْاكِحُونَا وَلَا يَكْلُمُونَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^٢، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ فَبَصَرَ بِسَائِلٍ فَقَالَ: هَلْ أَعْطَكُ أَحَدًا شَيْئًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ خَاتِمُ الْفُضْلَةِ، فَقَالَ: مَنْ أَعْطَاكَهُ؟ فَقَالَ: ذَلِكَ الْقَائِمُ، وَأَوْمَأَ إِلَى عَلِيٍّ كَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟ فَقَالَ: وَهُوَ رَاكِعٌ، فَكَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ تَلَّاهُ هَذِهِ الْآيَةُ» فَأَنْشَأَ حَسَانٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ:

أَبَا حَسَنِ تَفْدِيْكَ نَفْسِيْ وَمُهْجَبِيْ
أَيْدِهِبُ مَدْحِيْكَ الْمُحَبَّرُ ضَائِعًا
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعًا
فَأَنْزَلَ فِيْكَ اللَّهُ خَيْرٌ وِلَايَةٌ
وَأَثْبَثَهَا أَنْتَا كِتَابِ الشَّرَاعِ»^١

وَقَالَ ابْنُ عَاشُورَ: «رَوَى الْحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدُوْيَهُ: جَاءَ ابْنُ سَلَامٍ (أَيْ عَبْدُ اللَّهِ) وَنَفَرَ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ آمَنُوا (أَيْ مِنَ الْيَهُودِ) فَشَكَوْا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بُعْدَ مَنَازِلِهِمْ وَمَنَابِذَةِ الْيَهُودِ لَهُمْ فَنَزَلَتْ «إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^٢ ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَبَصَرُ

١. التفسير الكبير / ١٢ / ٢٦.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

١. روح المعاني / ٦ / ٤٥٨.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

بسائل، فقال له: هل أعطاك أحد شيئاً، فقال: نعم خاتم فضّة أعطانيه ذلك القائم يصلي، وأشار إلى عليٍّ، فكَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، ونزلت هذه الآية، فتلها رسول اللهٰ¹.

استدلال الشيعة بها على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل

قال شيخ الطائفه: «واعلم إنَّ هذه الآية من الأدلة الواضحة على إماماة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل.

ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الوليَّ في الآية بمعنى الأولى والأحق. وثبت أيضاً أنَّ المعنى بقوله «وَالَّذِينَ ءامَنُوا» أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت هذان الأصلان دلَّ على إمامته؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ قال: أنَّ معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال إِنَّهَا خاصة فيه. ومن قال: باختصاصها به عليه السلام قال المراد بها الإمامة^٢... «فالذى يدلُّ على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو المخصوص بها أشياء:

منها: أن كُلَّ مَنْ قال: إنَّ معنى الولي في الآية معنى الأحق قال إنَّه هو المخصوص به. ومن خالف في اختصاص الآية يجعل الآية عامة في المؤمنين وذلك قد أبطلناه.

ومنها: ان الطائفتين المختلفتين الشيعة وأصحاب الحديث رروا أن الآية نزلت فيه عليه السلام خاصة.

ومنها: أن الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إِلَّا فيه، لأنَّه قال: «وَالَّذِينَ ءامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فبَيْنَ أَنَّ المعنى بالآية هو الذي أتى الزكوة في حال الركوع. وأجمعَت الأمة على أنَّه لم يُؤْتِ الزكوة في حال الركوع غير أمير المؤمنين عليه السلام^١.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/١٣٨.

٢. التبيان ٣/٥٥٩.

١. التبيان ٣/٥٦١.

وقد اعرض العامة على هذا الاستدلال بوجوه وجوابها

الأول: أن الولي في اللغة جاء بمعنى الناشر والمحب، كما جاء بمعنى المتصرف، والاستدلال مبني على المعنى الثاني وهو غير معين.
 ويرد عليه: الولي يستعمل في اللغة بمعنى الأولى والأحق كما يقال للسلطان المالك للأمر: فلان ولِيَ الْأَمْرِ وفلان ولِيَ الْعَهْدِ، و «قال النبي ﷺ : «أَيْمَا امْرَأَ نَكْحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيهَا فَنَكَحْهَا بِاطْلٍ» يريد من هو أولى بالعقد عليها. وقال تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَيَا * بَرِثْنِي وَبَرِثْ مِنْ إَالِ يَعْقُوبَ»^١ يعني من يكون أولى بحيازة ميراثي من بنى العم. وقال المبرد: الولي والأولى والأحق والمولى بمعنى واحد والأمر فيما ذكرناه ظاهر، فأمّا الذي يدلّ على أن المراد به في الآية ما ذكرناه هو أن الله تعالى نفى أن يكون لنا ولِيَ الله وغير رسوله، والذين آمنوا بلفظة «إِنَّا» ولو كان المراد به الم الولاية في الدين لما خص بها المذكورين، لأن المولا في الدين عامة في المؤمنين كلّهم. قال الله تعالى «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُوْلَائِهِ بَعْضٌ»^٢ وإنما قلنا: أن لفظة «إِنَّا» تفيد التخصيص».^٣

الثاني: «هب أئمّها دالة على إمامية علي، لكنّا توافقنا على أنها عند نزولها مادّلت على حصول الإمامية في الحال: لأنّ علياً ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلّا أن تحمل الآية على أنها تدلّ على أن علياً سيصير إماماً بعد ذلك، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدلّ على تعين الوقت».^٤

١. سورة مرريم / ٥ و ٦.

٢. سورة التوبة / ٧١.

٣. التبيان / ٣ / ٥٥٩.

٤. التفسير الكبير / ١٢ / ٢٩.

ويرد عليه: قال بعض أصحابنا إن علياً «كان إماماً في الحال ولكن لم يأمر بوجود النبي ﷺ وكان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضى النبي ﷺ قام بما كان له. ومنهم من قال - وهو الذي نعتمد - أن الآية دلت على فرض طاعته واستحقاقه للإمامية. وهذا كان حاصلاً له. وأما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقاق الأمر لولي العهد في حياة الإمام الذي قبله وإن لم يجز له التصرف في حياته. وكذلك يثبت استحقاق الوصية للوصي وإن منع من التصرف وجود الموصي. وكذلك القول في الأئمة»^١.

الثالث: استعمال لفظ الجمع الدال على العموم لا اختصاص له بمورد النزول لأنّ حمل العام على الخاص خلاف الأصل فيكون مفاد الآية حصر الولاية العامة لرجال متعددين، يدخل فيهم علي علیه.

ويرد عليه: ما مرّ منا في ذيل كلمتي «الذين ءامنوا» من الآية الشريفة فلا نعيد.

الرابع: عدم تمام الإجماع على نزولها في علي علیه وقد اختلف علماء التفسير في ذلك.

ويرد عليه: الكل متفقون على نزولها في شأن علي علیه كما مرّ، نعم البعض قد ذكروا موارد أخرى مضافاً عليه، ومقالة البعض ليست اتفاقية ولكن الأول متفق عليه والمنكر نزولها في شأن علي علیه ليس إلا نواصب العامة نحو الجاحظ في رسالته العثمانية^٢ وابن تيمية في منهاج السنة^٣ ونصبها من الواضحة.

وقد ذكر العلامة الأميني في موسوعته الغدير^٤ ستة وستين (٦٦) من علماء

١. البيان / ٣٥٦٣.

٢. العثمانية / ١١٨.

٣. منهاج السنة / ١٥٦.

٤. الغدير / ٣١٦٢-١٥٦.

العامة وكتبهم الذين قبلوا وذكروا شأن نزول الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام.

الخامس: قال الألوسي: «النقض بأن هذا الدليل كما يدل بزعمهم على نفي إمامية الأئمة المتقدمين كذلك يدل على سلب الإمامة عن الأئمة المتأخرین كالسبطين رضي الله تعالى عنهم وباقی الإثنتي عشر رضي الله تعالى عنهم أجمعین بعین ذلك التقریر، فالدليل يضر الشیعة أكثر مما يضر أهل السنة كما لا يخفى.

ولا يمكن أن يقال: الحصر إضافي بالنسبة إلى مع تقدمه.

لأننا نقول: إن حصر ولایة من استجتمع تلك الصفات لا يفيد إلا إذا كان حقيقةً، بل لا يصح لعدم استجماعها فيما تأخر عنه كرم الله تعالى وجهه.

وإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولایة في الأمیر كرم الله تعالى وجهه في بعض الأوقات أعني وقت إمامته لا وقت إمامية السبطين ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم. قلنا: فمرحباً بالوفاق إذ مذهبنا أيضاً أن الولایة العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله وهو زمان خلافة الثلاثة، ولا بعده وهو زمان خلافة من ذكره^١.

ويرد عليه: الآية الشريفة تثبت استحقاق خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام بلا فصل وأما بعد الأمیر عليه السلام الخليفة من هو؟ الآية ساكتة بالنسبة إليه.

والامیر عليه السلام عین نجله وصيّاً وخليفة بعده وهكذا يستمر إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

أو أنّ الأئمة الأحد عشر عليه السلام بعد الأمیر عليه السلام هم أولاده عليه السلام ووجوده التنزيلي فتشملهم الآية الشريفة.

أو أنّ رسول الله عليه السلام جعلهم عليه السلام الأئمة بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

أو أنّ الأئمة عليه السلام كلّهم عملوا بهذه الآية الشريفة كما وردت في بعض الروايات

ولعل هذا سر الآتian بضماء الرجع وموصوله.^١

الروايات العامة في شأن نزولها

لأجل الوصول إلى روایاتهم راجع الكتب التالية:

- شواهد التنزيل ١/١٨٤-٢٠١، للحكم الحسکاني.

- الدر المثور ٢/٢٩٣

- موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١/٢١٦-٢١٧، عن ٢١ راوياً وفي
٧٥ حديثاً.

وهذا المقدار كافٍ لمن له التعلق وترك العصبية في إثبات ولاية أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب عليهما السلام والحمد لله على أول النعم.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^٢

«هذه الآية نص صريح لا يقبل التأويل بحال على أن المعنى المراد من ولاية الله
والرسول والمؤمنين واحد لا اختلاف فيه، وأنّ من حافظ على هذه الولاية، ولم يفرق
بين الله ورسوله ومن جمع بين الزكاة والركوع فهو من حزب الله الغالب بمنطق الحقّ
وحجته»^٣.

وتؤكد بلغ ما تضمنته الآية السابقة وإعلام بأنّ الولاية الإلهية لا يتحقق إلا
بأخذ من ذكر في الآية السابقة ولیاً ويعهد بمراعاة الطاعة لهم وأخذ الإسلام منهم
وإلا فلا يكون مؤمناً مواليًّا.^٤

١. نحو خبر أحمد بن عيسى المروي في الكافي ٢/١١، ح ٣٢٨٨/١.

٢. الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٣ هـ. ق. مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

٣. التفسير الكافش ٣/٨٢.

٤. مقتبس من مواهب الرحمن ١١/٤٠٩.

وبالجملة: الآية الشريفة تفيد وجوب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة الذين آمنوا وهم الذين ذكرهم الله في الآية السابقة.

(وَ) استئنافية.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجزائه خبره.
﴿يَتَوَلَّ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة «إِ」 من آخره، وفاعله ضمير مستتر «هو». التولي: هو الأخذ ولِيًّا أي حاكماً ورئيساً مطاعاً وأميراً وخليفة.

﴿الَّهُمَّ﴾ مفعول به، وقال تعالى: ﴿الَّهُ وَلَيْلَ اللَّذِينَ إَمْنَوْا﴾^١ وقال: ﴿وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

(وَ) عاطفة. ﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على ﴿الَّهُ﴾ ومضاف إليه.
(وَ) عاطفة. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب معطوف على ﴿رَسُولُهُ﴾.
﴿إِمْنَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿الَّذِينَ إَمْنَوْا﴾ مفید للعهد والمراد به المذكور في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إَمْنَوْا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ رَكِيْمُونَ﴾ النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما مرّ.

(فَ) واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
﴿حِزْبٌ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. «مادة ﴿حِزْبٌ﴾ تدلّ على القوم الذين اجتمعوا لأمرٍ آخر مهم ولا يستعمل الحزب إلا في الجماعة التي فيها شدة وغلظة وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم في ما يقرب عشرين مورداً قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ﴾^٣

١. سورة البقرة / ٢٥٧ .

٢. سورة آل عمران / ٦٨ .

٣. سورة المؤمنون / ٥٣ وسورة الروم / ٣٢ .

أي كُل فرقه مجتمعة على أمر ما... وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^١ .
 ﴿الَّهِ﴾ مضاد إليه. ﴿هُم﴾ ضمير منفصل يرجع إلى ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾.
 ﴿الْغَلِيلُونَ﴾ خبر، وجملة ﴿هُمُ الْغَلِيلُونَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. «ومراد من
 الغلبة كُل ما يتصور من الغلبة في الحجة والبرهان في الحال أو المال»^٢ وفي جميع مراتب
 الحياة الدنيوية والأُخْرَوِيَّة.

والجملة الجزائية ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِيلُونَ﴾ تدل على جواب الشرط بذكر
 علة الجواب ووضع الكبri موضع النتيجة للدلالة على علة الحكم والتقدير: فـ ﴿هُمُ
 الْغَلِيلُونَ﴾ لأنهم ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾. أو ﴿مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءامَنُوا﴾ فهو غالب لأنّه
 من حزب الله و ﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِيلُونَ﴾.

الروايات

العياشي رفعه عن صفوان الجمال، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : لِمَ نَزَّلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ
 بِالْوَلَايَةِ، أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالدُّوَّهَاتِ، دَوَّهَاتُ غَدِيرِ خُمٍّ، فَقَعَّمْتَ^٤، ثُمَّ نَوَّدَى
 الصلاة جامعاً.

ثُمَّ قَالَ: أَئْيُهَا النَّاسُ، أَلْسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلٍ. قَالَ: فَمَنْ
 كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعُلِيُّ مَوْلَاهُ، رَبُّ وَالِّهِ مِنْ وَالِّهِ، وَعَادِ مِنْ عَادَهُ.

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ بِبَيْعَتِهِ، وَبِإِيَاعِ النَّاسِ، لَا يَجِيءُ أَحَدٌ إِلَّا بَايِعَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى
 جَاءَ أَبُوبَكْرَ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرَ، بَايِعَ عَلَيَّاً بِالْوَلَايَةِ. فَقَالَ: مِنَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ رَسُولِهِ؟ فَقَالَ:
 مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرَ فَقَالَ: بَايِعَ عَلَيَّاً بِالْوَلَايَةِ. فَقَالَ: مِنَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ

١. سورة المجادلة / ٢٢ .

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٠٩ .

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٤١٠ .

٤. أي كنست.

رسوله؟ من الله ومن رسوله. ثم ثنى عطفيه^١ فالتقى، فقال لأبي بكر: لشَدَّ ما يرُفِعُ
بضْبُعي^٢ ابن عمّه!

ثم خرج هارباً من العسكر، فما لَيْثَ أَن رجع إلى النبِيِّ عليه وآلِه السلام فقال: يا
رسول الله، إني خرجت من العسكر لحاجةٍ، فرأيت رجلاً عليه ثياب بيضاء لم أر أحسن
منه، والرجل من أحسن الناس وجهًا، وأطيبهم ريحًا، فقال: لقد عقدَ رسول الله عليه وآله وسالم
لعلِّي عقداً لا يَكُلُّه إلا كافر.

فقال عليه وآله وسالم: يا عمر، أتدرِي من ذاك؟ قال: لا. قال: ذاك جَبْرئيل عليه وآله وسالم، فاحذر
أن تكون أول من تَكُلُّه فتَكُفُّر.

ثم قال أبو عبد الله عليه وآله وسالم: لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجلٍ يشهدون لعليّ بن
أبي طالب عليه وآله وسالم، فما قَدَرَ على أخذ حقّه، وإنَّ أحدكم يكون له المال، وله شاهدان،
فيأخذ حقَّه «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ» في عليٍ عليه وآله وسالم.^٣

خبر عمَّار بن أبي يقظان عن أبي عبد الله عليه وآله وسالم قال: يحيى رسول الله عليه وآله وسالم يوم
القيمة آخذاً بجزء ربه، ونحن آخذون بجزء نبينا، وشيَّعنا آخذون بجزءتنا،
فنحن وشيَّعنا حزب الله، و «حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ» والله ما نزعم أَنَّها حجزة الإزار
ولكنَّها أعظم من ذلك، يحيى رسول الله عليه وآله وسالم آخذاً بدين الله، ونجيء نحن آخذين
بدين نبينا وتحيىء شيعتنا آخذين بديننا.^٤

ابن شهرآشوب عن الباقر عليه وآله وسالم أَنَّها نزلت في علي عليه وآله وسالم.^٥

ابن شهرآشوب قال: وفي أسباب النزول عن الواهبي «وَمَن يَتَوَلَّ» يعني يحب

١. عطفاً الرجل: جانبه من لدن رأسه إلى وركيه. يقال: ثنى عَنِي عطفه: أي عرض وجفا.

٢. الضَّبْع: ماءِن الإبط إلى نصف العضد.

٣. تفسير العياشي ٢/٥٨، ح ١٤٤.

٤. التوحيد ١٦٦، ح ٣.

٥. المناقب ٣/٨.

الله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ ءاَمَنُوا﴾ يعني علياً ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ يعني شيعة الله ورسوله ووليه
 ﴿هُمُ الْغَلِبُونَ﴾ يعني هم الغالبون على جميع العباد، فبدأ في هذه الآية بنفسه ثم بنبيه ثم
 بوليه وكذلك في الآية الثانية .^٢

روى الحاكم الحسكناني بإسناده عن ابن عباس قال: أتى عبد الله بن سلام
 ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله ﷺ عند صلاة الظهر فقالوا: يا رسول الله [إن]
 بيotta قاصية ولا نجد مسجداً دون هذا المسجد، وإن قومنا لما رأونا صدقنا الله
 ورسوله وتركتنا دينهم أظهروا لنا العداوة وأقسموا ان لا يخالطونا ولا يجالسونا ولا
 يكلمونا فشق ذلك علينا فبينما هم يشكون إلى رسول الله ﷺ إذ نزلت هذه الآية:
 ﴿إِنَّمَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿الْغَلِبُونَ﴾. وخرج رسول الله إلى المسجد
 والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدعاه رسول الله
 فقام [له] هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال: خاتم من فضة. قال: من
 أعطاكه؟ قال: ذاك الرجل القائم. فإذا هو علي بن أبي طالب، قال: على أي حال
 أعطاكه؟ وقال: أعطانيه وهو راكع. فزعموا ان رسول الله [ﷺ] كبر عند ذلك،
 وقال: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءاَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ﴾.^٣

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءاَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اَخْتَدُوا دِينَكُمْ هُرُوا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ
 اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ اُولَئِكَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

الآية الشريفة «تخبر عن عداوة أهل الكتاب والكافر وتكشف عن سوء

١. والمراد بها الآية الشريفة، سورة المائدة / ٥٥.

٢. المناقب .٨ / ٣

٣. شواهد التنزيل ١ / ١٨٥، ح ٢٤١

سرائرهم وحيث صمائهم وتبين سوء صفاتهم وهي الاستهزاء واللعن بأحكام الله وشريعته^١ ومرة ثانية نهى الله سبحانه عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء كما مررت الأولى في الآية ٥١ من هذه السورة.

﴿يَنَائِيهَا الَّذِينَ ءَامُوا﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ فعل نهي وفاعله، الاتخاذ هو الافعال من الأخذ ومعناه الاعتماد على الشيء لإعداده لأمرٍ.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به أولٍ. ﴿أَخْنَدُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿دِينَكُمْ﴾ مفعول أولٍ لـ ﴿أَخْنَدُوا﴾ مضارف إليه.

﴿هُرُوا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَخْنَدُوا﴾. المزءون هو المزح في خفية ومنه السخرية، كما هو «شأن السفيه العاجز عن مجاهدة الحجة بمثلها، ولا يليق بالعقل أن يوالي السفهاء، بخاصة الذين يهزأون من دينه وأشرف مقدساته»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَعِبًا﴾ معطوف على ﴿هُرُوا﴾. ولللعب: كل فعل لم يقصد منه مقصدًا صحيحًا سواء لم يكن فيه النفع ألم كان.

﴿مَنَ﴾ حرف جر بيانٍ.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جرّ، الجار والمجرور متعلق بحال محدوقة من الاسم الموصول الأول ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ﴾، تقديره: حال كونهم ﴿مَنَ الَّذِينَ ...﴾. أو متعلق بحال محدوقة من الضمير الفاعلي في ﴿أَخْنَدُوا﴾.

﴿أُوتُوا﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. ﴿الِّكِتَبَ﴾ مفعول به.

﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ جار ومحروم ومضاف إليه متعلق بحال محدوقة ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

١. مواهب الرحمن ١١/٤٣٢.

٢. التفسير الكاشف ٣/٨٤.

الْكِتَبَ .

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْكُفَّار﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ في ﴿لَا تَشْخِذُوا الَّذِينَ﴾ . وفُرئ بالجر عطفاً على
 ﴿الَّذِينَ﴾ في ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ﴾ .

وعطف ﴿الْكُفَّار﴾ على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ﴾ يكون من عطف العام على
 الخاص.

﴿أُولَئِءِ﴾ مفعول به ثان لـ ﴿لَا تَشْخِذُوا﴾ في صدر الآية. ﴿أُولَئِءِ﴾ جمع ولي
 والمراد منه ما مرّ منا في الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾^١ بلا فرق.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَتَقُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿الَّهُ﴾ مفعول به، ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ في موالة الكفار فلا تتولوا إلّا من عينه الله
 للولاية.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم لأنّه فعل الشرط واسم «كان».
 ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر «كان».

وجزاء الشرط محذوف لما مرّ من الأمر بالتقى، والشرط وجوابه هكذا: ﴿إِن
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فـ ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ في عدم موالة الكفار وأهل الكتاب.
 وتظهر من الآية الشريفة أمور ثلاثة:

الأول: «أَنْ ذَكَرَ اتَّخَذُهُمُ الدِّينَ هَرْثُوا وَلَعْبًا فِي وَصْفِ مَنْ نَهَى عَنْ وَلَاتِهِمْ إِنَّمَا
 هُوَ لِإِشَارَةِ إِلَى عَلَّةِ النَّهْيِ إِنَّ الْوِلَايَةَ الَّتِي مِنْ لَوَازِمِهَا الْامْتِرَاجُ الرُّوحِيُّ وَالتَّصْرِيفُ
 فِي الشُّؤُونِ الْفُنُسِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ لَا يَلَائِمُ اسْتِهْزَاءَ الْوَلِيِّ وَلَعْبَهُ بِهَا يَقْدِسُهُ وَلِيَّهُ وَيَحْتَرُمُهُ
 وَيَرَاهُ أَعْزَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنْ نَفْسِهِ فَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ لَا يَتَخَذَ مَنْ هَذَا شَأنُهُ وَلِيَّاً،

ولا يلقي أزمة التصرف في الروح والجسم إليه.

والثاني: ما في اتخاذ وصف الإيمان في الخطاب في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من المناسبة لمقابلته بقوله: ﴿الَّذِينَ أَخْنَدُوا دِينَكُمْ هُرُوا وَلَعِبًا﴾ وكذلك ما في إضافة الدين إليهم في قوله: ﴿دِينَكُمْ﴾.

والثالث: أن قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بمنزلة التأكيد لقوله: ﴿لَا تَشَنَّدُوا الَّذِينَ أَخْنَدُوا دِينَكُمْ هُرُوا وَلَعِبًا﴾ (الخ)، بتكراره بلفظ أعم وأشمل فإن المؤمن وهو الأخذ بعروة الإيمان لا معنى لأن يرضى بالهزء واللعب بما آمن به فهو لاء إن كانوا متلبسين بالإيمان - أي كان الدين لهم ديناً - لم يكن لهم بد من تقوى الله في أمرهم أي عدم اتخاذهم أولياء.

ومن المحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى ما ذكره تعالى من نحو قوله قبيل آيات: ﴿وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^١ والمعنى: واتقوا الله في اتخاذهم أولياء إن لم تكونوا منهم، والمعنى الأول لعله أظهره^٢.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَخْنَدُوهَا هُرُوا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥٨

«بيان وتأكيد لما سبق، وتحقيق له بذكر أحد المصادر المهمة الذي يبيّن كمال شقاوتهم، فإن الصلاة عبادة خاصة تشتمل على معانٍ سامية، وإليها أُمّ العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها، وفيها يقف العبد بين يدي خالقه، ويطلب منه العون والتوفيق، فالاستهزاء بها واتخاذها لعباً إنما يكون عن شقاء وحرمان كلّ ما في النفس من

١. سورة المائدة / ٥١.

٢. الميزان / ٦٢٧.

إصلاح^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط مبني على السكون خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿نَادَيْتُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، في محل جر بالاضافة، والمراد بالنداء وهو الدعاء هنا: الأذان المشروع في الإسلام قبل الصلوات اليومية ولم يذكر الأذان في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع كما في الميزان.^٢

ورده السبزواري^٣ بأنه ورد في قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾.

﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿نَادَيْتُمْ﴾. فالمراد بها هي الصلوات المفروضة اليومية.

﴿أَخْنَذُوهَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ومفعولٌ به أولٌ. جواب شرط غير جازم. والضمير الفاعلي يرجع إلى الكفار وأهل الكتاب والمفعولي يرجع إلى ﴿الصَّلَاةِ﴾ أو المناداة المستفادة من قوله ﴿نَادَيْتُمْ﴾.

﴿هُرُوا﴾ مفعولٌ به ثانٍ لـ ﴿أَخْنَذُوهَا﴾. وقد مر معناه في الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَعِبَّا﴾ معطوف على ﴿هُرُوا﴾ وقد مر معناه.

الكافر يستهزرون بهذه الشعيرة الإلهية - الصلاة - في جميع ما يتعلق بها من الأذان وغيره.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٣٥.

٢. الميزان / ٦ / ٢٨.

٣. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٣٥.

٤. سورة الجمعة / ٩.

﴿ذَلِك﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى هذا الاتخاذ من جانب الكفار.

﴿أَن﴾ حرف جر. ﴿أَن﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿هُم﴾ اسم ﴿أَن﴾. ﴿أَن﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محل جر بالباء.
والجار والمجرور في محل رفع متعلق بخبر المبتدأ. والضمير يرجع إلى ﴿الْكُفَّار﴾^١.

﴿قَوْم﴾ خبر ﴿أَن﴾. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

والجملة الأخيرة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ «تعليق لما سبق، أي الإتخاذ المذكور إنما هو بسبب عدم التعقل منهم لدرك المحسن والحقائق، بل ليس بوعدهم أن يتعلّقوا ما في هذه الشعائر العباديّة والأعمال الدينيّة من فوائد، فإنّ فيها القرب من الله تعالى، وفيها تتجلّي حقيقة العبوديّة، وفيها السعادة في الدارين، لكنّهم جهلوا بها فسخروا وهزّوا بالحقّ، ولو كان لهم عقل لما صدر منهم ذلك»^٢.

«قال المفسرون بما فيهم الرازبي^٣ وصاحب المنار^٤: إن المراد من قوله تعالى ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنّهم لا يدركون حقيقة الإسلام، ولو أدرکوا حقيقته لم يتخدوه هزواً.

أما نحن فنرى أنّهم قد عقلوا الإسلام، وأدرکوا أهدافه، وأن الذين حاربوه إنما حاربوه لأنّهم أدرکوا خطره على منافعهم وامتيازاتهم... فلقد أدرکوا أنّ الإسلام ثورة على الظلم والاستغلال، وعلى الفقر والتخلف، وعلى تقسيم الناس إلى سيد ومسود، وأنّه لا فضل لخلق على غيره إلا بخدمة الناس، والعمل لصالحهم ونافعهم... هذا هو ذنب الإسلام عندهم، ومن أجله حاربوه بجميع ما يملكون من وسائل، حتى الهزء والسخرية.

١. سورة المائدة / ٥٧.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٣٦.

٣. التفسير الكبير / ١٢ / ٣٣.

٤. المنار في تفسير القرآن / ٦ / ٣٦٨.

وتتجلى دعوة الإسلام هذه بأكمل معانيها في نداء المؤذن: الله أكبر... لا إله إلا الله... فإن معنى الله أكبر أنه لا كبير ولا عظيم إلا هو وحده لا شريك له، ومعنى لا إله إلا الله: أن المال والجاه والأنساب ليست آلة تعبد، ولا قوة يخضع لها، وإنما الخضوع للحق وحده، والناس فيه سواء، وأن ما من أحد على وجه الأرض له أن يمس حرية إنسان كائناً من كان... وكفى بهذا ذنباً للإسلام عند ألد أعداء الإنسان، ومن أجل عداوتهم هذه، لا من أجل جهلهم بحقيقة الإسلام وصفتهم العليم الحكيم ﴿يَأَنْهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَبِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾ ٥٩

خطاب للنبي الخاتم ﷺ بالجادلة مع أهل الكتاب عامة واليهود منهم خاصة والخطاب مع الكفار يأتي في الآية ٦١ وما بعدها فانتظر.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم ﷺ لأنّه كان المدافع الأول عن الشريعة المقدسة والولي الأول المجعل من الله تعالى.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ﴾ أمر الله نبيه ﷺ بمخاطبة ومجادلة أهل الكتاب.

﴿هَلْ﴾ حرف استفهام إنكارى وتعجبى.

﴿تَنْقِمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. النقم: الكراهة والنكران والعقوبة. ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ﴾: أي هل تنكرؤن أو تكرهون أو تعاقبون على ما ليس إلا محامد لنا.

﴿مِنَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَنْقِمُونَ﴾. وجملة ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَا﴾ في محل

١. التفسير الكاشف ٣/٨٤ و ٨٥.

نصب مفعول به (قُلْ). .

(إِلَّا) أداة حصر. (أَنْ) مصدرية.

(ءَامَنَّا) فعلٌ ماضٍ وفاعله. (أَنْ ءَامَنَّا) بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به (تَنِقْمُونَ) أي (هَلْ تَنِقْمُونَ مِنَا إِلَّا) إيماننا.

(بِاللَّهِ) جار ومحرر متعلق بـ (ءَامَنَّا). (وَ) عاطفة.

(مَا) موصولة، في محل جر معطوف على (اللَّهُ).

(أَنْزَلَ) ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر هو.

(إِلَيْنَا) جار ومحرر متعلق بـ (أَنْزَلَ). (وَ) عاطفة.

(مَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) تعرُب إعراب (مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا)، إِلَّا أَنْ (قَبْلُ) اسم مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة ولكن في محل جر.

(وَ) عاطفة. (أَنْ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

(أَكْثَرُكُمْ) اسم (أَنْ) ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب.

(فَسِقُونَ) خبر (أَنْ).

وحاصِلُ المعنى: هل تنكرون أو تكرهون منا إِلَّا الذي تشاهدونه وهو أَنَّا آمَنَّا بالله وإنَّا مُؤْمِنُونَ به وبِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْنَا وَإِلَى مَنْ قَبْلَنَا وَأَنْكُمْ فاسقون غالباً.

والجملة الأخيرة (وَأَنَّ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ) في موضع التعليل أي لأنَّ (أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ) خارجون عن رتبة الإيمان للحسد وحب الرئاستة.

«والمقابلة بين الإيمان والفسق لبيان بطلان النعمة»^١. وأنَّ ذلك النعمة عجيب

لأنَّكم (تَنِقْمُونَ مِنَا) الإيمان بالله وبالأنبياء والكتب السماوية كلَّها وأنتم (أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ). كافرون، فهذا النعمة تهكُّم عجيب.

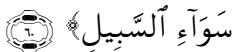
ولذا قال الطبرسي: «إِنَّمَا كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون إنَّا على الحق لأنَّكم فسقتم

بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال... ومعنى **(فَسِقُونَ)**
خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسداً على منزلة النبوة...^١.

شأن نزولها

قال ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ نفر من يهود فيهم أبوياسر بن أخطب ورافع ابن أبي رافع وغيره، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال أؤمن بـ **(بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخَنَّ لَهُ مُسْلِمُونَ)**^٢ فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن به وبمن آمن به، فأنزل الله هذه الآية.^٣

﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الظَّغُوفَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ الْسَّبِيلِ ﴾



خطاب آخر للرسول الخاتم أن يخاطب أهل الكتاب ويجادلهم بالتى هي أحسن بهذه المقالة: قل يا رسول الله لهم: إن كان الإيمان بالله ورسله وكتبه شرًّا يوجب الكراهة والنقمة فأننا أخبركم بشرٍّ من هذا - إن كان هذا شرًّا بنظركم - وهو **(مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الظَّغُوفَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ الْسَّبِيلِ)** وهذه الاوصاف كلّها يهودية «حيث سجل الله عليهم لعنته وغضبه

١. مجمع البيان / ٣ / ٢١٤.

٢. سورة البقرة / ١٣٦.

٣. التبيان / ٣ / ٥٧٠.

في أكثر من آية، ووصفهم بعبادة الجبّ والطاغوت، وقال لهم: كونوا قردة خاسئين، ومن هذه الآيات:

١- «كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ الْأَسْبَتِ»^١.

٢- «فَبَاءُو بِعَضَّبٍ عَلَىٰ غَصَّبٍ»^٢

٣- «فَقُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوا قِرَدَةً حَسَّيْنِ»^٣. وما قال الله لشيء كن إلا كان.

٤- «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَّتِ وَالْطَّاغُوتِ»^٤. وقيل المراد بالطاغوت الشيطان. وقيل: العجل. والصحيح أن كل من أطاع عبداً في معصية الله فهو عبد له»^٥.

«قُلْ» فعل أمر وفاعله ضمير مستتر (أنت)، خطاب للرسول الأعظم ﷺ.

«هَلْ» حرف استفهام.

«أَتَيْتُكُمْ» فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به، أي أخبركم، والضمير المفعولي يرجع إلى أهل الكتاب عامة واليهود خاصة.

«بِشَرٍ» جار ومحرور متعلق بـ «أَتَيْتُكُمْ». (شر) اسم تفضيل، أصله أَشَرُّ، وهو للزيادة في الصفة، حذفت همزته تحفيفاً لكثرة الاستعمال، والزيادة تقتضي المشاركة في أصل الوصف فتقضي أن المسلمين لهم حظ من الشر، وإنما جرى هذا تهكماً باليهود لأنهم قالوا للMuslimين: لا دين شرّ من دينكم، وهو مما عبر عنه بفعل «تَنَقِّمُونَ»^٦.^٧ «مِنْ ذَلِكَ» جار ومحرور متعلق بـ «شَرٍ». اشارة إلى الإيمان في قوله تعالى «هَلْ

١. سورة النساء / ٤٧.

٢. سورة البقرة / ٩٠.

٣. سورة البقرة / ٦٥.

٤. سورة النساء / ٥١.

٥. التفسير الكاشف / ٣ و ٨٧.

٦. سورة المائدة / ٥٩.

٧. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٤٢ / ٥.

تَنْقِمُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿مَثُوَّبَةً﴾ تمييز من ﴿شَرِّ﴾. ﴿مَثُوَّبَةً﴾ على وزن مفعولة «مصدر ميمي من ثاب الشيء يثوب وثاب إليه إذا رجع، ويطلق على الثواب والجزاء باعتبار أنه الراجع إلى الإنسان جزاء أعماله، لأن عمله رجع إليه، ويستعمل في مطلق الجزاء، ولكن استعماله في الجزاء الحسن أكثر، وقيل استعماله في الإساءة إنما هو للتهكم، فهو يتخصص بالإحسان كما أن العقوبة تختص بالشر، أي إذا كان الإيمان بالله والكتب المنزلة هما الشر عندكم وسبب النعمة منكم، فأنا أخبركم بشرٍ من ذلك يلزمكم أن تنتقموا، وهو الجزاء السيء الذي حلّ فيكم نتيجة أفعالكم وأعمالكم، وهو عند الله تعالى ثابت»^١.
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه.

﴿مَن﴾ اسم موصول، بدل من ﴿شَرِّ﴾ فيكون في محل جر أو مفعول به ثانٍ لـ ﴿أُنْتُكُم﴾ فيكون في محل نصب أو خبر لمبدأ مذوف تقديره: هو ﴿من﴾.
﴿لَعْنَهُ﴾ فعلٌ ماضٌ ومفعولٌ به مقدم، أي طرده الله من رحمته.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله. وقد مرّ قوله تعالى: ﴿لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبَّتِ﴾^٢.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿غَضِبَ﴾ فعلٌ ماضٌ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله. معطوف على ﴿لَعْنَهُ﴾.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿غَضِبَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿من﴾ وقد مرّ قوله تعالى: ﴿فَبَاءَ وَبِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضِبٍ﴾^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة.

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٣٨.

٢. سورة النساء / ٤٧.

٣. سورة البقرة / ٩٠.

﴿جَعَلَ﴾ معطوف على ﴿لَعْنَهُ﴾ . والجعل هنا تكويني أي مسخهم.
﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾ والضمير يرجع إلى اليهود كما مرّ في
قوله تعالى: «فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً حَسِينَ»^١.

﴿الْقِرَدَةَ﴾ مفعول به. جمع القرد وهو تحجم عيني للهزل واللعب.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْحَنَازِيرَ﴾ معطوف على ﴿الْقِرَدَةَ﴾ ، جمع الخنزير وهم تحجم عيني للميل إلى
الكثافات والشهوات.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَبَدَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر هو يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ . معطوف على
﴿لَعْنَهُ﴾ .

﴿الْأَطْلَغُوتَ﴾ مفعول به. وهو مَنْ كثُر طغيانه، «وملاد منهم: عبد العجل،
والرهبان والأحبار الذين غَيَّرُوا دِينَ الله وبَدَّلُوا أحكامَهُ وشرائِعَهُ، وحرّفوا كُتُبَهُ»^٢.

﴿أُونَتِيكَ﴾ اسم اشارة مبتدأ. أي الموصوفون المذكورون.

﴿شَرِّ﴾ خبر. ﴿مَكَانًا﴾ تميز. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلُ﴾ معطوف على ﴿شَرِّ﴾ ، منوع من الصرف. أي أبعد.

﴿عَنْ سَوَاءِ﴾ جار ومحرر متعلق بـ ﴿أَصْلُ﴾ .

﴿السَّبِيلِ﴾ مضاد إليه. ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي عن الطريق القوي والصراط
المستقيم.

١. سورة البقرة / ٦٥.

٢. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٣٩.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا إِنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفَّارِ وَهُمْ قَدْ حَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾

تبينت الآية الشريفة النفاق - بلا فرق بين منافقي المدينة ومنافقي اليهود - حيث
أنهم دخلوا على الرسول الأعظم ﷺ وقالوا له: نحن بك يا رسول الله من المؤمنين
وهم كاذبون في أقوالهم وقد عبر الله تعالى عن نفاقهم في هذه الآية.
﴿وَ﴾ استئنافية، أو عاطفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الْصَّلَوةِ أَخْنَدُوهَا هُرُوا
وَلَعِبًا﴾ ١.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان للاستقبال متضمن معنى الشرط خاض له ومتصل
بجوابه.

﴿جَاءُوكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، في محل جر بالإضافة لوقوعه بعد
الظرف، فعل الشرط، والضمير الفاعلي يرجع إلى المنافقين والمفعولي يرجع إلى
رسول الله ﷺ والمؤمنين به.
﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. جواب الشرط.

﴿إِنَّا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. مقول القول، أي أنّ المنافقين إذا دخلوا على
المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّا﴾ أي أظهروا الإيمان وادعوا أنهم يصدقون الرسول
الأعظم ﷺ .
﴿وَ﴾ حالية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق وهنا حرف توقع متعلق بقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا﴾ وهذه
حالهم.

﴿دَخَلُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في

﴿إِمَّا مَنَّ﴾ .

﴿بِ﴾ حرف جر، للمصاحبة بمعنى «مع» أو باء الحال.

﴿الْكُفَّارُ﴾ مجروره. والجار والمجرور متعلق بحال محدوفة تقديره: ﴿دَخَلُوا﴾
كافرين أو متلبسين ﴿بِالْكُفَّارِ﴾ .

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿قَدْ دَخَلُوا﴾ .

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿خَرَجُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومحرور متعلق بحال محدوفة. والضمير يرجع إلى ﴿الْكُفَّارِ﴾ ، تأكيداً
وتثبيتاً لکفرهم.

والمعنى: أنهم حين الدخول والخروج كانوا على حالة واحدة وهي الكفر ولم
يتغير حالم من ملاقاة رسول الله ﷺ ، مع أنهم لو كانوا طالبي الحق خرجوا مؤمنين
من عند رسول الله ﷺ بعد أن سمعوا دلائله ورأوا بيانته.

والوجه في ذلك: رسوخ الكفر في قلوبهم وشدته فيها، فهم يظهرون بالإيمان
وهم كافرون.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَلَّا﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر. ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، جار ومحرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ .

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾ . و﴿مَا كَانُوا
يَكْتُمُونَ﴾ هـ ليس إلا الكفر والنفاق والمكر والغدر وأن الله تعالى يجازيهم عليها بما
يستحقونه.

والجملة الأخيرة: «وعيدهم وإعلام لهم بأنهم محاطون بالعليم القدير فيعلم
منوياً لهم وما أضمروه للرسول ﷺ ودينه الحق وأهله»^١.

شأن النزول

في تفسير القمي: نزلت في عبدالله بن أبي لما أظهر الإسلام...^١

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وصف الله تعالى في هذه الآية المنافقين الذين تقدم وصفهم في الآيات السابقة وبين سبحانه مظاهر خروجهم في القول والفعل من الدين وذكر سمة لاتفاقهم في الحياة الدنيوية.

(*) استئنافية.

(﴿تَرَى﴾) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم ﷺ أو لكل من يسمع، المراد بالرؤيا هنا بصرية.

(﴿كَثِيرًا﴾) مفعول به، أي أكثرهم وغالبيتهم.

(﴿مِنْهُمْ﴾) جار ومحور متعلق بصفة مذوقة من (﴿كَثِيرًا﴾)، و (﴿مَنْ﴾) بيانٌ و (﴿هُمْ﴾) يرجع إلى المنافقين.

(﴿يُسْرِعُونَ﴾) فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال من ضمير (﴿مِنْهُمْ﴾). المسارعة مفاجلة ومباغة في السرعة وهي ضد البطء. والفرق بين السرعة والعجلة أن السرعة تظهر في الجوارح والعجلة في الجوانح نظير الفرق بين الخصوع والخشوع والخوف والخشية.

(﴿فِي الْإِثْمِ﴾) جار ومحور متعلق بـ (﴿يُسْرِعُونَ﴾)، المراد بـ (﴿الْإِثْمِ﴾) هنا: الكفر كما

١. تفسير القمي / ١٢٥١

عليه السُّدِّي^١ أي «الخوض في آيات الدين النازلة على المؤمنين والقول في معارف الدين بما يوجب الكفر والفسق على ما يشهد به ما في الآية التالية من قوله: ﴿عَنْ قَوْلِهِمْ إِلَّا إِثْمٌ﴾»^٢.

أقول: يمكن حمل ﴿إِلَّا إِثْمٌ﴾ على كُلّ معصية كما يراه الشيخ الأولى^٣، والتخصيص في الآية التالية لا يوجب التخصيص في هذه الآية، والذي يسهل الخطاب أنهم غرقوا في جميع المعاصي وأحاطت بهم الخطايا، كما يظهر من السيد السبزواري^٤. «وَإِنَّمَا ذَكَرَ ﴿فِي إِلَّا إِثْمٍ﴾ دُونَ ﴿إِلَى إِلَّا إِثْمٍ﴾ [لـ] أَنْهُمْ غارقون في الإثم وإنما ﴿يُسَرِّعُونَ﴾ في خصوصياته، لا أنهم خارجون في سارعون إليه»^٥.

وقد ذكر بعض أهل اللغة أنَّ الحمر قد يُطلقُ عليها: «الإثم»، واحتججوا بقول امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف - من الواffer - :

شَرَبْتُ إِلَّا إِثْمَ حَتَّى زَالَ عَقْلِيْ
كَذَاكَ الْعِلْمُ تَذَهَّبُ بِالْعُقُولِ
وَهَذَا لَا يُعَارِضُ مَا قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَنَّ إِلَّا إِثْمَ يَشْمُلُ كُلَّ مَعْصِيَةٍ.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْعُدُوَانِ﴾ معطوف على ﴿إِلَّا إِثْمٌ﴾. و﴿الْعُدُوَانِ﴾: الظلم وتجاوز الحقوق وتعدي حدود الله والمراد به الاعتداء على المسلمين وغيرهم، فهم ﴿يُسَرِّعُونَ﴾ في ظلم الناس ويعود عليهم وبالظلمهم ويوجب خسارتهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَكَلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿إِلَّا إِثْمٌ﴾ ومضاف إليه.

﴿السُّخْتَ﴾ مفعول به. منصوب بمصدر ﴿أَكَلِهِمْ﴾.

١. نقل عنه في التبيان ٣/٥٧٧.

٢. الميزان ٦/٣٠ و ٣١.

٣. التبيان ٣/٥٧٧.

٤. مواهب الرحمن ١١/٤٤١.

٥. مواهب الرحمن ١١/٤٤١.

«السُّحْتُ هُوَ الْمُحَظُورُ الَّذِي يَلْزَمُ صَاحِبَهُ الْعَارَ، فَيُخْتَصُّ بِالدُّنْيَا مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ يُطَلَّقُ عَلَى كُلِّ مُحَرَّمٍ، وَالْمَرَادُ فِي الْمَقَامِ الْأَمْوَالُ الْمُحَرَّمَةُ الَّتِي حَلَّتْ فِيهِمْ، وَاتَّسَبُوا مِنْهَا الْأَمْوَالُ، كَالرِّبَا وَالرِّشْوَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالْتَّنْصِيصُ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ دَخَلَ فِي مَا تَقدَّمَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ؛ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْبِيعِ، وَلِلْإِعْلَامِ بِأَنَّ أَكْلَ الْحَرَامِ سَلَبَ قُلُوبَهُمْ وَأَهْمَمَ مَقْصِدَهُمْ، وَلِإِرَاءَةِ السَّيِّئَةِ الْفَعْلِيَّةِ بَعْدَ إِرَاءَةِ السَّيِّئَةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْاِعْتِقَادِيَّةِ»^١.

﴿رَأَيْدَةً، لِلتَّأْكِيدِ﴾.

﴿بِسْـ﴾ فِعْلٌ ماضٍ لِإِنشَاءِ الذَّمِ وَتَقْبِيعِ أَفْعَالِهِمْ أَيْ ﴿بِسْـ﴾ الْعَمَلُ بِهِذِهِ الْأَفْعَالِ.

﴿مَا﴾ اسْمٌ موْصُولٌ، فَاعْلَمُ ﴿بِسْـ﴾. ﴿كَانُوا﴾ فَعْلٌ ماضٌ ناقصٌ وَاسْمَهُ. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ. فِي مُحَلٍّ نَصْبٌ خَبْرٌ ﴿كَانُوا﴾. وَالْمَاضِي الْاسْتِمْرَارِيُّ ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يَدْلِلُ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ الْمُتَّسِّرَةِ الْمُتَّسِّرَةِ الْمُتَّسِّرَةِ.

روايةٌ

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من السُّحْتِ ثمن الميّة، وثمن الكلب، ومهر البغي والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن.^٢

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الْرَّبَّيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الْسُّحْتَ

﴿لَبِسْـ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ٢٣

توبیخ عنيف لرؤساء الأديان من أهل الكتاب في الظاهر، وفي الواقع موجّهٌ لكلٍّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَسَكَتَ عَنْهُ، وَأَنَّ الْعَالَمَ بِاللهِ وَدِينِهِ وَأَحْكَامِهِ لَابَدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَنِجَ عَلَى

١. مواهب الرحمن / ١١، ٤٤٢.

٢. تفسير القمي / ١، ٢٥١، ح ١١.

المظالم والمعاصي بشتى الوسائل

﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى «هلا» ولم لا يفعل، ﴿لَوْلَا﴾ إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض، وأما هنا تحضيض أريد منه التوبيخ.

بل «يدلّ على توبيخ السلف، وتحضيض الخلف على ترك متابعتهم علمائهم في سكوتهم عنهم، وتركهم النهي عن ارتكاب الموبقات من الآثام والمعاصي، مع علمهم بأنّها كذلك، فإنّ ما فعلوه من الموبقات وما ارتكبواه من السوء والشروع، مفسدة لهم وللأمة التي يعيشون فيها، لولا يقوم لهم من يؤثّر قوله في المجتمع ويصدّوهم عن ذلك، ولكنّهم تركوا هذه المهمة الخطيرة ورکنوا إلى الظلم، فعمّ الفساد الجميع، وأضاعوا الدين وأفسدوه، فنالوا الخزي والعار»^١.

﴿يَهْتَمُمُ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم، والضمير يرجع إلى أهل الكتاب في الظاهر وفي الواقع إلى من عمل بمعاصي الله وارتكب مظالم العباد.

﴿الرَّئِنِيُونَ﴾ فاعل. جمع الرباني وهو «العالِم بالدِّين الَّذِي مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ عَلَى وَجْهِ تَغْيِيرِ الاسم»^٢ أو العالم ورب العلم، والذي يعبد رب زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، والموصوف بعلم الرب، والعالم المعلم، والعالم الراسخ في العلم والدين، والمتأنّه العارف بالله تعالى.^٣

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَحْبَارُ﴾ معطوف على ﴿الرَّئِنِيُونَ﴾، ﴿الْأَحْبَارُ﴾ جمع حِبْر - بكسر الحاء

١. مواهب الرحمن / ١١ / ٤٤٢.

٢. التبيان / ٣ / ٥٧٩.

٣. راجع لسان العرب / ١ / ٤٠٣ و ٤٠٧، مادة رب.

وفتحها -١ وهو العالم في الديانة اليهودية، ثم يطلق على مطلق العالم.٢ واقتصر

المتأخرُون على فتح الحاء للتفرقة بينه وبين اسم المداد الذي يكتب به.^٣

«عَنْ قَوْلِهِمْ» جار و مجرور ومضاف إليه متعلق بـ «يَنْهَى».

«الْإِلَامُ» مفعول به منصوب لمصدر «قَوْلِهِمْ» وقد مر معناه في الآية السابقة

وهو المعاصي القولية.

«وَ» عاطفة. «أَكَلَهُمْ» معطوف على «قَوْلِهِمْ».

«السُّحْتُ» مفعول به منصوب لمصدر «أَكَلَهُمْ» وهو مصاديق المعاصي الفعلية.

ولم يذكر في هذه الآية العداون لأنّه لا يخرج عن المعاصي القولية والمعاصي

الفعلية فإذا ذَكَرَ هُمَا فَكَانَ ذَكَرُ العُدُوانَ.

ويمكن أن يقال: «اقتصر في توبیخ الربّانیین على ترك نهیهم عن قول الإثم

وأكل السحت، ولم يذكر العدوان إيماء إلى أنّ العدوان يزجرهم عنه المسلمين ولا

يلتجئون في زجرهم إلى غيرهم، لأنّ الاعتماد في النصرة على غير المجنى عليه،

ضعف»^٤.

﴿لَ﴾ زائدة، للتأكيد.

«بِسْـ» فِعْلٌ ماضٍ لإنشاء الذم وتقبیح أفعالهم، أي «بِسْـ» العمل عدم

نهیهم.

«مَا» اسم موصول، فاعل «بِسْـ».

«كَانُوا» فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه. «يَصْنَعُونَ» فعل مضارع وفاعله.

١. كما في الصحاح ٦١٩/٢.

٢. كما في المصدر السابقة حيث جعل معنى الأبحار: العلماء.

٣. راجع تفسیر التحریر والتنویر المعروف بتفسیر ابن عاشور ٥/١١٤.

٤. تفسیر التحریر والتنویر المعروف بتفسیر ابن عاشور ٥/١٤٥.

وجملة مستأنفة ذم لصنيع الربانيين والأحبار في سكوتهم عن تغيير المنكر و«تأكيد بلية على التوبية، ونعي على العلماء لتوازيهم في النهي عن المنكرات، والصنع هو الفعل الصادر عن مزاولة وإجادة ورسوخ، أمّا العمل فهو الفعل عن قصد، وأمّا الفعل فقد يصدر عن الحيوانات، فصار الصنع أخص من الفعل وأخص من العمل كما عرفت، لأجل ذلك كان هذا أبلغ في الذم من مرتكبي الكبائر، ولذا قال ابن عباس: ما في القرآن أشد توبية من هذه الآية. فإن ترك النهي ينم عن سوء السريرة وعن حب الذات، وإشار رضى الناس، فإنه ما ترك العلماء النهي عن المنكر، وهم يعلمون بالمياثق الذي أخذ منهم، إلا تكلفاً لرضاء الناس، وتحامياً لتنفيرهم منهم»^١.

روایتان

خبر حسن قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أمّا بعد، فإنه هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي، ولم «يَهُنْهُمُ الرَّبِّينُوْنَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ» ذلك، وإنهم لما تماذوا في المعاصي ولم «يَهُنْهُمُ الرَّبِّينُوْنَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ» ذلك، نزلت بهم العقوبات، فأمرروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واعلموا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقرّبا أجالاً، ولم يقطعوا رزقاً، إنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كُلّ نفسٍ بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان، الحديث.^٢

خبر عمرو بن رياح عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: بلغني أنك تقول: من طلق لغير السنة أنك لا ترى طلاقه شيئاً؟

فقال: أبو جعفر عليه السلام: ما أقوله، بل الله يعلم يقوله، أما والله لو كنا نفتكم بالجور لكننا شرّاً منكم؛ لأنّ الله يعلم يقول: «لَوْلَا يَهُنْهُمُ الرَّبِّينُوْنَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ

١. مواهب الرحمن ١١/٤٤٣.

٢. الكافي ٩/٤٨٦، ح ٦ (٥٧).

وَأَكْلُهُمُ الْسُّحْتَ إِلَى آخر الآية.^١

ورواها العياشي باختلاف.^٢

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ طُغَيْنَا وَكُفَرَا وَالْقَيْنَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالبغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَاهَا اللَّهُ وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
[٤]

«مظهر آخر من مظاهر سخرية أهل الكتاب، ولا سيما اليهود منهم خاصة، الذين اتخذوا دين الله سخرية ولعباً، فقد استهزأوا بالشريعة التي أنزلها على رسوله الكريم ﷺ، واتخذوا أحكامها لعباً، كما استهزأوا بالصلوة التي هي أهم عبادة وشعيرة في الإسلام، وفي هذه الآية بين يكمل استهزء آخر منهم، أمره خطير وخطره كبير، فقالوا فظيعاً وبهتوا بهتناً كبيراً، ينبي عن عظيم الجرأة على الله تعالى وكبير طغيانهم على الحق وكفرهم العظيم، إلا أن الله تعالى أخزاهم وحكم عليهم بالذلة والعار، فأططاً عدواهم، وأذلّهم بعد ما كانت سجّيّتهم الفساد والاعتداء على خلق الله، والحسد على أهل الحق».^٣

﴿ وَإِنَّمَا يَعْصِي اللَّهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾^٤.

﴿ قَالَتِي فِعْلٌ ماضٍ مؤنثٌ .

١. الكافي / ١١ ، ٤٧٢ ، ح ١ (٥٧/٦).

٢. تفسير العياشي / ٢ ، ٥٩ ، ح ١٤٥.

٣. مواهب الرحمن / ١١ ، ٤٥٩.

٤. سورة المائدة / ٦١.

﴿آلَيْهُدُ﴾ فاعله، والجملة الاسمية بعده مقالة اليهود الصرحاء غير المنافقين المذكورين في السابق فلذلك أسنده إليهم ومقالاتهم تتضمن السخرية والاستهزاء وسوء الظن والأدب بالله تعالى شأنه.

﴿يَدُ اللَّهِ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. يعبر العرب عن العطاء والبذل والكرم باليد كما هو كذلك في الفارسية أيضاً.

فالمراد بـ ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ يعني عطاءه وبذله وكرمه ورزقه بل إرادته وفعاليه في التشريع والتكونين وحيثئذ اليد لا تختص بالعطاء بل تشمل الإرادات والأفعال والسلطة والملك.

﴿مَغْلُولَةً﴾ خبر. ﴿غُلْتَ﴾ فعل ماض مؤنث مبني للمجهول.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. ﴿غُلْتَ أَيْدِيهِمْ﴾ جملة معترضة دعاء عليهم بعذاب مشابه لما نسبوا إليه سبحانه وتعالى شأنه من النقص غير المناسب له بذلك.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها عطف تفسير

﴿لُعِنُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿بِمَا﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿لُعِنُوا﴾ . و﴿مَا﴾ موصولة أو مصدرية

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي ﴿بِمَا قَالُوا﴾ أو بقولهم هذا.

﴿بَل﴾ حرف إضراب.

﴿يَدَاهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. قد مرّ معنى «اليد»، وصيغة التثنية هنا تدلّ على كمال القدرة.

﴿مَبْسُوطَاتِنِ﴾ خبر والبسط هناءة كنائية عن ثبوت القدرة له تعالى في نسخ الشرائع والأحكام الدينية وكذلك في البداء بالنسبة إلى الأمور التكوينية.

﴿يُنْفِقُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، بيان لبسط يده تعالى.

﴿كَيْفَ﴾ اسم مبهم، حال. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.
﴿وَ﴾ استثنافية، وما بعدها بيان للسبب الذي دعا اليهود إلى هذه المقالة الشنيعة.
﴿لَمْ﴾ لام القسم.
﴿يَرِيدَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة، هم يرون نزول القرآن و المعارف
وانجاز دعوة الرسول الخاتم ﷺ يلزمهم زيادةً للحقد والحسادة.
﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به أول مقدم.
﴿مَنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة مذكورة من ﴿كَثِيرًا﴾ والضمير يرجع إلى
اليهود.
﴿مَا﴾ موصوله، فاعل.
﴿أَنْزِلَ﴾ فعلٌ ماضٌ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزِلَ﴾ . والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول
الأعظم ﷺ .
﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه.
﴿طُغَيْنَا﴾ مفعول به ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿كُفَّارًا﴾ معطوف على ﴿طُغَيْنَا﴾ . وتقديم الطغيان على الكفر من قبيل تقديم
العلة على المعلول.
﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿أَقْيَتَا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿بَيْنُهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَقْيَتَا﴾ و مضاف إليه. والضمير يرجع إلى
اليهود.
﴿الْعَدَاوَةَ﴾ مفعول به. ﴿الْعَدَاوَةَ﴾: البعض المتعدى إلى الغير في العمل.
﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿الْبَغْضَاءَ﴾ معطوف على ﴿الْعَدَاوَةَ﴾ . ﴿الْبَغْضَاءَ﴾ ما يكون في القلب من نفار.

فَتَكُونُ أَعْمَ من العداوة.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه. وفيه دلالة على بقاء أُمّتهم إلى آخر الدنيا.

﴿كُلَّمَا﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية و «ما» مصدرية.

﴿أَوْقَدُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ايقاد: إشعال. ﴿نَارًا﴾ مفعول به.

﴿لِلْحَرَبِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَوْقَدُوا﴾.

﴿أَطْفَالَهَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ و مفعول به مقدم. الاطفاء: الإخاد.

﴿الَّهُ﴾ فاعله. أي ﴿كُلَّمَا﴾ أثاروا حرباً على الإسلام بجهة الإسلام ﴿أَطْفَالَهَا﴾ بالقاء الاختلاف بينهم، لاجهات سياسية أو عنصرية أو غيرها.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿يَسْعَونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي يجتهدون.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَسْعَونَ﴾.

﴿فَسَادًا﴾ مفعول له. أي لإفساد الأرض. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿الَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿لَا تُحِبُّ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر.

﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ مفعول به. وجملة ﴿لَا تُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ خبر. ولا يخلو أن ينالوا ما أرادوه من الإفساد في الأرض فيخيب سعيهم.

وهذا كُلُّهُ بِيَانٌ لِكُوْنِهِمْ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. لِأَنَّهُمْ غَيْرُ نَائِلِينَ بِهَا

قصده واجتهدوا لأجله.

تنبيه

قد بحثنا حول البداء في أبحاثنا الأصولية والعقائدية فراجعهما لتكميل البحث

وقد دُوّنت في رسالة على نحو التقرير، والحمد لله رب العالمين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَبِ ءَامْنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ﴾

جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾

«هذه دعوةٌ من الله سبحانه لليهود والنصارى أن يتوبوا ويدخلوا في الإسلام، وإن استجابوا لدعوته صفح عن جميع ذنوبهم، وإن عظمت، لأنّ الإسلام يجُبُ ما قبله، كما جاء في الحديث، وأن اتقوا بعد إسلامهم أدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهر»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم لامتناع الشيء لامتناع غيره، «لو» للماضي و«إن» للمستقبل كقولك: إن اتيتني أكرمتك. ولو أتيتني لأكرمتك فيقدر الاقرام بالاتيان في الماضي، وفي «إن» وعد وليس في «لو» ذلك.^٢

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿أَهْلَ﴾ اسمه.

﴿الْكِتَبِ﴾ مضافٌ إليه، وقد مرّ أنّ مصطلح «أَهْلَ الْكِتَبِ» في القرآن الكريم يطلق على اليهود والنصارى خاصةً ولكن الدعوة هنا لا تختص بهم بل يجري في حقّ جميع الكفار لبيان العلة وهي الإيمان بمحمد ﷺ ومراعاة التقوى في شريعته.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعلٌ ماضٌ وفاعله، خبر «أنّ». أي «ءَامَنُوا» بمحمد ﷺ خاتم النبيين ومعبوده الله يكلّ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَتَقَوْا﴾ معطوفٌ على «ءَامَنُوا». أي «أَتَقَوْا» الله في شريعته ﷺ وفي العمل

١. التفسير الكاشف / ٣ / ٩٤.

٢. راجع التبيان / ٣ / ٥٨٤.

بواجباتها والاجتناب عن معاصيها.

﴿أ﴾ واقعة في جواب ﴿لَو﴾ إذا كان فعلاً ماضياً مثبتاً لتأكيد تحقق التلازم بين شرط ﴿لَو﴾ وجوابها، أو لام القسم دالة على التأكيد.

﴿كَفَرْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى مهابة وتعظيمًا للأمر. التكبير: التغطية، ﴿لَكَفَرْنَا﴾ أي لمحونا.

﴿عَنْهُم﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿كَفَرْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿أَهْلَ الْكِتَبِ﴾ بشرط الإيمان والتقوى.

﴿سَيِّئَاتِهِم﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي الذنوب التي عملوها في زمن كفرهم. لأنّ الإيمان والتقوى توجب تزكية نفوسهم فيما حوا الله بهم أثر ﴿سَيِّئَاتِهِم﴾ كفارة لإيمانهم وتقوتهم لأنّ الإسلام يحبُّ ما قبله.

﴿و﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُم سَيِّئَاتِهِم﴾.

﴿أ﴾ واقعة في جواب ﴿لَو﴾

﴿أَدْخَلْنَاهُم﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول.

﴿جَنَّتِ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿النَّعِيم﴾ مضادٌ إليه.

رواية

العياشي رفعه عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: تفرقت أمّة موسى على إحدى وسبعين ملة، سبعون منها في النار، وواحدة في الجنة، وتفرقت أمّة عيسى على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين فرقة في النار، وواحدة في الجنة، وتعلو أمّتي على الفرقتين جميعاً بملة واحدة في الجنة، وثلاث وسبعين في النار.

قالوا: مَنْ هُمْ، يا رسول الله؟ قال: الجماعات الجماعات.

قال يعقوب بن زيد: كان عليًّا بن أبي طالب عليهما السلام إذا حدث بهذا الحديث عن

رسول الله ﷺ ، تلا فيه قرآنًا «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ إِمْنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرُنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» إلى قوله: «سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ»^١ وتلا أيضًا و «وَمِنْ حَلَقْنَا أُمَّةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ»^٢ يعني أمّة محمد ﷺ .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الْتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ٦٦

تممة الآية السابقة في شأن أهل الكتاب.

﴿وَ﴾ عاطفة على الآية السابقة «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ».

﴿لَوْ﴾ حرف شرط، كما مرّ في الآية السابقة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمها. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿أَقَامُوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. خبر ﴿أَنَّ﴾. إقامة الشيء جعله قائماً واستعيرت

لعدم الإضاعة.

﴿الْتَّوْرَةَ﴾ مفعول به، المراد بها الواقعي منها النازلة على موسى النبي عليه السلام لا التوراة المحرفة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْإِنجِيلَ﴾ معطوف على ﴿الْتَّوْرَةَ﴾. والمراد به الواقعي منه النازل على عيسى النبي عليه السلام لا الإنجيل المحرف. وإقامتها هي حفظها والعمل بما جاء فيها من الأحكام.

١. سورة المائدة / ٦٦ .

٢. سورة الأعراف / ١٨١ .

٣. تفسير العياشي ٢/٦١، ١٥٢ ح .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿الْتَّوْرِثَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْهِمْ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. من غير التوراة والإنجيل من الكتب السماوية السابقة على أنبيائهم الذين يدعون أنهم بأيديهم كزبور داود النبي عليه السلام.

﴿مَنْ رَّبَّهُمْ﴾ جار ومحرور مضارف إليه. متعلق بحال مذوقة من ﴿مَا﴾ و ﴿مَنْ﴾

بيانٌ. أي حال كون تلك الكتب السماوية ﴿مَنْ رَّبَّهُمْ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ كما مر توضيحها في الآية السابقة.

﴿أَكَلُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والمراد من ﴿الْأَكْلَ﴾ هنا مطلق التصرف والتنعم بالنعم الإلهية المعدّة لعباده المؤمنين.

﴿مَنْ فَوْقَهُمْ﴾ جار ومحرور مضارف إليه، متعلق بـ ﴿أَكَلُوا﴾ و ﴿مَنْ﴾ بيانٌ في

تعيين جهات الرزق. ﴿فَوْقَهُمْ﴾ يعني النعم السماوية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مِنْ﴾ حرف جر مرفق الكلام فيه.

﴿تَحْتِ﴾ معطوف على ﴿فَوْقَهُمْ﴾.

﴿أَرْجُلِهِمْ﴾ مضارف إليه ومضارف إليه ثان. يعني النعم الأرضية. والجملة

﴿أَكَلُوا مِنْ فَوْقَهُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية بإحاطة برؤس السماء والأرض عليهم نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىَ ءامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتِنَا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَدَّبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١ كما تدل على أن إيمان الإنسان وأعماله الصالحة تأثر في النظام التكوين من حيث كثرة الرزق واندفاع النعم ووفر النعم وما شابها.

﴿مَنْهُمْ﴾ جار ومحرور، خبر مقدم. الضمير يرجع إلى أهل الكتاب وانصاف

لفريق منهم بعد أن جرت تلك المذام على أكثرهم.^١
 «أَمَّةٌ» مبتدأ مؤخر. أي جماعة.

«مُقْتَصِدٌ» نعت، أي معتدلة في أمر الدين والتسليم لأمر الله. أي فيهم جماعة
 ليست على النعوت السابقة، بل هم الذين هداهم الله إلى الإيمان والإسلام واعتناق
 الإسلام لأنّ نفوسهم اعتادت الخير وصَلُحتْ بها فسارعوا إليه.

فهم الذين أسلموا منهم وتابعوا الرسول الأعظم ﷺ وهو المروي في تفسير
 أهل البيت عليه السلام.^٢

«وَ» عاطفة. «كَثِيرٌ» مبتدأ، والنعوت السابقة لهذا الكثير.

«مِنْهُمْ» جار ومحروم متعلق بصفة محدوفة من «كَثِيرٌ».

«سَاءَ» فعلٌ ماضٍ ومعناه قبح. «مَا» موصولة، فاعل.

«يَعْمَلُونَ» فعل مضارع وفاعل، وجملة «سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ» خبر المبتدأ. أي بئس
 شيئاً عملهم.

روايات

صححية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
 الْتَّوْرِيدَ وَالْإِخْيَلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ». قال: الولاية.^٣

رواهما الكليني بسنده صحيح في الكافي^٤ واليعاشي في تفسيره^٥.

اليعاشي رفعه عن أبي الصهباء البكري، قال: سمعتْ علي بن أبي طالب عليه السلام

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٥٠.

٢. كما في التبيان ٣ / ٥٨٦ وتفسير القمي ١ / ٢٥٢.

٣. بصائر الدرجات ١ / ١٥٦، ح ٢.

٤. الكافي ٢ / ٣٦٦، ح ٦ (٤١٣ / ١).

٥. تفسير العياشي ٢ / ٦١، ح ١٥٠.

دعا رأس الجالوت وأسقف النصارى فقال: إني سائلكم عن أمر، وأنا أعلم به منكم، فلا تكتماني. ثم دعا أسقف النصارى، فقال: أنسدك بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، وجعل على رجله البركة، وكان يُبرئ الأكمه والأبرص، وأزال ألم العين، وأحيي الميت، وصنع لكم من الطين طيوراً، وأنبأكم بما تأكلون وما تَدْخرون. فقال: دون هذا صدق.

فقال علي عليه السلام: بكم افترقت بنو إسرائيل بعد عيسى؟ فقال: لا والله إلا فرقة واحدة.

قال علي عليه السلام: كذبت والله الذي لا إله إلا هو، لقد افترقت أمّة عيسى على اثنين وسبعين فرقة كُلّها في النار إلا فرقة واحدة، إن الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا﴾ كانوا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فهذه التي تنجو.

﴿إِنَّمَا الْرَّسُولُ يَبْلُغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّمَا لَمْ يَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكُمْ مِّنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢٧

نزلت في يوم ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٠ هجرية قبل خطبة خطبها النبي ﷺ في محل غدير خم ومضي خمس ساعات من اليوم نزل جبريل ومعه هذه الآية الشريفة، وقد اعترف أعلام أهل السنة والجماعة في نزولها في إبلاغ ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

منهم: الطبرى (ت ٣١٠) في كتابه الولاية وابن أبي حاتم الرازى (ت ٣٢٧)، وأبو عبدالله المحاملى (ت ٣٣٠) وأبوبكر الفارسي الشيرازى (ت ٤٠٧ أو ٤١١) و

ابن مردويه (ت ٤١٦) والشلبي (ت ٤٢٧ أو ٤٢٨) في تفسيره وأبوعنيم الإصفهاني (ت ٤٣٠) والواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨) في أسباب النزول وأبوسعيد السجستاني (ت ٤٧٧) في كتابه الولاية والحاكم الحسكناني (ت بعد ٤٩٠) في شواهد التنزيل.

﴿تِلْكَ عَشَرَةً كَامِلَةً﴾^١ وقد أوصَلَ العَلَمَةُ الْأَمِينِيُّ (ت ١٣٩٠ هـ) عددهم إلى الثلاثين في كتابه الخالد «الغدير».^٢

﴿يَأَيُّهَا أَرْسُولُ﴾ خطابُ للرسول الأعظم ﷺ في أواخر أيام حياته الدنيوية وبعد مجاهدات كثيرة وسنين طويلة مضت في إبلاغ رسالته وترويج شريعته، وخطابه بالرسالة لكونها أنساب الصفات بالنسبة إلى تبليغ الحكم المأمور به.

﴿يَكُونُ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ ، أمر بالتبليغ في صورة التهديد.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿أَنْزَلَ﴾ فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه. متعلق بحال مذوقة مِنْ ﴿مَا﴾ الموصولة. و ﴿من﴾ بياني، أي حال كونه ﴿من رَبِّكَ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿لَمْ تَفْعَلْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «أنت». والجملة فعل الشرط. أي لم تبلغ هذه الرسالة الأخيرة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿مَا﴾ نافية.

١. سورة البقرة / ١٩٦ .

٢. الغدير / ١ (٤٣٨-٤٢٣) من طبعة مركز الغدير، [١] (٢٢٣-٢١٤) من الطبعة الثانية].

﴿بَلَغَتْ﴾ فِعْلُ ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى رسول الله ﷺ .
﴿رِسَالَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. تهديد صريح في أمر تبليغ هذه الرسالة
الأخيرة وبيان لأهميتها وأنّ مكانتها بمصابة جميع الرسالة النبوية بحيث لو لم يبلغها
كأنّ لم يبلغ شيئاً من رسالته العظيمة التي حملها وببلغها في طيلة ۲۳ عاماً.
وإعلام واضح لشأن هذه الرسالة الأخيرة وأنّ الرسول ﷺ ليس له بد إلا
تبليغه.

﴿يَعْصِمُكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» و مفعول به. خبر. أي يحفظك ويقيك و يمنعك أن ينالوك بسوء من فعلٍ أو شرًّا أو قهراً.

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يَعْصِمُكَ﴾. أي من تعadiات الناس «بالإيذاء في الجسم من قتل أو سُمّ أو أَيْ اغتيال، أو بالقول كالسبّ والإفتراء، أو بغير ذلك كتقليل الأمور بنوع من المكر والخداعة والمكيدة، وبالجملة السكوت عن تشخيص ما يعصم منه لإفادة نوع من التعميم، ولكن الذي لا يعدو عنه السياق هو شرّهم الذي يوجب انقلاب الأمر على النبي ﷺ بحيث يسقط بذلك ما رفعه من أعلام الدين^١.

﴿لَا يَهِيءُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو». المراد بالهدایة هنا عدم هدایتهم في كيدهم ومكرهم وشرهم وفسادهم.
 ﴿إِنَّ﴾ حرف مشيه بالفعل، تأكيد. ﴿الله﴾ اسمه.
 ﴿الْقَوْمَ﴾ مفعول به.

﴿الْكَفَرِينَ﴾ نعت، وصف الله المتمردين عن الولاية بـ﴿الْكَفَرِينَ﴾. وجملة ﴿لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَفَرِينَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

نعم، هم الكافرون حقيقة لأنهم ينكارهم الولاية انكروا الرسالة والنبوة والقرآن والتوحيد وان كانوا على ظاهر الإسلام وأحكامه.

الروايات

قد ذكر السيد هاشم البحرياني عدّة من الروايات العامة في أنها نزلت في شأن ولادة أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه غاية المرام.^١ وذكر الشيخ عبدالله البحرياني^٢ ستين رواية من العامة والخاصة في هذا الشأن. ونقل شيخنا في الرواية آية الله السيد شهاب الدين المرعشي^٣ عن تسعه من الصحابة والأعلام في ضمن ٢١ رواية، فراجعها.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا الْتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَرِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغَيْنَا وَكُفَّارًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَفَّارِينَ﴾ ٤٨

«الآية الشريفة ترشد إلى أمر مهم في الحياة مطلقاً - ولا سيما المعنية - منها أن الإنسان يحتاج في سيره وسلوكه في المكارم والصفات الحسنة والأعمال الصالحة، إلى أساس قويم يمكن أن يعتمد عليه لإقامة الحق والدين وتهذيب نفسه»^٤.
﴿قُل﴾ خطاب لأشرف خلقه وهو خاتم رسليه محمد ﷺ.

١. غاية المرام ٤١٩/١.

٢. راجع كتابه عوالم العلوم والمعارف، القسم الثاني من المجلد ١٥/٤٨٢-٥١٨).

٣. موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١/٢٢٦ (٢١٦-٢٤٦).

٤. مواهب الرحمن ٤٩/١٢.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ﴾ نادى ﷺ ﴿أَهْلَ الْكِتَبِ﴾ بأمر إلهي.

﴿لَسْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه.

﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ جار و مجرور متعلق بخبر ﴿لَسْتُمْ﴾ . من الدين والهدية والتقوى، نفي أن يكون لهم أقل حظًّ من الدين والهدية والتقوى ماداموا لم يبلغوا الغاية التي ذكرت.

﴿حَتَّىٰ﴾ حرف غاية.

﴿تُقْيِيمُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وفاعله. اقامة كل شيء بحسبه واقامة الدين الاعتقاد الراسخ والعمل به.

﴿الْتَّوْرَةَ﴾ مفعول به. اليهود ملزمون بإقامة ﴿الْتَّوْرَةَ﴾ . **﴿وَ﴾** عاطفة.

﴿الْإِنْجِيلَ﴾ معطوف على ﴿الْتَّوْرَةَ﴾ والنصاري ملزمون بإقامة ﴿الْإِنْجِيلَ﴾ .

و إقامتها إقرار واعتراف بما ورد فيها من البشرة بمحمد ﷺ والإيمان به ﷺ والإلحاق بدينه وإظهار الشهادتين والشاهد لما ذكرنا بعدها من قوله تعالى:

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿الْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ . المراد به القرآن العظيم.

﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مجهول ونائب فاعله ضمير «هو» مستتر.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ .

﴿مَنْ رَبَّكُمْ﴾ حرف جر بياني و مجروره ومضاف إليه. متعلق بحال مخدوفة من ﴿مَا﴾ .

يعني اليهود والنصاري لابد لهم من إقامة ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مَنْ رَبَّكُمْ﴾ فحيثند أنتم أيها المسلمون أولى وأقرب من إقامة دينكم وكتابكم من غيركم. والمطلب واحد بين الأديان الثلاثة وهو أنّ المتدين هو الذي أقام كتابه في الاعتقاد والعمل وإنّما ليس بمتدين بل يدعى الدين بلا فرق بين اليهودي والنصراني

وال المسلم.

وإقامة الكتاب الالتزام والاعتقاد بما ورد فيه والعمل على طبعة طيلة حياته.
﴿وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قد مر في الآية ٦٤
من هذه السورة فلا نعيد.

﴿فَ﴾ استئنافية، أو الفصيحة لتم التسلية. ﴿لَا﴾ نافية جازمة.
﴿تَأَسَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ . الأسى: الحزن.
لأن رحمة الرسول بالخلق تحزنه مما بلغ منهم على كفرهم.
﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿تَأَسَ﴾ .
﴿الْكَافِرِينَ﴾ نعت ﴿الْقَوْمِ﴾ . دل على صيرورة الكفر لهم سجية وصفة تتقوّم بها
قوميتهم.

تسلية منه تعالى لنبيه الخاتم ﷺ بعدم التحزن لهم لأن ما يصلهم ليس إلا
جزاء كفرهم وطغيانهم وأعمالهم السيئة وأفعالهم الشنيعة.

روابط

معتبرة حمران عن أبي جعفر ع في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَهَلَ الْكِتَبِ لَسْتُمْ عَلَى
شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا الْتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ . قال: هي ولاية أمير المؤمنين ع .
ورواها العياشي في تفسيره^٢.

صححه الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ع في قول الله: ﴿قُلْ يَأَهَلَ الْكِتَبِ
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا الْتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ قال: هي

١. بصائر الدرجات ١/١٥١، ح ٨.

٢. تفسير العياشي ٢/٦٦، ح ١٥٨.

الولاية، وهو في قول الله: [يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا ادْخُلُوهُمْ فِي الْسَّلَامِ كَافَّةً] ^١ قال: هي ولايتنا وفي قوله الله تعالى: [يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَ رِسَاتَهُ] ^٢ قال: هي الولاية. ^٣
وأيضاً رواها سعد بن عبد الله الأشعري القمي بسنده صحيح في كتابه بصائر الدرجات ^٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ إِيمَانُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ إِمَانَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ مُحْزَنُونَ﴾ ^٥

قد مررت نظيرتها في سورة البقرة / ٦٢. ولكن موقعها دقيق ومعناها أدق وإعرابها تابع لدقة الأمرين.

والآية الشريفة يمكن «أن تكون استئنافاً بيانياً ناشئاً على تقدير سؤال يخطر في نفس السامع لقومه: «فُلَّ يَأْهَلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقْيِمُوا الْوَرَنَةَ وَالْإِنْجِيلَ» ^٦ فيسأل سائل عن حال من انقرضوا من أهل الكتاب قبل مجيء الإسلام: هل هم على شيء أو ليسوا على شيء، وهل نفعهم اتباع دينهم أيامئذ؛ فوقع قوله: «إِنَّ الَّذِينَ إِيمَانُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الآية جواباً لهذا السؤال المقدر. والمراد بالذين آمنوا المؤمنون بالله وبمحمد ﷺ أي المسلمين. وإنما المقصود من الإخبار الذين هادوا والصابرون والتّصارى، وأما التعرض لذكر الذين آمنوا فلا هم بهم سببٌ قريباً.

١. سورة البقرة / ٢٠٨.

٢. سورة المائدة / ٦٧.

٣. بصائر الدرجات / ٢، ٩١٨، ح ٤١.

٤. راجع مختصر بصائر / ٢٠٢، ح ٢٨.

٥. سورة المائدة / ٦٨.

ويجوز أن تكون هذه الجملة مؤكّدة بجملة «وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَإِنَّقُوا»^١ الخ، فبعد أن أتبعت تلك الجملة بما أتبعت به من الجمل عاد الكلام بما يفيد معنى تلك الجملة تأكيداً للوعد، ووصلًا لربط الكلام، وليلحق بأهل الكتاب الصابئون، وليظهر الاهتمام بذكر حال المسلمين في جنات النعيم.

فالتصدير بذكر الذين آمنوا في طالعة المعدودين إدماج للتنويه بال المسلمين في هذه المناسبة، لأن المسلمين هم المثال الصالح في كمال الإيمان والتحرّز عن الغرور وعن تسرّب مسارب الشرك إلى عقائدهم كما بشّر بذلك النبي ﷺ في خطبة حجّة الوداع بقوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئُسَ أَنْ يُعْبُدَ مَنْ دَوْنَ اللَّهِ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ» فكان المسلمون، لأنّهم الأوّلون في الإيمان با الله واليوم الآخر والعمل الصالح، أوّلين في هذا الفضل»^٢.

«إِنَّ» حرف مشبه بالفعل، تأكيد واهتمام بالخبر المحذوف ودلّ عليه قوله في آخر الآية «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ تَخَزَّنُونَ».

«الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا» المراد بهم الذين صدقوا الله وأكّرّوا بنبوة نبيه الخاتم محمد ﷺ وهم المسلمون.

«وَ» عاطفة.

«الَّذِينَ هَادُوا» معطوف على «الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا» ويكون من عطف جملة على جملة فيصبح عدّ «الَّذِينَ هَادُوا» مبتدأ في محل رفع. والمراد بهم اليهود الذين يقرّون بموسى النبي عليه السلام.

«وَ» عاطفة.

«الصَّابِئُونَ» معطوف على محل «الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا» وهي الرفع للابتداء كما مرّ

١. سورة المائدة / ٦٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٦٠.

آفأً. ﴿الْصَّابِعُونَ﴾ جمع صابع وهم عباد الكواكب «وعندنا لا يؤخذ منهم الجزية»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النَّصَرَى﴾ معطوف على ﴿الصَّابِعُونَ﴾. وهم المسيحيون الذين يقرؤن بعيسي
النبي عليه السلام.

﴿مَنْ﴾ موصولة، والرابط مذوف.

﴿إِمَّا مَنْ بِاللَّهِ﴾، ﴿مَنْ إِمَّا مَنْ بِاللَّهِ﴾ مبتدأ ثانياً أي: ﴿مَنْ إِمَّا مَنْ بِاللَّهِ﴾ أي من
المذاهب الأربعة المذكورة يعني بالمبداً الأعلى.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾ ونعت. يعني بالمعاد. لأن الإيمان لا يتم إلا
ب بالإيمان بالمبداً والمعاد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَمَلَ صَلِحًا﴾ معطوف على ﴿إِمَّا مَنْ بِاللَّهِ﴾. لأن العمل الصالح يعدّ من
لوازم الإيمان بالمبداً والمعاد.

﴿فَ﴾ واقعة في حساب الشرط. ﴿لَا﴾ نافية تعمل عمل «ليس».

﴿خَوْفُ﴾ اسم لا. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور، متعلق بخبر ﴿لَا﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية، لا عمل لها.

﴿هُمُ﴾ مبتدأ. ﴿تَحْزَنُونَ﴾ خبر.

والجواب هو سعادة الدارين. «والآية في مقام بيان أن لا عبرة في باب السعادة
بالأسماء والألقاب كتسمى جمع المؤمنين وفرقة بالذين هادوا، وطائفة بالصابرين
وآخرين بالنصارى، وإنما العبرة بالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح»^٢.

١. البيان / ٣ / ٥٩٢.

٢. الميزان / ٦ / ٦٧.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّا مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ^١
 بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفِرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ٧٠

«استئناف عاد به الكلام على أحوال اليهود وجرائمهم على الله وعلى رسليه. وذلك تعريض باليأس من هديهم بما جاء به محمد ﷺ وبأنّ ما قابلوه به دعوته ليس بداعاً منهم بل ذلك دأبهم جيلاً بعد جيل»^١.

أو «كلام مبتدأ سيق لبيان بعض آخر من جرائمهم فيكون حجّة عليهم، وبرهاناً لقوله ﷺ: ﴿قُلْ يَأَهُلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقْيِمُوا الْتَّوْرَةَ وَالإِنجِيلَ﴾^٢، فإنّ هذه الجرائم والجنایات تقطع صلة الإنسان بربه، حتّى يرجع إليه بالإيمان الخالص، والرجوع إلى كتب الله وإقامتها، كما أنه من جهة أخرى يمكن أن يكون بياناً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾^٣ بأنّ هذه التسميات لو نفعت لصدّت هؤلاء من الجرائم والآثام المسجلة عليهم في هذه الآيات، فيكون كالتصديق للآية السابقة»^٤.

﴿رَأَيْتَ﴾ للقسم، واقعة في جواب القسم الممحظى أي والله ﴿لَقَدْ﴾.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَخَذْنَا﴾ فعلٌ ماضٌ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى.

﴿مِيثَاق﴾ مفعول به، الميثاق: العهد المؤكّد، إنّ الله سبحانه كرّر أخذ الميثاق من اليهود تأكيداً لتعوّهم وشدّة تمرّدهم.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/١٦٣.

٢. سورة المائدة / ٦٨.

٣. سورة المائدة / ٦٩.

٤. مواهب الرحمن / ١٢/٥٥.

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ مضارف إليه ومضارف إليه ثان. (و) عاطفة.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ معطوف على ﴿أَخْذَنَا﴾، فعل ماض وفاعله.

﴿إِلَيْهِم﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿رُسُلًا﴾ مفعول به، جمع رسول وهو النبي، «والرسل الذين أرسلوا إليهم هم موسى وهارون ومن جاء بعدهما مثل يوشع بن نون وأشعيا وأرميا وحزقيال وداود وعيسي. فالمراد بالرسل هنا الأنبياء: من جاء منهم بشعر وكتاب، مثل موسى وداود وعيسي، ومن جاء معزّزاً للشرع مبيناً له، مثل يوشع وأشعيا وأرميا»^١.

﴿كُلَّ﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية لإضافته إلى اسم الزمان المبهم، جواب الشرط. وتقديره: في كلّ أوقات مجيء الرسل إليهم... . وانتصابه بالفعلين: ﴿كَذَّبُوا﴾ و ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على التنازع.

﴿مَا﴾ الظرفية المصدرية. (جاءهُمْ) فعل ماض ومفوعله مقدم.

﴿رَسُولٌ﴾ فاعله. (ب) حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة. (بِمَا) جار ومحور متعلق بـ ﴿جَاءَهُمْ﴾. (لَا) نافية.

﴿تَهَوَّى﴾ فعل مضارع، أي (بِمَا لَا) تحبه. هو يهوي بمعنى أحبّ ومالت نفسه إلى ملابسة شيء. (أنفسُهُمْ) فاعله ومضارف إليه.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم. أي (فَرِيقًا) من الرسل.

﴿كَذَّبُوا﴾ فعل ماض وفاعله. (و) عاطفة.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم.

﴿يَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بدل فعل الماضي بالمضارع لإفاده أنّ اليهود يستمرون في قتل كلّ من جاءهم (بِمَا لَا تَهَوَّى أَنفُسُهُمْ) حتى يومنا هذا. وعملية

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/١٦٤.

الاغتيال والفتوك وإراقة دماء مخالفتهم هي سيرتهم المستمرة الباقة.
وجملتا **﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾** مشبهة بجواب الشرط المحدوف المستفاد
من **﴿كُلَّا﴾**. والضيائير كلّها راجعة إلى **﴿بَنِي إِسْرَائِيل﴾**.

**﴿وَحَسِبُوا أَلَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** (٦)

متمم للكلام في الآية السابقة ومظهر آخر من مظاهر طغيان اليهود.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿حَسِبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، عطف على **﴿كَذَّبُوا﴾** في الآية السابقة.
الحسبان: هو الظن ويستعمل في الظن التمكّن في النفس كالعلم في القوة.
﴿حَسِبُوا﴾ أي ظنوا.

﴿أَلَا﴾ وهي كلمتين: «أن» مصدرية ناصبة و «لا» نافية.
﴿تَكُونَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» وهنا تامة.
﴿فِتْنَة﴾ فاعله. الفتنة: هي المحنّة التي تغرّ الإنسان أو تعرض على الإنسان أو
هي تشمل كلّ شرّ وبلية.

يعني «ظنّ اليهود أن لا يصيبهم بلاء من الله تعالى بما فعلوه من القبائح والآثام،
والظاهر أنّ هذا الظنّ حصل من زعمهم بأنّهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّ لهم من الكرامة
ما لم تكن لغيرهم من الأمم»^١.

عبارة أخرى: ظنّهم أنّ الفتنة لا تصيبهم نشأً من أنّهم يرون أنفسهم من أبناء

الله وأحبابه وأئمّهم من أولاد الأنبياء فلا يمسهم السوء وإن فعلوا ما فعلوا وارتكبوا ما ارتكبوا.

﴿فَ﴾ تفريعية، وما بعدها معلول لما قبلها.

﴿عَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، العمى هنا عدم إبصار الحق مطلقاً وعدم تمييز بين الخير والشرّ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿صَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿عَمُوا﴾. الصمم هنا عدم سماع الموعظة وعدم الإعباء بالنصيحة.

والمعنى: ذلك الظن الكاذب بأئمّهم لا يفتون عمّا أبصارهم عن إبصار الحق وأصمّ آذانهم عن سماع ما ينفعهم من دعوة أنبيائهم ومواعظهم ونصائحهم.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، للترتيب أي بعد هذا العمى والصمم.

﴿تَابَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿تَابَ﴾. التوبة من الله على عباده رجوعه إليهم بالرحمة، يعني بعد هذا الظن الفاسد والعمى والصمم الحاصلين من الظن الفاسد، رجع الله بالرحمة عليهم فرفع هذا الظن عن نفوسهم وهذا العمى والصمم عن أبصارهم وأذانهم فعرفوا أنفسهم بأئمّهم عباد الله ولا كرامة لهم على الله إلّا بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب.

﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ معطوفان على ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ السابقين.

﴿كَثِيرٌ﴾ بدل من الضمير الفاعلي.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة محدّدة من كثير. أي العمى والصمم الحاصلان بعد توبّة الله عليهم يشمل ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ لا جميعهم، فتوبّة الله يفيد قليلهم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿بَصِير﴾ خبر.
 ﴿بِمَا﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿بَصِير﴾. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 إِنذَارٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَحْجِبُه شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
 وَعَلَى الْعُمَى وَالصَّمْمَ.

رواية

في خبر خالد بن يزيد القمي عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوكُمْ أَنَّا لَا تَكُونُونَ فِتْنَةً﴾ قال: حيث كان النبي صلوات الله عليه وسلم بين أظهرهم ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ حيث قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ إلى الساعة.^١
 ذكرها القمي ^٢ ورواه العياشي ^٣.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّاهِرُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُهُ أَنَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ٧٦

«بعد ما ذكر عليه السلام في الآيات السابقة مقالة اليهود الشيعة، وسجل عليهم نتائج أفعالهم، وما تضمره نقوسهم بالنسبة للرسول الكريم ودينه الحق، ذكر عليه السلام في هذه الآية وما بعدها] مقالة النصارى، التي تدل على الكفر بالله والشرك به، حيث بهتوا

١. الكافي ١٥ / ٤٦٦، ح ٢٤٠ (١٩٩/٨).

٢. تفسير القمي ١ / ٢٥٧.

٣. تفسير العياشي ٢ / ٦٦، ح ١٥٩.

واعتبروا نبيّهم إلهاً أو ثالث ثلاثة، وهو يدعوهم إلى عبادة الواحد رب كلّ شيءٍ، ويأمرهم بالتوبة والرجوع إليه بالإنابة واستغفاره مما بدر منهم من عظيم الكفر، ثمّ يُبيّن ~~يَعْلَم~~ أنَّ الذي يتخدونه إلهاً هو عبدٌ من عباد الله، ولدته امرأة كسائر النساء، بريئة مما يتهمونها من التشليث، ليست فيها من صفات الالوهية شيءٌ، بل هما مخلوقان مربوبان كسائر أفراد البشر، لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، وقد أثبت ~~يَعْلَم~~ بطلان دعاوى النصارى في المسيح وأمه ببراهين قوية، وأبطل غلوهم في دينهم، وأمرهم باتّباع الحقّ، فكانوا كاليهود لا تنفعهم التسمية، ولا يفدهم الانتساب إلى النصرانية ما لم يقيموا الإنجيل ويرجعوا إلى الحقّ، وإنّا لهم على الضلال^١.

﴿رَأَ لَامِ الْقَسْمِ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَئْمَنِهِمْ﴾ (قَدْ) حرف تحقيق.

﴿كَفَرَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، حكم الله سبحانه بالكفر الجحدوي لِمَنْ

﴿الَّذِيْكَ﴾ اسم موصول، فاعله.

﴿قَالُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. والجملة بعده مقول القول.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿الَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الْمَسِيْحُ﴾ خبره وجملة ﴿هُوَ الْمَسِيْحُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿أَبْنُ﴾ نعت أو بدل ﴿الْمَسِيْحُ﴾. ﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه.

ردّ الله سبحانه القول بألوهية النبي عيسى عليه السلام في الآية الشريفة بالوجوه

الخمسة هذه أَوْلَاهَا وهي:

كيف يمكن أن يكون الإله ابن امرأة ولد منها وكلاهما مخلوقان والله سبحانه

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿قَالَ الْمَسِيْحُ﴾ فعل ماض وفاعله. وما بعده مقابلته.

﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ﴾ أداة ندى ومنادي ومضاف إليه. لأنَّ النبي عيسى عليه السلام مبعوث

إليهم فقط ولذا خاطبهم.

﴿أَعْبُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿اللَّه﴾ مفعول به.

﴿رَبِّ﴾ بدل من ﴿اللَّه﴾ ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَبَّكُم﴾ معطوف على ﴿رَبِّ﴾.

الوجه الثاني: أمر المسيح بعبادة الله واعترف بأنه تعالى ربّه وربّهم، وإذا كان هو الله فكيف أمر بعبادته واعترف بربوبيته وهذا الأمر والاعتراف لا يجتمع مع الألوهية.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمها.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره، ﴿مَن﴾ وما بعدها خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿يُشْرِكُ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿يُشْرِكُ﴾. ﴿وَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿حَرَمَ﴾ فعل ماض. جواب الشرط.

﴿الَّهُ﴾ فاعله. ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ ﴿حَرَمَ﴾.

﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به.

هذا هو الوجه الثالث: وهو إخبار عيسى عليه السلام بأنّ الشرك (وهو الكفر) بالله يوجب المنع من دخول الجنة. فلو كان عيسى إلهًا لما حرم الجنة على من اعتقاد فيه بأنه إله.

﴿وَ﴾ حالية والجملة بعده في محل نصب حال.

﴿مَاوِلَهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿النَّارُ﴾ خبره.

وهذا هو الوجه الرابع: وهو أنّ المسيح لو كان إلهًا لأمكن أن ينجي أنصاره ومريدييه من النار، مع عدم تمكنه من ذلك.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ جار و مجرور، خبر مقدم.

﴿مِنْ﴾ حرف جر. ﴿أَنْصَارِ﴾ مبتدأ في محل رفع. مجرور لفظاً.

وهذا هو الوجه الخامس: وهو أن الشرك بالله هو الظلم العظيم كما نقل الله عن لقمان في موعظه لابنه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِيهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَبْنُى لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الظَّالِمَ كَلْمَ عَظِيمٌ﴾^١ وأن الظالمين لا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب ويخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب، ولو كان المسيح إلهًا يدافع عن مَنْ يعتقد بألوهيته وينصرهم حالكونهم ظالمين ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

رواية

عن زرارة قال: كتبت إلى أبي عبدالله عليه السلام مع بعض أصحابنا فيما يروي الناس عن النبي ﷺ ، أنه «من أشرك بالله فقد وجبت له النار، ومن لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنة».

قال: أما من أشرك بالله فهذا الشرك البين، وهو قول الله: «من يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، وأما قوله: «من لم يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قال أبو عبد الله عليه السلام : هاهنا النظر، هو من لم يعص الله.^٢

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّمَّا يَنْهَا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٣

تأكيد آخر على كفر النصارى مع هذه المقالات الفاسدة.

١. سورة لقمان / ١٣ .

٢. تفسير العياشي ٢/٦٦، ح ١٦٠ .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ مَضِيَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ﴾.

﴿ثَالِثٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. أي أحد.

﴿ثَالِثَةٌ﴾ مضاف إليه. وهم: الأب والابن وروح القدس.

ابتداًت مذهب النصارى بتناقض لا يمكن الجواب عنه وهو أنّهم يعدون أنفسهم من الأديان التوحيدية القائلون بأنّ الله واحد ثم في آنذاك يذهبون إلى الأفانيم الثلاثة: الأب والأبن وروح القدس ويقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَالِثَةٌ﴾ وأنّ الثلاثة إله والإله ثلاثة.

يعني في آنٍ واحد يذهبون إلى توحيد الإله وَتَنْتَلِيهِ وحيث لا يمكن الجمع بين الواحد والثلاثة يقولون بأنك لابد أن تؤمن بهذا التناقض والإيمان خارج عن الدليل والتعقل والموازين العلمية ومع هذا التناقض الواضح الباطل أنت ترى أن أول دين في العالم البشري هو النصرانية بجميع فرقها وشعوتها وهذا يوجب العجب والإعجاب.

﴿وَ﴾ اسئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿مِنْ﴾ حرف جر، تأكيد الاستغراق.

﴿إِلَهٌ﴾ مجروره، مبتدأ في محل رفع.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. لا عمل لها. النفي والاستثناء يدل على الحصر.

﴿إِلَهٌ﴾ خبر. ﴿وَاحِدٌ﴾ نعت أو تأكيد. والتنكير يفيد التنويغ.

والجملة «ردّ من الله تعالى لقوهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَالِثَةٌ﴾ بأنّ الله سبحانه لا يقبل بذاته المتعالية الكثرة بوجه من الوجوه فهو تعالى في ذاته واحد، وإذا اتصف بصفاته الكريمة وأسمائه الحسنی لم يزيد ذلك على ذاته الواحدة شيئاً، ولا الصفة إذا أضيفت إلى الصفة أورث ذلك كثرة وتعددًا فهو تعالى أحدي الذات لا ينقسم لا في خارج ولا في وهم ولا في عقل.

فليس الله سبحانه بحيث يَتَجَزَّأُ في ذاته إلى شيءٍ وشيءٍ أبداً، ولا أن ذاته بحيث

يجوز أن يضاف إليه شيء فيصير اثنين أو أكثر، كيف؟ وهو تعالى مع هذا الشيء الذي تراد إضافته إليه تعالى في وهم أو فرض أو خارج.

فهو تعالى واحد في ذاته لكن لا بالوحدة العددية التي لسائر الأشياء المكون منها الكثارات، ولا منعوت بكثرة في ذات أو اسم، أو صفة، كيف؟ وهذه الوحدة العددية والكثرة المتألقة منها كلتاها من آثار صنعه وإيجاده فكيف يتصرف بها هو من صنعه؟

... فالمعنى: ليس في الوجود شيء من جنس الإلة أصلًا إلا إله واحد نوعاً من الوحدة لا يقبل التعدد أصلًا لا تعدد الذات ولا تعدد الصفات، لا خارجاً ولا فرضاً^١.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها توبيخ وتهديد لهم بالعذاب إن لم يرجعوا من هذا القول الباطل.

﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَنْتَهُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط.

﴿عَمَّا﴾ حرف جر «عن» و «ما» موصلة في محل جر. الجار وال مجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يَنْتَهُوا﴾.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَرَ﴾ لام تأكيد.

﴿يَمْسَأَ﴾ فعل مضارع في محل جزم لأنّه جواب الشرط ونون التأكيد الثقلية.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به مقدم.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والتصريح بالظاهر لإظهار علية الكفر للعذاب.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿الَّذِينَ﴾. أي حال كونهم ﴿مِنْهُمْ﴾. «من»

تبعيضية، يعني الذين يقول بالثلث.

﴿عَذَابٌ﴾ فاعل «لَيَمْسَنَ» . «أَلِيمٌ» نعت.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

تقرير وتوبيخ وتعجب من حال النصارى وإصرارهم على التشليث الباطل.

﴿أَ﴾ استفهام إنكارٍ أو تعجبٍ.

﴿فَ﴾ تفريعية، بعد ثبوت كفرهم. «لَا» نافية.

﴿يَتُوبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. التوبة: الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومحروم متعلق بـ «يَتُوبُونَ». «وَ﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ معطوف على «يَتُوبُونَ» ومفعول به. والضمير المفعولي يرجع إلى «اللَّهِ» تعالى

﴿وَ﴾ استئنافية وما بعدها تحريك وتحضيض للتوبة والاستغفار.

«غَفُورٌ رَّحِيمٌ» خبراء. «اللَّهُ» مبتدأ.

﴿مَا الْمَسِيحُ أَبْرَبُ مَرِيمٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ^١
كَانَا يَأْكُلُانِ الظَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْأَيَّتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنْفَ
بُرْقُوكُونَ﴾

ردٌّ من الله تعالى لِأُلوهية المسيح وبيانُ بأنه لا يفارق أنبياء الله تعالى في كونهم بشرًا.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿الْمَسِيحُ﴾ مبتدأ. ﴿أَبْنُ﴾ صفة أو بدل من ﴿الْمَسِيحُ﴾.

﴿مَرِيم﴾ مضارف إليه. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿رَسُول﴾ خبر، قصر موصوف على صفة أي قصر المسيح عليه على صفة الرسالة
فقط ولا يتجاوز إلى غيرها من الألوهية والربوبية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿خَلَتْ﴾ فعلٌ ماضٍ مؤنث، أي مضت، اشارة إلى جريان الموت حتى على أنبياء
الله تعالى.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ جار ومحروم ومضارف إليه. متعلق بـ ﴿خَلَتْ﴾.

﴿الرُّسُلُ﴾ فاعل، يعني أنّ المسيح عليه لا يفارق رسول الله ومساوا معهم في
البشرية والعبودية والخلوقية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أُمُّهُ﴾ معطوفة على جملة ﴿مَا الْمَسِيحُ﴾.

﴿صَدِيقَة﴾ صيغة مبالغة من الصدق والمراد نفي وصف لها أعلى من ذلك من
الألوهية وغيرها واثبات طهارتها من الذنوب.

﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقصٍ واسمه والجملة حال من ﴿الْمَسِيحُ﴾ ﴿وَأُمُّهُ﴾.

﴿يَأْكُلَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿الطَّعَامَ﴾ مفعول به. وأكل الطعام دليل على الاحتياج والبشرية ونفي
الألوهية.

﴿آنُظر﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». مخاطباً للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في
مقام التعجب.

﴿كَيْفَ﴾ كيف اسم استفهام في موضع مفعول به ﴿آنُظر﴾. وأراد من
الاستفهام التعجب والمعنى ﴿آنُظر﴾ جواب هذا الاستفهام.

﴿نُبِّئُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿لَهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿نَبِيٌّ﴾ . والضمير يرجع إلى النصارى القائلين بألوهية المسيح.

﴿الآئِيَتِ﴾ مفعول به. أي الأدلة الواضحة. ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿أَنْظُرْ﴾ معطوف على ﴿أَنْظُرْ﴾ سابق.

﴿أَفَ﴾ اسم استفهام بمعنى «كيف» في محل نصب حال ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ .

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله. أي يصررون عن نتيجة هذا الاستدلال الواضح وهي بطلان دعوى ألوهية المسيح وكيف لا يلتفتون إلى هذه النتيجة بعقولهم؟!

ولعل الوجه في عدم وصو لهم إلى هذه النتيجة لأن العقل في ديانة النصارى عطلت بالكلية، مع أنها في ديانة المسلمين أساسها.

رواية

أحمد بن خالد، عن أبيه، رفعه، في قوله الله: ﴿وَأَمْهُرٌ صِدِيقٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الْطَّعَامَ﴾ ، قال: كانوا يتغَوَّطان. ^١

رواه الصدوق مسنداً إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام. ^٢

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ

الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ

خطاب للرسول الأعظم صلوات الله عليه واحتجاج جديد في ردّ ألوهية المسيح وغيره.

١. تفسير العياشي / ٢، ٦٧، ح ١٦١.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ٢، ٣٧١ من طبعة مؤسسة آل البيت.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» مستتر. خاطب النبي الخاتم ﷺ والجملة بعده مقول القول.

﴿أ﴾ استفهام توبيخٌ وتغليظٌ. ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿مِنْ دُونِ﴾ جار ومحرور متعلق بحال من ﴿مَا﴾ الموصولة الآتية.

﴿اللَّهِ﴾ مضaf إلية.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ﴿تَعْبُدُونَ﴾. استعمل لفظة ﴿مَا﴾ مع أنَّ المسيح من ذوي العقول لأنَّ الاستدلال في نفي الْأُلوهية المسيح مشترك مع الاستدلال في نفي الْأُلوهية الأصنام وغيرها. وفي القرآن استعمل ﴿مَا﴾ في من يعقل كقوله تعالى:

﴿فَإِنِّي كُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^١.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿مَا﴾.

والملك: القدرة على تصريف ما لل قادر عليه أن يصرفه أو التمكن من التصرف بدون معارض.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومحرور متعلق بـ ﴿يَمْلِكُ﴾.

﴿ضَرًّا﴾^٢ مفعول به. والضر: «هو فعل الألم أو الغم أو ما أدى إليهم أو إلى واحد منها»^٣. وتقديم الضر لأنَّ النفوس أشدَّ تطلعًا إلى دفعه من جلب المنفعة

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.

﴿نَفْعًا﴾ معطوف على ﴿ضَرًّا﴾. النفع: «هو فعل اللذة أو السرور أو ما أدى

١. سورة النساء / ٣.

٢. فائدَةُ الضرُّ إذا جاءَ مُفرداً في القرآنِ الكريمِ كانَ بضمِّ الصادِ المهمَلة، وإذا ذُكرَ مَعَ التَّفْعِيْجِ جاءَ بفتحِ الصادِ المعجمةِ لِلمُشاكلةِ.

٣. التبيان / ٣٦٠.

إليهم أَوْ إِلَى وَاحِدٍ مِّنْهُمَا»^١ .
يستفاد من الآية الشريفة أموراً:

الأول: «أَنَّ الْحِجَةَ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَةُ غَيْرُ الْحِجَةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْآيَةُ السَّابِقَةُ وَإِنْ تَوَقَّفْتَا مَعًا عَلَى مَقْدِمَةٍ مُشَرَّكَةٍ، وَهِيَ كُونُ الْمَسِيحَ وَأَمَّهُ مُمْكِنَينَ مُحْتَاجِينَ، فَالآيَةُ السَّابِقَةُ حَجَّتْهَا أَنَّ الْمَسِيحَ وَأَمَّهُ كَانَا بَشَرَيْنِ مُحْتَاجِينَ عَبْدِينَ مُطَبِّعِينَ لِللهِ سَبْحَانَهُ، وَمَنْ كَانَ حَالَهُ هَذَا الْحَالُ لَمْ يَصِحْ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَعْبُودًا، وَحَجَّةُ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْمَسِيحَ مُمْكِنٌ مُحْتَاجٌ مُمْلُوكٌ بِنَفْسِهِ لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَمَنْ كَانَ حَالَهُ هَذَا الْحَالُ لَمْ يَسْتَقِمْ أَوْلَاهُيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللهِ.

والثاني: أَنَّ الْحِجَةَ مَأْخُوذَةٌ مَمَّا يَدْرِكُهُ الْفَهْمُ الْبَسيِطُ وَالْعُقْلُ السَّاذِجُ مِنْ جَهَةِ غَرْضِ الإِنْسَانِ الْبَسيِطِ فِي عِبَادَتِهِ إِنَّمَا يَتَخَذُ رَبّاً وَيَعْبُدُهُ لِيُدْفَعَ عَنْهُ الشَّرُّ وَيُجْلَبَ إِلَيْهِ النَّفْعُ، وَهَذَا إِنَّمَا يَمْلِكُهُ اللَّهُ تَعَالَى دُونَ غَيْرِهِ، فَلَا غَرْضٌ يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ فَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ يَرْفَضَ عِبَادَتَهُ.

والثالث: أَنْ قَوْلَهُ: «مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» إِنَّمَا أَخْذَتْ فِيهِ لِفَظَ «مَا» دُونَ لِفَظِهِ «مِنْ» مَعَ أَنَّ الْمَسِيحَ مِنْ أُولَى الْعُقْلِينَ لِأَنَّ الْحِجَةَ بَعِينَهَا هِيَ التِّي تَقَامُ عَلَى الْوَثَنِيَّنِ وَعَبْدَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا شَعْرَورَ لَهَا، وَلَا دُخُلٌ فِي كُونِ الْمَسِيحِ مُمْلِكًا مِنْ أُولَى الْعُقْلِينَ فِي تَحْمِلِ الْحِجَةِ فَهِيَ تَامَةٌ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ مَفْرُوضٌ دُونَ اللهِ سَبْحَانَهُ.

والرابع: أَنَّ مُجْمُوعَ الْآيَةِ: «أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُورِنِ اللَّهِ» إِلَى آخرِهَا حِجَّةٌ عَلَى وجوبِ قَصْرِ الْعِبَادَةِ فِي اللهِ سَبْحَانَهُ مِنْ دُونِ إِشْرَاكِ غَيْرِهِ مَعَهُ وَهِيَ مُنْحَلَّةٌ إِلَى حِجَّتِينِ مُلْخَصِّهِمَا: أَنَّ اتِّخَادَ إِلَهٍ وَعِبَادَةَ الرَّبِّ إِنَّمَا هُوَ لِغَرْضِ دُفعِ الضَّرِّ وَجَلْبِ النَّفْعِ فَيُجِبُ أَنْ يَكُونَ إِلَهُ الْمَعْبُودِ مَا لَكَ لَذُلُكَ وَلَا يَجُوزُ عِبَادَةُ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَاللهُ سَبْحَانَهُ هُوَ السَّمِيعُ الْمُجِيبُ لِلْدُّعَوةِ، الْعَلِيمُ بِكُنْهِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ جَهْلِ دُونِ غَيْرِهِ؛ فَوُجُوبُ عِبَادَتِهِ

مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ غَيْرِهِ^١.

﴿وَهُوَ﴾ مُبْتَدأ. ﴿هُوَ﴾ مُبْتَدأ ثانٍ.

﴿الْسَّمِيعُ﴾ خَبْرُ ﴿هُوَ﴾، لِأَفْوَالِكُمْ وَالْمَجِيبُ لِدُعَوَاتِكُمْ.

﴿الْعَلِيمُ﴾ خَبْرُ ثَانٍ، بِأَحْوَالِكُمْ وَحَاجَاتِكُمْ.

وَجَمِلةُ ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خَبْرُ ﴿الله﴾. أَيْ لَا يَسْمَعُ كُلُّ دُعَاءٍ وَلَا يَعْلَمُ كُلُّ احْتِيَاجٍ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، قُصْرٌ بِوَاسِطَةِ تَعْرِيفِ الْخَبَرَيْنِ وَضَمِيرِ الْفَصْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ۝ وَلَا تَتَبَعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ صَلُوْ مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُوْ كَثِيرًا وَصَلُوْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ٧٧

أَمْرُ اللهِ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يَخَاطِبَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَموماً مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى وَنَهَاهُمْ مِنَ الْغُلُوْ فِي دِينِهِمْ وَنَهَايَهُمْ عَنِ الْغُلُوِ فِي الدِّينِ لَا يَخْتَصُّ بِهِمْ بِلَى
يَشْمَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَعْذَنَا اللهُ مِنْهُ.

﴿قُلْ﴾ فَعَلْ أَمْرٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَترٌ «أَنْتَ» خَطَاباً لِلنَّبِيِّ الْخَاتَمِ ﷺ.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ تَوْجِهُ الْخَطَابِ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ خَاصَّةً وَلَكِنْ دَاءُ الْغُلُوِ عَامٌ
يَشْمَلُ غَيْرَهُمْ فَاللَّدُوَاءُ كَذَلِكَ وَهُوَ النَّهَايَهُ عَنِ الْغُلُوِ.

﴿لَا تَغْلُوْ﴾ فَعَلْ نَهَايَهُ وَفَاعِلُهُ مَقْوُلُ الْقَوْلِ. الْغُلُوُّ مَصْدَرٌ غَلَّا فِي الْأَمْرِ: إِذَا
جَازَ حَدَّهُ الْمَعْرُوفُ وَالتَّعَارُفُ يُؤْخَذُ مِنَ الْعُقْلِ أَوِ الشَّرْعِ أَوِ الْعَرْفِ.
فَالْغُلُوُّ: التَّجَاوِزُ عَنِ الْحَدِّ إِلَى الْإِزْدِيَادِ وَضَدُّهُ التَّقْصِيرُ: وَهُوَ الْخُروْجُ عَنِ الْحَدِّ
إِلَى النَّقْصَانِ.

والغالي: التجاوز عن الحد بالإفراط ويقابلة القالي: وهو التجاوز عن الحد بالتفريط.

والزيادة والنقصان في الحد من الطرفين فاسد «ودين الله الذي أمر [الله] به هو [بين الحدين] بين الغلو والتقصير، وهو الاقتصاد»^١.

ويصدق الغلو والتقصير في فروع الدين كما يصدقان في أصول الدين:

والغلو في أصول الدين واضح كما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ أَبْنَ اللَّهِ وَقَالَتِ الْكُرَاثِيَّ الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ * أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْتَابًا مِنْ دُولَتِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ أَبْنِ مَرِيمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^٢. أو ما مررت في هذه السورة من آيات ١٨ و ٧٢ و ٧٣.

وأما الغلو في فروع الدين: هو الاتيان بالجدية والشدة والكثرة على بعضها وترك بعض الآخر.

والقصیر في أصول الدين: عدم الاقرار بنبوة الانبياء وإمامۃ الأولیاء ومقامات الأولیاء.

والقصیر في فروع الدين: هو عدم الاتيان ببعضها أو تركها بالكلية أو التهاون بها نحو ما نشاهده في هذه الأيام بالنسبة إلى الستر الواجب على النساء أو الاتيان بالصلوات بالنسبة إلى البعض.

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ جار و مجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿لَا تَغْلُبُوا﴾.

﴿غَيْرِ﴾ نائب عن مفعول مطلق مذوف أو صفة له.

﴿الْحَقِّ﴾ مضاف إليه.

١. التبيان / ٣٦٠.

٢. سورة التوبۃ / ٣٠ و ٣١.

و **(غَيْرُ الْحَقِّ)** لا يكون إلّا باطلًا. وتقيد الغلو بـ **(غَيْرُ الْحَقِّ)** وهو الباطل «إِنَّمَا» هو للتأكيد وتذكير لازم المعنى مع ملزومه لثلا يذهب عنه السامع وقد ذهل حين غلا أو كان كالذاهل^١. فحيثند الغلو لا يكون إلّا غير الحق أي باطلًا.
﴿وَ﴾ عاطفة. **﴿لَا تَتَبَعُوا﴾** معطوف على **﴿لَا تَغْلُبُوا﴾**.

(أَهْوَاءً) مفعول به، **(الْأَهْوَاءُ)** جمع هوى وهو الباطل المواقف للنفس وسمى به لأنّه يهوي بصاحبہ إلى النار، وورد بلفظ الجمع لكثرة الأباطيل أو باعتبار أنّ لكل واحد هوى غير هوى الآخر.

(قَوْمٌ) مضاد إليه. والمراد بهم المتبعون المطاعون في أوامرهم وآراءهم وبدعهم نحو: أخبارهم ورهبانهم وعلماءهم كما مرّ قوله تعالى: **﴿أَخْنَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾**^٢.

أو أنّهم اتبعوا في بعض مقالاتهم الغالية الأديان السابقة المختلفة نحو الوثنية البرهمنية والبوذية الموجودة في مصر القديم أو الهند أو الصين أو الشرق البعيد وقد تسرّب الآراء الباطلة منها إلى الأديان التوحيدية على يد بعض أخبارهم وظهر في أديانهم فكان اسم الدين التوحيد ولكن المسمى يعدّ من الوثنية والشرك.

(قَدْ) حرف تحقيق.

﴿صَلَوَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. **﴿قَدْ صَلَوَا﴾** في محل جر صفة لـ **(قَوْمٌ)**. لأنّهم يلتزمون بالأراء الفاسدة من الشرك والوثنية و.... .

(مِنْ) حرف جر.

﴿قَبْلُ﴾ في محل جر. اسم مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة. والجار والجرور متعلق بـ **﴿صَلَوَا﴾**. أي أنّ القوم يكون من الأقوام السالفة في التاريخ

١. الميزان / ٦٧٧.

٢. سورة التوبه / ٣١.

البشري.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَضَلُّوا﴾ معطوف على ﴿ضَلُّوا﴾. لأنّ الناس يتبعهم في ضلالتهم فهم عاملٌ رئيسيٌّ في إضلال الناس.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به، أي ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ضَلُّوا﴾ عطف على ﴿ضَلُّوا﴾ السابق ومقابل معه. فهذا ضلال آخر، لا أنه نفس الضلال السابق أو أنه الجمع بين الضلال والإضلal كما على هذا الأخير صاحب الميزان وقال: «هو ضلال على ضلال»^١ وتبعد السيد السبزواري^٢ رحمها الله. ﴿عَنْ سَوَاءِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿ضَلُّوا﴾. السواء: المستقيم وقد استغير للحق الواضح.

﴿السَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. وهذا السبيل المستقيم الواضح هو الإسلام، فهم قد ضلّوا في دينهم قبل مجيء الإسلام وأضلّوا الناس في أديانهم في طوال التاريخ البشري وضلّوا بعد طلوع الإسلام عنه والله العالم.

﴿لُعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرِيمَ

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

بيّن الله سبحانه ما يوجب لعن بنى إسرائيل على لسان داود وال المسيح عليه السلام لفعل المنكرات وتولي أعداء الله.

﴿لُعْنَ﴾ فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول. اللعن: الإبعاد من رحمة الله، فلعنه الله:

١. الميزان / ٦.

٢. مواهب الرحمن / ١٢.

أَبْعَدَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَى عَقوبَتِهِ.

جملة مستأنفة لتخصيص اليهود دون النصارى وتكون كالدليل لقوله تعالى
﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلٍ﴾ في الآية السابقة والمقصود إثبات أنَّ الضلال مستمرٌ فيهم لأنَّ ما
بين داود وعيسى أكثر من ألف سنة.

وتعرِّيض لهم بأنَّهم ملعونين بدعوة الأنبياء لهم بسبب عصيانهم لأنبيائهم
 واستمرارهم على الاعتداء وتمرّدهم على الحقّ.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. نائب فاعل.

﴿كَفَرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. واللعن يختص بكفارهم ولكن المراد بهم هو
 المعنى العام الذي يشمل الفساق منهم والفسق هو الكفر العملي كما أنَّ الشرك ونفي
 نبوة الأنبياء الله هو الكفر الاعتقادي فالمراد بالكفر هنا الأعم من الاعتقادي والعملي.

﴿مِنْ﴾ حرف جرٌ بيباني.

﴿بَنِتِ إِسْرَائِيلَ﴾ مجروره ومضاف إليه. والجار والمجرور متعلق بحال مخدوفة
 من ﴿الَّذِينَ﴾ وتقديره: حال كونهم ﴿مِنْ بَنِتِ إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿عَلَى﴾ حرف جرٌ، للاستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابسة والبالغة
 فيها.

﴿لِسَانٍ﴾ مجروره. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿لُعْنَ﴾
﴿دَاوِدَ﴾ مضافٌ إليه. أي على لسان داود في كتابه الزبور وعندهم المزامير في
 قصة المعذين يوم السبت.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عِيسَى﴾ معطوفٌ على ﴿دَاوِدَ﴾. ﴿أَبْنِ﴾ بدلٌ من ﴿عِيسَى﴾.
﴿مَرْيَمَ﴾ مضافٌ إليه. في كتابه الإنجيل في قصة نزول المائدة وكفر أصحابه
 بعدها. ولعنها في هذين الكتابين موجودان.
﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة. مبتدأ. اشارة إلى سبب هذا اللعن.

﴿ب﴾ حرف جر. ﴿م﴾ مصدرية.

﴿عَصَوْا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿مَا عَصَوْا﴾ بتأويل مصدر في محل جر بالباء والجار والجرور متعلق بخبر المبتدأ. تقديره: ذلك اللعن كان بسبب عصيانهم بل لا يكون ذلك اللعن إلّا لأجل العصيان ويستفاد الحصر من السؤال المقدّر عن سبب هذا اللعن واسم الاشارة وباء السببية. فالجملة يفيد القصر مع عدم صيغة القصر فيها.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه.

﴿يَعْتَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر كان. الاعتداء: التجاوز والإضرار. ولعلّ أتى في جانب العصيان بفعل الماضي لأنّه لم يقبل الزيادة وأتى في جانب الاعتداء بفعل المضارع لأنّه مستمر في شأن المؤمنين.^١ والتعليق عام يشملبني إسرائيل وغيرهم ولو كان هاشمياً.

الروايات

معتبرة مساعدة بْنَ صَدَقَةَ قال: سأّل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان، ويعلمون لهم ويحبونهم ويوالونهم؟ قال: ليس لهم من الشيعة، ولكتّهم من أولئك. ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَكُنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُورَ﴾^٢ قال: الحنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى.^٣

خبر أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

١. كما يظهر من ابن عاشور في تفسيره ١٨٠ / ٥.

٢. سورة المائدة / (٧٨-٨١).

٣. تفسير القمي ١ / ٢٥٨، ح ١٣.

مِنْ بَنْتِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى اَبْنِ مَرْيَمَ^١ قَالَ: الْخَازِرُ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ،
وَالْقَرْدَةُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى بْنِ مُرِيمٍ^٢.

الرواية معتبرة الاستناد بناءً على اعتبار سهل بن زياد وروها العياشي في تفسيره^٣.

قال أبو جعفر^{عليه السلام}: أَمَّا دَاؤِدَ فَلَعْنُ أَهْلِ اِيْلَهٖ^٤ لَمَا اعْتَدُوا فِي سَبِّهِمْ وَكَانُوا
اعْتَدُوهُمْ فِي زَمَانِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَسِّهِمُ الْلَّعْنَةُ مُثْلُ الرَّدَاءِ وَمُثْلُ الْمَنْطَقَةِ عَلَى
الْحَقْوَيْنِ^٥، فَمَسَخْهُمُ اللَّهُ قَرْدَةً. وَأَمَّا عِيسَى فَلَعْنُ الَّذِينَ أُنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْمَائِدَةَ ثُمَّ كَفَرُوا
بَعْدَ ذَلِكَ.^٦

﴿كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ﴾

جملة مستأنفة بيانية جوابية لسؤال مقدّرٍ مَأْخُوذٍ من قوله تعالى «ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا» وهو أن يقال: «كيف تكون أُمّةٌ كلّها مُتَهَّلةٌ عَلَى الْعُصِيَانِ وَالْاعْتِدَاءِ؟!»^٧. أو
بيان لقوله: «وَكَانُوا يَعْتَدُوْنَ».

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ نَاقِصٌ وَاسْمُهُ «لَا» نافية.

﴿يَتَاهُوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي لا ينهى بعضهم بعضاً باعتبار مجموع
الأُمّةِ وصيغة المفعولة.

﴿عَنْ مُنْكَرٍ﴾ جار و مجرور متعلق بـ «لَا يَتَاهُوْنَ». والجملة «لَا يَتَاهُوْنَ

١. الكافي ١٥ / ٤٦٧، ح ٤١ / ٢٤١ (٢٠٠ / ٨).

٢. تفسير العياشي ٢ / ٦٧، ح ١٦٢.

٣. أيلة: مدينة على ساحل بحر القُلُزُمِ مَابْلِي الشام. مراصد الاطلاع ١ / ١٣٨.

٤. الحقو: الحُصْرُ، ومَشَدَّ الإِزارُ مِنَ الْجَنْبِ. لسان العرب - حقا - ١٤ / ١٨٩.

٥. التبيان ٣ / ٦٠٩؛ جمجمة البيان ٣ / ٢٣١.

٦. تفسير التحرير والتتوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٨٠.

عن مُنْكَرٍ في محل نصب خبر (كَانُوا). المنكر: كل فعل منهي عنه والقبيح. لأن العقل ينكر القبيح.

(فَعُلُوهُ) فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به في محل جر صفة لـ (مُنْكَرٍ).
﴿رَ﴾ لام القسم للتأكيد.

(بِئْسَ) فعل ماضٍ مبني على الفتح لإنشاء الذم وفاعله ضمير مستتر «هو».
﴿مَا﴾ اسم نكرة بمعنى «شيء» في محل نصب تبييز لفاعل (بِئْسَ). أي (بِئْسَ) شيئاً. ويجوز أن يكون فاعلاً لـ (بِئْسَ).
﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقصٌ واسمها.

(يَفْعُلُونَ) فعل مضارع وفاعله. خبر (كَانُوا). والجملة (كَانُوا يَفْعُلُونَ) في محل نصب صفة (ما) التمييزية.

وعلى فرض فاعلية (ما) تكون الجملة صلة لها وتقديره: (ما كَانُوا يَفْعُلُونَ) له. حذف الضمير الراجع إلى الموصول اختصاراً ووضوحاً.
والجملة (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعُلُونَ) تعجب من سوء فعلهم وتأكيد حاصل من القسم وزجر شديد لترك النهي عن المنكر لأن تركه لا يخلو من إظهار الرضا به والمشاركة فيه.

وفيها «دلالة على وجوب إنكار المنكر لأنّ كل شيء ذم الله عليه فواجب تركه»^١.

الروايات

العياشي رفعه عن محمد بن الهيثم التميمي، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قوله تعالى:
﴿كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعُلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعُلُونَ﴾.

قال: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدْخُلُونَ مَدَارِخَهُمْ وَلَا يَجِدُونَ مَجَالِسَهُمْ، وَلَكِنْ كَانُوا
إِذَا لَقُوْهُمْ صَحِحُوكُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَأَنْسُوا بِهِمْ.^١

معتبرة مساعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: قال علي عليه السلام:
أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعِذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ إِذَا عَمِلَتِ الْخَاصَّةُ بِالْمُنْكَرِ سَرًّا
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْلَمَ الْعَامَّةَ، فَإِذَا عَمِلَتِ الْخَاصَّةُ بِالْمُنْكَرِ جَهَارًا فَلَمْ يُعَيِّنْ ذَلِكَ الْعَامَّةَ
اسْتَوْجَبَ الْفَرِيقَانِ الْعَقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ: لَا يَحْضُرُنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا يَضْرِبُهُ
سُلْطَانٌ جَائِرٌ ظَلِيمًا وَعَدُوَّنَا، وَلَا مَقْتُولًا وَلَا مَظْلُومًا إِذَا لَمْ يَنْصُرْهُ لَأَنَّ نَصْرَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِ فَرِيْضَةٌ وَاجِبَةٌ إِذَا هُوَ حَضُورٌ وَالْعَافِيَةُ أَوْسَعُ مَا لَمْ تَلْزِمْكُ الْحَجَّةُ الْحَاضِرَةُ. قَالَ:
وَلَا وَقَعَ التَّقْصِيرُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ جَعْلُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ يَرَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ فِيهِ فَلَا
يَتَنَاهِي فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ إِنْ يَكُونَ أَكْيَلَهُ وَجْلِيسَهُ وَشَرِيكَهُ حَتَّىٰ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى قُلُوبَ
بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ حِيثُ يَقُولُ عليه السلام: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرِيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ *
كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ﴾ إِلَى آخر الْآيَتَيْنِ.^٢

قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: لا قدَّسْتَ أَمَّةً لَا تَأْخُذُ لِضَيْعَفِهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُضِيْعٍ.^٣

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَلِدُونَ﴾

بيان في حال طائفة من اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلوات الله عليه وسلم يتولّون

١. تفسير العياشي ٢/٦٧، ح ١٦٣.

٢. عقاب الأعمال / ٣١١، ح ٣.

٣. التبيان / ٣/٦١٠.

مشركي العرب ضده عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ ويحرّضونهم عليه و كانوا أشد الناس عدوا له عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ.
و «نَهَى اللَّهُ عَنِ الْجَحَدِ أَن يَوْالِي الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرَ إِلَّا عِنْدَ الْقِيَةِ»^١.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله «أنت»، خطاباً من الله تعالى للنبي الخاتم عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ،
و ﴿تَرَى﴾ بصرية من قبيل الاستشهاد بالحس على كونهم معذبين.
﴿كَثِيرًا﴾ معقول به.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة محدوفة من ﴿كَثِيرًا﴾. أي من يهود المدينة.
﴿يَتَوَلَّنَ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة ﴿يَتَوَلَّنَ﴾ في محل نصب حال
من ﴿كَثِيرًا﴾. ﴿يَتَوَلَّنَ﴾ أي يتّخذونهم أولياء.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. من مشركي العرب وعبدة الأوثان.
اليهود وهم أهل التوحيد ﴿يَتَوَلَّنَ﴾ المشركون وهم كفار وعبدة الأوثان
عدوة للنبي الأعظم عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ ومحاربته ومخالفته كما مر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّغْوَتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَيِّلًا﴾^٢.

والعجب منهم أنّهم لم يقدروا دينهم حق قدره ولم يلزموه ويتعدوه ولكن لازم
دينهم «أن يتولوا أهل التوحيد ويتبرئوا من الذين كفروا لأن أعداء ما يقدّسه قوم
أعداء لذلك القوم، فإذا تحابوا وتوالوا دل ذلك على إعراض ذلك القوم وتركهم ما
كانوا يقدّسونه ويخترمونه»^٣.

﴿ر﴾ لام القسم للتوكيد.

١. تفسير القرني / ١ / ٢٥٨.

٢. سورة النساء / ٥١.

٣. الميزان / ٦ / ٧٨.

﴿بِئْسَ﴾ فعل ماضٍ مبني على الفتح لإنشاء الذم وفاعله ضمير مستتر «هو».
﴿مَا﴾ نكرة بمعنى «شيء» في محل نصب تمييز لفاعل ﴿بِئْسَ﴾ المستتر.
﴿قَدَّمَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث. و﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ هو ولادة الكفار عن هوى النفس.
﴿هُمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ﴿قَدَّمَتْ﴾.
﴿أَنفُسُهُمْ﴾ فاعلٌ ومضاف إليه. وهوها أي هوى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾. وجملة ﴿قَدَّمَتْ هُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ في محل رفع خبر مقدم.
﴿أَن﴾ مصدرية، وما بعدها بتأويل مصدر، مبتدأ مؤخر لأنّه هو المخصوص بالذم فـ﴿سَخِطَ اللَّهُ﴾ مذموم.
﴿سَخِطَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. أي غضب. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومحور متعلق بـ﴿سَخِطَ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.
﴿فِي الْعَذَابِ﴾ جار ومحور متعلق بـ﴿خَلِدُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
﴿خَلِدُونَ﴾ خبر، وهذه الجملة الأخيرة جزاء ولادة الكفار ووبال ﴿سَخِطَ اللَّهُ﴾ تعالى ونتيجة ﴿مَا قَدَّمَتْ هُمْ أَنفُسُهُمْ﴾.
و«في الآية وضع جزاء العمل وعاقبته موضع العمل كأنّ أنفسهم قدّمت لهم جزاء العمل بتقديم نفس العمل»^١.

تنبيه

«اليهود كانوا وما زالوا يعملون على أساس الربح والتجارة، لا على أساس الدين، كان اليهود المدينة يسيطرون على التجارة الداخلية، ومشركو العرب يسيطرؤن على التجارة الخارجية، فعمل النبي على تحرير الناس من السيطرتين، فاللتقت مصلحة اليهود مع مصلحة المشركيين فتكاففوا معهم وتضامنوا ضد المؤمنين، تماماً كما التقت

اليوم مصلحة اليهود مع مصالح أرباب الشركات الاستشارية من المسيحيين ضد الشعوب والمستضعفين»^١ والبحث ذو شجون.

رواية

قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَفَافُ : «يَتَوَلَّنَ [الَّذِينَ كَفَرُوا] الْمُلُوكُ الْجَبَارِينَ وَيَزِينُونَ لَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ لِيصِيبُوا مِنْ دُنْيَا هُمْ». ^٢

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَخْنَدُوهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُوتَ﴾ ^٣

«ذكر سبحانه في الآية السابقة أنّ اليهود، أو الكثير منهم كانوا يتولّون المشركين، ويؤلّبونهم على المسلمين، مع أنّ المسلمين أقرب إليهم ديناً من المشركين. ثمّ بين سبحانه في هذه الآية إنّ أولئك اليهود لم يؤمنوا بالله، ولا بموسى، ولا بما أنزل في التوراة كما يدعون، ولو صدقوا في دعواهم ما اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين، لأنّ ذلك محظوظ في شريعة التوراة، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُوتَ﴾. أي أنّ المسألة عندهم ليست مسألة دين وعقيدة، وإنما هي مسألة مصلحة ومنفعة»^٤.

﴿وَ﴾ حالية لقوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾^٤. أو استثنافية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، ومعناه هنا النفي لإيمان هؤلاء.

١. التفسير الكاشف ٣/١٠٩ .

٢. التبيان ٣/٦١١؛ مجمع البيان ٣/٢٣٢ .

٣. التفسير الكاشف ٣/١٩٠ .

٤. سورة المائدة / ٨٠ .

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمٍ، والضمير يرجع إلى ﴿كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ في الآية السابقة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ . و﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّتِي﴾ معطوف على ﴿الله﴾ . وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالَّتِي﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾ ، والمراد بالنبي موسى عليه السلام أو نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم . أي ﴿لَوْ كَانُوا﴾ هذا الكثير منبني إسرائيل ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالَّتِي﴾ موسى عليه السلام أو محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر بالعاطف.

﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومحور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾ . والضمير يرجع إلى ﴿الَّتِي﴾ . و﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾ إن كان المراد بـ ﴿الَّتِي﴾ موسى عليه السلام يكون توراه وإن كان محمداً صلى الله عليه وسلم يكون قرآنًا.

﴿مَا﴾ حرف نفي واقع في جواب شرط ﴿لَوْ﴾ .

﴿أَخْذُوهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. والضمير الفاعلي يرجع إلى مرجع ضمير اسم ﴿كَانُوا﴾ في أول الآية والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة.

﴿أُولَئِكَ﴾ مفعول به ثان. لأن الإيمان بالله ورسوله والكتاب السماوي يمنع من اتخاذ الكافرين أولياء وقد جعل مواليهم للمسركين علامة على عدم إيمانهم بطريقة القياس الاستثنائي، لأن المشركين أعداء الرسول فمواليهم لهم علامة على عدم الإيمان به^١. لأن ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفَرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/١٨٢.

٢. سورة آل عمران / ٢٨.

﴿وَ﴾ استئنافية. **﴿لِكِنَ﴾** حرف مشبه بالفعل، للإضراب.

﴿كَثِيرًا﴾ اسم **﴿لِكِنَ﴾** والمراد به نفس الكثير الوارد في قوله تعالى: **﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾** في الآية السابقة.

﴿مِنْهُمْ﴾ حرف جر بياني ومحوروه متعلق بصفة مذوقة من **﴿كَثِيرًا﴾** والضمير يرجع إلى **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**^١ **﴿يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**^٢.

﴿فَسِقُونَ﴾ خبر **﴿لِكِنَ﴾**. **«إِنَّمَا وَصَفْهُمْ بِالْفَسْقِ وَإِنْ كَانَ الْكُفْرُ أَعْظَمُ فِي بَابِ الدَّمْ لِأَمْرِينَ:**

أحدهما: إن معناه خارجون عن أمر الله فهذا المعنى لا يظهر بصفة كافر.

والآخر: أن الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على أنهم فاسقون في

كفرهم أي خارجون إلى التمرد فيه^٣.

والحاصل في معنى الآية الشريفة ثلاثة احتمالات:

الأول: المراد بالنبي موسى عليه السلام وبما أنزل إليه التوراة وهذا هو الظاهر.

الثاني: المراد بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه القرآن وهذا مختار الطبرى^٤ وابن عاشور^٥.

الثالث: «أن يرجع ضمائر قوله: **﴿كَانُوا﴾** و **﴿يُؤْمِنُونَ﴾** و **﴿هُمْ﴾** في قوله: **﴿مَا أَخَذُوهُمْ﴾** راجعة إلى الذين كفروا، والمعنى: ولو كان الذين كفروا أولئك الكفار الذين يتولاهم أهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي والقرآن ما اخذتهم أهل الكتاب أولياء، وإنما تولوهم لكان كفرهم، وهذا وجہ لا بأس به غير أن الإضراب في قوله:

١. سورة المائدة / ٧٨.

٢. سورة المائدة / ٨٠.

٣. التبيان / ٣ / ٦١٣.

٤. تفسير الطبرى / ٦ / ٣٧٩.

٥. راجع تفسير التحرير والتتوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٥ / ١٨٢.

﴿وَلَكُنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسُقُونَ﴾ لَا يَلِئُهُمْ^١.

إِلَى هَذَا إِنْتِهِيَ الْجَزْءُ السَّادِسُ مِنْ أَجْوَدُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَلَى يَدِ مؤْلِفِهِ
الْفَانِي الْعَبْدُ هَادِي التَّسْجِيفِ فِي مَسَاءِ يَوْمِ الْثَّلَاثَاءِ النَّصْفِ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ الْخَيْرِ سَنَة
١٤٣٨ بِمَدِينَةِ إِصْفَهَانِ صَانِهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْحَدَّثَانِ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينِ
الظَّاهِرِينَ الْمَعْصُومِينَ.^٢

١. الميزان / ٦٧٩.

٢. قَدْ تَمَّ تَصْحِيحُ هَذِهِ الْأُوراقِ بِيدِ مؤْلِفِهِ الْعَبْدِ هَادِي التَّسْجِيفِ فِي عَدَّةِ أَيَّامٍ أَوَّلَهَا فِي مَوْسِمِ الْحِجَّةِ سَنَة
١٤٣٨ بِجُوارِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، وَآخِرَهَا الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ صَفَرِ الْمَظْفَرِ وَبِالْتَّحْدِيدِ وَقَعَ
تَامَّهَا فِي سَلْخِ صَفَرِ ١٤٣٩ يَوْمَ ذَكْرِي اسْتِشَهَادِ الْإِمَامِ الرَّوْفِ عَلَيْهِ بْنِ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ أَلَافُ التَّحَمَّةِ
وَالثَّنَاءِ بِمَدِينَةِ إِصْفَهَانِ وَفِي مَكْتَبَتِنَا الْعَامَّةِ بِجُوارِ مَرْقَدِ وَالْدِيِّ الْعَلَّامَةِ^٢ وَأَهْدَى ثَوَابَ هَذَا الْعَمَلِ
الْمُتَواضِعِ إِلَى رُوحِهِ وَأَرْجَوْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَبُولَ وَحَسْنَ الْعَاقِبَةِ لِي، وَالرَّحْمَةَ وَالغُفْرَانَ وَالرَّضْوَانَ لَهُ
بِحَقِّ مُحَمَّدٍ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَآلِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشَّكْرُ لَهُ وَالتَّوْفِيقُ مِنْهُ تَعَالَى.

فهرس

تقرير العلّامة المحقّق الأديب الأستاذ الحجّة السيد عبد السّتار الحسني ذَلِكَ لِهُ ٣

| | تَّتِيمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ |
|-------------------------|-------------------------------|
| الآية (١٥٥) ٢٣ | |
| رواية ٢٥ | الآية (١٤٨) ٥ |
| الروايات ٢٦ | الآية (١٥٦) ٩ |
| تنبيه ٢٧ | الآية (١٤٩) ٩ |
| رواية ٢٧ | الآية (١٥٧) ١١ |
| تنبيه ٣١ | الآية (١٥٠) ١١ |
| رواية ٣١ | الآية (١٥١) ١٣ |
| رواية أو دراية ٣٢ | الآية (١٥٨) ١٤ |
| رواية ٣٢ | الآية (١٥٢) ١٥ |
| تنبيه ٣٣ | الآية (١٥٩) ١٦ |
| الروايات ٣٤ | الآية (١٥٣) ١٦ |
| الآية (١٦٠) ٣٧ | الآية (١٥٤) ٢١ |

| | |
|--|-----|
| أَجُودُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ / الْجَزْءُ السَّادُسُ | ٤٤٨ |
| رَوَايَةً | ٣٩ |
| تَبَيْيَهُ مُهْمٌ ٧٥ | ٣٩ |
| الْآيَةُ (١٦١) ٧٦ | ٤٠ |
| تَبَيْيَهُ ٧٨ | ٤١ |
| رَوَايَتَانِ ٨١ | ٤٢ |
| الْآيَةُ (١٦٢) ٨١ | ٤٦ |
| رَوَايَةً ٨٤ | ٤٨ |
| الْآيَةُ (١٦٤) ٨٤ | ٤٩ |
| الرَّوَايَاتُ ٨٨ | ٥٠ |
| الْآيَةُ (١٦٥) ٨٩ | ٥٢ |
| سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٩٩ | ٥٤ |
| شَأنُ نَزُولِهَا ٩٩ | ٥٧ |
| رَوَايَةً ١٠١ | ٥٧ |
| الْآيَةُ (١) ١٠١ | ٥٧ |
| الرَّوَايَاتُ ١٠٤ | ٥٨ |
| الْآيَةُ (٢) ١٠٦ | ٥٩ |
| شَأنُ نَزُولِهَا ١١٠ | ٦٠ |
| رَوَايَةً ١١٢ | ٦٢ |
| الْآيَةُ (٣) ١١٤ | ٦٢ |
| الرَّوَايَاتُ ١٢٤ | ٦٥ |
| الْآيَةُ (٤) ١٣٩ | ٦٥ |
| تَبَيْيَهُ ١٤٣ | ٧٢ |
| الرَّوَايَاتُ ١٤٣ | ٧٢ |
| شَانِهُ نَزُولُهَا ١٤٦ | ٧٥ |

| | | |
|-----------|-----|---|
| ٤٤٩ | | |
| | | الروايات الآية (١٨) |
| ٢٠١ | ١٥٠ | |
| ٢٠٥ | ١٥٣ | الآية (٦) الآية (١٩) |
| ٢٠٦ | ١٥٨ | رواية الروايات الآية (٧) |
| ٢٠٦ | ١٦٢ | الآية (٢٠) الآية (٧) |
| ٢١٠ | ١٦٥ | رواية روایت درایه الآية (٨) |
| ٢١٠ | ١٦٥ | الآية (٢١) الآية (٩) |
| ٢١٢ | ١٦٥ | الروايات الآية (٢٢) |
| ٢١٦ | ١٦٨ | الروايات الآية (٩) |
| ٢١٩ | ١٦٩ | الآية (٢٣) الآية (١٠) |
| ٢٢٢ | ١٧٠ | الآية (٢٤) الآية (١١) |
| ٢٢٤ | ١٧٢ | الآية (٢٥) شأن نزولها الآية (١٢) |
| ٢٢٨ | ١٧٥ | الآية (٢٦) الآية (١٣) |
| ٢٣٠ | ١٧٧ | الروايات الآية (٢٧) |
| ٢٣٣ | ١٨١ | الروايات الآية (١٤) |
| ٢٣٥ | ١٨٢ | فائدة درایه الآية (١٥) |
| ٢٣٧ | ١٨٦ | الروايات الآية (٢٨) |
| ٢٤٢ | ١٨٦ | الآية (١٤) رواية الآية (١٦) |
| ٢٤٥ | ١٩٠ | روایت الآية (٢٩) الآية (١٥) |
| ٢٤٥ | ١٩٠ | شأن نزولها الآية (٢٩) الآية (١٧) |
| ٢٤٨ | ١٩٣ | الروايات الآية (٣٠) الآية (١٦) |
| ٢٤٩ | ١٩٥ | الآية (٣٠) الآية (٣١) الآية (١٧) |
| ٢٥٢ | ١٩٦ | |

| | |
|---|-----------|
| أجواد البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس | ٤٥٠ |
| روایتان الآية (٤٢) | ٢٥٧ |
| الآية (٣٢) الروايات | ٢٥٩ |
| الروايات الآية (٤٣) | ٢٦٦ |
| الآية (٣٣) الروايات | ٢٧٠ |
| الروايات الآية (٤٤) | ٢٧٢ |
| الآية (٣٤) الروايات | ٢٧٦ |
| الآية (٣٥) الروايات | ٢٧٧ |
| التوسل في سيرة المسلمين الآية (٤٦) | ٢٨٠ |
| التوسل في الأحاديث العامة الآية (٤٧) | ٢٨٢ |
| الوسيلة في الروايات الآية (٤٨) | ٢٨٤ |
| الآية (٣٦) رواية | ٢٨٥ |
| الآية (٣٧) رواية | ٢٨٧ |
| الروايات الآية (٤٩) | ٢٨٩ |
| الآية (٣٨) الآية (٥٠) | ٢٩٠ |
| الروايات رواية | ٢٩٣ |
| الآية (٣٩) الآية (٥١) | ٢٩٧ |
| رواية تنبية | ٢٩٩ |
| الآية (٤٠) البترول واليهود والنصارى | ٢٩٩ |
| رواية رواية | ٣٠٢ |
| الآية (٤١) الآية (٥٢) | ٣٠٢ |
| شأن نزولها رواية | ٣٠٨ |
| رواية الآية (٥٣) | ٣١١ |

| | |
|---|-------------------------------|
| رواية ^{٩٥} ٣٦٠ | رواية ^{٩٥} ٣٩٥ |
| الآية(٥٤) ٣٦١ | الآية(٦٣) ٣٩٥ |
| شأن نزولها ٣٦٤ | روایتان ٣٩٨ |
| الروايات ٣٦٤ | الآية(٦٤) ٣٩٩ |
| الآية(٥٥) ٣٦٥ | تنبيه ٤٠٢ |
| كلمات مفسري العامة أثّرها نزلت في ٣٦٤ | رواية ٤٠٣ |
| عليٌ طَبِيلًا ٣٦٤ | رواية ٤٠٤ |
| استدلال الشيعة بها على خلافة ٣٧١ | الآية(٦٦) ٤٠٥ |
| أمير المؤمنين طَبِيلًا بلا فصل ٣٧١ | روايتان ٤٠٧ |
| وقد اعرض العامة على هذا ٣٧٢ | الآية(٦٧) ٤٠٨ |
| الاستدلال بوجوه وجوابها ... ٣٧٢ | الروايات ٤١١ |
| الروايات العامة في شأن نزولها ٣٧٥ | الآية(٦٨) ٤١١ |
| الآية(٥٦) ٣٧٥ | روايتان ٤١٣ |
| الروايات ٣٧٧ | الآية(٦٩) ٤١٤ |
| الآية(٥٧) ٣٧٩ | الآية(٧٠) ٤١٧ |
| الآية(٥٨) ٣٨٢ | الآية(٧١) ٤١٩ |
| الآية(٥٩) ٣٨٥ | رواية ٤٢١ |
| شأن نزولها ٣٨٧ | الآية(٧٢) ٤٢١ |
| الآية(٦٠) ٣٨٧ | رواية ٤٢٤ |
| الآية(٦١) ٣٩١ | الآية(٧٣) ٤٢٤ |
| شأن التزول ٣٩٣ | الآية(٧٤) ٤٢٧ |
| الآية(٦٢) ٣٩٣ | الآية(٧٥) ٤٢٧ |

| | |
|---|------------|
| أَجُودُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ / الْجَزءُ السَّادِسُ | ٤٥٢ |
| روَايَةُ الْرَوَايَاتِ | ٤٢٩ .. ٤٣٩ |
| الآيَةُ (٧٦) .. الآيَةُ (٨٠) | ٤٢٩ .. ٤٤٠ |
| الآيَةُ (٧٧) .. تَنْبِيَةُ | ٤٣٢ .. ٤٤٢ |
| الآيَةُ (٧٨) .. روَايَةُ | ٤٣٥ .. ٤٤٣ |
| الآيَةُ (٨١) .. الْرَوَايَاتِ | ٤٣٧ .. ٣٩٢ |
| الآيَةُ (٧٩) .. | ٤٣٨ .. |